

## فهرست

صفحة	
٩	تقديم
١٥	مصر القديمة
٢٥	مصر الحديثة
١١٢	( مصر في القرن التاسع عشر )
١١٢	الباب الأول - حقبة الجمهورية الفرنسية على مصر
٢٢١	الباب الثاني - الانجليز والأتراك والبريطانيون
٢٥٢	الباب الثالث - الفرنسيون
٣٦١	الباب الرابع - ثورة
٣٦٦	الباب الخامس - عهد علي والي
٣٦٦	الباب السادس - الحقبة الإنجليزية في مصر
٣٦٦	الباب السابع - الوقائع الأخرى الأخيرة
٤٣٦	الباب الثامن - الوعاية والوفايون
٦٤٠	الباب التاسع - الفرقة العليا
٦٤٩	الباب العاشر - بلادهم

— ب —

الباب الحادى عشر — حلة الشام	٣٧٦
التفاوت عن حلة الشام	٣٧٦
الباب الثانى عشر — الشرق والغرب	٣٨٧





(هي نسر ونگلا ونگلا)



# مِصْرُ فِي الْقَرْنِ الْمِثَاثِعِ عَشْرَ

سيرة جامعة

لورانت ساكني الزمان

محمد علي باشا وابراهيم باشا

والقنصل محمد سليمان باشا الفرنسي

من الوجهة

الحرية والسياسة والتمهيد

تأليف

لودواري جوان

تدقيق



المحرر الفني بوزارة الداخلية

الطبعة الأولى

بالساعة

في سنة ١٣٤٠ للهجرة سنة ١٩٢٦



الشريعة وطبها

حضرة صاحب السور الأنبياء

برسيف كال







يسجد المشركون له يوم توافى نصرته محمد علي



## تمهيد

كانت مصر في العهد الحاضر مكتنزة من جلائل الأعمال .  
 بيد أن كانت بالأسس وثمة الأسباب منحة النرى عند استنود  
 عليها الجمل فصرلها عن الرشد وأعطت إياها الهالك وهم  
 أولئك الأشرار الخمار الذين شوا في الأرض مصدين لاستنودها  
 واستنودها أصبحت اليوم بمأبذ من آيات الطولة والباس  
 في القتال عززة المال على من يروها عظم تسلسل الدول للنظم  
 في ميدان المناظرات السياسية فيحسب لها حساب وتلقى سبها  
 في كفة ميراث الحوادث فيكون لها الرحمن

مبذت من أعلام العلم والمصارة إلى ذرها فأفادت على  
 أم الأرض من يوردها الساطع ثم لم تلبث أن انحذت من مزلتها  
 روية في هوة اكتشفها فيها ظلمات من الخيل طبقات كثيفة  
 صفها فوق صف ، ولكن ها هي والحد لله قد عرجت من  
 الظلمات إلى النور وطلعت فاستقرت من المرد والبرزة في مرنة  
 سدت بحورها فيها الاعناق وتخطت إليها الآمال من أقصى  
 الآفاق

كانت تعرف أول الأسم التي دخلت مصر في تطورها الجديد  
حين الأعجاب فخرت إليها مندوحة رامت الليل القنسي  
تصطب ودها وتصلحها بل، يدها

ورأي محمد علي رأس الأسرة العصرية المعروفة ما علم فيها من  
القياد والشرع فقلد الأمر ليعطيه من الأهدى وتصدى لفتح  
القرصى واسلام الخلل جسم برزته وحكته عزة الأودع حتى  
استقام لائل وارثنى الفتى . وشدة أروعه هذا السبل الصالح انان .  
ابراهيم ابنه وابن آخر بالروح هو الصابط الفرنسي سيب الذي  
عرف بعديهم سليمان القرصى وعشرون من اساء بطلته لقرصين  
نماحدوا على إصلاح مصر الى المسكاة التي نبواها عن جدولة  
واستحقاق

أولئك الثلاثة الرجال النظام المعمرين على مصالح مصر  
لا تعرف عيوسهم الأنقاء التمهيد لها بنا ينمى ونجوى أساطينها  
ويشد مقاصدها جاء الى بلادنا منهم اثنان منذ أشهر قليلة فحيات  
لنا لوصة من أهل القرص وأشرعها لمرى برأى منا ابراهيم باننا  
ذلك البطل الحى الألب الأبنى الصبر الذي أطلق الناس عليه  
تسويها بذكره وشدها بقدوه لم السيف الحى وذكره واقفا أطروا  
من صفته العالية أنه كان اثناء الحروب يرفد كساركه على القري

وهم يريد القناوس والامطالو القنطرة وكان انما اودعت ساعة لقتال  
الناس بين صفوف الجنود ما تخافهم بصوته المهورى مستغزاً  
لهم الى غرض السامع . به ولعشارم . ثم لا يلبث بعد إلقائه في  
صدو كل حندي حدوده من در حمله وجاله أنب يزارح الى  
الطليحة مندفعاً نحو العدو وقد اوتست على شفته ابتسامة من  
الاستغفار به لو اوتسم مثلها على شفاء أجدادنا « النول » . غلشي  
اوت فأسهم ولغات لم الأرض من أنصاتها الى أنصاتها  
ورأنا سليمان روي إبراهيم وصديقه الخيم عن كتب تحت  
بنة قصر الأنفيلد وقد جتا على رصصقه في العمل جنباً مرت  
بخطره ذككري استاده الأمير الموردي ( مولبون ) وقررت  
« برانه بتأثير هذه الذكرى التي صورت له آيات ناله ومجزات  
بطولته

ولو أن محمداً علياً جاء الى فرنسا لوطنها كما فعل وليّ عهد  
إبراهيم وقائد جنده سليمان لماعها مصالحة الصديق مديحه ولفي  
من الأمة الفرنسية جاء ما لقيه فانك الزائران للكرامات  
من أجل مظهر الطفاوة والاكريم لا سيما وأن انا « وطننا من  
الفرنسيين اللقيين بصفاف الثيل قد اجتمعت كلهم على مدح  
عوامله الرحيمة والشفو مذكر ما أثره التي كان من حسن

أثرها في الجاليات الأفرنجية ببلاده إمتداد أثرها من الصرايب  
وتشييد مستشفى خاص بالمرضى منهم لوقايتهم من فتك الطوائف  
والأوبئة

وكان مما حدا غرضاً إلى التشوق لتوكيد الرابطة بينهما وبين  
محمد علي اعتقادها أن هذا الرجل العظيم من الصاميين وأنه لم  
ينسجم فزوة المجد والشوكة إلا بفعل ذكائه وحسنه ، وكان حتى  
للمسة والأرنيم من عمره أيلاً لا يقرأ ولا يكتب ولكن جهله  
بهما لم يحل خوفه على سبيلاً على التجربة والاختبار والمصالة  
والحمى بأساليب إحياء البلاد وتحديد الأمم والسير بها إلى ما  
كانت عليه في العصر الخالية من أبعد غابت التقدم والارتداد  
في الحضارة والبرهان

وكان يدهياً أن ينفي هذا التجديد إلى تضحية الكبير من  
اللال والسير بالضغط والأكراه في سبيل تحصيله ، فلا يجب إذا  
أساءت النهضة للصرة في إلها إلى كثيرين من الصرين يدمر  
العادة أن يورث التوم الطويل الصبر واللال وهكذا كانت  
شأنهم في مصر على أثر ما بذله محمد علي من العنة في استغلالهم  
من سياهم بها من بلادهم من الكثرة التي فشت فيها الأحقاب  
الطوال

يقولون إن محمد مصر وهي مجدها القريب لم يكن إلا  
 مساراً كان التوفيق مرتبه في مناسره . ولنا ترى في قته هذا  
 البعث ما يجد سبة أو بعاثة بعد أن وصف البطل القورسقى  
 ( غوليون ) بهذا الوصف وبعد أن لم يختلف اثنان في أن الأسد  
 سيد القدرات وبطل القنات في مقدمة الفارسين . فبطل القناتون  
 في محمد على ما شاءوا أن يقولوا ويعنفوه بما يطيب لآخسهم ان  
 يعنفوه فليست القولم ولا توصافهم بعاثة من ان يكون هذا  
 الرجل من الأبطال الذين لم تنجب الشرق منهم منذ عهد طريل  
 والمرح أن يكون لمرسا في مصر القسط الا وفي من  
 الاملاجات التي يرى محمد هذا القطر أن لا مدوحة عنها  
 لآهاته من صكبونه فأن فرنسا هي التي أمارت مصر خلاصة  
 الأتجاه من عطلها ومبطلها وصناعها وأطباها ومهندسيها  
 ليأخذوا بيد ما فيها انخرمت أن تمطره من أشواط ذلك الدليل  
 وهبت مصر دوازة شؤون لاكتير من مصالحها كالجيش والقوة  
 ووزر الصناعة والصحة العامة الى الاخصائين من الفرنسيين  
 وانشأت المدارس في أمهات مدائن القطر لتعليم العلوم والفنون  
 ودرس آداب اللغة الفرنسية ممن ما يقربها من اللوس . وما  
 نحن أولاء نهذب في عاصمة بلادنا كما نهذب ابننا على حد سواء

تقيماً من الشبان الذين عهدت مصر إليها تدريسهم على أنعم  
المبادئ. الخلقين وأصلح القواعد العلمية. وجملة كتروى قد أرسلت  
فرديا إلى صفاق النيل أشعة ساطعة من نور عرفانها وتم للشرق  
والغرب بفتحها كاتبا بروايت إليه من المتصالح والمتصالح منه  
عهد سعيد

ولي أن أقيم في هذا المقام الدليل على أن تاريخ مصر في  
القرن التاسع عشر، لم أجهل الآثار الوطنية الفرنسية لأنها  
بأرادة فيه أضح سيرة من سيرة مصر إنما تخلص ترجمة  
حياته بقضا المبتلى



## مصر القديمة

حج إلى مصر قبل الألفية الأولى<sup>(١)</sup> الخامس والتسعين عامه  
من قصاد المسلم لطالب أطربها باحثاً عن دلائل الحكمة الإلهية  
مستغنياً معاني أسرارها وكانت هذه الدلائل والأسرار فيها  
أدنى لطالب متبساً منها في أي يد آخر ولو لم يحض لها حرة  
ولم يحشم في سبيلها مشقة . ذلك لأن الحكمة الإلهية كانت في  
مصر من أبواب العلوم التي لم تفقد يد البيان مفتاحها

نزل ذلك القاصد إلى قاع شر حلكة الظلام مضطربة إلى غنى  
فوجد أمته بالما من نحاس صلب لم يلبث بعد أن وضع يده بكتفا يديه  
أن اقتنح بصر برأسهم وكان يده مصباح لا تطلق في التلق حتى  
يبدأ طبع إلى باب كل رأى من حلال أسرارهم أن من حله ووافا  
نصبه مصابيح عدة قرأ على شعاعها حلة تفتت بأعلى حنياته وهي :

(١) عند القصد الرومي حدة من ١ من عب روح سواد . وبعده إلى حدة

من حدة من حدة الألفي الأواب والأوميد . أول حدة من حدة الأولى حدة ١٢٩  
من حدة والأوميد لا حدة حدة من حدة ٣٩٩-٣٩٩ حدة حدة

« كل ابن أنثى إذا سار غير هيأب ولا وجل في هذا المهد للقدس  
فاست عليه الأنوار وطهره الطراء وأدناه ووقف على دلائل الأسرار  
الصلوية للألحة إريس »

وسمع المرید صوتاً من طير يسأله هل نمرود عليه من أثر  
الجرأة والأقدام فأجاب من حوره « كلاً » فاستأف في الآن  
نفسه السير في طريقه من غير أن تمرود وجفة الخوف أو يشي  
عزيمته خور وظل مسترسلاً في طريقه حتى إذا بلغ إلى باب من  
الحديد اعترضه ثلاثة رجال مدحمت بالأسلحة وكانت على  
رؤوسهم حوذات صف تثل رأس الكلب فقالوا له - « لك أن  
تقلب على عنيك والكنك إذا أسررت على عريك ثم أراجعت  
إلياً أو التفت بنة أو يسرة فلا تؤمن إلا نفسك »

فأجاب المرید - « كلاً بل لا يحسن لي من مرادة السير  
إلى الأمام »

وكان أمسه لم تظن سيرها لا يقدر على النجاة منها إلا  
من اجتازها مراراً كثر الطبع على صراط ضيق ممدود فوقها . وكان  
يل التام سبيل مذ له هدير شديد لا تقوى الآذان على سماعه  
ومن وراء السبل سفة دون البوع إليها حول السباحة فيه  
وعطرها العظيم تنقلب المرید بمساء عزيمته على المشتين وجل

المعروفين ولكن كانت لا تزال هناك قصة تالفة هي أم الغفلات  
كلها في شدة الدراسة وكثورة الطلب

ذلك أن المرء وجد أماله يصع درج تؤدي إلى باب عاج  
منير إذا أصبح نظائر شرر ساطع من ضيئه هذا بلغ منه بل الغشة  
تتحرك كالزلازل كانت حركته منسقة من زلازل شديدة ورأى رأى  
العين عجيبين عظيمين من الحواس الصلب تدوران فتعبدان بسرعة  
عيفة سلاسل حديد خلافاً يسمع لاحقاً كما بها صلصلة هائلة إذا  
بلغت إلى السمع أصغته تجاه مداسة هذا الأمر وهول منظره  
سقط الصباح من يد المرء فصار من الليل في حدى داج وظلام  
مدلم لم يروعه هول هذا المنظر ولم يزل به منه بل ظل ساكن  
الروح ثابت الجأش أس الجناح وابث متربة . . . فإذا حدث  
حدث أى ما اتساه من الاهتزاز يادى ذى بدء ألقبه  
السكون تجاه ما أبداه من حله وقوة جنان

لهذا ما علم أن رأى الباب الذى كان إلى تلك الساعة محجوراً  
عن الأنظار وقد افتتح ونهضت به السيل إلى هو حليل تضي  
أرجله ثلاث الصايح وشهد يصدر هذا اليوم سبين كلها جلوساً  
وقد أمرعوا على أبدانهم أودية من السكتان وطوفوا أعناقهم

بشرف تلباس أشكاهوا ونفحات ليسا بحسب ما يجرهم من الرتب  
والمدرجات في النظام الكهنوتي تقدم المرید نحو كبير هؤلاء  
الكهان وولع جنونه فأفرج عليه هذا رداء أبيض من ذلك  
المنصف وعرض عليه إناء منقشاً ماء وقال له

«هالك شراب ليتوس<sup>(١)</sup> فشربه لتسبي لحكمكم الذميرة  
والأحكام السفلية»

بعد أن تخرج المرید هذا الشراب تسمى أرحاً وعشرين ساعة  
في راحة كان حقيقاً به أن ينامها تماماً لما كان مقبلاً عليه من لوم  
الظلمة ثانياً يوماً تراجع له السار في حلالها وأثناء الأشهر الستة  
التالية عن أسرار الحكمة الألهية مما تكلمه من إثبات وحود  
المخلوق وتناولوه من سرده أسماؤه الحسنى وشرح صفاته وما يقترن  
بها من عظمت تعالي وتقدس من سمة المحدث والذوال وتلاوة  
فدركه على صفحات الوعودات وتهلل آثار ملكوته على وجنات  
الكائنات استطاع المرید مكنون هذه الأسرار وأصناف إليها  
الرسوخ في علم الآداب والأخلاق وفي الفلسفة الدينية فلما جاء  
دور التجربة والاختبار وجهت إليه الاستئلة فأجاب عليها بما لم

(١) هو من أشد الحم كمال الفناء - يعنون أن من شرب ماء ميتوس - وضع  
في ماله ميتة

يسبق ليرد أن يحلّوب على مثلها من الكبر وسعة الاطلاع ثم  
أحد إلى الأماكى المقدسة حيث حلف باليمين للقبوس الأبطال  
أحدًا من طلبة القوم على ما شهد أو سمع

وما انتهت هذه الطقوس السرية حتى آلى المرید على نفسه  
الآلية أن يعضى في عين شمس ثلاثة أولييدات ثامًا أن يك  
في أنكثها على المدرس باحًا عققًا وايضًا في علاها عوداه  
مستحبًا صاحب مرسى القلعة معنيًا على الامناء إلى ما كان  
يقبه الكتاب سخرتفيس عليه في ليالى تلك الاثني عشرة سنة  
التي لم تكتمل حينها بها يوم حتى اذا فاضها مجددًا في تحصيل  
العلوم لم ينالها صاحب من شديقه : « أسولون : أسولون » (١)  
إنكم معاشر الاغريق ما زلتُم عبالاً لاهيون من الحكمة شيشًا  
وكان مرقدًا للتحصن في اطراء المصريين لرسوخ قديم في  
العلم قد أمضى عشر سنوات من تلك الحلقية مصاحبًا لستراط في  
مدارس العلوم كما صاحب أيضًا كراتيلس صاحب هرقليلس  
وهو موجيس صاحب برمنيس وحج قبل ذلك إلى ميجار من  
مدائن اليونان الزاهرة بالعلم في المنصور القديمة للأباطنة

(١) أسولون هو أحد طوائف سكان القلعة ومترجم إليه له سر له القوام  
الدينامية (ولد سنة ١١٠٠ وتوفي سنة ١١٨٠ + بين القلاع)

التي على طريقة إقليدس وأقلام سيرين<sup>(١)</sup> ربما يلتقي بها  
نعاليم فيثاغورس الرياضي ونفسه التي إيطاليا لجامع محاسنات  
أفراطس وأكروون وتيميه وأورثاس وأوغيناس وديولاؤس  
المرفلي ولم يكن بعد ذلك قد شبع من العلم فطاف بالأساليب  
الطبيعية على اختلاف منازعها وتبين مداهها ثم قد سمعوا يطأ  
أولو عطشه الأ في مصر حيث وجد حاجته كلها في تناول اليد  
فأخذ منها ما شاء وترك ما شاء

ذلك المراد الجديد في تحصيل العلم والمادح لفضائل مصر هو  
التي وصف بها هند بالألهي إذ اتخذ أنها لا يجرأون له السلام  
والقصون والشعر عند اليونان وهو الوضع أساس الفلسفة للحرية  
إليه والبروفة باسمه ويقول الماثلون أنها تنزل من صنوف الفلسفة  
منزلة الألبانة من صنوف الشعر وزعم عديهم أنه شوهد في  
شكل طائر صاعداً إلى قم جبل أولب<sup>(٢)</sup> وأن نحل جبل هبمت  
كانوا يذوقونه مسلم وهو في الهندسياً كالمصاح أو بكي

ذلك هو أملاطون الذي اشتق اسمه من كلمة ملاطوس التي

(١) سيرين كان قاضياً بركة الزائدة قرب مصر وكان له تلميذ يدعى إقليدس  
اليوناني كمشهور له

(٢) أولب جبل من جبال اليونان قرب سلفا وعصوبيا كان يهبط منه الماء الكثير  
يستعملون له سكنى الأله وطهرهم

مساها بالبرادة العريضة العريضة لمرس شديد في جهته يدل على  
سعة في النمل وسعة في الفكر، والقلم

كانت مصر مشتمت أشعة الحضارة الأولى ومهد العلوم  
والادب وسبيل للعبادات والطقوس الدينية ومركزا ثلاث فيه  
أشدت الأفكار المبدعة والحراير النافذة وكانت لهذه الأسباب  
ولوقها من الدنيا القديمة في سهرته ميداناً تحت الإنظار فيه أهل  
حراير التاريخ وأشد عطاءه وغنى في النفوس

بروت مصر من ولاء ستار القدم الى عالمي الوجود واستقلت  
بكيانها انظام قبل عهد ابراهيم (عليه السلام) بزمن طويل فترأت  
عظمة صود والحراير نزع شمسها ثم نخرج الى القروب وكانت  
هي كندراس تشع من حراير أحوال العلوم والفنون بينها  
كانت رومية وأتيكا وإبرطة لم تنفض عنها يد عيار الخول ولم  
تخرج من الظلمات الى النور وكان لها السبق والتموق في كل شيء  
حتى أن أحدث آثارها وأغرب ما عهدا يرجع في الوجود الى  
ما قبل حروب تروادة (١) ويعني لها أن تستمر بأنها أول من

(١) تروادة هي مدينة في آسيا الصغرى لشهر عظيم من عظمى حضارة  
الرومان في عصر الرومان وقد مد سيرة هذا الحضارة القام هو جوس بليست الأندلس  
لشهره وهو من تروادة القديمة هو الآن بلدة صغيرة القوية من الروم

دسم طريق المعاصرة الحسن البصري واحتط له الخطط وأنها  
أول من بث شروعه في أرجاء الأرض وسحق أطرافها حيث  
تحدث لنفسها منها في كل منطقة للستمرات الحالية ايائها  
مصر أول بلد من بلاد الأرض حرت في طرقاتها وعلى  
شطوطها الركبات تحمل الانطال الظافرين مثل ' - بروسفريس  
وبالوحد مصر وقبر وداروس واكرديس ونطليوس؛ امكنند  
الأكبر وميمر وتيمور لكوس صلاح الدين وبنارته وهي أيضا  
لنظر الذي شهد فطاحل السماء بحوسون خلال دياره وبحجرون  
غياثيه وأوطاره ومهم . هوميرس وأوشيدس وأرسطاطليس  
وأرويه التراقي وميوس الكريدي وداؤوس اقلي . طاليس  
وميليسوس ومينافورس وغيره دتس وديودورس الصقلي وسولون  
وأخلامون وليصكورة القندسوي وديموقريطس واودكسوس  
واينغريدس وهولبي ودليل وشمبوليون فيحاك وتيلور واسكنند  
دوماس وشاتوبريان ولانرئين

حظت بواعث الثروة والتعميم بمصر من كل القرائح هي  
عنة بمواقف القريد بين أفرقية وآسيا والبحر الأحمر والبحر  
للتوسط عنة بجمردة ترنها التي تلبث المسجد والمصار عنة بهمة  
شعبها ودأبه على الحد والنشاط في العمل ولكنها اتخذت الأسباب



بدلتها كانت هدفاً للسطاح من عظماء الرجال الذين حاولوا جميعاً  
 أنعادها أساساً لصالحهم الذي كانوا يسمون به في أثناء تلك الواقعة  
 والبول الصليبية فيرونيوس وجومبيوس وانطونين وأوكشاني  
 اتحدوا كل منهم متفقاً للحكم بنفس فيه على النوع البشري بما هو  
 فاضل وحاصل حول كل من إوساني الثالث (الباس سنة ١١٩٩  
 إلى سنة ١٢١٦) وإكرمنس إكرمينال اسبابا الذي عمل على  
 طرد العرب منها ولدت سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٤١٧) وهرديتاند  
 الكولونكي (ملك اسبابا الذي على هذه أخرج العرب منها)  
 وعمرى السابع ولويس الرابع عشر من ملوك فرنسا أسبنة للذهب  
 إليها بحيلهم ورجلهم لفتحها والاستيلاء عليها وفيها احتفظ  
 سكندر الأكبر المدينة المنطوق التي أسندت إلى اسمه وكانت  
 عاصمة التجارة ولا تزال حتى اليوم في القطر المصري

وخص أهل إيطاليا النفس الآتية من هذا القطر بمسيرة  
 أصبحت حقاً لها دون سواها من سفائق العالم أجمع وهي ميرة  
 دخلها في تفرغ ثلاثة شرعها الأصغر بطرف سلونها وكان  
 للفتح أنف سفن البلاد الأخرى يفرس عليها على هذا التفرغ  
 بمجرد دورها من كبرها (حرر عن خليج نابولي نفس فيها طيريروس  
 الأمير بطور الروماني أبده الإهيرة) وكان الأهلون في إقليم

كبابيا بإيطاليا الجنوبية كلها وروث الفس للصرقة مشحرة  
بالبردى والقرنس وأنزع الصمغ والأدهان المطربة تصدعة  
للأبدان والحدس الكثيف للزجاج المطري الرائحة ومنع التوشاح  
الذى كانوا يعمرون عليه بوحدة آتون والتمز الذى كان يستل  
به على مداولة العلم في النساء والمصنوعات الزجاجية ذات الألوان  
المتنفة والآية الصمغية للمهورة بالأصابع الفصية للورن  
والأنبياء المدينة التي كانت كلبوبارة منومة متاعها أقاموا  
الحللات والأعياد سرورا بنفسها

وكان إذا أصاب القوم حاجة يجلسون في السنوات الخمسة  
حولوا على مصر في الغلام من سلك الجيش وانما على خيراب  
مصرانم كان يعتمد بنو إسرائيل في الخماس الجيش والنعاء من  
تأنيج الأحمال ولقد تأوت على كل من موسى وهارون فالترتهم  
وهم يحتازون الصحراء وأخذوا يقولون « من ذا الذى يشبع  
بطونا الآن؟ لقد كنا في مصر نأكل القثاء والنبهات والفكرت  
وكنا نحس بالقرب من فلدورا مملوءة لحما والجبر من حولنا  
يلبى من حاجتنا »

وهذا هانبال القائد الأمريق المروء بانتصاره على الرومان  
واسفيلاته على بلادهم ما حصه آخر سلبهم مراوح الطيم لأطيون

برسط إيطاليا حتى تجدد عنده أمل وقد انقضت منه الامدادات من بلاده في الاعتماد على مصر للاستمداد بالطائرات الموجودة في خزائنها فانه ما نشب أن أنقذ بوسطها لياتهم بما كان يتحصه من الثروة والميرة. ألا تزال مصر حتى اليوم مبعوض الرزق ومستودع الطير لبلاد الترك والمغرب والشام وجميع أنحاء أسيا الصغرى ؟ ألم تخلق مصر من مخبراتها الثقيلة عن سعة كما أنقذت من خيراتها لنادية ؟

ألسامديين لها تنظيم الرمن وتقسيمه بحسب حركات القصر؟ وهل الى سواها يرجع الفضل في تحديد مدد أيام السنة بتلاتمئة وخمسة وستين يوماً ؟ وهل لم تكن هي أول من وضع القواعد الأولى لعلم المحيطات والظلمات والسائل الأولى لعلم الخدمة واشكر حروف الایمجدية وأنشأ أول دار للكتب كتب على بابها « كثر أدوية النفس » ؟

كانت مصر أول أستاذة تولى اليونان عليه تلقى العلم فلفتته أوربا وكانت كرم. ولقد تتكلموا في الاحتصاص بتحقيق القوانين القرمونية على سكانها وفي مصر بحث سليمان عن عذراء تكون أهلاً لشارقة الجاسوس على عرش بني اسرائيل وعن أغراس كرمية تكون أهلاً للاستباح منها ببيادوم ومن مصر استمداد

اكرسيس المجاعة من حنوده ليق من الطمر بأعدائه والجنة  
عليهم والبا كانت مقاطعة ايليد من مقاطعات اليونان القديمة  
ترسل مشروع ألعيا الأولية لر جست ووافقة عليه ، لأنه  
كان لا يومع مشروع في الجهات الأحتية من مصر وبدأ  
تتقدم عمل الموافقة عليه منها

وكانت مصر تدون حوادثها في ديرة نقشا في الحجر الصلد  
وكانت تعلق في هذا السبيل حداث عظمها وعملا حسبها عيك أيا  
القارى أن تحسب عدد الأيدي التي دوت تلك الحوادث الخاطئة  
وأن تقبس أبعاد ذلك الصميم المتطير الكسيري القائمة  
الذهبي في الجو الى ارتجاج سلمق وأن تستخرج أطوال تلك  
النسك التي يقوم على حراسها التاهيل الطيورانية التي اذا نظرها  
الناظر حقا جالا مائة وان تصب تلك السلالات الحقيقة الصم  
التي ما استطد بها سيف حتى ارتد عنها مدلولاً وبذلك القار التي  
لا حصر لمددها وقد ازدحمت بالثالث المنطة وبذلك الأهرامات  
الناشئة التي تحاطها لبعوها وصحاحتها قد أخذها الشروح والكبرياء  
أبصر ذلك كنهه وجاهد نفسك حتى لا تترسل في التأمل  
والانماط والاحتير واحب بما تراء على أن تستقد نفسك من  
تأثير الدمش عيها واستيلاء الشعور الذي عليها . قل أهر التاريخ

« لا يوجد على وجه الأرض قطر كقطر مصر أبدعت الطبيعة به  
 إذ حصته بالحسن من كل شيء ، وتفنن أصحاب المدارك والنفوس  
 فأخرجوا ما لم يسبقوا به من العجرات ، وكتب سقراط ما يأتي .  
 « سلام عليك أيها الأثافي التي هي أحل وأخف ما أخرجته يد  
 الإنسان »

لقد شاد اليونان والرومان مباني الألفاظ وتصورات العقول  
 ومدججت الصبورات بشاهد منها الثقل ولكن ما أتت سبقت  
 مصر إلى تنظيمه وتجهيزه بل عجزها من أم لارض كانت  
 مع . أول من عظم وعبد القيم والفضيلة والأجداد والوثني وكان  
 لا يعبأ أمر التنسيق والتنسيق في المساكن لا عتاقها بإها من  
 المعاهد التراثية بروال أربابها إنما كانت عتاقها منصرفه إلى تنسيق  
 المساكن الأبدية الخالدة وهي المابد . لهذا السبب كانت تخص  
 الوثني بالاحترام والاعظام وتحرطهم بصوف الرعايا والبنات .  
 أنظر إلى الأقارب الأثريين للموتى تراجم يشقون الثياب  
 ويصرون الصدور ويظنون للصدور ورسولون الشهادة سبيل  
 لحزن لما وقع من القاتلة ونزل من الحصة إلى ترى القتل في  
 المساكن يطحن دؤوسهم وأوجعهم بالطين ويبرهن أنهم لم يمت  
 بلطسها بكفوفهم مختبرات المدينة من أوصالها إلى أوصالها

ويمسكن من الغر والصيد والاطعمة المشبهة أربعين أو سبعين يوماً  
 العادة عندنا في الثرى من فقد عزيزاً اعتقاداً أنه بعد أن  
 رده إلى بطن الأرض التي أخرجته سيبيت منها مرة  
 أخرى يعيش عيشة كاذبة أبدية ولكن المصريين كانوا لا  
 يفتنون الذين منهم حيلة أن يأكلهم الدود وكانوا يرأون بهم من  
 الأحرار لا اعتقاداً أن قتار حيوان مفترس يعيش كل  
 ما يقع تحت برأى دمع السم لا يزم من أن يمرض أحدهم إلى لقاء  
 البقية الباقية من لرب أو صديق عزيز عليه فكانوا لهذا  
 وذلك يفصلون الاحتفاظ بالأجسام التي كانوا يعتبرونها خلاص  
 الروح وصندوقه وروون أن الروح متى تركت هذا القلاف  
 سكنت أجساد أنواع أخر من الحيوانات الخبيث منها فروح  
 الخبيث والطيب منها الروح الطيبة وتسمى متجمعة بها نحو ثلاثة  
 آلاف من السنين

وكان منهم القاطع والهمة الموكولة إليه كانت تقصر في  
 تحديد الحجر الأثري أي المبنى ومنهم المجهز لثيثة التخل  
 والسواقي المطرية التي يفيض حقن الأحناء بها وصنع الآثر  
 والقرقرة والدبرصين وكانت هذه الموكلة تصلح لدهن الجسم مفقداً  
 بالهوائف الدقيقة ومتى جنى باليت انخفت الاستعدادات لاستلال

اللعن من الأعم بساق مشوية الطرف مخوفته فيبدأ الباراستت وهو جراح الموتى عملية بفتح الحائز الأيسر من البطن وقطع جره من اللحم يجلد النصاب للغرقى القصر ثم يجل الأدمر فينبه الحاضرون برمونه بالأحجار لا تضارم ليلء مايقا يمشث الموتى ومن بحث بها ويقتد عليها بما يغير كياتها مملون ثلاثا

يحدوا أهل البيت وأقاربه وأصدقائه يوماً للتشيع جنازة وجلون على ثلاث أن ثلاثا لدى دمه الموت سيمير بحيرة بإليه ثم يجلس على يلى الماء أربعون كامياً على هيئة نصف دائرة و هي إلا ساعة حتى يدنو من الشاطئ زورق يجل الحية ويغمره الزبان كازون اللوط به نقل أرواح الموتى الى المصم وكان أهل البيت يضرعون بين شفثه قطعة من القند قبل أن ينزل الزبان لله فإذا ماقله القضاها من يدهم لو كان لأى إنسان أن يوجهه الى الميت تهمة أو يدهى عليه يضرعى فإذا قدمت الجنة الى القضاة الأربعين ويوت أئمتهم أن صاحبها أساء السيرة في حياته وصل السبل فطعت بحكمتهم عليه عما كتبت يدامو كان القضاء في الثالب المخرم من اللحن . أما اذا ثبت كذب التهمة عرفت صاحبها عقابا صارما وفي هذه الحالة نرفع الاصوات بالاحتجاج على التفتق واستهجان حله وتلييح طريقته ويسترسل أفراد أسرة القيد في مظاهر

المرن والتوجع ثم يشرح الماضون في تأييده مسوحين بصيرته  
الحسنة وأحلامه الرصية . وهم يتقون في هذا التأييد الإشارة إلى  
حسب العقيد ويحتمل ما كان سائداً بين المصريين من الاحتقاد  
بأنهم جميعاً من نسل حام وأنهم من كرم النخلة وروسخ الشرف  
بما لا حاجة منه إلى تنويه أو إطراء . وكل ما يهم للتوبيخ إبراءه  
عن العقيد هو الحرية التي تلقاها في عتوقه والبادي الطيبة التي  
لقدت له بالناس من مزاولة التفرغ والسلاح وحس العدل والاعتدال  
وسائر الفضائل التي يمدح بالرجل أن يفتخار به في حياته  
ويحتمل التأني بعد استبعاد هذه الفضائل بالهدم إلى الآلة أن  
يتقبلوا العقيد بين الأتقياء والأبرار . وهذا يدفع الماضون  
تسليفاً حيناً ويشدون مجدح العقيد فرحين بأنه يدين في المحرم  
أبد الآبدين مع الأحمياء والأبرار ثم تشق الأرض أكراماً له  
لحبيب فيها حشته مع ما كان يجهل من متاع الدنيا كالأسلحة أو  
الآلات

أما إذا جدد حكم الأربعين فاصباً على خلاف المتظر من نيرمة  
العقيد من الآثم والذنوب كأن يكون عليه دين فإن جسته تهاد  
على القود إلى داره ويسد أبوابها لي جدر مكبي في رلوقس  
زوال غرة نشاد خصيمه له وتظل في مكانها عروسة من الفطن



في القدمين القدم حتى يقوم أساؤه وأحقاد جوعاء، ربه مد أن  
يكوواله بدلوا من فقرهم غنى وعدته بالتون الأجولة مدعت طفا  
لنطقوس الزرية ويرد إليه ما سلب من الكرامة والشرف

وإذا أردت أن تعرف إلى أي حد وصلت باطنية الشرف  
والكرامة عند المصريين وإلى أي غاية بلغ عرفانهم بالجميل وقيامهم  
بحرمة الصنعة ولصاؤم بالشكر حق النعمة فانظر كيف كانوا  
يمشون بمظاهر الأجلال والتعظيم أصحاب النعم والآلاء. معلوم  
أن النيل مشتق اسمه من اسم الملك يونس وكان قدماء  
اليونان يسمونه نكوة بالآتيانوس أو النسر لسرعة سيره في هراء  
وملوكاً بأجنوس وهو المدح الثاني للنسر والوجدان من الدم  
وقد شكرت له مصر بحراء النعم السريع وعليه النصب  
وعصيانه المحيية منحة على الملأ أن الرطوبة مصر كل شيء  
وأمله ومطابقة عليه اسم ريديوس أي النصب ودعيت في  
تحديداتها إلى أبعد من ذلك إذ رفعت إلى درجة المصودات ثم  
جعلت آلهة الآلهة أجمعين فاعزله عندئذ روية وزق منها بنت  
في سويس وجوه هو الملكا

وي التأود من صفاته قدماء المصريين أن النيل دعى إلى  
الرؤية التي كان يمدحها التقيضان في كل عام وأن السكان كانوا

يحطون تحت الذين يهيمون طرفة التاميح والعرقى الذين كانت  
تنتهم مياه النهر وأن للماء وللدائن كانت تشاد إكراماً وإجلالاً  
له وأن النيران السوداء كانت تصيح في نيفوبوليس ( مدينة  
النيل ) وأن في حفلات النيل كان يصيح في الملح ولقاء بعد أن  
يزينا بالأزهار وتحصون الأشجار

وما أكثر ما خلعت صورة النيل نحتاً ونقشاً في الخشب  
والحجر والرخام رموزاً له بصورة إنسان كملت جبهة بسايل القصب  
متلاية متزاوجة ولما استند إلى ظهر أبي القول ولشد عند قدميه  
تمساح ودلين وفرس بحر وأخطاه وبهذه الحيوانات ستة عشر  
غلاماً رمز الستة عشر ذواتاً التي يتم يبلغ الله إليها وقد قيل  
منشأ سكن بالأشروع منسأدين بالأكثاف

وكانوا عند اقتضاه الانقلاب «صيفي» وابتداء الفيضان  
يتقنون النقطة من الخشب أو الحجر أو الرخام التي تفتت فيها  
نقطة الصورة الرزمة يطوفون بها القرى والدائن في حشد حشيد  
وحيدة هيئة حتى إذا ما جاء آخر فصل الخريف وبدأت مياه  
النهر بالمربوط أعيد التمثال الرمزي إلى السيد الذي أحلته برسم  
ذلك الطراف . وقد وضع فسارباتوس الأمير الحور الروماني في  
القرن الأول من الميلاد أكبر تمثال من هذه التماثيل في معبد

السلام وقال بطريركس : « لم يتدع الحياة لسيرد حلات تقسيم  
وإكبار أجل ولا أبهى مما ابتدعته للاحتفال بالنيل »

وكان الاعتقاد العام في مصر أن إلى أودريس الذي حكمها  
يرجع الفضل في تطهير المصادات الوحشية التي دوج عليها  
الأهلون وأنه هو الذي اختط مدينة طيبة ذات الدابة باب ولوحده  
الناس إلى الأساليب القلعة في زراعة الأرض واستجارها وأنه  
صار كنزهم من الملوك بلحا وسمي روح الخير وابن الخير  
والطيبة على الضد من أخيه نيفون الذي دمي بطروح الشريرة  
لأهلاكا أمام بشرك نصبه له وقد صورت صورته على شكل  
البشر ومثلت أسابه بها عنامة على جهة صن كبير وجعل على  
رأسه صورة مكبال الطيرب ومرآ إلى الخشب والخير وقد كانت  
جثته في جزيرة سميت بالمثل للقدس وعقد عليها ضريح كانوا إذا  
أرسلوا تزيين اليهود وهدم الأتغار بقمة حلقوا طيه بالأيمان  
للمؤكدة ووضعوا حوله ثلاثمائة إله كان الكهان يملأونها على  
صباح بالذق ويستسلمون في التوجع والرقاء

ومن عظامهم أن كانوا يوس حينما انتقل من الجوار للنيل إلى  
البحر الأخرى لم يسلل مبالغة السكافة رعاية لحرمه الصلة بينه  
ويش أودريس إذ كان ديان زورقه غان جثته بحيث في القصر

وارتفعت روحه الى السماء حيث سكنت من كواكبها كوكبا  
حي منذ ذلك العهد باسمه

وكان المصريون يقولون إن الرجل من رجال الخير يجمع المال  
ليبدأ من نفسه شر الطاعة في الأيام السوداء وأن لرجل الشاكر  
لنفسه له حق ثمان نيا يحتاج اليه من الاسطاف وبعيل نخوة من  
صنوف السحابة والحناء فليس غريب بعد هذا أن تكون  
مقابرهم آفة بجهنمات من الآلهة كان الفرق بينها واسما واليون  
شاسما في العظيمة والجلال

وكانوا يعتقدون أن أهل السماء خلقوا أن ينزل بهم الاشقياء  
من أهل الأرض ما يحبون اتقاه من شرورهم فلاذوا بصفاف  
الذي متكرين في أشكال بعض الحيوانات وإن القائمة من  
المصريين اتخذوا صور هذه الحيوانات في أعلامهم مدة من الزمن  
فلم يقتصر لهم حفظ القتال بل كان الانتصار مرافقا لهم على القوام  
ومما حمل حسن ظنهم بها وثيقا قيامها بما كانوا يظنونها  
وسخرتها به كل يوم من الأعمال الخاصة فقد كان الكلاب يقوم  
بالحراسة على منبت الأيون ورافق الصيد في صيده والقطر  
يساعد الزرع على حرث الأرض والأغنام تغطي الوعر من الغد  
والصوف والقط يدع الثعبان والحية يفتي صاحبه منها والعصفور

يقول الثمانين دلت لقرن والنفار والجمع بحارب الأنهي  
 للجنة وصيد الجراد والنساء تحرى يرمي التماسيح لا  
 تبتلها بل لك رها وتغلقها أو تنقلب في الحناء ثم تنك  
 في جوف التماسيح وقد قرعاه القرع من أحشائه وتنفسه طله  
 الطرى الصرح منه والتماسيح تنه يعمل لوقاية الناس وحمايتهم لا  
 كان يمنع القصص من الأبطال في الجبال التي تختلف في المادتها  
 لهذه الأسباب جميعاً كانت الحيوانات في موضع الاحترام  
 والأكرام من النمرس والأيتار بالزاياء الجليدة وما هو حنين  
 بالذكر في هذا المقام إن لم نرس الثمانين على خدمة السجل أيسر  
 عدية متيسر والسجل موفيس بين خمس والجدي بصفة متيسر  
 والتماسيح بحيرة موريس (القارون) والسبع عدية لبراتوريس  
 بل كانوا مافونين من يخدموا إلى هذه الحيوانات المقدسة أقد  
 المحرم عليها كلهم الأوز الحمر وأشهى صنوف الطنطائر إلى غير  
 ذلك من الأطنسة الفاعرة لصفة من السمل بأشكال وصنوف  
 متنوعة ومن زهر الخديق للمجون بالمر وكان أولئك الحراس  
 يصنون غنايه خاصة تصليها بالياء المطرة ودهنها بخلصات الأرواح  
 التركية وتزينها بالخلل الفاعرة، دمع احتياهم الشديد بأحراق للمواد  
 المطرة في الباهر أناسها وفرض الأيسطة القيمة من نحتها

واصطيادهم الصيد لعداتها ومخيمهم من الآيات الجليلة من نورها  
النفوس عليها . وكانت النفوس المنقطة عليها في الليالي الخافتة  
لا تحل مما بعدل مائة ألف ريال وكان من المفروض على من يشتر  
التلوذ اذا شئى ابنه من مرض يخلص شعر رأسه ان يذهب الى  
تلك الحيوانات المقدسة ويسجد امامها غاشياً غشياً ويخدم لها  
وزن ذلك الثمن مئة أو ذهاً

كتب شيثرون ( اشهر خطباء الرومان ) « لا يشعر  
عدنا ان قلب الياكل ما فيها وان تؤخذ الياكل ، اما عند  
المصريين فليس من الأثوم سبها ان يداسل قط أو تحساح أو  
بجعة مبادى يذهب احدھا بعض الألم من حرانها وهم يعتقدون  
أن يطعن أشجاسهم أشد المذاب من أن يصل الى أحد هذه  
الحيوانات أهل أذى »

وكان حكم الإعدام في مصر مقززاً على من يقتل متعمداً أحد  
الحيوانات المقدسة وكثيراً ما كان يحدث اذا أصاب أحد من  
غير محبة قطاً أو بجعة أو حيواناً مقدساً أيا كان بضرب أو نحر أو  
سوطه أن يقتل به الساعطون القانون من الجمهور شر قتيل  
وموجوده موارد الملاك فقد حدث أن قتل روماني قطاً من غير  
إمراز ولا عمد فثار ثائرة الجمهور وهبوا عليه في يته وقتلوه

بالرم من حراس الملك الذين كانوا يترصوهم ومن أحدهم ينادي بالحصى مملأ بما اعتدت عليه سياسة قياصرة رومية من استهانة الأعداء بهم . وكان إذا حصص إجمال ونشت بسبه المجاعة أكل الناس بعضهم بعضاً ولكنهم كانوا لا يمسرون على سد أيديهم بأذى إلى تلك المبررات النجاسة . وكان إذا حدث حريق أغفوا العناية بالماء الساو حرماً على راحة القنطط وأما بكاً لحبها وكان إذا دم الموت هذه القنطط بالرغم من كل احتياط وعناية حلت بجثها إلى بدة مرسط (نل بسطه) لتدفن فيها بأحتمال ظم . وكانت القناب إذا ماتت دفنت حيث تنفق أما القناب في ذات القرون من ضاحية عليه فكانت تدفن في معبد المشتري وأما القناب والقبح والنحوس فكانت تنقل إلى هرموبوليس في صناديق متقنة الصنع رفيعة القيمة . وكان إذا ماتت تطلب الطمونة في القن حزن عليه أصحابه والأمنل تأدياً في حقه أن تقول مساكوه وجعلوا مطهر حزنهم حتى الجسم والانسالك من الخبز والخبز وسائر الأقدية المدفنة عندهم وكانوا لا يأسفون على أبنائهم إذا قد أحدم أسفهم على الكلاب إذا وأغلقا الموت

وكانوا إذا تنق السجل أيس لبسوا عليه الحداد فلا يخطرونه إلا إذا صاروا على خلف له يخطرونه بعلامات يميزه عن السجل

وهي نمره يصاه بشكل الحلال في جهته وأخرى في ظهره  
 تشبه القصر وثالثة على لسانه تثل الجبل ( الجمران ) فإذا وقفوا  
 للمشور عليه أولوا الزلاثم وأظهروا الأفراس ثم ساروا بهذا المختار  
 السيد إلى مدينة يوربوليس ليحاط فيها بالمتاية ويخلص بالزاي  
 التي تؤده لها مرتبة السيرة وتهاجت ربات القنوى من النساء على  
 زيارته للترك به وطقن حوله عظامر الكمال في إجلاله والتفاني  
 في حبه وعكف المتطاعرون والمتطاعرات على هذه الأفراس  
 والأعياد أربعين يوماً تامة يزل السجل يمدح في القرعة الملهمة  
 من الزورق للندة لثقله إلى مدينة معيس

وله لما يحرق القنول أنب توي أساطين الحكمة وأركان  
 الفلسفة يهبطون من مكانهم العلى إلى درك هذه الاعتقادات  
 القائمة بأن الحبيب ألف ريل التي كان يفتقها أحد البطالة في  
 معدات تشجيع حارة السجل النافع لم تمنع القصاب التليظ الكبد  
 من مدة يده أيام قير إلى أحد المحول الأيسية والإنهاء على رفته  
 إنجاسه على رغبة أي يحمل سواد غير مسود ومن أن يعمره بذلك  
 تجيد اللآله كربة من الأرباب . قال نوسيايوس الكاتب  
 الروماني : كنت تدغل الفيكل المغمم فيعطاب بصرك برق  
 الذهب ولما في القصة في كل ناحية من انجاسه ثم تبحث عن المبرد



التي حمت به مظاهر النظمه والأجلال على هذا الحال فلا نجد  
الأفراد سائجا في مكانه . وكل من قصر منصب كنت تراه  
ثم نجد أن كراته . أكثبه ومكانهم في الوجود لا يتفقان مع  
نظامه قبيده . وليس تشييده .

وأيضا للمصريين في الأقطار من مبعوداتهم عند حد  
الحيوانات من عدوه إلى البياض إذ طع من سداحة أخلاقهم  
وسهولة طابعهم أن يجدوا بعض البقول . فكان إذا أخذ أحدهم  
على نفسه ميثاقا لا يخفى به من أقسم على البصل أن لا يتغصه  
وكان يبعد أهل منقبس البحر وأهل . وليس البقرة  
والإبراهيمي من البحر وأهل سموروليس السكب وأهل  
لاتروليس اللانس وأهل ليكروليس الدلب وأهل . عديس  
البددي وأهل عرموروليس القرد والاريميون القارة وأهل  
بين خمس المتاء . واعين أن هذا الطائر الزمعي كان في كل حضارة  
سنة نجد من الرتبة بصفة يستطيع جعلها يجعل فيها ثوبا بدخ  
فيه ألبه الميت . ثم بعد موضة التنب بالمرء وبجي من أقصى بلاد  
الغرب بعد ذلك هذا المحبوب من الشمس

وكان في طبع المصري شي . من النظمه القرزية . إذا اتفق  
نفسه أرومة غير أرومة البشر وسما إلى أصول أروق وأشرف من

أصوله . فقد أكد كنهان منقبس أن أول من حكم للمصريين الآلهة  
 ختاج وأن حكمه عليهم توأسل اثني عشر ألف عام ثم خلفه الآلهة  
 نرمة أو الشمس عدام حكمه عليهم ثلاثين ألف سنة وجاءت من  
 بعده خلافت من انصار الآلهة كزحل والشمس وأصحابها وهي  
 الآلهة التي رأى قدماء اليونان فيها من النطقة والجلال ما أوتنام  
 بها وجعلهم يرضونها إلى مصاف آلهتهم الاثني عشر الأعد بأسماء  
 والأعظم طولا وعرضا . قال للزورخ دوان : « إن مصر العزيزة  
 الميمنة كانت تمتد من الجبال هوربا في هرة لا غاية لها ما دامت  
 هذه للهواة تدبها من الأبدية ، ومما لا يراه فيه أب شرهت  
 وأنظمتنا وأنكلونا في شؤون الاختراع وتقديرة لما هو عقل وما  
 هو غير عقل إنما اتهمناه من بلاد قنيل وأخذناه عن أهلها وما  
 من حكومة من حكومات العالم إلا وكانت في بدايتها قائمة الأنظمة  
 على أساس من الدين ثم صار بعضها جمهوريا وبعض دسوريا  
 ولقد نجست مصر هذه الأنظمة أيضا إلا أنها كانت كايوعد  
 من أنقوا للزورخ هيردوتس أول من أخذ بالقسط الأول من  
 الأنظمة الدينية وأول من أسس في تعجيد الآلهة وتكرمها  
 ولقد حدث بها ما لا يزال يحدث حتى الآن في جميع  
 الامصار من هت وجال الكهنوت بالسلطة التي أوصى إليهم بها

حتى ملّ الشعب الكد والكدر في سبيل العدل من غير فائدة له  
وسئم الخنوع للظلم لزيادة الكهوت وبلغ من أمرهم في التعبد  
أن الملك مينايس حرمت ذكره حتى التعبد بسد وقته وتغشى  
اسمه مشفوعاً بعبادات التنزيه والحرم على جدولان هيكل المشتري  
من يد جنفكتوس وله بر حوريس الدبر لا شيء إلا أنه أذاع  
بين مواطنيه عادة استعمال اللعنه والأسرة وأدوات  
البدع والترف والزينة . ومينايس هو الذي شاد أركان الملكية في  
مصر ونقلها إلى أعقابها قبل الإسلام بستة آلاف سنة . يدافع  
ما أخبر به المؤرخون وكان للوك في ذلك العهد يسمون رؤساء  
الجمهورية ولعل هذه التسمية أريد بها تخفيف الحكم للظلم الذي  
كانت له الكلمة العليا كما لطف الرومانيون بتل هذه التسمية  
لستبداد نياسرهم في بلادهم

ولمست مصر إلى سنة وثلاثين مئلياً يقوم على إدارتها  
موظفون يباثرون العدل في وظائفهم يختص قانون مسنون .  
وكانت الأمة تسعة ثلاث طبقات الطبقة الأولى طبقة الكهنة  
الذين وإن لم يطمحوا إلى الاندواء بالزوداء القائل : القرون الذي هو  
شارة النبوة والحكم قد عرفوا كيف يختصون أنفسهم بحقوق  
امتيازات واسعة التطلق . فانه لا أحد منهم إلا وأجريت عليه

الأوراق من لحوم البقر والأوز وحصة من لحم البقر المقدس  
للشأنج ودركرة بيده مستحق كل يوم . على أنهم لم تكنهم هذه  
للزنيات فلما غرا إليها ما غرضوه من الباطل القاذرة ورسوماً للقيام  
بالطهرات الجذابة . وانغمسوا لأنفسهم شاربات تحت الحرات إشارة  
الى مراتهم الكهوتية فلم يبق فارق ولا ميمر في ذلك بينهم وبين  
الأمره الذين كانت تلك للشاربة شاربتهم وقد أعفوا أملاكهم  
الكثيرة وأراضهم الراسعة من الفرض والفرائب وحسنوا  
جباية الأموال برسمهم من أصناف المطاملات في بقية الأراضي  
وغرضوا ذلك على تلك نفسه فلم يسد إلا الصوخ لطلبهم وبعد  
أن ابتز أولئك الترحون للأموال من الأعياء ابتزوها من  
الأموال بأن فرضوا على أهلهم ثلاثة سنوية في مقابل إزال  
جنهم بالكهوف محطة في التوايت

وحدث أن وجبت للسلطة إيزيس في دفع زوجها أوزريس  
بعد وفاته الى مراتب السيودات فلما سألت الكهان أن يحفظوا  
لها هذه الأسمية أبراً إلا إنها تنازلت لهم عن الثلث من أملاكها  
جيباً وتعدياً . وتمكن فرعون من الاستيلاء على أموال رعياه  
ومنتسبهم وأرضهم بمشورة من الوزير وسكان أحياء من أشبار  
الكهنة الأعظم . على أنه مع طموح الكهان الى الاستئثار

بالاموال والمظلمات لم يحصر أحد غيرهم أن يجد بده بأذى الى  
الاسلاك الكهربائية بل كان إذا زالت بالآلة جماعة عرفت في  
الضيق والضك باع أفرادها بعضهم مضافاً لشد الرشق حتى من  
الغنى ربما كان الكهان في بلية من القبيح لا تكف المظلمات  
من التورود على أبراهيم ليل نهار

وكان من عاداتهم التداخل فيما لا ينبغيهم من شؤون الغير .  
ومن ذلك تدلسهم بين الأسرار واستراجم بها وتداخلهم في  
تولية القلوب عن آل الأمر بالضرورة الى الاستعداد بصانعوهم  
ودعوتهم الى مجالس الاستشارة المغلوطة سمهم في شؤون الحرب  
والصلح والزراعة والشرايع العامة والامور الداخلية والخارجية  
وكان المرجع اليهم في إعلان الموايد لمواسم الزراعة والنظر في  
البيمار والتعارف إذا كانوا للبلين وعدم بالتشريع والتأديب  
على مفاتيح العلوم فقد دوتوا بأبهم حوادثهم السوية وأنظمتهم  
الدرية وخططوا الرسوم على جدران الباني القديمة ومارسوا  
الآداب الفخرة وعلوم الاخلاق والشرايع الطبيعية والطبية  
والطب والعلوم الرياضية وعلم أصول الاحرام السلوية ومناشئها  
وجلسوا لتفصيل بين الناس في التنازع وتداولوا الاعمال للسدية  
كالساحة والجراحة والتعذيب والتعقيم

وكان المنصب الأول من مناصب الدولة في مصر منصب  
الكاهن الأعظم كما كان عند المصريين سواء ثم تنوع مناصب  
الأبناء الكبار أو الأبناء والصبيان للأمورين بحماية الضرائب  
الخامسة بالكهنة وكلاهما هاتور وحراس الهيكل وحمل  
أعظام الضحايا القرابية وغيرهم ممن اختصت وظائفهم على تقديم  
القرابين المنزلة أو إحراق البخور أمام الآلهة أو إحراق  
الضريبة على الأرض أو مراقبة الجياك أو القيام بحراسة  
الآبار أو القضاء أو تحييط الأحياء، ولا يخطر ببال القارئ  
أن عدداً من هذه المراتب من الطبقات المنزلة قد أخذت  
من القيود والتضيقات فقد كان لا يصرح لواحد من أفرادها  
بالزواج بأكثر من امرأة واحدة بينما كان الرجل من غيرها  
يستطيع الزواج بأي عدد من النساء ما دام قادراً على القيام  
بوظائفهن وكان مفروضاً عليهم التأعب بالإجراءات الدينية  
بالصنف من النساء أسوأ على الأهل واليمين وأرباب برما على  
الأكثر وبالأسلاك عن القبول والمضطر والأهلية للخدمة  
والأهل وتعليم الحقائق المختصة بالطبيعة الآلهة والمفائدة للذوات  
الاصيلة التي تتلخص في وحدة الذات الكلية وخالود النفس والجزاء  
والمناف في الدار الآخرة وكلاهما يروضون أنفسهم في كل وقت

على لاحتش والجروح والقضاة بالقتيل

وكان فرساً عليهم التوضؤ بالماء البارد مرتين في الصباح  
والساء وغسق الليل أو بماء الثني الذي شرب البجع منه كما كان  
واجباً عليهم خلق شعورهم أو تنفها مرة في كل ثلاثة أيام وكانوا  
يكتفون من اللباس والتمثال على مرت فصول السنة بعدال ييوس  
ورداً واسع من الكتان حديث النسل وكانت انطوام بأصابعهم  
تسلط منها أشعة الضوء والنفود ذات الصفوف والطهقات تمل  
بها أجسادهم وسنودهم مفرقة جهات سفوية على شكل النولوس  
والجملان ( الجملون ) وكان الكتان يفرغوت على أجسامهم  
مطفاً طوبلاً يسمونه كلارريس يعني من تحت ثوبهم القميد  
الذي شفي أما كهنة أوزوريس فكانوا يضعون على أردبتهم  
البهضاء الخواصة فرو القند . كتب أحد قياصرة الرومان إلى والي  
مصر على هذه وكان قد والاه نظرات تفوق ما اعتد تحصيله  
في الأموال القاهرة ما يأتي . الذي أُرسله هو أن تجرأ اموان  
نماجي لا أن تسلبها ولكن جماعة الكهنوت كانوا يرون بلا  
شك غير هذا الرأي

أما الطينة الثانية هي مائه الجند . وكانت عشرة جداً  
تقوم الحكومة على خفتها يدل وسخاء وكانت تحك الأراضي

الزراعية معاً من الفرض والرسوم . وكان كل جندى يجرى عليه من الرزق في اليوم ما يكفيه وعائلته شر الحاجة والموز إذا كان من غصانه الرثة له يومياً خبثة أو طال من الخبز ودخلان من اللحم وذكورة نبيذ وكان كل جندى يرى من حاله الشخصي دون البلاد من عادة القهر والقلة فكان إذا طلب إليه المظاع عنها لم يأداء هذا الواجب بشئ ولا وكان تسهيل الزواج للجنود وترويضه بين منوفهم فبأنه مع . شر الحاجة إلى الجنود الأختية . وكان ابن السكرى يشب عسكرياً مبتازاً من ثروة الأعداء بالتفاضل الجندية لمزاوله إياها بالتمويه والتقدم الحسنة . وكان إذا تمرد جندى أو بداهته في القتال جبن أو غرور كان الباركل النار يصيبه ولكنه كان إذا جاء بعد ذلك بسبل باهر على ذلك النار مع . وكان يحضر على قدم القتال دائماً مائة وثمانون ألف مقاتل وأحصى المؤرخ هيرودوتس جيوشها أثناء رحلته بها فقال إن عددها بلغ في الغالب كالسجدي مائتين وخمسين ألفاً وفي الغالب حرم مرتبها مائة وخمسين ألفاً وكان الجيش مزلقاً من المشاة البقية حاملة السيف القوس والنبوة ومن المشاة الخفيفة للمباراة بالسهام والمناجيع ثم من خيالة اشتهرت بالتميز من الخفة والرشاقة وحسن أداء المركبات



وكان سلاحها في يدهي الأمر القوس والخنجر وكان رجلها  
يركبون مركبات يجرها الثمان من الجياد الصافات، وكانت فرق  
الجيش المختلفة تقوم بالتدوير والتاورات الحربية مقسمة ككتاب  
شقي وتعملها بحمداً دقيقاً، على أوامر تصدر إليها بالفتح في اليوم  
ووقت الليل وكان الملك يهتد قيادته إلى الأمام.

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة الشعب وكانت تشمل الفلاحين  
والرعاة والصناع وكان الفلاحين إلمام تام بأنواع الأرض وخصائها  
وخواصها ومواسم الأيل من نيسان ونحارن وغيرهما ويحصلون  
السهة الصالحة للبدل والمصايد وتخل الحاصلات أما الرعاة فكانوا  
على يث من العلم بوسائل إسماء حاصلات المواشي وإحاطة تامة  
بترية اللحم والأوز والدجاج، وكثيراً ما كانوا يخطرون مقتنيات  
الطبيعة فيسبقونها إلى النتائج المنتظرة من عملها إذ كانوا في المدن  
القائفة من أيام السنة النسبة الأوربية لما بين أخريات وسمير  
إلى أخريات الحمر غير خرون أكثر من ثلاثمائة ألف يصنفون بها  
إيماناً أكثر من السباع وإيماناً في أفران ثابتة الحرارة أو بتسخينها  
بحرارة الكبش وكان لهم في ذلك صبر تضرب به الأمثال

ولقد تهيأت نصر بتضار عمالها على الجهد والنشاط في العمل  
أسباب اللذة والسعادة وحسب كانت طرائقهم في الاتحاد والوفاق

كأعصه أسرة كبيرة وقد مروا في تلون الزجاج وتصفى جدول  
 للتأثير بما لا يحد ولا يمحى من الصور والتوش وبرعوا في صنع  
 الأنسجة الشخذه من الكتان بطروا في هذه الصناعة أهل صور  
 وصيدلو اشتهرت السجا جيد والأبسطة التي كانوا يصنعونها بالثافة  
 بلودة حبكها سدى ولحمة ويتنوع ألوانها الجميلة حتى حازت الأفضلية  
 والسبق على ما كان يصنع من نوعها في بابل . وكان لهم حلق  
 خاص وبراعة مأثورة في التصوير على الأكراب التي كانت تصنع  
 بمدينة قبطوس من الصلصال المزوج بالساحيق المطرية فكان  
 إذا سكبت فيها لثة اكتسب ولحمة ركية وطراوة تدعو لشفاء  
 إلى الخامس شر به منها وبرعوا أنصاف براعتهم هذه في صنع التثنى  
 من الحرير لحفظ خلاصات الروائح المطرية بحالتها الطبيعية ومن  
 غير أن يطرأ عليها طاري زمتا طريلا ونحت الصور المجرع  
 الذي كان يقطعه الأرقاء النصارى من مقالع طيباتيد وسفل وخام  
 الاسكندرية الذي كانت تقطع به الباني الضخمة المسماة فيها  
 بالأهرام ابرافر الشبه بينها وبين لمب النهار كلها أرسلت الشمس  
 أشعتها على سطوحها الصافية اللامعة فامت منها ما يشبه الذهب  
 وتدير حمر الشمس الذي هم بطليموس قبلا لفسوس بمجدة  
 لميكل شاهه إجلالا لأرسينرة أخته وزوجته وكان قد صنع لها

بعد وفاتها اختلاص الحديد أراد يوسع ذلك الحجر في نية المهيكل  
بناء هذا المختل، ملحقاً في الهواء تحنها مجدوماً اليه بالقوة المنطوية  
التيهته به بحساب معين وقد مر معلوم

ووصلوا في القدرة الصناعية الى التصرف في الاحجار  
الكثيرة التي كانوا يستخرجونها من مناجم الحديد على ما يطابق  
مناخ اثناس ورواقي في التحمل أهواهم وأحوالهم فأحجار النجم  
والصفيق والمرز الذي يفتح من الصلابة ميلاً يقاوم معه الصمط  
الشديد كثيراً ما كانت تحول في أيديهم الى وسائل فريدة كان  
الرجال والنساء يتنافسون في اثنائها لتجبل بها . أما ما كان البلاد  
تأهية الى مصر فكانت تصلح لصناعة الأسلحة والآلات  
والآنية فركبات القتال كانت تصنع بالنحاس الثقى أو الخليلط  
وذكر هرميس الشاعر اليوناني أنهم كانوا يتخذون أحواض الماء  
لنقل الوجوه من الحجر الثقى . أما الكراسي والأسرة وسائل  
الآلات فكانوا يصنعونها بتمهيقها على مثال يستريح النظم ويحلب  
النقل ما وانرفها من حسن النسق وجمال التناسل واتقان الصنع  
وكانوا تصنع أنواع الحديد اثلث في مصر واتصلها على اصاب  
عدودة يجلون منها من بلاد الرومان واليونان ما يرون استتاجه  
مردوداً لمصلحة الزراعة أو غيرها . وبلغوا في جولايتهم البحرية

تدريج بناتهم الردوة والصنوفة الى جرد صككها في بحر  
الظلمات ( المحيط الاطلسي ) غرباً وصفاق نهر التنج ( بنجد )  
شرقاً . وكانوا ياقون في معاملاتهم بمصر من قسوتها بما لا غير  
التفد الكرم من الحب المصن . ولقد باتت لإرادات الحكومة  
في ذلك العهد البعيد الى ما يعدل ثمانية مليون من الفرنكات  
أي نحو اثنين وثلاثين مليوناً من الجنيهات المصرية بقدر هذا الزمان  
وتلك لشكل من طوائف النساء والجند والكهان شاركت  
وسات لتشرى خاصة بها لتجزها بنفسها من قبض الآخر  
ولكن هذه الطوائف جماء كانت في منزلة واحدة من الاكرام  
والاعطاف الا انهم لا اعتقاد الناس أن التماثل على السبل للصحة  
البانة راق من التصغير وباتت على التفرير . كتب القس قاروي  
الأسطر الآتية :

« الرقي القفد لتباطئ الطبع هو الذي يملأ بطون اللياسير  
من أهل المدن وأموال القضاء والجباية ورجال الدين . ومما  
صارت الرمن السبل لتحويل التجد الى سلة أو السلة الى قد فلا  
يحبس من عوجة كل شيء الى ثمرات الأرض وما تنفذه بين  
الحيوانات والبهيم على أنما لو قلنا ما هنا فمن الدرجات للتفاوت  
بين الناس بعضها بعض بلطف في الدرجة السفلى أو تلك الذين

يلعبون الأرض ويمسكون لاستئثارها وخص الكثيرون ما  
بالاحترام والتعظيم جامعة للباسير الذين لا يؤدون عملاً صالحاً  
للاجناع الاذنان لمراتهم من القوة البدنية وجهلهم للطبق  
الصناعات ولا شأن لهم في الحياة سوى اتقان ما يخدم من اللذات  
الكثير في ملاذهم وغدسة أهوائهم . ولكننا لو تخيلنا بلداً  
لا يكون التفاوت بين الدرجات فيه عظيماً إلى هذا الحد ويكون  
شرف الرء فيه موثقاً بالسل لا بالتراسي والكسل والحرص  
على الحرية أي الاتقياد لقوانين السنوة والسلطة العامة والاعتماد  
في العيشة على ثمرات كده لا علاقة على النفس وأبصار القليل من  
الفرح بالسل على الكثير منه بالتسلط في سبيل الترف والاحتباب  
الكسل والذعة والجهل بلوازم الحياة وبمباشرة البدن بما يرضيه  
وغيره دون إيذاء النفس بملاذها وحظرها . إذا و— د بلد  
توافرت هذه الشروط فيه غير الرء وأمر ف له أن يخصص حياته  
به فالحق الأوس أو حارساً لطمان الماشية أو مزاولاً للصناعة  
من الخمرغ فهو والطعم حبال المعرف في التثنية والملاذ .

البلد الذي يشير إليه الكتاب في الأسطر السابقة وبحسب  
وجوده مستحبلاً موجود فعلاً بدليل أن الحكومة في مصر  
التيبة سلت قانوناً يلزم كل مصري أن يقابل في يوم معين من

السة مدير إقليمية ليبلغ اليه روح العمل الذي يزاوله ليشأت من  
 ربحه فذا تبين أنه كذب في بلاغه عبدا عروبا بالاعدام كما  
 موب به كل من تمت عليه أنه لا يزاول عملا مطلقا ولم يسع  
 الاميراطور الروماني أدريانوس عند ما ولف على هذا القتلون  
 سوى الانجاب بما يرى اليه من تدهور العمل والحث عليه  
 إذ قال : « البلد الوفير الخير هو الذي لا ترى فيه عاطلا أبدا » .  
 وكان لا يجرر لصري يقتضى القتلون أن يجمع بين عميلين ولا أن  
 يبدل من صناعته بصناعة أخرى وقد الطر جيل النفع إذ أريد  
 به تضيق السبل على الطامعين وحث المحترفين على اتقان عملهم بما  
 يذلونه في أداءه من للتشاط والتهلوة والخبرة

على أن اتقان القتلون في مصر اعترضه عقبات ثلاث سوغها  
 أسباب وجبة منها للموسيق منها المصريون لاعتبارهم إياها من  
 الأعمال التي لا تحقق مزاويلها مع كرامة النفس ومنها فضلا  
 من أنها من السخايف التي لا خير منها برئيسي ولا ثمرة تجني فيها  
 إباحة النفس ومنها لمصارعة عدوها متارة بالصحة ومفسدة  
 للنظام المصنوي . وهنا لا بأس من ذكر ما كانت الأحيال الثائرة  
 تنصر تحذره من الخيطة في مسئلة الحياة والموت فقد كان أطلاؤهم  
 ملزمين تطبيقا لقصوص السجلات للخدمة برعاية ما ورد من



لحقوق ميا عدا عن الحكم على الجنت للوصحية من حقها  
ومساكنها بما كانت تسامل به تحت الكلفة سرّاً فكان شأنها  
في الخمس الحقوق العامة والإصرار على إخراجها شأن البطل  
القديمون الذي ألقى بنفسه في البحر ليدرك سبيته الأعداء  
لثأرتهم فلما فعلت ذراعه قبل تمككه من دخولها استعان  
بلذراعه الأخرى على تسلقها واحتد بعد قطع هذه الذراع على  
فكيه في مقاتلتهم وقتلك برجالهم

كتب ديودور من الصفى في اللقال الأول من كتاب تاريخه  
العام ما يأتي. وكان ملوك مصر لا ينهبون منهب ملوك البلدان  
الأخرى الذين اغتصوا من إرادتهم الطلقة وشبهات بقوسهم  
طاعة لتصرفاتهم وأعمالهم ، فقد كان الملك في مصر يضم بالأيمان  
المؤكدة أن يحافظ على القوانين وتقادعها ويحرم من تنهيدها  
في السلم كحرمة عليها في الحرب للقطع من وعنه إذا أزعجه عدو  
يظلم أو عدوان . وكان متدم برنامج بيان الأعمال المروضة  
عليه مزاولتها في كل ساعة ، من النهار فكان في فائمة السنة الزراعية  
يتولى بنفسه تخطيط أول عطف بالمرات ، وكان إذا شب حرام  
الحرب يركب مركبة القتال وحمل بأمة الخيل ويقاتل العدو  
كواحد من جنوده وكان لا يتولى خدمته رقيق أبداً وكانت له



حاشية مؤلفة من إساءة الكهان للناظرين الشرير من مرم على  
الأهل لاتصافهم وهم في هذه الس بالخلق الكريمة والهادي  
الفرجة ولكن بتل بمخالطة أنالهم سوء الفلك في حقه وصفه للفعال  
التي لا تمنع مع الكرامة اليه . وكان يستيقظ في الصبح من يومه  
وفد لطف مزاجه وصفا ذهنه بأول ما يزاوله من العمل تلاوة  
رسائل الأنبياء الواردة من السماء مما يكتبه فإذا جد على آخرها  
مدد الى الاستحمام ثم أخرج على حبه ثوباً ثيباً وحل الثيابات  
الذات على مكانه وسحر مرتبة وتعد بهد ذلك الى التيكلي فيلف  
الكلمة الأكبر ويبدأ يديه دلياً الى الآلة أن يحفظ للملك  
وبطيل أيامه ليحكم بين دليلاً بالصفة ويحي فيهم من السبل ثم  
يسرد ما استأثر به من القضاة الخلقية كالشورى والشورى والرافقة  
وحب الخير وكرامة الكذب والرفق بين الناس والفتاب دون  
الاستعانة والكفاءة فرفه ثم يطن المفومات التي زل فيها قدم  
للك من جهل و من غير قصد متدرجاً من التشهير بها الى تبرئته  
منها متعباً باللمسة ولقت على المنطقين والداهين من حاشيته  
الذين يسيئون التصح اليه وعلى أثر ذلك يجمع لللك أحتاء  
القولان ثم يخصت لما يتلى عليه من الكتب المقدسة المحفورة سبر  
أسلافه ولكتة لما قالوه أو فعلوه جديراً بالذك والفتويه . ومنى

عاد إلى تصدده بعد أدائه هذه القروض خلا إلى نفسه وأخذ يحلسها على أمواله ويرمها على محلك الانتقاد وكان لا يستطيع التصرف في وقته على ما يشتهي حتى في حالة ما لو أعاد وقد لمع له علم يحسب من باب أولي تكديراً على التصرع للفرحة والربانة أو الأناش بالملك لريته إلا في ساعات معينة من اليوم . وكان القيم الأعظم على طعمه وكبير للركاب يسقيته لا يقدمان إليه سوى الأطعمة الخفيفة من لحم النحل والبط وتندر من التبيد لا يكدر صفاء النحل ولا يعقد الرشد وكان لهم من القناعة في اللذة الأمان في إقالة النفس من أمتاعها من الشهوات وقاية للقول شؤون الأمة المحبوبة من الآلهة من الصيوب الجبابرة والغالب الأديبة فلا حرم مددها إذا لم يرض الجمهور المصري ط على الملك بالحب والقطب والانتال وحكيه يرض وقد كان يوترق شخصه السيادة التي آتته العناية الربانية بها والقناعة على بت المروء وانقاد الخير ومجده التقييد الذي حدا به إلى التعبير به عن حوائقه تصويراً بخلافه للنفس في الأكثر بعد وفاته وكان إذا مات الملك أسوت الأمة له أسي شديداً ووجدت عليه فتسرت على بكرة أبيها سرايل الحداد وغامت بها كلها وعطفت النعائم القربانية والحفلات الذهبية أنيس وسبعين يوماً

وكان يجتمع كل يوم نحو مائتي رجل وامرأة أو ثلاثمائة ليحتوا  
التراب على رؤوسهم وصيحوا بصيحات الرثاء تارة وبالتعجيد تارة  
أخرى بالإجماع على صوت الموسيقى وكثروا يسكنون عن شهودات  
النفس خلال هذه اللدة فيمتنعون من الاستحمام والتعصيح بالروائح  
المطربة والنسوم والرقاد على القرش الوثير ومضاجعة النساء .  
وكانت علامات الحزن الصالح تبهر واضحة على الوجوه غير أنها  
قل من حضر لشهود حفلة الجنائز . وفي اليوم الأخير من الاتيس  
والسبعين يوماً كانت جثة الملك التقييد تعرض على مرأى من  
الجمهور بالقرب من القبر وتكلى عليها أمهه الصغار والبنات  
والشباب وبنو الكهنة لطلب السبحة في تأنيته . فلذا سق  
الحاضرون استعصاء كما جاء بها خولت جثة الملك حتى للتشيع  
بما يليق بمكانة صاحبها من الاحترام والمفاوة أما إذا لم تنل  
الاستعصاء فكثيراً ما كان يحدث أن يمسى اسم الملك من الآثار  
الدينية التي نقش على حوائطها

وليس معنى رعاية المصريين بمكانة الجثث على ما اترف  
أصحابها في حياتهم من الآثام أنهم كانوا ينقلون عاكة الأحياء  
على ما وجدوا متطلبين به من الحنايات . فقد كان كل من مداح  
عين نفس ومتعصب وطنية يختار ثلاثين رجلاً من أهل المروءة

بالصلابة في الحق والامام بأمراف العلوم التشريعية لينأى عنهم  
مجلس قضاء لا تؤثر فيه عوامل الزلزل وكانوا يجلسون على رؤسهم  
أرسلهم قداماً في القضاة وأوسعهم علماً بالتشريع وأعد لهم مبالا  
الى صون الحقوق العامة.

وكذلك تلك يعنى عليهم من جيبه وفضيز حاجتهم وقضى  
لديهم لكي اذا حلت نفوسهم خلفك من المم والقتل على أعينهم  
وأولادهم صرهم القضاء بين الناس بالحق لا ينزل على عهدهم أجراً  
ولا يتأثرون بالمبالغيات والتشهرات ولا عطق اللما والقصص من  
الخصامين لأن تفاصيل الخلاف كانت توضع اليهم بها من نيل النتائج  
والذكرات وكان عرفة الخصامين يعرفان نفسها فاذ ما وذا  
رئيس المجلس الانحطاب السدولة أشار بأمره الى نزال ساه  
بلغة الحقيقة للنزاع في عطفه سلسلة ذهب علما ترس له أن الحق  
بجانب فريق دون الآخر وأراد إعلامه ذلك لمسه بذلك الخيال  
ولا يزالون يفترون بمصر أمنا للبحث عن الآثار بصور  
تحتل أصحابها سطرفين الى الأوس ولا أبدى لهم اشارة الى أن  
القصة لا ينبغي لهم أن ينظروا الى شيء كلاً ولا أن يخيلوا شيئاً  
وكانت الجهود التالية للتشريعة في تناول أيديهم على القوام  
وهالك خلاصة منها :

لأنهم لا يفتخرون بالقوة القشرية يرتكز على الجهل فأنهم  
تبرئ قسمة من القرض بلا توقيع على سند ليس للسلف أن  
يرفع فوائده إلى ما يتجاوز رأس المال ولا أن يسهط من الأموال  
ما يهدى قيمة الكفالة - الحرية الشخصية مربية الحرية محترمة  
الجلاب والوطن وحده التصرف في إبنائه

إلا أنهم كانوا بعض الأحيان يرهنون لدى البائس موبيا،  
الدين، ولما كان أكبر وسائل الزاء عدم التأمل في شخص فقيد  
قد كانوا يرون من المتوق الوالدي أن يموت المرء قبل استرداده  
تلك الموبيا يدفع المستحق على صاحبها

وكانوا يرون أن نكت العهد دافع إلى انقلاب الأحوال  
الجمليات وأن الخس في الجهل سواء في الآلة تطرقهم المصار  
لأنها كان حجاب الحائث الحكم بإعدامه كالتأمل لنفس المحرم  
فقط سواء أكان القليل حراً أم عبداً . وكانوا يفتخرون بالقرى يبيعون  
المقبرة التي يباع بها من القرى عليه اذا تمت كذب قرنته .  
وكان قطع اليد جزاء للزب القنود أو للطف الكيل أو لغير  
منهم المودن بالتسقط أو للتكاد الاحتام أو مزود القنود من  
لكنة السوميين أو التي يضيف منهم إلى نسخ هذه القنود  
لو يهدف منها ما لم يفتق القنودان عليه . وكانوا يفتخرون من

يهتك أسرار الحكومة بقطع السار والزنى قطع الاتيين  
 (التاميتين) وكذا منتهك الأعراس والزانية يجمع الآلف  
 والمرض لها على لثا تألف بجهة بغير القاب. ومما عر حرى  
 بالانتقاد نعالوزهم لثا تألف عن الذين امتلوا نسل الأشياء الخفية  
 الى حد كان من تألفه ان تألفت للنشالين عسلات براسة  
 الشطار منهم كانت تحتفظ بالسروقات لتردها ثانية الى أصحابها  
 بحلولان بمثل ربح قيمتها وكان يذا دم "خدم عطر ولم يتقدم  
 به من استطاع الى ذلك سبيلا عومل معاملة المحرم بقدر ما  
 يكون له وصل من الأذى الى من تعرض للهلاك وكان القانون  
 يفتى على الشاهد الذى يثبت بحجزة من أداء ذلك الواجب  
 بالإرشاد الى القصدى او اقتفاء أثره بنفسه فى الوقت ما إذا ضرب  
 صفحا عن ذلك حوزى على إيماله بالضرب بالمعنى والحرمين من  
 الطعام والشراب ثلاثة أيام . وهذه اللبائى على غرائها جديرة  
 بأن تعد من مبادئ التعاون الذى كان ظاهر الأثر فى ولائم  
 الانبياء . فقد كانوا يضعون فى غرفة الوليمة كهونا فيه فنال خشب  
 أجيد ملائمة بالالوان وهو يمثل ميتا محتقا فلذا حضر للمدبرون  
 جميعا وانتظم سبطهم بالجلوس حول الشائدة طاف عليهم من يطعمهم  
 على هذا المنهج والتمثال للردع به واحدا واحدا . وحضهم على

الافتاق وأن لا يطيلوا بالشقاق حياتهم القصيرة فلهذا كبرياؤك  
 ليت المرحوم وكان مما يشك لم في هذا الموضع ، انظر واحدا  
 الرجل فأنكم ستكونون مثله يوما ما فلهذا إذا إلى البسط  
 والانشراح واثربوا مما غير مفترفين . وكان المصريون قد  
 اتحدوا بعد فتح اليوناني بمسوداتهم في اتخاذ اخوتهم نساء لهم .  
 فقررُوا ان يكون بناؤهم منين متفرقا بهم قانونا وبما عوت طعيم  
 هذا القروا اعتبارهم ان الأب هو الموجد للابن وان الأم ليست  
 إلا حرمًا له ومصدرًا لذاته فكانهم بذلك قد وافقوا القاعدة  
 التي عمل بها اليونان في اثمارهم الشجرة التي تأتي أكلها من الثمر  
 على حين ذكركم والشجرة التي لا ثمر لها أنتي وكثروا ينشرون  
 أبنائهم على القناعة والزهد والتقشف حتى قيل ان غلات تربية  
 الغلام التي ان يصير يافعا كانت لا تتجاوز عشرين درهما اذا كثر  
 يروهم من الثياب وينطقون لطامهم المشائش ولست ارضى  
 الأشجار أو مختصرون في ثديتهم على الكرم وجندودهم بنية  
 أو مملوذة أو عمرة أما طريقتهم في التحية فكانت بخلض اليد  
 الى الركبتين وكان الابلغ مطايبا بالتأديب في حمرة الشيوخ عفيف  
 إذا دخلوا وتسمى من طريقهم او بأخط طرفا لغيره اذا اتفق  
 بهم وكان غائب أيه بمأب بقلب جسده على أشواك كالامسج

في طرفها حتى اذا تحددت في جسمه جميعاً أحرق حياً وهو  
ولف على الشوك أسلاكاً ابنه فكان غناه ثلثه ثلاثة أيام  
وثلاث ليال بحجة فريسة

ولو كانت من الأغراض التي يرمى اليها للزعم يوصل  
حطرات هذه السلطة الطويحية ببعضها بعض لا كان له في هذه  
الآونة عيوض عن سرد الأسرار اللوكية القديمة برسها قتلا  
من القنطرة للسهة التي قلها ما يتنوع كبير كمية بين خمس من  
الغرض الميرد غليبية والسجلات القديمة والصور القلرية بلاد  
مصر منذ السامع التي تمت فيها من السلباً بطنها الجلية وفرايتها  
التي سرداً فيها تقدم البعض منها مسجون وولفت بحافة المملوكة  
التي تولدت فيها سعادتها وخمض عيشها واستكانت لأفصى ما  
ما يمكن لأمة أن تحصله من استبداد أمة أخرى بها ومما ملها  
بالحيف والصف . ولقد توالى عليها الفرس والبرتان والرومان  
والعرب والترك والماليك والفرنسيون فما من أمة منها إلا  
واستدلت تلك الأمة للصرة صبيحة الشعوب القديمة والحديثة  
وعالمها سامية من يربدها أن تكفر عن جدها السابق السابق  
كما لو كان جنازة اجترمتها



ولا يسع مصور هذا النظر التريب ان يلقى من بين أنامله  
 ايام التصوير قبل ان يرسم منظرا دليها قل ان يثر ينله الباحث  
 في اية صورة تاريخية أخرى نريد هذا النظر ذاك الذي يصور  
 انقضاء حصة أجيال ما بين الفتح الثاني والفتح الفرنسي لمصر  
 ليت صولجان الحكم أتناها بقبعة قوم كانوا بالأمر يستقرون  
 -وقى الأسام ويشترىون بالمال فأصعوا وقد انشعوا بوشاح الملك  
 وحلوا اشارة الحكم والسلطان

وما أصدق ما وصف به مصر مؤلفو كتاب « بوليون  
 بالنظر المصري » إذ قالوا : « مصر جد نادر فكل غريب لشكل  
 مكان مبانىه الأثرية أطلال عالم غير عالمنا ونهره للثقة في كل  
 قطرة من مياه أسرار الحياة ومخلوذه المرسعة بالواحات الخضراء  
 تشبه في احتجاب أسرارها أسرار القفوش المبروظيفة التي ظلت  
 عززت على حلاها في حياتها وبالجملة فانه قلنا أوصى الى خاطر  
 مؤلف مومتموج أجل شأننا وأعظم حظرا من مومتموج الكتابة  
 عن مصر »

وكشف عوربه فقال : « يعبدنا البحث في احوال مصر  
 وتوق الرابطة بين غم الأديك العقل واتساع نطاق الصناعة  
 بالنظام العلم . وهو يسهل لنا الشعور بخلال فرائض مصر وجمال

نفس حكومتها وقيام أنظمتها على الأساس الوطيدة واستعدادها  
بالآراء الرشيدة ونحن كلما توسعنا في ذلك البحث وتقصينا أسرار  
نظم الأنظمة والقوانين اردنا تعلقنا بها واحتراسنا لها وأيقنا أن  
الاشياء المتينة المستمرة والبقاء جلالاتها خاصة بها وانه إذا دعت رشاقة  
الشكل الى الأبدية والاحسان فإن تصور الجلال يشا وليضروا  
الحال تصور البقاء والجلال فلا يجرم اذا تجمل هذا المبدأ من خلال  
أبحاثنا وأثر التأثير النافع في أدواق أهل الجليل والمسلمين .

## مصر الحديثة

مصر المخلقة من أطلال الممرد السالفة ، والشيرة بآثارها الضخمة على عهد ابنه مينيس ، الشديدة القاسى العجبة المراسي أليم القايق الرجاد ، الوثيقة الأركان الشائعة البيان على عهد المراجعة ، الساطة الأتوار اليلالة البار تحت حكم الولاة والأمره ، الرافعة لواء العلم والبرقان في عهد البطالسة للتديفة بالسبعة تحت حكم الرومان ، المستوفزة للقتال ومقاومة الأعداء أليم الخلفاء ، مصر التي نهضت واقفة تسير بمجترات ثبت للقتال الانفرنج في القرون الوسطى ، مصر التي كلن هذا بعض شأنها العظيم في التاريخ لم تلبث أن زالت نفسها في المائرفستطت في قبضة للمالك الجلاء القاتحين . وبعد ان كانت في تلك الممرد المسافة للتعرفة في شزوبها للينة بأزافتها على أمورها أصبحت وثيقة للأوطه ومملوكة للمالك . وسنذكر فيما يلي كيف سنطت

من ملو مجدها الشامخ وشوكتها الرميعة الى هذا المصيص  
خفيض الضيف والاستكانة

كان كبير اذا ذكر بجليلونا قلعه : وهو قائد يحتاج  
في كل مطلع شمس الى ستة آلاف جندي . ولقد اوردت  
حروب جنكيزخان مولود الردي ستة ملايين من الأتاس وهو  
الذي من دون الفاتحين أهل القدد الأعظم من الأمم وكانت  
يذهب المعاة بأقتابهم في قددور كبيرة من الخلس بنقلها  
على القار وكان لديه منها سبعون قددراً . وكان يحرق اللدان  
والتري يجعلها خراباً يلجأ على يمدورلك عبيد جنكيزخان في  
الست والأساد واسماً ياء إنه كان يثير مراسف الخراب في  
البيسان والأردة والسهول ووصفه غيره فقال إنه حكان نحر  
وجه آدمي اذا دمل مدينة خربها وشن بطون الخواص من  
نساءها وأطلق على الجهات التي ودأها اسم « موباك » اي  
« سهد الخداد » والمائل جنكيزخان حصد الأرواح وبت  
انخراب وسثم التهب واللب والتهاك الأعراض والروى عما كان  
يسفكه من الدماء سرق وسبا من الذكور والأناث من - لم من  
الحديد والثار حتى عصت مسكرات الليل وأسد وانهم بالأرثاء  
والسبايا من البركس والأباطية قيانا وقيات . وفي سنة ١٢٤٠

من الليلا لشترى السلطان نجم الدين أيوب أنى عشر الف من هؤلاء الأتفة أنرم حول قصره ووزعهم على أساليب القتال واتفق له وهو يحاصر فاحس من مدائن الشام ان تبددت جنوده من حوله ولم يقصد قتال عليها غير أولئك المالك فتمسكوا بفضل ثباتهم من التبعة . ولما استوى على عرش مصر اتخلفهم حرمة الخاس واعتد على لسانهم واحتلصهم في الدفاع عنه ضد الطاعة ولا سبا اذا أرادوا الأمر الذي اتزموا الملك من يد أغية بسوء ثم ألف منهم الجيوش وأطلق عليهم اسم المالك فكان جيشهم أهل الجيوش الأسيرة منظرأ وأشدها بأسا وأكثرها بسالة وإقداما ولكنها كانت مع ذلك أسرها جنودا الى القصر والحصان . وكان شأن المالك على الجلة أشبه بشأن البربرورين في رومية والانكشارية في الآستانة من حيث أنهم لم يلبثوا ان استقلوا مواليهم من عروشهم وانصبوا زمام الحكم من أيديهم ونصرفوا في شؤون السلطة بما شاعت امراؤهم

وكان فرسان الصليبيين ينتظرون في الثاني من فبراير ١٢٥٠ عند سور مخاضة صندوق الأشلة اليهم مخوضتها وعبروها فطلب اليكونت دانونوا أخو الملك نصره الشرف الاسنى باجنادها قبل غيره فخلط لربس التسع في القاعة بما يمكن ان يفتأ من

نحسه من الخطر الجند إلا ان الكونت نجح في الرجاء وقال  
 « اتهم الشيخولاي بالأناجيل للقدسة اني ان أعمل عملاً ما قبل  
 وصورك عبر الخيانة » . فأذن الملك له بالعبور فصار الكونت  
 دارتوا الى لبتيازها على رأس طليعة من الجيش وكانت الخيانة في  
 ثورة آشمون شرق في مياها بعض الهرسان ومنهم جيلان دورليل  
 حامل العلم . وقد رأى المصريون ذلك فتقدم منهم من  
 جنودهم المتأومة العايرين وتطيل حركتهم ولكن الفرنسيين صدوهم  
 وفرغوا شملهم وما رآهم الكونت دارتوا يرفون الأديار حتى نسي  
 الطريق الذي أسهل الملك أن يركب من أي عمل حتى يحصر وأطلق  
 القنان بلواذه فذهب اليه اثنان من قواد الجيش وصراها اليه أن  
 لا يجلس بعده مع الملك فمضى إلى نصابتهما كيلا تقتل من بعده  
 مرة الانتصار على العدو . بل قطع عليهما الكلام قائلاً : « الى  
 غيري يجوز لكما توجيه هذه التسلح » وأمسك عود كودي مرل  
 استاذهم ووريه بأعنة جواده . ولم يكن هذا الشيخ الجليل قد سمع  
 شيئاً مما دار من الحديث لسمع في أذنيه . وكأب يريد بذلك  
 الاختيار بطيئته والأشطر بأنه سيحرق القنوز في هذا اليوم ثم  
 تقدم قليلاً منه وسأح بما حضره من الجهد والفترة « حضرا

الطاردة . . . حتى جامعة الميكين<sup>(١)</sup> من الجود أن  
يعلمهم النار إذا تركوا الأمير يتقدمهم إلى العدو فانطلقوا يستحثون  
الليل يسبقوه إليه وحسبان عدم أمان وأرهبة فتدفقوا على  
المصريين واسترقوا على معسكرهم وواصلوا السير إلى المنصورة  
فدخلوا حصنة بعد أن قتلوا حراسها

وكان عمر الدين قائد الجيش المصري لا يوافق هذه الساعة  
فصنع لحته في الحلم فلما انتهى إليه النبا المشؤوم وثب على ظهر  
فرس بلا سرج ولا مثان وقفل أن يتمكن من ليس ثيابا يريد  
للساعة بذلك إلى العدو لصد، ويقف تيار تدمر ولكنه لم  
يلتصق قتل قبل أن تتحقق أمته

وكان بين الطليعة الطاهرة وبين قبة الجيش ما لا يقل عن  
فارسين فأفوك ببرص زعيم المالك ما يمكن أن يحقق من  
السوء بالأعداء بعد ما بين جيشيه من الشقة وأحب أن يتم  
هذه القرعة لقتلك بالعدو فجمع فعول جيشه لانهزم وصد أن  
أقيم شدة عدد المسيحيين جمع لكه القريسا المصريين وانطلق

(١) هو قائد الطليعة وهي طليعة ١٠٠٠ من سنة ١٦١٤، وانذار لرحابا بالبيعة  
في القلوب الصليبية وأمرودا ١٦٠٠ من سنة ١٦١٤ طليعة الجيش الأممية طليعة  
الصليبية وليس منهم وأما كبر السراة ١٦٠٠ من سنة ١٦١٤ طليعة الجيش  
للهالما كليلين الخامس بولغا من سنة ١٦١٤ طليعة طليعة

هم الى ما بين المدينة والقرعة ليحول دون الاتصال من شقي  
الجيش الفرنسي . فاقض حثيثاً تلك الليك الذين وصفهم احد  
الفرّاجين للعرب بأنهم أسود القتال على القرعة أقصاض  
الصاغة فأبادوا فرقا منهم وفرغا أفسوا فيه الجراح وزجّ البقية  
الباقية سهم الى الألفة لم يستطيعوا القتال ركبانا ولا استعمال  
السيف لصيق الجبال وأبقت الأهلون بخرج موقعهم فأخذوا  
يلقون عليهم من الاسطحة والنافذات وابلا من الأحجار  
والرمال المهمة بالنار وبرشقونهم بالنار

وسمع من ظاهر المدينة أثناء ذلك صوت الاجران ودوى  
الطبول وصهيل الخيول وجبهة الفارين فإذا هم مشقة من الجيش  
السيحي الذي تمكن رغم اقتراص الفرنسيان للصرب له من  
الرحف لاستنفاذ الكونت دالونوا . وقد برز الملك لويس التاسع  
في حليقة شرابه خوف في الطريق على أكمة عالية وعلى رأسه  
غردته الذهبية وخبسته سيفه الأمازي فإمى إلا لحظة حتى انضم  
الجيشان وتساولا بالسيف وحد السنان ووصب المركة أحد  
مؤذني لويس التاسع الذين واقصوه فيها قتالاً . ما رأيت عيني  
قط فيها شهدة من الحروب التي وقعت سداً عن الوطن والبلد  
سراجه الحوادث بجليلة الشأن بما بدا فيها من بسالة الفاتحين



مناخنة السبعين ومناخنة الكفار ( اسلمين ) كهذه الحرب ،  
وكان جراتيل وجهه لغيره من الأبطال فصف بهم مكروه إذ  
أرسل أحدكم وهو إرلارد دوسيرى بصرة سيف في جيبت  
تخفى منها دمه حتى أبجن الماصرون أنه لن يمشى بعد هذه  
الأساية ولكنه صاح بالماضين « أيها الفرسان اذا كنتم لا  
تظنون في الظن أي النسل النجاة لئسى وتكفلونى ولا ولادى  
من يمدى أنا سقى ببدا عن اللرم والمصار فأنى أبشكم  
بالكونت دانيو الذى أوله هناك بين تلك الحقول فأجبهه .  
« أيها السيد إرلارد إنك لتحسن معنا وتقلداً شرفاً اذا ذهبت  
إليه وسأله النجدة لتأجب ، فاشترق في الحال بحوراء صفوف  
البدو مسطفاً نحو الأمير حتى إذا وصل إليه عاد منه لتخليص  
زملائه ولم يلبث بعد عودته أن تخلصت روحه مظهراً الاعتباط  
بأن القار لم يلبث اسمه ولن يدرك انعامه من بعده

لصد بيرس والمالك الى تلك الجهة من القربة فسار  
الملك لويس التاسع بالترجيع الى الوراء وحشد ما عنده من  
القوى في نقطة واحدة غير أن أوله إليها كانت تذهب كصرخة  
في ولد لما تولى على البلود من الفزع عند ما تقام الخطر واتسع  
الفتق فرأى من الواجب وقد تمكن من إعادة النظام الى صفوفه

بعد ان استمد في هذا السبيل حده استطاعه ان يحمل شبه  
 نفوة للمساكر قبل على المصيرين ولكنته ما كاد يدنو منهم  
 حتى أحدهم اراه من كل جانب وأمسك ستة منهم بستان جواده  
 ليأخذوه أسيراً إلا انه استجمع قواه لثباته هذا الكثر فخطب  
 عليهم وكتب جرائيل في هذا الموضوع فقال : « ان نفوة الله  
 ضاعت قوته وأبدت قواه ولا هذه النفوة التي هي فوق طاعة  
 البشر لفقدانها جميعاً . وما شهد القريسيون عليكم وقد تطلب على  
 أعدائه وأوردكم شر اللولود حتى دبت الخناس في قوسهم فأحاط  
 القريسيان به ولم يروا المدوم من حوله »

وكان الكثرة دلتوا لا يزال في التصورة مقاوم الاعداء  
 في غاية من جندة فتعصن بأحد النازل وأتى من أبكت المسألة ما  
 يستحق ان يكون « أحدونه سائرة بين الناس » كما قال أحد  
 للزربعين بالحرف الواحد . وانتهى الأمر به أن سقط خيلاً  
 مكشراً بجرحه من حطبه على رالت فيها بدمه بخلافته وأمره قائم  
 ومات معه في هذه الحركة بالسجوري . وقبل أن يمضي فيه الى  
 والده الصالحة ذلك اليوم هزأته فيها يرى النائم كأنه متوج بالاقبال  
 الكثر وعارج الى السماء . وصحكان دورت دوغير يحمل القلم  
 الانكليزي غفر سره ما وعده من قوته فكان له منه أشرف كفن

وتحتل دژول دى كرسى مع من قتلوا وأخذ قائد فرقة الاوسبالييه  
أسيراً وتمكن قائد طائفة الفيكليين من النجاة بمسيرة إذ عاد  
الى الساء الى إخوته المسيحيين منحن الوجه بالجرارح ممزق  
الجياش والمردود وروى أنه رأى مائتين وخمسين فارساً من رفاقه  
عند طرقات الحياة أثناء القتال وماند دوى رثانيا الى المسحكر  
الفرنسى متفرباً بحى دى ما القوزان الى بذل فصولى الجهد لدخول  
للمدينة لاقتاذ لكونت دلتوا أسمى القديس لويس فلم يستطع  
ان يفتح الأبواب ولا ان ينشق الأسوار لانسكاب الدم من  
فيه بمقدور عظيم وكان يمسك يديه ربة جواده لا تقطاع عنائه  
ومع ذلك فكان يروح ينتظر هذا أفادة المطاردن له ويهدم  
عنه بدمان رجه وثقت لهم مريجها عبارات الاستهزاء  
والاستعطف ووقف كل من جواخيل والكونت دى سواسون  
وبطرس دى توفيل وغليرم دى بون وحنادى جوملى عند  
نطرة لكبلا يؤخذ القرنسيون من عظمهم فتمسكوا برفوفهم  
بذلك المكان كالبليان المصوص من صد شرائع كغيرة من  
المصريين وأصيب بطرس دى توفيل بضربة في رأسه وسقط  
سبيلش شامانيا مرتين عن جواده بعد أن قتل مصرى هائل  
الجسم بطمئة واحدة واستجد في ساعة كرب وصين بالقديس

جاء فقال : أيها السيد الجليل جاك أشرح ليك ان تساعدني  
وتسكني بخلاص من هذا الكرب الشديد ، بطرح المرة الثانية  
عشرة بسهم وأصيب جواد من تحت المرة الخامسة فلم يمتصعه  
للطغات التالية ولإبراح الثانية من الضحك لما سمعه من  
مطايبت الكونت دى سواسون في هذا الموضع

وكان لويس التاسع قد أحرر القوم من كل وجه في تلك  
المرة فعدا الى ميوانه أما القبط ببالقند برع غوثه لضجيره  
من ثملها ، ثم سار في صحب له يتحدثون في وقائع اليوم ، وقصد  
الأخ هنري رئيس مستشفى روستاي الى الملك ليقل يده  
ويستفسر عن احوال الكونت دارنو فاجب لويس التاسع  
والذي أعده علم اليقين أن أخى مقبب في هذه الباحة بذلوا التسمم ،  
ثم رجع رأسه الى السماء منهل الدمعات فيما حكى الامراء  
الحاضرون صائمين بحمدون الله في نعمهم وأسوان لمصاب  
ملكهم وشاطرونه همه ولحمه

ولولا حيلة الهالك وحذق زعيمهم والغب حبه في  
الخلوة بين السبعين والمحموم ثم ذم منقصة لأصحت مصر  
الغيا فرنسا ، ولكن لمر الله وأراد ان لا تحقق هذه الآلية  
وأن يطلق الهالك من المنصورة في صحيفة قد يرم الوافدة الى

الفاخرة حماما راجلا يحمل إليها رسالة منها : « لقد اتفق البدو على المدينة عرضت معركة كبيرة بين المسلمين وبنو »  
 وعثر المراكبي بحجة الكونوت واروتوا فانزعوا فيضد الحربي  
 المراكبي بأزهار الزين وطاروا به على الناس ينادون : « هذا  
 ثوب ملك عربنا الذي سقط في ميدان القتال مخرجا بدنه »  
 وطاروا ايضا برؤوس القتلى من أعيان الفرس محمقة بأطراف  
 المراكبي ينادون : لقد أصبح جيش المسيحيين بعد قتل مليحكمه  
 وأمرائه يسموا بلا روح وشجرة بلا ثمر » و يوم الجمعة الأول من  
 عيد الفصح تحرك الفرنسيون لمحة ملحة فألقوا الدليل ذلك  
 اليوم على أنه لم يكن من أبيهم الأخيرة خلافا لما حبه البدو  
 وشوهد سلطان مصر يومئذ راجيا جواده منه شروق  
 الشمس يرتب جيوشه في مصاف القتال بين ترعة اشمون والكيل  
 فلما انصف النهار نشر أفرجه ودعت طيوله وانشت الاصوات  
 من أبوابه مؤقنة بالهجوم فتجاوبتها الآفاق وشمر الناس كأن  
 السجاء أطبقت على الأرض . وما اتهم الفريخان حتى أخذ الرماة  
 الثلاثة من الجيش المصري يبطرون الفرنسيين واجلا من  
 النار الهوائية خيل منه للأبطال أن الكرواك هرب من مواضعها  
 في السجاء فاستلأت بها الأجواء ؛ وكان الذين يصيهم من الجنود

لهيب نكث النذر يركضون على غير هدى ويزرون لا يلجؤون على  
 شيء صائحين مبيحات الفزع والتهيب كما كانت الخنود تعفو في  
 كل ناحية ساحية مروحيها مع رجة بالدم ففتا الاختلال لهذا  
 القصب في معوفهم وانقرط عقدهم بشعكل تدور القربان  
 السطون به لاخراتها وقد قتل بجواد الكورث وانحور من تحت  
 قتائل واحلا قتال الستميت وطر يقاتل حتى فقد جميع رجاله  
 ويغنى نأ الكاونة الى لويس التاسع حتى أن يكون أخوه له  
 معه من فهد ثجده و قتله من مأرقه وبعد أن انتطي جواد  
 انطلق يشق به الحزم للباوية ولم يصبر حتى يصحبه بعض أهوانه  
 فتسكن مع هذا من ذره انظر من أعيه وزحرة انصري  
 عن مسكرم

وكان خلف مرسان عاتمة لميكليس مسطح أرض بسعة  
 مائة فصة جمل بالسهم والرماح والزريق حتى حكلان الراي  
 لا يستطيع أن يرى سفداً الى الأرض من بينها وهو مبدل على  
 حسن بلانهم في القتال وأصيب عظيمهم ففقد إحدى عييه في  
 معركة سائة فقد البون الأخرى في هذه المعركة ثم غر مرصفاً  
 بعد قتال صيب

وعالج طاليك الاسباب في المسكر السبعي لهب بالحقنة

انقياد من الناحية وعدد القتال فتسكنوا من اغتطاف الكوث  
 ونجوا والانتفاء به خارج المصكر فبرز أحده الكوث هي  
 براتيه لاستملاصه منهم فرفع أسيراً في أيديهم واسكته كلن قد  
 استل العلى والباة الذين تبوا الجيش ييموه سلمهم للخلقة  
 وكذا النساء اللاتي كن يحركن بحركته اليه لما كان يظهره لمن  
 من دلائل الرق واللود فها انتهى الى عصفهم نأ أسره صامو  
 صاحرين نافين ونسحر جسماً عريق منهم بالطناسر وطريق  
 بالبايت وعريق بالاحمار وعصموا الى مصرين فاستنقذوا  
 منهم الكوث وعادوا به عافرين

وكان حوسران دي براتسون واسه وهرسانه الذين رحوا  
 القبار الاوربة منطوق كراثم طيل المطهمة وساحجن بالسيف  
 والرمح يقاتلون راجلين بالقرب من ذلك المكان مسقط اثني  
 عشر منهم على الرمل مصريين طمائهم وكان حوسران على أثر  
 قتال عند الامان الذين جاهاوا الى مدينة ماكون ( حدى مدين  
 فرنسا ) التي كنوسنها قد جنا على ركنيه أمام الهيكل ودعا الى  
 المسيح أن يموت وهو يدافع من ديه فأجاب المسيح دعاءه في  
 هذه المرة إذ وأداء الموت بعد أن ظهر في ست وثلاثين معركة  
 واستدعى الملك اليه كبار رجال جيشه من البارونية

والشفافية وقال لهم : هـ مضر الامراء وجماعة الاسدقاء فلكم  
 تيقنهم مقدلو ما أسففته علينا العنابة الالهية من نعمها الجزيلة  
 في كل يوم وأنتم تفرحون أنا في يوم الثلاثاء الأخير قد كسرنا  
 القيدوس كسرة وأجلينا من مرصعكزه وهانحن أولاء في  
 مسكره . ولا يزال نمر واحدة الجعة وشرفها لامقبح بنا عليه  
 الطيراني والعززي والمظفلان ولنا من ذلك وإلى لأسألكم أن  
 تحمدوا الآلهة القدير فلن تحمدوه ليزيدنكم رعاية وعطاء

ولم يمض طويل زمن بعد ذلك حتى خيل للعاقل في الخلق  
 أن الله الذي مرع أولئك الأمراء من سديم قلوبهم إليه أبي الا  
 أن يمسك من رعاية جنود الصليب وبعض بالأنخد بتاصرهم  
 فأنهم فعلا مما تكبدوه من مصائب الحرب قد دشت فيهم  
 الأمراض الويشة كالاستفروط والموسنطارا والحيات للخطفة  
 وأصيب الأمراء منهم بما أصاب الضفلة من تحول الجسم واحمرار  
 لون البشرة مع القتل والنقط السوداء وتورق لثة الأسنان برود  
 الاغذية بها وملاسها . وحثت التنكية حتى صار لا يمع من  
 جانب السيجيل سوى صلوات الاحتصل أو الجناز وصارت  
 لا تنفع الاطوار إلا على وجوه مفرقة تشرب بأن الموت من أسعابها  
 كقالب قوسين أو أدنى وكم من قسيس وقف في مصلاه مولى



الأمم بالمعاصي أو تلتزم بالعلاقة على ميت خاداً به له سقط مسبب  
عليه فلم يجد بعده إلى مرقعه ولم تلبس شعثاه بكلمة من  
الصلوات العادية أو الجارية ، ولم من جندي صادق أمي حضره  
الموت فكان كل ما قطع اليه من الغزاة لنفسه ان يرى ملكه  
أو يسمع صوته ، ولم نور الأوباء كبيراً ولم تطاب على صنيبر يد  
أصيب بأحداهم تلك لويس التاسع نفسه

وكانت للواصلات مع دمياط قد قطعها المصريون فكانت  
فتكاً - الحاجة بعد تلك التبدلات المدلحة منقلاً على إهالة وحر  
الطلب من الأعبدة حتى أن التور كان لا يباع بأقل من ثمانين  
حنياً ( حنية ذلك الزم يمدل من نفود عصره فرنسكا واحد )  
والخروف عشر دالات ( دبال ذلك الزم كالب يمدل ثلاثة  
جنبيات أي فرنسكات ) والريضة بأثنى عشر ديناراً ( دبال ذلك  
المهذ جزء من اثني عشر جزءاً من الصلبي والصلبي يمدل بنفود  
ومننا مليون مصريين ) وتجاه هذه التلافة الفاضل بلأ القروسيون  
في سد ومقيم وفتح الحاجة منهم إلى التمدد بأهلك النيل  
والخفافيش وجذور الباناب ولما اشتد الخنك بهم جرت على  
ألسنتهم كلمة الهدية فالتفتوا على السلطان فاشتراط هذا في الموافقة  
عليها تسلم ملك فرنسا دها عشرة فكان جواهم أنهم يعطون

لنوت على أن يرحموا عليكم المجهول  
 تراجع السبيون نحو دمياط وبه الحصول فيها على شيء.  
 من الأتخنة فلم يلبثوا انت وأوا السهل التسيح للتراب  
 الأطراف حول هذه المدينة لقد انتهت المسلمون في أوساطه  
 وعطروا خط الرجعة عليهم . ولقد كانوا من المؤخرة القرصية  
 تبالش بدكاويش جي دوشاقي من العودة إلى موطنه فألقى نفسه  
 هو ومن معه في جرم الجلود المصرية التي لم تلت أن أودته هو  
 واصحابه ولقد الملك خوته ودروعه ولم يبق معه من عدة القتلى  
 سوى سيفه فاحتل الصليب في البقاء بمنطلي حراة العربى لعدى  
 كان ينليه غطاء وثيق من الحرير . وكان سرجين وانفا إلى جانب  
 يناحل منه وبعد العدو من حوله وما زال كذلك حتى استطاع  
 التعلق بالملك إلى أحد منازل القرية . وكانت به سيدة بارسية  
 عربى بنصه على نفعها حتى ظن بسبب ما كان يلوح على وجهه من  
 التعب الشديد وأثار المرض الضيق أنه لا بد مفارق الحياة الدنيا  
 بعد عنية من الزمن وتصدى البطل الباسل جرتيه دوشاقيون  
 بالفتح خروجه من الزقاق الضيق المؤدى إلى هذا الموقل المقدس  
 فاستطاع جرادا تمرا وتسليح بكل ما وصلت إليه يده من عدد  
 القتلى خلا لاج للمصريون ثم بقتلهم واندمج نحوهم وانفك على

وكا به صانحاً على فيه : « الى شانيون ! يلتمس القرمسان الى شانيون : « فلما بعد أفراح الكفار » الى الساميت » الذين تدفقوا عليه انقلب بحراوه الى الخلف ليقاتل الذين جاؤوه منهم ثم انزع السهام الناشئة في حبه مفرطة فيه من القدر واستأنف الطجوم عليه ولكن انهم الأرمه الى السقوط على الأرض قتلاً على الجثث والنبال كما سقط حراوه الذي كان الدم يقطر من جراحاته الكثيرة . وقد أعجب احد المصريين بمسالة شانيون لما أخذ يقصها على الناس مظهر ألم رأسه وسيفه وكان قد احترقها مفاخر أجوده : « لقد تلت أشجع الجميع »

ووقع لويث وأخوه في أسر المسلمين وكبلوا بالأغلال ولم يرج سلطان مصر حرمة الملك ولم يمانه بما هو خلق به من الاكرام واللمطف وكان راؤول دي واتون لا يستطيع منه فقد ساقه في القوائم للباخرة الانتفال من مكان الى مكان . فأشفق بحاله شيخ مصري أركبه معه على دابته وعامل حراويل وبعض القرمسان الميكليين بالشدة والقدرة إذ كانوا يرمون بحمد السيف على رقابهم إحاطة لهم وإزعاجاً وتماوض هؤلاء في أرمع فانفقوا على إلقاء السلاح من أيديهم الا قليلا من تلاميذ الاسكندروس كان منهم أبي موثرا الاستمرار على القتال حتى يقتل طمعا في

الضباب الى جنة النعيم وتناول الشيشل مستودعاً صميراً  
 فاستخرج منه حماره ونحقه الاثرية الثينة وألقى بها في التل  
 ثم لم يقصه وكان على وشك أن يقتل دجها حينما تعرف عليه  
 فرفض اعتنق الاسلام ففضه الى صدره رائحة هذا ابن عم  
 الملك ، وما وقف المصريون على حقيقة أمره حتى جردوه من دمه  
 وساروا به ثم وضعوا على رأسه غصوة وعلى كتفيه غطاء أحمر  
 اللون محشوا بصوف الفرو وجعلوا حول وسطه حزام من الجلد  
 وذهبوا اليه كروب مائة . وكان لابد تطيع القرب فأخذ يصيح  
 قائلاً إنه قد مات . فزق عليه اربابه جرماً شديداً ولبدوا من  
 أوجه الحمار . وكان معهم غلام أكثر من التحجب والأعوان وهو  
 ولد الأمير موفىكون من البفاح وكان قد رأى من ماله من  
 القائلين بعد أنوا عن آحرم فاستطير له روحاً ونهيب للسفيل  
 وحسن من جوانب أن يحميه في حياء وعفافته ولكن بعد الى  
 أحد المصريين عراسته فلما حلت الساعة لمعاودة اباه هو  
 والسيشال قال لهذا الأخير : « عند بيد هذا الغلام فأنت  
 للمصريين من رؤا ديانة حالكم ورح موفىكما اشتغلوا عليكما  
 ولم يجرأ أحدهم على أن يمسككما بسوء »

وبلغ عدد قتل المسيحيين في هذه المذابح المهلكة

تلاهم الف خمس تولى المالك إهداء النضر الأوفى منهم وأحد  
 لويس التاسع إلى المنصورة حيث انتقل إلى دار قنر الدين كاتب  
 أسرار السلطان وعهد مراقبته إلى صديق نظمي الذي ذكره  
 بعض المؤرخين من قنرب فذاقوا إليه تلقي الأسر بأن يحمد الملك  
 للمقتل ثماني عشرة في كل صباح . وهذا الزم لا شك باطل  
 ولو صدقت الرواية لما دعى هذه المماثلة القاسية على الآخرين بها  
 ولم يستخلف لويس التاسع من كل ما كان يملكه من المال والناع  
 الثمين سوى نسخة من كتاب المرامير الذي نجلو مخطوطة الحزن  
 من القلب فكان يطالع فيه ويى كتاب الصلوات وبعض جلة وقته  
 في العبادة والتأمل . ولم يكن حنساء من التطاء سوى قبض  
 عشرين تبرج له به أحد صاكره الأسرى فأرسله السلطان من  
 القاهرة ثوبين من الحرير الأسود عليين بأرذاف ذهب فأدى  
 لبيهاً : « في سيد مملكة أوسع نطاقاً وأبعد أطرافاً من  
 مصر لذا لا يعمل بطل أن ألبس ثوباً أحثياً » ودعاه السلطان  
 فودان شاء إلى ولجة فلم يجب اعتذاراً منه أن الداعي إنما يريد  
 عرصة على أنظار المسلمين فلم يسع السلطان تجاه هذا الرفض  
 إلا التحول من القل إلى الشدة ومن المحاسنة إلى الخشنة حيث  
 يهدد لويس التاسع بأرساله إلى المظيفة للقبلى بتدبير . وهو

لا بد ساجده وقافته أو مشركه له في الأرواح البعيدة من آسيا لرمعه  
على أنظار أهلها والزرابة به ، «عند أنه ملك مسيحي عظيم الشأن  
وقع في ذل الأسر قبل الملك ساكتا لا تؤثر فيه الأمانة وكل  
ما خشيته هو أن يمس وملاؤه في الأسر يضرر ، ولقد نبط بأحد  
المسلمين لخصاء عدد الأسرى فبين له أنه عشرة آلاف ويكون  
جوعاً مكسبة يحتفظ بعضهم ببعض في ذاء واحد من خيل القوم  
وحاديت أو وبعانات الملاحطين والحراس ، وأمن القوم في  
الاسماء اليهم ومنهم بالأذى فكان الأمير سيف الدين يدخل  
عليهم في كل ليلة فيحتار ماثنين أو ثلاثاً ليرى أحوال الذين  
يأبون منهم الخفاء للإسلام دينا لهم ولحق بعضهم في نهر النيل  
وحدثت دعت ماء ، أن شهد القرايين والبلد نية الأسرى مصرى  
أيض الحجة حليل النظر حشلا عليهم في صيواتهم وحوله شيان  
مستحقون «الغناجر فإوقع يقرم عليهم حتى أصروا رؤوسهم إلى  
الأرض لأن حر لسم كثير ما كانوا يهربونهم قرب حدود  
نهر من المدوين على النيل «السكان اليهم في همة ما فلما وصل  
الشيخ الوفور اليهم سألهم على لسان مترجمه هل يؤمنون بالله  
واحد ولله امرأة وصل لقلنا المجلس الشرى ثم أحيي اليوم  
الثالث من صلبه ، فأجابه سم إننا جميعاً نستقيد بذلك ومن صميم

أفقدوا ما ساءلوا الشيوخ إذ كان الأمر كذلك فلا بأس عليكم  
وعلمتكم أن تطلبوا تعمل الأمر من أجل الحكم لأنه تألم من  
أحكم أكثر مما تألم من مساوية تفنكم لأنه إذا استطاع تخليص  
حده من الموت فهو بلا شك قادر على خلاصكم من الأسر

ونولوا الشيوخ بعد ذلك عن لا يظنوا أنكم يسمعون  
الأمر في الحياة ولا يدرى ذلك الشيخ أسويحي هو تمول إلى  
السلام ثم بكه صغيرة فلما أدان به ث الثغرة والسكون بين  
لذلك النساء الذين رأى أنهم ما رحواله إغوة أصفيا + هذا  
ما يحمله وتضارى الأمر أن الفاعولان في إرام معاينة بين  
المرسبين وسفطان مصر كانت في تلك اللحظة لائحة على قدم  
وساق وكان من نتائجها التي ظهرت بعد بضع أسابيع إطلاق  
سراح الأسرى

على أن سلطان مصر وهو ذلك الحلال الذي عبت بحياة  
الآلاف من المسيحيين قد لقي من الحزنا على فلكه ما يستحق  
أن يجرى به عقد انتم لم منه وكان الشفقون هم المالك أقسم  
ويبان ذلك أن المالك أحدا على السلطان نوران شاء الاختلاف  
بالعاصمة دونهم وهم الذين حملوا أعباء القتال وأنه تخلى عن الأمان  
والشيوخ الحكيم في خدمة النبوة ليقرب منه من متابعهم للناس

الترقيين . وأنه سلب الصوامع القديمة والشلالات الخلية للمنطقة  
للتقدي مصر لينزع من قدرها بأعدادها إلى الهالك الذين تقطعهم  
على شفاف نهر القرات . وأنه دمر نهر ديباط لأن أهله سلموه  
إلى القرمسين وقتل الأربعين أمرا الذين ترددوا هذا التسليم .  
وكان مستقبل الحوادث مثلها على الجملة بالاحطار والكوارث  
واردادت للشاذة بين الطرفين وتحركت الأحقاد في القلوب  
حتى شوهه السلطان في ليلة من ليالي أنه وطره وقد جاء  
بشموع أوتدعائهم أخذ يجرى رؤوسها بحد السيف صانعا  
سيرى رؤوس الهالك كذلك وتوتت البلاحة بين السلطان  
وأمراته وأخذ هؤلاء يترصون به الشر ويبتلون لوصول  
هذا القرض الأسيف ويخبرون القرمس

لم يفس زمن بعد ذلك حتى تألفت مؤامرة اشترك في  
تدبيرها ستون أميراً . واتفق أن أراد توران شاه على أثر إبرامه  
الماعدة مع المسيحيين إحياء ذكرى هذه الحوادث العظيمة بأقامة  
الأفراح فأولم ولجة جليلة في ميدان معركة قورسكود دعا إليها  
كبار الرؤساء من دجل حرسه فلما أشرفت الوجبة على الانتهاء  
قام الشآرون فجأة من الثلاثة فالتفخوا عليه شاهري سيوفهم  
وحمل عليه يهرس بصرة من سيفه تحت يده من مصعبها فلابد



السلطان برح له مشيد على صفه النهر وأاء في عليه الباب من  
 الداخل ثم أطل من شرفة فيه وسأل الأمرء عن مرادهم منه  
 وكان أمرهم قد أحاطوا بالرح من كل جانب فجاوبوه بالسياب  
 والشم وورثوه بالنبل ثم أمر مروا الخراج بالرج فأمر قومه وتداولوا  
 لسان اللبيب فأوردت أن يلهم السلطان لولا أنه ألقى بمسمن  
 الباعدة . وحدث في سفره أن اشتبك فيه عسكروا من غفل صفا  
 بين السباه والأرض وما لم يثبت بعده ان هوى إلى الأرض وما  
 كاد يصل إليها حتى أصحلت السيوف وأشرقت حوله فلما ينس  
 للسكبين من الغلام بسط إليهم كفيه مدلوفا مستبجحا القوم  
 عنه قائلا : « ألا يوجد بينكم رجل واحد من مائة ألف يختار إلى  
 وينص لي » انى لا أسألكم غير اللعانة بالحياة وهاءنذا منازل  
 لكم عن السلطنة فدموني أعود إلى ديار بكر موطنى ومستقط  
 وأنى ، فتقرب حياحه وأجسه من السامعين بجلية الاستمراء .  
 ولما ينس من الرحمة به أخذ يحسب على ركبته فأمره كيرس وهو  
 القنى ثم يده أثناء الزليمة عطشه في جنبه ثم دشنه بالنبل فرمى  
 للسكبين بنفسه في القيل منحا بالمخارج رجاء ان يجد من كرم  
 القوى في قاعة ملحن عليه به ثم الإنسان ولكن لم يجد قليلا  
 من الشاطئ حتى ألقى نسة منهم بأنفسهم في الماء وسبحوا خلفه

أطاردكم وما رافقوا به تحيلاً حتى أجهزوا عليه وانتهزوا عليه من  
بين جهبه

أزيرى ثلاثون من القنّة بدلة متفدين بالسيوف والخناجر  
والنوط لأدراك السفن التي كانت تحمل إل دمياط أسرى  
الفرنسيين فلما شهدوا هولاء وقد وصلوا إليهم أيقنوا بالهلاك  
فجثوا على دركهم وسألوا أحد القساوسة من اتباع الكونت حتى  
خلاتهم لن يتلقى الاعتراف الأخير منهم وتزاحوا حول الرجل  
حتى تسد عليه سماع اعترافهم وكان جي دي بلاي كبير غواة  
ألمند في جريرة غرور بينهم هذا حادثه وبه الاشراف احمد  
يتصل من غاطاته مقدياً بها على مائق جواتيل فلما سمع حواتيل  
كلامه أمسك من بيان حقيقة الواقعة مكثفياً بقوله إنه لا يذكر  
إن من بين احواله ونصراته ما أنصى إلى ضررهم جثا على دركيه  
ومد صفة وقال بعد أن رسم الصليب على صدره ها هذا أسرت  
كما كانت القديسة أليس تقضى المالك عليه وعلى زملائه وأقربا  
يخشهم في طام السفن

ذهب بعض أمرائهم بعد ذلك إلى تونس التاسع في منتهه  
خدنا منه ذلك الذي أجهز على سلطان مصر وسيفه يدمي بقطر دماً  
وقال له : لقد خضعتك من عدوك الذي كان لا يدعك يوماً ما

إد مسكت منه فم تخرجى على هذا الصديق ١٠ قال لك عنه  
 رأسه ولم يتكلم حتى الملوك ثم مد ذراعه نحو ذلك وى يده  
 السيف قائلا : « يظهر لى أنك ساحل بقدنى على التصرف فى  
 شخصك . إذا شئت أن تبق على قيد الحياة فاجعلنى فارساً من  
 فرسانك . فقال له ذلك : « كنى مسيحياً قبل أن تكون فارساً ،  
 فراجع الملوك مسيحياً بهذا التبت . وما كاد يخرج من القتل  
 حتى انضم به جمع كبير مدحياً بالأسلحة وكان ظهر هذا الجمع  
 فى مشيته وصياحه وظفراته يمت على أنه اقتراف جرعة وأنه  
 متأهب لا اقتراف ليرها . فنظر لويس التاسع لى هذا الجمع  
 ذليل الحدو . والسكون ثم تركهم يزأرون يحزنون الحيوانات  
 للفرسة ولاعتيادهم من هذا السكون لم يشعروا أن يحولوا من  
 الخاشية لى العاسة . قدنوا منه وعلى وجوههم آيات الحياء وقالوا  
 له إهم تخلصوا من مستبد قائم كان يريد القام والساكر  
 الفرنسية لى التهلكة وأنهم لا يشعرون الآن سوى الأمانة فى  
 تطبيق الماهدة الخبرة بينه وبين السلطان القاحل . وما أنتم هذه  
 الكلمات حتى ألقوا بالأسلحة وهاجمهم ثم دسوا أيديهم لى  
 محامهم وانطلقوا من حضرة ساكتين . مما صاروا لى خارج  
 القتل دلفوا الطبول وغنوا فى الغنى إيجلالاً لك ثم ذهبوا

بعد ذلك يملسون فيها اذ كان يجوز لهم تلك القيود من الملك  
الاسير وما بهته سلطانا على مصر

استأجرت أسراء الماليك مفاوضات الصلح التي بدأ بها  
نوران شاه وأنصروا جهداً أيانهم أن لا ينجسوا بها وأنهم اذا  
تقصوا شرطهم حلت عليهم الاثمة وصاروا في حكم من يأكل لحم  
الخنزير أو يطلق زوجته طائفة بائنة ثم يردعا وطلبوا من لويس  
التاسع أن يوفى ذمته بأداء عشرين نص لحياتها : « إذا لم ألف  
بوعدي فأنتي أرضي بأن أحرم في جنات الخلد مصاحبة المسيح  
وأنة والموارين الاثني عشر والتدينين والتدينات » ونص  
الثانية : « إذا مكنت بهذا العهد وحسنت في يميني أكون كالتؤمن  
التي بحفر دونه ورده وسعوديته ويصن على الصليب ويدونه  
عنديه » فحينئذ تدينس لويس ان الجيش الثانية ليست إلا سباً  
بالنصارى في قالب قسم فأبى تدينس لسانه بالثقل بها . فبلغ من  
خيظ للماليك ساعته أن حدثهم قسمهم يقطع رأسه وطلبه  
ولكنهم عاهدوا اليه وظلوا له بعد أن انكأوا بأمراف سيولهم  
على صدره : « لسنا من يتلقون الا لاسر عن أسير فأنت اليوم  
بين أحد أمرين إما ان تقسم وإما أن تموت » فأجابهم : « إن  
جسمي لكم مختصر فوالله كيف شقتم أما إذا دني نفسي إلى ولن

تستظيرونهم في هذا قبلا .

وعزا بعض هؤلاء الأشياء الى طريق النقص النرويجي  
أنه هو الذي حل لك نصائح على المقاومة وأغراء بالامتثال من  
القسم فقبضوا على هذا الشيخ الضعيف الثاني الذي كان يظهر  
بالساعة والثلاثين من عمره ووربطوه الى عمود خشب موثق اليدين  
بشدة جعلت الدم يتوجس منها فلا شعر للسكين بالآلم أخذ  
يصيح بذلك قائلا : أمولاى . مرلاى . إدم باليمين التي أراذك  
عليها . وكان قلب لك ينقش ويخشى من الخوف على الشيخ أن  
يسير مكرهه ولكنك أنهى أن يضم باليمين المطوية

بش الأراء مد هذه التجارب المؤلمة من زحزحة لويس  
الساح عن مرته ودرلة أركان حبيته ما كنتوا يوحده البسيط  
الذي وعد في التوضيح وأخذوا يقولون عن هذا الأمير الفرنسي  
أنه أعز الأراء للسيحيين الذين شوهوا تحت مياه الشرق نفسا  
وأحلام أي

وكان الصليبيون يرون أن من الشؤون الخطيرة بقية نهر  
دعيا في أيديهم لأن مرعرت غربة لك للمروعة عند  
الفرنسيين بالنعاف والظهور كانت مقبلة بها وتدرجت فيها بسلام  
أسمت الأمير جان تريستان ومي كثير ما يروى منها يانما لما

كانت تكبده من الآلام الجسدية والنفسية أن كاتبتها وهو شيخ في الثمانين كان وانفك بالليل صد سرورها للقيام بحراستها فاعتراها أرق شديد على أثر ما اتفاهها من الحلووف وقد استشعر الرجل بذلك فقال : « لا تخافى شيئا فاني يحولك » فصرمت اليه أن يادر ربي عتقها اذا وصل العنوا الى دمياط ودخلها صورة فأجذب سكرون : « ذلك ما فسكرت من قبل فيه غيطنق اذا بك »

على أن الصليبيين كانوا في مفاوضاتهم الأخيرة قد أخذوا على أنفسهم اللين أن يخلوا ذلك الموقع في اليوم التالي فلما شاع بين الأعيان هذا الخبر توحسوا خوفا ووقع في قلوبهم أن المسلمو المصريين سيحربوهم على تسليمهم للدينة للمصريين شر الجزاء ولكن أمرؤم يعتقدون أن الملك لويس التاسع سيد صل الصلح بها بأرقم من توقعه على هذه الصلح ولكن شيئا من ذلك لم يكن بل أمر الملك بالجللاء وقد أخلاها صيلا بدون أن يتكبد صعوبة واستقلت المنصحة وى صحبتها الأميرات والودوة وظهر والسكرتري دي بواتييه والسكرتري دارنوا التي كانت لا تزال في حداد على زوجها إحدى السفن المطورة . وما رغت الشمس حتى جاء الملك فسم اليوم جيوفروا دي سرجين مفتاح للدينة

ولم تكن قوسهم قد نابت الى السكون من القبط الذي أحدثه  
 بها انتشار الاشاعات الكاذبة في البلية المصيبة مما جرى الى  
 الصليبيين أنهم اغترموه من مواصلة الدفع الى النهاية فقادوا  
 المدينة انصوا من أهلها بأماكن القصور ثم أنكلها جزاً فلم يبق إلا أنهم  
 القرمجة ثم هدموا فيها بينهم مجلساً تفاوضوا فيه بلابة في أمر ملك  
 فرنسا وس من أيجور إغلا" بيديهم أم يادهم أحمين

قام من بين النفلومين خطيب متحمس فقال : يا آل  
 وقد لصنا على دمام الكفر من الحكمة والصواب فكل ملك القرمجة  
 وجميع أرا" جيت كى نصص لمر الزراعة الدائمة ونكفينا في  
 المستقبل شر هذه القارات وإذا نحن استطعنا أن نسلك دما"  
 ملوكنا في الوقت الملائم لنخلص منهم فلم لا نسلك دما" الأعداء  
 الأعداء ؟ به فكفينا أن نصص القرا أن نجد فيه ما يفر من علينا  
 بحارة أعداء البرين والقضا طيبهم جيداً

فهمض أمير من القناوة وقال : يا ليس عليك إلا أن نصص  
 القرفة القالية لتلك الآفة القرا به نقرأ فيها ما يوجب عليك الطاعة  
 لسلطانك والخضوع عليه عرسك على إنسان عينك على سلطاننا  
 قد مات وليس هو الآن من أهل هذه الدنيا وقد كان موته لازماً  
 لأمتنا وسلامتنا ولكن ما غالمة أعدائنا على ملك القرمجة

ورجاء الأبطال حلفاء القول الكبرى قديراً بأحسن أدا عن  
لوثكيب العالم لا سيما إذا اقترن بالحب والندى ولا يحفل اسم  
المالك مد ملى أقواء العالم وعرصة السب واللعن

وكان للسيحيون تد وعدوا بأن يدعوا ثمانين ألف نقطة  
ذهب من القند فيز نعى مدية لهم م رأى المالك من هذا وقال  
أن ليس من الحكمة التطوح فيها ذهب يذهبهم الى سرودة  
الفرقة من الجرائم الشنعاء ولا حظوا أيضاً أنه لما ينطق  
لكرم ويلوس مبدأ الأعدا بلطسى والقي إخراج اولئك  
الأمرى من القيد وليس معهم ما يسدون به الرشق غور عواطين  
شيث من الميز الناصح في الشمس ونص البيض اللون الظاهر  
بالألون العظيمة لأن يوم الأفراس منهم طاق يوم الجنة التالي  
لعيد الصمود

ومعد جلاء الفرنسيين بزمن رادى المالك إعلان الجهاد  
والرحب على فلسطين في طاب القريحة واحلامهم من هذه البلاد  
وحدث اتفاقاً أن شبت القارى أحد أحياء القاهرة وسرت منه  
الى ما ياوره من الأحياء حتى انتهت وأنت عليه فسرعان ملامهم  
السيحيون هذا الحادث كما عكفوا ينهون في روية على عهد  
الابراهور بدون بأنهم هم الذين أضرموا النار فيها حامدين



مسجونين - وكانوا على وشك السقوط في وعدة العذاب لهذا  
السبب وما كاد التغيير ينتشر في انتهاء اقتسام حتى صاح اهلها وصرخوا  
لواء الثورة فدمر اهل دمشق الكنائس و زادوا عياجا ما استقر  
في اخلاصهم من أن سلطان مصر لم يذهب ضحية قتلوا والحديد  
إلا لأنه ضد عدة مسيح اشياح للسبح فاقتم يبرس فاقته وحلته  
غرامة هذا الفياح لاشمال جذوة التعصب الهوى ونحوه الطريق  
لقتال . وذهب بنفسه الى القصرة فأحرق كنيسها وألقى الزوم  
والخنزق في البلاد الممتدة الى جبل تلوز وخرّب مدينة قيسرية  
ورجع العلم الاسلامي على الكنائس

وشهد زعيم المماليك رسل الأندلس ملك أراغون وغيره  
حكمتك أربابا وأولياء الامر في فلسطين وهم ينفرون اليه  
بالطاعة والتدلي فاعتقد في نفسه للتلو والفرقة وأنه من شدته لابس  
ومنتاة القوة بحيث يستطيع محاربة الرسل الأتية من ياقا الخلوحة  
تحت قوله . نحن لم نحقق للمهانة والذل بل الرصة والفرقة فاداسلنا  
للدوكوما حقيقا سلباء نصرا متيدا وأذا أمرنا فلاما حقيقا  
كبلنا بالأغلال منه الحب مقال كبير .

ولم يمت هذا التهديد ونشده . أوعده به من الوعيد تدفق بموجده  
على أراض طرابلس محرّبا وقلعها وقالا هدم أسوار مدينة مرسد

وحينما سلمت اليه وأقرت بالطاعة له أي أن يترك لحمة التماس  
مناصهم إلا ما كان عليهم من التياب على أن ذلك لم يكن إرضاء  
تخلص بعده ولم يطلب عليهم لما أجلبوه من التماس في دفعهم  
وما نزل من حمة الخذلان بهم فكيف ما القيود للقبيلة سبابة منهم  
ثم سلمهم جميعاً إلى حيث أتمنى على رعاهم بدون أن يرجع إلا  
والخدمة في حقهم إذ لم يأذن لهم شيء قبل الثروت سوى تبادل  
صلوات الروداع وكانت الليالي مفرقة فبانت أشعة القمر تطرح  
على تلك الجبلت الهامدة وداء من صونها الأبيض ليال متتابعة  
وشهد السلطان مظهرها للرحيب الذي يقدم القرح في القلوب  
فأجارت في نهاية موالاتها في القرب وإقامة الأسوار العالية حولها  
حتى لا يصر أحد ذلك الأثر السوء من آثار الانتقام والتمسش  
إلى سلك الدماء.

والجلمة فقد حرم المسيحيون في مصر الرحلة والأمن فيها  
كان الناس يعتقدون أن أولئك الهالكات الذين لا يعرفون الكتب  
والللال قد عافوا إلى مصر إذا بهم قد أوغلوا في بلاد الأدم  
وسانوها نحو بلاد الأسرى والأسلاب . وانهم ما كانوا يسلطون  
إلى ذلك القفر حتى سيطرت أسوارها البنية وحصونها إلى الأبرام  
كما تسقط الأوراق من الأشجار بعد يسها

وكان جوهيمد صاحب مدد التمر قد بحث اليهم حيناً وآن  
 من قبلهم بشأنهم من سبب حصولهم فكان جوابهم ما يأتي  
 « جشاً اليوم لحصد زروعناكم وسنأتي مرة أخرى للاستيلاء  
 على عاصمتكم » ثم تقدموا نحو ضفاف نهر الناس فاستولوا على  
 أطلالها ومشوا إلى الكونت صاحب طرابلس يقولون له ما  
 يأتي « كان الموت مدركاً للمحصولين من كل طريق وموابهم  
 في كل مكان فأنه قتلنا جميع من استقرت من الرجال لحراسة المدينة  
 وحصد غلوة الأعداء صبا ولو أنك وأيت فرسانك وقد دلتهم  
 غير لنا سنايكها وأقاليمك وقد جردت مما بها سلباً ونهباً  
 وغزائلك وقد وزن ما احتوته بالقطار ونساء وميتك وقد بيع  
 في سوق الدلالة وشار الكنائس وسلباتها وقد كسرت ونهشت  
 وممحات الأتميل وقد ذريت في الرياح وظهر البطولة وقد  
 دنت واحد لك السفين للهلك وقد وطأوا مقدسهم الطيبكل  
 وفيبحر أعلى درجته الكهنة واتعدوا لوسنة ونصودك المشدة وقد  
 اتهمنا القتل والقتل من دجلك وقد أسرمت جنهم ولباب  
 كنائس مبر بولس ومبر بطرس وقد أصبحت أملاً لا شكل  
 لها تبيت شفتك الصفر لوان المضطربان بآية - « أبقى كنت  
 نراها - متجشيت لك الهلاك العجيب »

لم يكن هذا التهديد وبالأسف مجرد الفاظ مرسومة  
 مضمها إلى جانب بعض فقد علم فيما بعد أن ستة عشر ألف جثة  
 قُتلت من المسيحيين قد أسهلت عليها الأعداء ومائة ألف  
 مسيحي قد سيقوا مصفدين بالأعداء الذين والاستعداد، ولم  
 ينتشر نأ هذه التكية فيما بلى البحار حتى ظهرت الجنوب من  
 بين الجنوب تانرا ولترأيت الأعناق للأخذ بالتأثر، وكان  
 رئيس لادقة صود وكبار أصحاب الرأي من طائفتي الميكنين  
 والاسبنايين قد أذاعوا في الغرب أنهن أقوام غداطين فاعلمت  
 الآراء في أوروبا نجاه هذه الحالة السيئة في ذلك البلد فرافقت  
 فيها كان بعضهم يرى أن من المطأ بل من الحق التعرض  
 بالمسيحيين في حين أن يسوع المسيح لا يتأولهم على أمر ما ويضا  
 كان البابا يصرف كل عنايته في بيع المعونة وإثارة الاحقاد عليه  
 في التعرض لهذا السبب صككت ألمانيا وبولونيا ومك بوهيميا  
 وملوكبر براندورج يوشون المذات لقتال الكاثوليك وبوسى شارول  
 ولجو ملك صقلية جماعة المالك بشعوب الشام لسيما، ولقد  
 جلوب سلطانهم على هذه الفرصة فرفله : ه بن المسيحيين ييشون  
 أنفسهم بأيديهم وإن الصغير منهم يقتض ما يرميه الكبرياء ويرأى  
 جراحيل فيما يرى العالم أن ملك فرنسا قد ارتدى بداء القسوس

أثناء إقامة الصلاة في الكنيسة عبر هذا الخمر بأنه قابل من  
سرب صليبة ون الزامه فانه لم يتصرف عبد القمع حتى عند  
المران الأهل للملكة ودخل لويس التاسع الجيو الكبير من  
تصر للوغر حمله يده الأكليل للشوك الذي كلل به المسيح  
وأسم لنيف من الأمراء والفرسان ومن بينهم جلف كوت  
بريطانيا والفرانس دي برين كوت (أو) عين الجهاد في سبيل  
الدين وحمل كل من تهبوت ملك الجار وأجبهه كوت شعبانيا  
وجاستون دي يلون والكونت دارنوا بن روبر الذي قتل  
بالصورة وكونتات فلاندر وسان بول ولا مارش وسواسون  
وأمره بمرور وسونغوراني شارة الجهاد وهي الصليب وقدم  
الجنود أسطولهم لنقل الرجال والأمتال وانفذ المص  
الأنكبرى في بونتيون فقرر تسيير القوات الى الشرق لقتال  
السلبيين وانظم في سلكها البرسان إندوار وإندورن والكونت  
وارويك والكونت عمروك وجان دي باول وملك ليرنفل  
وجاك ملك أرمون وفي شهر مارس سنة ١٢٧٠ سلم لويس  
لتاسع في كنيسة سان ديمس شارات الحج والظنون الى الشرق  
والتي بردهم مملكته الى أنطاب فرسا الزايرين وعديسها  
المنطين وفي اليوم التالي قصد الى كنيسة نوردام البارسية

حلق القدمين خشوعاً ونجراً وكانت القبة الثالثة في صدر الدواع  
وكان الدواع الذي لم ير من بعده الخوطة القرمي

وكتب لويس التاسع إلى الاثنين مقالته في إدارة شؤون  
البلاد وحما مائير والعب سار دنيس وسيمون مولى نسل بعثت  
نظرها إلى الاحتياط بالآداب والحكمة وإتقان الأمة من الأحكام  
الجزيرة ووجهاً منها للعتبة العظيمة أثناء غيابه بالمرضى والموردين  
ثم سار في ميبله قاصداً الجهاد في سبيل الدين

اجتاز الجيش للبحر خليج تونس ثم نزل إلى القبر متأهلاً  
لقتال على شواطئها وكانت تونس يومئذ في حيرة وشدة فزعاً يبر  
في كوند القس المتوط به الصلاة بذلك أمراً على الجيش مضاً  
القتال للاستيلاء على تلك المدينة مستهلاً إياه بالجملة الآتية  
« أمراً عليكم أمر سيدنا يسوع المسيح ولويس التاسع ملك فرنسا  
مساعده » وبعد قتالوة صعبت انقيام وحفرت الخنادق وأقيمت  
الاستحكامات ثم للملك الاستيلاء على المرسي وذهب جماعة  
بحري لوضع العلم للملك القرمي على حصن قرطاجنة

وكان لويس التاسع كثيراً ما يقول إنه ليحزنه أن يضي  
البقية الباقية من حياته في غيايب السجن حيث لا يرى الشمس  
شامخة إذا استطاع في مقابل ذلك أن يحول التوفيقين وأسيرهم

من حقيقة الأسلامية الى الحقيقة المسيحية . وقد دعا الأمير الى  
ذلك مرّة عليه في كتاب بأنه سيصدر إليه في مائة ألف مقاتل  
ليأخذه للصمود في ميدان القتال . ووردت من الملك رسائل  
تعلن اتخاذ الأمة لرحيل عن تونس تفريراً لحاصد الصليبيين  
وكانت المنطقة التي نزل الأورنج بها لا تطاق حرارتها  
الحرية . وكانت رياح السموم لا تزال تهب بقوة شديدة وشعر  
المجود يقص في الزمن أمدى جسم الى تكبد الطرمان عشت  
ينهم الأونة الحنيفة ككل وسطاراً والطامون وكثير عدد الموتى  
بهدي الدارين حتى استلأت بحشمتهم المباحق ولم تعد كلفة لمزاجها  
وأصيب الملك نفسه بالحمى وبقي من الشفاء بها فقصب أمه  
صلياً وأخذ يسطر على محو ما رجا مبهلاً وقرب به حياء  
استندت وطاة للرضي ولي عهد عيسى فأخذ يريض عليه أنوار  
التعاليم المسنة والبادي المسيحية فأعنى عيسى بها وكلف  
لويس لا يكف عن ذكر يسوع المسيح والملائكة تشبه والاستعداد  
سائق دنيس والباس مرنه وأأيده لحيشته الذي سيصبح من  
بند كاليهم وشخص بهد فقام ممن حوله ثم طلب أن يسطر  
حسبه ويومع على سرور الموت عند أن يسمع بدي على مسدود  
ودرج يديه الى السماء قل : « مولاي : سأدخل دارك وأبعدك

في هيكلك القدس ، وفي مثل الساعة التي ملب فيها المسيح  
أنهض لك عبدي وأسلم الروح الى يديها .

وبعد حجة معارك شب ضرامها حول بحيرة تونس عقدت  
هدنة عشر سنوات بين العربجة والهنوسيين فانطاط سلطان  
مصر وكاث مولاي المنصور صاحب تونس عو الذي يوافيه  
بالأسلحة الجديدة والخيول الكريمة والنفود الشجعان أما ولده  
عقدت الهدنة فقد توقع أن لا يبعده بها بعد شيء من ذلك وأن  
يأخذ الصليبيون منهم الى مصر لشفاء عيولهم وإعطاء حراوات  
لحوسهم ضد سلطانها وأمتها وقد صدق المالك في حنهم  
إذ هبط أرض الشام سنة الآف صليبي فرفضوا وإنهم على  
أسوار القاهرة وانظروا جميع سكانها المسلمين ليكفروا عما اقترنوه  
من جرعة عدم الكيسة التي شيدت القندراء

وما نرى بأحد هذه الدفعة الى المسلمين حتى عبوا للانتقام  
فدعوا الى طرابلس الشام سبعة آلاف صليبي ودمروا كل ما بها  
من الأبراج والحصون والبقاى والقصور وزلزلت مدينة عكا  
عاصمة المستعمرات المسيحية في الشام بل لطيفة الزهره التي كان  
أمرؤها يشبهون كالكوكب مكللة جاماتهم بأكاليل الذهب جعل  
ستين آله من الجانيق ورأى أهلها شيخ المالك يقتلهم نمر



القدية على تحراف الطبول التي كان يحملها ثلاثمائة رجل حتى إذا  
 دنوا منها ملأوا الخنادق بإشارة من زعيمهم بأجسام الأحياء من  
 المسيحيين ليضطجع فرأهم الرزق عليها والوصول بواسطتها إلى  
 الأسوار وروى ذلك عليهم حتى كثر موت فائقى منهم - أنه في  
 القصة ضد مائتي ألف من أولئك الكفار وضيق عليهم فلم يبقوا  
 لأن غولام القدر وصلوا أشبه بالسماع لقواما دافعها القذاب  
 وذهب الخاسر في خمس طريرك أودعهم فأتى إلى الله داعياً -  
 « إلهي أتم عونا سياساً من عابثك الأهمية لا يقدر أحد على  
 اختراقه » وسمى وطيس القتال فكان المسيحيون يستنبطون  
 من سبه يسوع المسيح كما كان المالبك يستمدون محمد وخيل  
 لأعدائنا سب ما كلف في أقدتهم من الرعب أن كل رجل منا  
 رجلان وأن كل مفائل يموت بطهاتهم لا يثبت أن ينهض من  
 دونه أشد بأشأ وأمرى مرأساً منه قبل أن يمتدح ولكن لم  
 يثبت المسلمون أن غلوا بكفرتهم فأخذت أسكر القديسة كلير  
 يشوعن أندامعن تبة عبت الظافرون بين واقفون على هذا  
 القتل بأجل دن التراجيس إشمارا بالبدية في تنفيذ وفي الواقع  
 فأنهم ما سمعن دقاتها حتى تناولوا الأسلحة القاطعة وشروع بها  
 وجرعهن وأندامعن قال أحد المؤرخين المسيحيين « وكان

مرادهم الاعتماد بأهل سيرهم بسبب هذا التشويه لتمام الزواج  
 المبكّر أجلّ منهن هذه ، وعدّ بالألوف ومئات الألوف  
 الجنود المسيحيون الذين ماتوا قتل في تلك المعركة حتى أنه كان  
 من يشتدّ مراحل الكفاح من مبدأها إلى انتهائها لا يسير إلا على  
 كنبرة من جثث القتلى

•••

تلك كانت مطرقة القرنين مع مصر في المصور الوسطى .  
 وتلك كانت خلافتهم بها المرة الأولى فإذا كنا قد تناولنا وإياها  
 وقتها واحقين سنوفًا شاهرين سبقوا عليهم تقابل مصالحهم  
 بالأبدى متصانين بالأشدّة تطلب شرقًا إلى شدّ أربعها والأشدّ  
 ناصرهم الملتقى على السير في دليل التقدم والحضارة وما من  
 جندي من حدودها الذي يتقدم إليها الآن إلا ويستردّها له  
 العسكري الصانع بآثاره والعالم الصليبي والفني الخادق ويستحيل  
 سلاحه إلى أداة من أدوات البطل الصانع للفتح فهدم التدمير  
 والتخريب الملازمة له ملازمة الظل للشمس لا أبصر من أن يتحول  
 إلى أداة حراقة أو صناعة ومثل هذه الأدوات إنما تقوم أكثر  
 من مرّات أو استوليا على بلد وتفتدناه مستعمرة لنا  
 تحيل القاري بما سبق الإطام إليه من تاريخ الحروب الصليبية

و مصر لن هذا العمل المطير جئت به فيها لصايب ومعضنه  
 الثواب وأن الذين أدلوا به أسمائهم المصدة للقال من من الله و  
 انما قد سقطوا في فاعش غلطاً لأن الصليبيين لم يسودوا الى  
 أوطانهم ولحقين كالتنظر للرجو ولها ان الانتصار بل بساط الرحمة  
 للشعر بوقاة ملكهم ومع اسم كانوا حينها ملوك لا جأفت منهم جيش  
 جدير بهذا الوصف بل قول جيش دائر يصحبها أمير كان يعمل  
 على كسبه جنة والله ليوارها للتراب في للوضع اللاتق بها أن  
 تولى به . وانما الموقوف به ان ذلك لملك القديس الذي كان في  
 الأيام الأخيرة من حياته يشكو مضى القتل والانتحار لا بد  
 أن يكون قد أرماء في قبره ليام جندي عظيم ويطلق كرم صد  
 وقته بغير حماية عام بالأخذ بأمره من أولئك الذين جرحوه  
 كأس الذلة وأفسوه على الانتكاس

ولما ماتت شمس الشرق الحسن عشر الى القليب كان الجنود  
 القرفسيون يرمون بقشيد الرسيليز في سواحل مصر التي كان  
 أجدادهم يرمون بها بأناشيد الصليبيين قبل ذلك بمرحبة عام  
 وأتمت لهم الظروف مرة أخرى مباركة الملائكة في ميادين القتال  
 وهم الذين سموافى الحياة بين النفيين من حامد الاتصال ومقايح  
 القتال مسطروا لأفهم بذلك تاريخاً فذا بين تولى أسم الأرض

شهد ما فيها تقدم لنا لإرادة من سيرتهم أنهم بد أن لتلوا  
مولام شر عتلة تركوا جنته حرمة للطيور الجارحة على صفى  
الليل فذكر الآن نكسا متفرقة من شرووم ومفاسدم وعينهم  
ليان مقدار ما ألقوا بمصر أثناء حكمهم من الأضرار ونقول إنهم  
بعد إسقاطهم آخر السلاطين الأيوبيين وهو السلطان توران شاه  
ابن السلطان نجم الدين أيوب - يقدم الهى اشتراكم على ورب  
نستهم ووالهم من أسفل الموك إلى أعلى الدرج وطلبهم السيوف  
والنابير وأشأم من القدم استولوا على أومة الأحكام وحلوا فيها  
على ساداتهم النظام وعرفوا أن التاريخ بوصف العزة لأن السلطان  
نجم الدين عهد إليهم بحراسة الحصون التى على البحر وما استمر  
لم الحكم حتى تبورت أنظمتهم من شكلها اللزوف على عهد  
الأيوبيين إلى شكل آخر أصبحت فيه أقرب ما يكون إلى  
الاستبداد للطلق الذى يولى سوائه خلا من الأسارب الجمهورى  
فقد كان لارجم سهم الحق فى إعلان الحرب وإرام الصلح بشرط  
الرجوع إلى رأى مجلس كبير يحقد لذلك المرض . وكان مما يدخل  
فى دائرة اختصاصه أيضا تعيين الزود والسناء والولاة ونوايا  
المند ما دام لا يصدى اختياره طائفة الإليكة فى تخليدهم هذه  
للناسب فالأمة فى نظره لم تكن شيئا مذكورا ولكنهم كانوا

مع تلك يحسبون لها حساباً لا يحتاجهم الى مشايعة للتدريس  
والثاني من أهم دعائهم ومن القريب أنه لم ينس من الممالك  
بعد استقلالهم البلاد من أيدي الأيوبيين من أحد برمام  
السلطنة وجعل نفسه رأس الأسرة المملوكية وإنما بدت هذه  
الأسرة بالمرأة كانت منهم من اشتروا بأموال السلطان نجم  
الدين ألا وهي السلطنة المروقة في التاريخ باسم شجرة الحديد  
سبق لمرآن قبض على دفة شؤونها فساء ككثير ما ترقوى  
التاريخ عنهن أن حب القدر لم يسلب منهن على حب الظفر أما شجرة  
الحديد فلا تورد عنها أنها كانت من حمة الحيلة في قضاء شهواتها بحيث  
أشتهت إريك القركاني الماشتكير الصالح إلى محبتها ودمت له  
الفرج بها بعد أن استخلص السلطنة من أيدي آخر السلاطين  
الأيوبيين وهو ابن أسد الله السلطان الصالح نجم الدين أيوب ثم  
نصبها سلطنة وخط لها بالسلطنة ودعا لها على التاريخ باسم  
«الشمسية الصالحية ملكة للسلي» وأم الملك المنصور خليل  
وتولى هو الامانة أي مقاليد الأحكام ولكنه لم يلبث أن مل  
منازعتها مظهر أمير له وصراعه لامرأة يحبها (وهي ابنة بنو الدين  
لؤلؤ صاحب الموصل) وهي فيها أنه غطبها فتمركت فيها هو مل  
القيرة وتطلب سيرها بغير ما كان يزاد كل يوم صعدوا كوكبا

منها. وقد حاولت أن نأخذ به إلى فاجئنا بالكلية والاستمطار حتى إذا  
 قصرت هذه الحيلة من تحقيق أميتي حدثت لي نكباته بالصكبل به  
 وذلك أنها بعد أن غابت في الظلام حنة من الطولانية  
 البيض استوحيت القتركاني بما أظهرته له من التردد والنطم  
 ونكسته من الانسحاب إلى مناسباتها في السير نحو ذلك المكان الذي  
 لم يمكنه بدونه حتى يرد له أولئك الخصيان من مكنتهم وأرادوا  
 به القتر فربما وتضرع الأبحسوه مصر ولكن ما كان له أن يسع  
 هؤلاء الصم القماء وهم للأحورون على قله من إصباته مصدرة  
 بحب الانقيام . لهذا اتقصوا عليه وحضوه شلى عاتيه بينما كانوا  
 يحفرون سيفتهم من السرعه فالتين لها أنها لن تقل تشكلهم  
 ونظما . وما القتر فربما جرحتهم حتى اسلقوا من هودم يلطمون  
 على للأ أن مات على أثر إصابة خيالية برص عادي

وفي ليلة الحادث عسا استدعت شجرة القواليا الأمير  
 سيف الدين قلز من محاليتك روجها للمز إيلك القتركاني وعرضت  
 عليه مشاطرة زباجا حياتها وتلجها وكات وقتد أشد ما يكون  
 شعورا بالحاجة إلى دكن تأوي إليه وكات وهي نبادته بهذا  
 الاقتراح واسعة قلمبيا على حنة روحها التي لم تكن أعزتها  
 البرودة بعددما شهد سيف الدين قلز منها هذا السكون الرهيب

وعدم الهلاء ما القوت من إثم كبير ورأى بسببه أن الأريكة  
التي ينس من الخلوس على جانب سها مملوطة بالدماء تولاه  
لمرح شديد فراجع مستكراً ومشتتماً . وهرعت الأريكة بعد  
انصرافه من حصرتها على اثنين آخرين من مماليك زوجها فكان  
منها ما كان من سيف الذين استكروا واستبشاهما

وما طلعت شمس اليوم التالي حتى كلف أهل القاهرة  
جدالون أنبا" ماوح من الحادث الجلل في الليلة الخامسة على أثر  
ما أقامه الرشيدون الثلاثة عقب انصرافهم من حصرة الملكة  
حاتين باقين . وحشد نور الدين على بن الملك المرز إريك  
من روجه الأول فرمى أسهم مماليك والدم فبعد أن فبس بواسطتهم  
على شجرة القبر أسلمها إلى والدهم فكتفت فيها حجوم خضعا وانقاسها  
عذفتها هذه إلى جولوبها للثلاثي انهل عليها ضرباً بضائيقهن حتى  
ماتت وألغس بجثتها في حنادق الجرج ولم تدفن إلا بعد ثلاثة أيام  
من انقاسها عارية في القراء

وعلى أثر هذا الحادث أمم نور الدين على بن المرز إريك في  
السلطة ولقب بالمصور وكان في الخامسة عشرة من عمره نظمه  
سيف الذين تعمر الذي كان مرباه في الأتابكية ثم قتله وجلس  
على أريكة السلطة مكانه على أن هذه التجربة لم تثبت أن جوزي

مقتربها بما يستحقه من القناب فقد حدث أن لفرسان كانوا يترقبون ذات يوم في كوكبة من حرس القرمسان إذا بأوف لآخ لاختلوا من حصره فالتفتي السلطان أثره فلم يدركه وأمن في ملاحقته حتى إذا لحظ أنه قد ابتعد عن القناب الدائرة إلى صحراء متوالية الاطراف لوى بسان جواده فليد العود إلى فرسانه . وكان يبرس أحد هؤلاء القرمسان قد انفصل عنهم متجها نحو السلطان ومبيداه إليه فوقع في وحه أنه يريد ثم يده شكر أنه بتأسبه إعداته إنه حديثا جارية تركمانية جميلة الطينة وقد لم ير بأسا من أن يبد إليه يده التي تناولها يبرس يمينه وأخذ يضعها صفا شديدا ويحبسها إليه بينما كان يده الأخرى يطلعه يسكن الطينة التي قضت عليه وعلى الأثر تواروا الامراء تباعا لمعاونة يبرس على التمام للهمة الموكولة إليه لأنه كان ثمة مؤامرة على قتل سيف الدين قطز الذي زلده بضفا في نفوس المماليك انه من سلالة ملكية وإن همه كان صاحب خوارزم تخلفه ملك القتل من مرته

عاد يبرس مضرج الكياب بدم مولاه سيف الدين قطز إلى جيش المماليك في الصالطية وأسير الأميرك بولاقه فسأله :  
— ومن أنتي هذه ؟ ( كما لو أن كل سلطان لمصر لا ينبغي له أن يموت في فراشه )



فأجيب بيرس .

أنا

تعالى الأنا بلغة

— عليك بدأ باستلام مقاليد السلطة

هذه المحاورة على نصرها وبساطتها تدل الدلالة الواضحة على كنه الأسلوب الذي كان يجمع بمقتضاه التعبير في أحوال الناس والأشياء . على أن الجاني الذي كان يحسكافاً دواماً بلطول محل فيسته في أريكة تلك كنيها ما كان يدان غا داس غيره به حتى أصبح من الحقائق الثابتة أن نسل صرجات السلطة في مصر عنوان للاتصال من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى

نعم بيرس بأعياء الحكم فكان في الحروب بطلا متوارا فيضمم الأخطار والمصائب مستهترا ويحذرف بنفسه حتى لقد كان جوده يفرعون من أحله خيفة أن يثاله مكروه . وكان في السلم ندى السكبي بالمطايا والشمع شفوفا على القراء . فثبت الحياة مرة فامر بأن توزع عليهم يوميا كل حاجتهم للنفاء وتقع أهرام السلطة وهرق عليهم ما كانت تحتويه من التلال فلم تلبث الحياة أن حل محلها الرغاء . وهو الذي أعاد بناء دمياط بمسده تديرها وضيق مدخل بونغازها وأعاد الخبز الذي كان ينلق به

تفرحها دون السفن ودم أسوار الاسكندرية وحصونها وأطم  
برشيد متارة لأمناعة طريق السفن إليها في الليل . وبالجملة فقد  
كانت آكلو صلواتهم كرمه وأعماله الثالثة باقية في كل مكان وما تخرج  
حياته الا تخرج حياة للممالك جميعا فيها يميزها من آكلت البطولة  
والكرم

ومن ملاحرم هي لا ينبغي ان ينسط غنمهم بتسكركها  
كثرة البلبل وإيزال السطبة ومن آكلت كرمهم ورجهم حتى  
بالطوبالت أنهم جعلوا بأعلى قباب المساجد آية واحدة حكما  
يضعون فيها الطوب لتفاد الطيور وكان عهد أبو القعب من  
منأخرى للممالك كثير الفل وما كنى بهند الكنية إلا لأن  
القعب كان يسيل من يده كما يسيل غدبر الماء

أما للممالك البحرية وسمراتك نسبة للأبراج التي كانوا  
يحتلونها للنفوذ فيها عن حى البلاد فهم الذين ظفروا بى السلطة  
للممالك البحرية بعد أن تصرا على دولتهم في سنة ٧٨٥ الهجرية  
وفي عهد كاي عهد هؤلاء كانت الكلمة العليا والقول الفصل  
والثأا المصدق لقوة السيف للسلط لا لقوة الحق فلا محجب إذا  
كانت مينة حوادث الدولة في ألبهم حيثما في أيام اسلافهم  
وهي الدم السوءك . فإن السعدان من سلاطينهم كان يرفع عماد

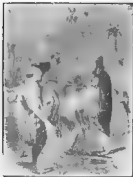
حاوله على تخدير الكفايد ونصب التيك لقتل سفته ثم لا يلبث أن  
يخنى عليه غطفه بمثل ما جرى هر على غيره حتى قتل أحد مؤرخيهم  
متجساً بمآل دولهم أنه سيكون كآل دولة المماليك البحرية  
حلوا لقتل بالقتل

وفي الواقع فإن سلباً الأول سلطان السنايين اسولى على  
مصر في سنة ١٥١٧ الموافقة لسنة ٩٢٣ هجرية فاكاد يقين على  
سلطانها طومان بك حتى سلبه على أحد أبواب القاهرة للعرش  
يلب زوجه إعلاما للبلاد بالذكور دولة المماليك بموت هذا السلطان  
الاخير من سلاطينهم . ومنذ تلك السنة عهد بحكومة مصر من  
الوجهة الرئيسة للسادة إلى الباشا أى الوالى الذى كان ينفذه  
الباب العالي من الاستانة العلية وعهد بالأدارة القرعية للأقاليم  
الاصرية إلى أربعة وعشرين من الزملاء للمماليك أو الساجين الذين  
كان لهم من السلطان والنعوذ والشوكة ما يمدد بل ويتجاوز ما كان  
لأولئك الولايات السنايين منها . فسادت التمرضى بهذا الظلم  
الذى أحربه لن يدعى بالاحتلال وهم الفساد وتعصف أولئك  
المماليك بالشؤون على مقتضى شواهم فكانوا لا يحسم القصور  
وأغلبوا بها العروش . وكان لذا لوتى أسر أولئك السنايين إلى  
مشيخة البلد وارتأى علم الباشا الوالى عقد الميزان وأخذ من

أعني أنه إنزلوا بذلك وعدتد يذهب رسول في ثياب سوداء  
وتقدم نحو الباشا حاملا الأمر بخلقه فيبد أن يقوم بفرانض  
الاحترام له بخطابه بقوله « إنزل يا باشا » « فلا يجد الباشا متاعيا  
من جمع متاعه فأهيا القصر الى الاستراحة في مهلة من الزمن لا  
تزيد على اربع وعشرين ساعة

وفي سنة ١٧٦٦ وعت بسبب ذلك الاختلال الروابط بين  
الاستراحة والقاهرة الى حد جعل على ملك يرفض أداء الجزية  
الربوطة على مصر غزاة الباب الدال ويضرب التتود بسكة  
ويطرد الزلي الدين من قبل القولة وينادي بنصب سلطانا على  
مصر بأنزل من شريف مكة

وفي مساء القرن الثامن عشر وصل اثنان من الزالك وعما  
مراد بك وإبراهيم بك من الطريق القالوفة - طريق القتل - الى  
الولاية على شؤون مصر بعد أن التسلحا بها فيها وكان القصب  
بنوه بأعباء التزع الذي لم ينشب ان شجر بينهما وأخذ الباب  
التيال يذكر طوء ونسخت أسرار البلاد فسطريت الزداعة وقتت  
لخطرايين وانتشرت الحمايات وتولت المروب بين الاعزاز  
ووضعت القرض العادحة من الاموال على الأهلين ظلما وجورا  
وصعدت تجارات الأ جانب وزاد بيع البصكورات واستهزرم



بعد الفرحة بفتح موسم الفرح

بالمول الأحمية حتى أعلو النعم العرسى فلم يسع القمصل لأول  
 البصيرة (أى ناوليون) إلا أن صاح ناصح ع من قبل  
 الكوشال ريموى يشيه أمام فارسكور ، ثم الله ، هموا  
 الى الامام أيا الرقاق ، عن تسليح فرسا الصبر على هذه  
 الاهانت ، ثم عبر البحار فأسقطوه من كارع وأصلح  
 فلدخل الآن في هذا المورد الجديد



# مِصْرُ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ

## الكتاب الاول

حياة الجمهورية الفرنسية على مصر

من سنة ١٧٩٨ - ١٨٠١

كان القرن التاسع عشر على وشك الانهيار حينما انفتحت  
سفن الحرب الفرنسية مراسيها في المياه المصرية وأخذت ذوارقها  
تحمّل الخمد الى البحر فلا تكاد تهدعها حتى تلعّب الريح بها  
لعب الصوامج بالألكر وتتقاذفها بالأمواج التي كانت تهب من الصخور  
للشعبة على الساحل أوسا لا تذهب بصدورها وتلتأثر هباء  
في هذا الوقت نفسه بدت لا تظار الفرنسيين على الأفق البعيد  
أشعة سفن أخرى متوجهة نحو حواشيها خيفة ان يجمع في وحيهم  
أنها سفن الاسطول البريطاني - وأقصى - وبنايت القرن الاول  
في حياته يصدوى الاعتقاد القضاة والقدر وهي الامة التي لم  
يشع من داتها التي بنية مرعفاً عما تطلع ذلك للرأي واستشرقه

هيبة حتى عث بنفسه القتل وساح . « أيها الخط ملوحن أبعد  
أن لزلتني عندك وأعطيني بها أمني تمتد عجري وتقتل من  
مساعدتي » ثم كانه سمع صوتاً منبهاً من صدور الجند صرعه  
يقول : « لا تخف فليس ذلك الاسطول البريطاني وإنما هو بعض  
الفرقاطات الفرنسية أثبتت من ماله التي اقترسها بلبك القتيبة  
لتنضم الى اسطول الحجة ، هذا كل ما في الامر . والواجب أن  
نحرم الآف على الوقت فلا تخف بالساحل يوماً واحداً بل  
واصل السير الى الاسكندرية » فامرس في شبه على هذا  
الرأي للسؤال من وسائل النقل الى ذلك الثغر . فسمع كأن  
هاتماً يقول له : « « الوسائل انما هي « فاصبنا المدججة وتوفا  
الشديدة « فاخترض ثابكاً ومدفع الحصار آنحصر المدينة بطلونها  
على له ان أحداً يخلو به » ذلك بالسلام يعني عنها تسلف بها  
الاسوار ونحتل المبلطه

وحفاظاً الى الاسكندرية ولزلة بعد الاسكندرية الاحصير  
وحدة اسمه لم تلبث ان سقطت في حوزة لواء الحجة الفرنسية  
بعد أن قتل من وحلفاء الفرنسيون نفساً بحيث جثهم حول عمود  
جوبيوس ( عمود السوازي ) الذي تحلى بلبائهم صلماً طبعهم  
أجمعين وإكبلوا كرام لظافة على مر الأيام والسنين وحدها



ونساء على قائم التي يكافؤ للمصلا على منظم ولو كانوا في  
بطون الأرض مدفونين

دخل القائد الفرنسي للديانة الكبرى فكان أول من  
أن استقر بها أن تشر على أعلي المشور الآتي بالغة العربية  
« بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك له  
في ملكه » من طرف الفرنسية التي على أساس الحرية والسيادة  
المرعكة الكبير أمير الحياوش الفرنسية يوم الجمعة يهرب اعلى  
مصر جميعا لأن من رماى مدبره الصالح الذين ينسلطون في البلاد  
المصرية ينسلطون بالكل والاحتفال في حق للفرنسيون وينظفون  
محلها بأنواع الأذى والتمسك خصرت الآن سادة ضربتهم  
وأحرقت من مدة عصور طويلة هذه المرة للهابيك المجنوبين من  
بلاد الألبان والبراكسة يفسدون في التعليم لحسن الاحس  
الذي لا يوجد له نظير في كرة الأرض كلها ، لما راب التاليين  
القائد على كل شي ، فانه قد حكم على انضمام دولتهم ، بأنها  
المصريون قد قبل لكم اني ما زلت بهذا الطرف لا قصد ازالة  
دعكم فذلك كذب صريح ولا قصد فوه وقررو للفقير اني ما  
قدمت اليكم الا لا غش حاكم من أيدي الظالمين وأني أكثر من  
الهابيك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم به والقرآن العظيم

وقولوا لهم أيضاً إن جميع اناس مفسدون عند الله وإن الشيء  
الذى يفرحهم من بعضهم هو القتل والتعاقب والعلوم فقط وبين  
الملك والقتل والتعاقب تضروب . فإذا يميز من غيرهم حتى  
يستوجبوا أن يتكفوا . مصر وعدم واختصوا بكل شيء أحسن  
لها من الجوارى الحسان والطيب المتأق والساكن المفرحة فإن  
كانت الأرض المصرية التزاماً للمالك طيرونا الحجة التي كتبها  
الله لهم ولكن رب العالمين رؤوف وعادل وحليم ولكن يسوء  
تمالي من الآن فساداً لا يأس أحسن أهل مصر عن الدخول  
في التناصب السامية ومن اكتسب الراتب المالية بالعام والتمتلاء  
والتمتلاء بينهم سيدبرون الأمور وبذلك يصلح حال الأمة كلها  
وسأعاقب في الأوامر المصرية للندن النطبة والخليجان الواسعة  
والشجر المتكاثر وما أول ذلك كله إلا الظلم والطغ من الممالك  
أبها المشائخ والقضاء والأئمة والبرجية وأعيان البلد تحولوا لكم  
إن القرفسوة هم أبداً مفسدون عظمون وإثبات ذلك أنهم قد  
زلوا في رومية الكبرى وغربوا فيها كرسى البابا الذي كان دائماً  
يبحث القصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة  
وطردوا منها الكوارثية الذين كانوا يرعون إن الله تعالى يطلب  
منهم مقاتلة المسلمين . ومع ذلك فالقرفسوة في كل وقت من



وبنت بعدئذ أوصاف الحكومة العسكرية في الاسكندرية  
 جبل الخيال كثير قائداً طامعاً وكان قد أصيب بحرج خلال  
 راحة الاستيلاء عليها ثم أوصلت شعبة الهند في البلاد لتحقيق  
 معنى النبوة التي قضت بأن يرتبط خطا بر مصر بحفظ عاصمتها  
 فلا يتيسر فتحه والأخذ بأطرافه فلم يتقدم ذلك فتح العاصمة ولها  
 أيمن ونايرت بهذه الحقيقة غير دفاعة الجنود إلى القاهرة  
 على خط مستقيم وقد وصفت هذا السير بما يأتي ٥٠ نحننا تلك  
 لليلة ليلة الخميس (١) واليوم التالي ليلة النوجا (٢) ثم يركب  
 فيطلس (٣) وأمر ونايرت وبالله ان يحترقوا فياني ليلة

الليلة الثالثة من كل سنة من المسكر المرسى وما لم يصب منجى السطوح  
 القائل فيها عام يلق.

الليلة الرابعة من الساتع في كل بلد يمشون خلا جميع الأديان واليهود واللات  
 التي لهم الممارك وجميع الأديان التي لا يسمون في غير ما  
 سادس الممارك من الترميد على الساتع وانما والحصار والامانة انهم بالأمم  
 وطامع وعلى كل أحد من اعدائهم ان يمشي في سلكه حاشية وكيفية يصغرون الصلاة  
 قائم في الجوامع على الصلاة والمريون لا يصبر ينس ان يشكروا الله سبحانه وتعالى  
 لا يخلو دولة الممالك تالين صوب على اذنه السطوح القائل انما الله اجل  
 المسكر المرسى من اعدائهم والاطلع على اعدائهم المرسى ٢  
 جوارا بمسكر المسكر في ١٢ شهر مسكور سنة ١١١٢ من اعدائهم المرسى

المرسى من في آخر شهر من شهر انتهى بحرقه

(١) احدى القرون مركز كبر القرون الآن

(٢) احدى القرون مركز كبر القرون الآن

(٣) مركز كبر القرون الآن

الجراد وورس لم الراحل كانوا كان المراد ان يسروا في الحصول  
 على صيقات النياس الناصرة محتلة بروغانس الهرسية ، ولقد  
 كانت الشمس تضيء لهم الطريق وترشدنهم الى قصد السبيل إلا  
 أنها لم تشرح صدورهم بأشعتها الباطنة الصرفة ، لأنهم كانوا من  
 مساكين بشرى كأنهم يمشون على حمم من نار وكان الدم يقطر  
 من أقدامهم وملابسهم الصوفية تضيق أحشاهم ولم يكن ما  
 حلوه من البرية معهم لتذائهم مقدراً لا لأرضه أليم فقط مع أن  
 جلمهم إذا لم يكن كلهم وأى يادى فنى يده ان يخلص من هذا  
 الزاد بطرحه على الأرض غلامهم أنه أصبح حلاً ثقيلاً على  
 عواتهم ولا فائدة منه بعد أن لم يبق شئ في كرب الوصول  
 الى القرض المقصود وفي إسكان الموصول عند كل مرحلة على  
 ما يلزم من التمدد والقاء ولكن غيب الوجه هذا القائل لأن  
 مصر لم تكن بلبله الذى يكرم مشى التريب إكرام للبلاد  
 الأوروبية له

حز الجوع أحشاهم وجفف العطش حلوقهم عدلوا منها  
 الأمرين وماتوا ما لا يطاق من الآلام وكانوا حكاماً مدوا  
 بأنصارهم الى الأمام شهدوا فيها يترامى لهم الزواجات النساء  
 ومحبوبات اللذات ولكنهم كانوا كلما اقتربوا منها على أمل سد

للسمية والفساد أولو العيش كانت تلك الرائي السراية نمر  
منهم بقدر ما دوا منها ولم يكن ما هو أنظاوم من تلك  
للرائي البشرية بالفرج بعد الصيق الا نتيجة انعكاس  
لنضوء ذلك الانعكاس الذي هو منشأ السراب . وأليت  
للمعربات والآلام وافقت عند هذا الحقة فقد كان مرجوا أن  
يجد أولئك الجنود في القبل الراحة من عناء القتال ، ولكن حاد  
رجلهم إذ نضوء في تحمل البرد الشديد الذي كانوا يشعرون كأنه  
يخمد مفاسلهم وهذه أرواكتهم . وكان اختلاف الجو على هذا الحال  
من أم يواحد إصابتهم بمختلف الأمراض الرمدية على أن  
أولئك الجنود لم يمسوا أنفسهم بمقاتلتهم تلك الآلام ومكابرتهم  
تلك المعربات ما حملت به الأمة الفرنسية من حب للطايفة  
والباسطة فانهم كانوا لا تمر عليهم لحظة بلا صحك أو مزح أو  
غله فكان لهم بذلك السلوان عما كان يصيبهم من الآلام  
والاحزان . وكان البص منهم في مزحهم يتنون أنفسهم بالتهاب  
بما ال مسكة لبروا فيها غير محمد مطلقا في الهواء يجذب سحر  
المتاحيس فكانوا لم على كدم وجدهم كما كان عبرهم يطعمون ال  
أن يكون أصيبهم من النتيجة تلك النسالة البيضاء التي قيل ان  
مراد بك فر عليها بما خلف حله وفلانته من الاموال والنفاس

أو إمرز المعص من ساء ذلك الترميم العظيم  
ومما يحسن إرثه قسوته بأرمية القرسيين وجبه  
الإنسانية ومبادئهم بالإسفاف والتجدة أن رئيس المراحين  
(الآزى) كان يحبل معه نفسه التي "البسير من شراب العرق"  
فما هله من أسرارها ما شهد وأيضاً أن العطش يكاد يوردهم  
مولود الطلائع طفق يفتق صمغهم ليعزج عليهم ذلك الشراب  
الكاسر لحمة العطش وكان الكثيرون منهم في حشرة اللوت  
قد لم ينشب اللوت أغلظه فيهم فادلك إلا بتأثير هذا الشراب  
وطغل إظهار صاحبه وملاءه على نفسه

واكتفت طليعة الجيش القرسى على مقربة من أبيه  
بمرأة سملت ميثاها وغلها غلام صغير وكانت تلتصق حافة بئر  
نحسا يديها تطفيء عائلها نار عطشها فلما سألها العساكر عن  
أمرها وسبب سمل عيها أجابت بأن زوجها أخذته رصة في  
أمرها فقتل بها هذا الخليل القصيح فلما سمعوا غوغا تركوا لها  
ملهم من الماء القليل على شدة حاجتهم إليه ثم رددوها بكتاب  
وصوافيه الجيش القرسى لآلهم بها خيراً وما بلغت القرية  
الاولى من هذا الجيش إلى الرحى وجدت بحولها جثة امرأة  
مزقة بطعنات الخناجر وعند قدميها الطفل مقتولا بصرة حجر

مُحِل . فأدرك القوم أن السليبين ظنوا بالراءة الظنون فأقروها  
وولدها الهوى هذه البينة الشنعاء

وما كان أنس حلف المشغطين من الجند أمجد الرعب  
وأسوأ طالعهم فأن المريان كانوا يفتأونهم في وحدتهم ويشكلون  
بهم أو يحيطونهم فإذا اعتدى إليهم فيها يمد قاتنا وهم جثت حامدة  
أو في ذل الاسترقاق . ومن الذين وردوا هذا المورد الجرفي  
ميرور لقد ذبح ذبحاً وهو يفر خارج للسكر جواواً عرباً  
لشتره نفسه ولقد أبلغ خبره إلى القائد العام فلم يهلكه ان صاح  
« إنه كان لا مفر له من هذا الموت لأنه اجتهد كثيراً عنا بالرغم  
من تحذيرات أصدقائه وإلصاحهم عليه أن يكون دائماً على  
مشهد منهم »

وحدث لمساعد أن كان الحرب (دبانو) بن أخت لاسيد  
أن وقع في قبضة العربى بالقرب من ودغان فيما كان يجتاز  
تجربة جلفة فأخذ جوانبرت إليهم رسولاً ليقتديهم منهم بالمال  
فاجتمع رجال القبية ليبحث في طلبه فالتفت الثلاثة إلى الحسام  
وتنازع على الحصص التي تخص كلا منهم من القدية ثم إلى معركة  
هائلة انتهت بأن أسر شيخ القبية بإعادة السيوف إلى المهادنم  
دنا من الضابط السكين فأطلق عليه عبارات أودى في الحال



بجانيه وأعلمه مبلغ القديه الى الرسول الذي جاء به وبدا انتمعت  
المشككة وانصت المنة

وكذا القائد العام يقع ذات مرة في أسر لصومس الصحراء  
وكان قد نطوح يبدأ عن الجيش فاستمر يكتب بمثل حتى لا يراه  
وهبط من العربان كانوا على مفرقة منه فتجا بهده الوسيطة منهم  
فلا . « اذا أنا لم لدهب قرينة العربان فما هو إلا لأن ولوهي  
ما يهيم لم يكن مقدراً في عالم القيب »

ولم يبق بين الجيش وبين الرحانية سوى خسة فراسخ  
حت المسافر للسير فوصلوا اليها بعد حين وشهدوا النيل  
يجوزها تتدفق مياهه وكثروا في اشتياق شديد الى دقته فأدبهم  
منظره ما يحسب انهم من الشعب وأحفظوا يخوضون فيه قبل ان  
يمكروا في عالم ثياهم ويكروهون من مياهه كما يكروا من الحر  
من حرمها منذ زمان طويل

ولكنهم لم يمشوا أن دعاهم للوقوف والطيل الى قلة السراح  
لأن الهالك كانوا على مرأى منهم متحيزين للثوبة عليهم لحمل  
(مورا) عليهم وصدمهم في الوداء وامتلأت الوثابة بينه وبينهم بما  
يدكر لظلمة أيام الأبطال الأندلس حينما كان ينزل للبطال  
خصه به مصرع أحدهما الآخر . وقد شرعوا أحداً لا عداء أنتم

تحواله في السهل للاستطلاع وهو على مرمى البصيرة من طليتنا  
وكان حامل الخشبة يدين الجسم ودائه من كراشم الخيل فصاح  
فأمد الخشبة النراسية من منكر يتأخر على أن يأتي بهذا الجواد  
للكرم فأجاب الفارس راسول: أنا .

كان لا يتجاوز هذا الشباب السادسة عشرة من عمره فأنهض  
نحو ذلك الفارس القوي البدن وحمل عليه حقلًا بعد تعين مواصلة  
الزوال ثم انكفأ غافراً بالفتنة إذ قدم إل ضابطه جواد خصه  
وسيفه

وكان أرملة آلاف من الإيالك ومثل الغنم من العربات  
يتنكرون بدونا أمام قرية شيد إريس على ثلثي السور اليه . وهنا كان  
الأسطول قترس المنير يناهض على قتيل أسطول المصريين  
كانت جنودنا تتألف وسط السهل على شكل مربعات (اللاج)  
وتجمل من أعتلها أسواراً منيعاً وحصوناً لا تزلماً فأخذ  
للإيالك يتقدمون محرماً بهدوء وسكون : إلا أنهم كانوا كلما  
تقدم منهم صف حصدهم للذراع يقتلونهاها . ولقد حملوا حملة  
ثانية فأصابها من القتل ما أذاب سابقاتها فلم يدمهم عندئذ إلا  
أن تدنوا بجيوشهم ولعنهم عبروا من اختراق تلك المنوف  
للتراسة والأسول البشرية للثبته . ولقد كبر عليهم هزم فأخذتهم

أخذت من الجنون وطاف عليهم طائفة من اليهود غادوا أن  
 يدعوا الصفوف الفرنسية ويظهروا على البنادق الأوربية  
 ولكن الرصاص والحديد كان يصددهم حمداً مئات عديدة  
 وكانت نوا البنادق والدافع تصيب ملابسهم فتذهب وتغرق  
 جسامهم فلما أميتهم الحيلة في دفع هذا العذاب وطعوا أنفسهم  
 لا بد منهم أن يأمروا لئلا يهملهم الحق فأخذوا يقفون على  
 رؤوس جنودنا سيوفهم وخناجرهم وجميع أسلحتهم التي لم  
 نساعد على التورط لأول مرة في حياتهم  
 وكان لأهلنا قبل هذه الواقعة إذا من لهم الحديث في أمر  
 الفرنسيين يرفسون مقبرتهم قائلي إنه إذا أهدم الفرنسيون عليهم  
 فعلوا بهم سيوهم فعل السكين بالطيخ . ولا بد أنهم أدركوا  
 بعد هذه الواقعة خطأ حكمهم على مسألة الجنود القريبة وطعوا  
 أنهم كانوا في زخمتهم بها مغرورين بنفوسهم  
 وحمل الجيش الفرنسي إلى الأهرام فوقف أمامها وهمزة  
 الاحترام والأعجاب ودفع السلاح ضية الأسكبار والأجبال  
 تلك المسجرات التي رمت عليها القروا والأجبال وشهدت  
 الواقعة بين قبر ملك الفرس وأهل مقبرس القديمة  
 كان جميع البكرات قد انضموا إلى الأمير مراد وجل هذا

صيراته وسط همج جبوشه على مفربة من شجرة جبر كبيرة .  
 وكان عدد الليالي نحو الستة آلاف مقاتل وحصانات ملائيمهم  
 وسروج خيولهم في القاية القصوى من الجلال والتميزة لخلواتهم  
 القريش العرفيتين حلة صادقة فتقنهم مداهمها بشايلها من  
 مسافة حمون خطورة إلا أنهم كانوا لا يسأرون بالرماس ولا  
 بالقنايل بل كانوا يندفعون نحو القلاع للوفقة الاذكان الوطنية  
 الجندون من أجسام الجنود فيسقطون عددها على بما كانت  
 تحمله المدافع والبنادق من حم النور ، وكانت انجيل كمرساتها  
 في السالة والتميزة إذ كانت تقى بنفسها على حراب البنادق  
 لا ترجع أبدا الى الوراء ولا تغيل ينة ولا يسرة بل كانت تغلف  
 بنفسها عليها فتسحق منها الرؤوس وتهشم الصدود وتحدث في  
 صغرها بنفك ثلثا واسعة وكثيرا ما كان البعض منها يشب من  
 فوق رؤوسها فيصبح بداخل قلاعها وإنما على أثر حادث من هذا  
 القليل وقع في أسرها دسمن للملوك الذي صار فيها عدد مملو حصانا  
 وخادما أميناً للجنرال برناروت

ولقد جندل ثلاثة آلاف فارس من أدلك الفرنسي  
 الأنظار مضربين بعتاتهم وملود الأسياحية الأتراك والقرى  
 نحو النيل حتى صاروا من شامتة في مأزق حرج لم يسهم في خروج

منه إلا عذوبة اجتياز النهر سباحة ولكمهم بقوا فيه من اللعين  
وومع الظافرون أيهم على أربعين مضاً وأربعاًة حمل وأمتة  
كثيرة غنموها من القهودى وسدر أمر القائد العام (السر  
مسكر) بقاء الأسلحة والجواهر والياب والكشامير والمناطق  
الحلاة بالفرد للضحية بأيدي من غنموها من الجند وأصيب  
كثير من بكرات المهالك وفي جهنم مراد بك قسه يجرأ  
خطيرة وأبدي غرائهم في اليأس وجبوت الآمال كل ما كان في  
قدرتهم من وسائل التيقظ ونعت الاحقاد الكفاية فقد شوهده  
الجرحى منهم راضين على نطونهم القزق أجسام يتودنا طفا  
بالظلمة وكان هؤلاء الزاومت عليهم أظلام غيلوم اشباحا  
وحشية أو خيالات شيطانية أو أفاعي دبت تحت الأذى والصرور  
وشوهده القرائن المتفنن بالجراح المتخبط في الدماء ياب الوجبة  
البحس يبدأ عن المصروف خصما يكتل به أو يزحف يديه على  
الزمل المنجوع بهم في طلب القود ليفتك به بل شوهده الرجل  
من القرائن والقرت يدب في حسمه مطارداً خصما يلفظ النفس  
الأخيرة ليجهز عليه وسمت أصوات غلظة تتلهم بأناشيد الصر  
ممزجة بمخرجة الصدر أو انهدات الأنفاس الأحيرة من  
مكلمن المصو

وإبلجة فقد كان حول هذا المنظر العام جديرا بالانكشاف  
والنظر لا سيما وقد كان الجو ذلك اليوم ساكنا لم تهبه الرياح  
والنساء صافية الأديم لم تنسها كمسورة السحب ومظاهر الطبيعة  
حول هذا المراح مراح الثوب والقنأ تدلست الصمت والسكران  
ونظت الشمس نفس السكون وهي في حجب السحاب كثيرا من  
ذهب تمت أشعتها بها حولها من الأرجاء

في اليوم التالي دخل برنابرت مدينة القاهرة من باب النصر  
تلقى سمي بهذا الاسم تذكرا لاندخول السلطان سليم الأول منه  
لها ظفرا على التاليف مرتب ادارة المدينة وعظم شؤونها واما  
كان القائد (عوزة) يطارود في الوجه القبلي وفيها بلى شلالات  
البليل ممالك الأمير مراد كان القائد العام يقتضى أمر اراميم بك  
الذي أخذ منه الى الشام ليدير بها الأحقاد ويحصل الأمن على  
معادلة الفرنسيين . وكانت الجلود الفرنسية قد بنيت في مطاوعها  
لهم الى بلبيس فأخذت حجاج مكة الذين كان يتعقبهم العرب  
من أنعام ذلك الأمير بأنواع التصدي كالسب والقتل . وبلغ  
برنابرت في ثلاثمائة من جنده الى الصالحية فأدرك مؤخره  
العدو بالعرب من قبابة الجواردة لها

وكانت هذه أول صدمة أتميع فيها الفرسان الفرنسيين أن

خيبر وأقسم بفرسان الهالك غارس فارس منهم إلا وتلزل  
 نظير من هؤلاء جسا لجم وأصيب (سالكوسكي) ملازم وكاتب  
 القائد العام بتأنيده جراح وأصيب (دستري) رئيس إحدى كتائب  
 المطاة بأحدى وعشرين طعنة سيف قبل أن تقومه الجبل  
 بساتيكها

وما من نقطة أوجعة بداعل النظر الا وظهرت عليها شجاعة  
 الأوروبيين بفضل نظامهم وتسييرهم العسكري في أجل مظهرها  
 وقالت فوقها عظميا على شجاعة الهالك وأعطتهم ورايرهم  
 ولكن فيما كانت أصوات الجيوش ترتفع بأغلبية الانتصار  
 داخل النظر كانت أصوات الكروب والفتق تتجاوب أصداؤها  
 بسواحل البحرية ذلك لأن الدوتة الفرنسية بقيادة الأميرال  
 «برويس» قامت قد أقمت مراسيها بالقرب من الشاطئ بوجعت  
 بعد ما بين كل ساعة والتي تبها من سفنها أرسالة قدم أي ثاين  
 فامة ، وهو بعد سحيق جدا فانضم الأميرال إلى أمير البحر  
 الانكليزي هذه الفرصة إذ تمكنت من قطع خط الاتصال  
 والاندساس بينها وبين الشاطئ وغيل الفرنسيين يادى ، ذى  
 بدء أن مثل هذا الحادث يستحيل وقوعه قط من لاء في هذا  
 المكان فكان من نتائج هذا الخطأ الفادح في التدبير تلك التلويحة

المناذلة أن سمناً أصبحت نجاء ضيف مدفعها من سفن الاعداء  
ولقد تمكنت أربع منها من القرب إلى جزيرة مالطة حامية للعلم  
الوطني ودمرت السفن الباقية وبعدها إحدى عشرة ساعة سرقا  
لو امرأقا لو نفسا . وكانت الشمس على وشك الغروب ولم يكن  
الملاحق الدافع وبعدها ساعة مدفع قد انتهى منذ الساعة السادسة  
من مساء اليوم السابق فالتفت الصبح على لوليت الشمس أشعتها  
إلى سلاسل مهشمة قد جلت وجه تلك وجئت رجل قد نالت  
بعضها جئت الشمس الجارية

ولقد كنا في وقت ما من أوقات هذه الحركة السريعة على  
وشك الاستيلاء على السفينة ( طيردوتون ) وهي السفينة التي  
حملت الأميراطور ( نابليون ) بعد أن ألقى من يده السلاح  
واسلم نفسه إلى الإنجليز ، لأننا كنا قد اسقطنا سائرها الثلاث  
وقلتنا السواد الأعظم من رجالها وطلب لبقاؤون منهم الأمان  
غير أن تلك الأمنية لم تحقق وأساء . . . وجهة القول فقد استاز  
هذا الصراع العظيم بأمة محبة للشجاعة والتمثال في الانحلال  
لقد كنت تسبح من بحرنا في بحرنا لقتال صيحات « نحن  
الحرية » التي اليهودية « بل كنت ترى الذين كان الموت يسرى  
في جسامهم منهم يهوب من مرادهم وقد عادت إليهم لمعلم



القائمة واعتبر بذلك القتي (كأذا ياتسكا) البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً إلى ذلك التل الأمل لعب القوي . فإنه أي أن بقي بنمسه في البحر سباحة يفر من نار الحريق الذي شب في السفينة (أوريان) وما رفض النجاة لنفسه إلا لأت أبله السكان وهو ديان السينة قد أصيب بحرج بالغ جداً ألزمه الصبر عن الاعتماد برجاله في مقاومة سفينة للقطعة بار الوطود ولظلال ألح الوطد على ولده أن يفر بنمسه فأبى الولد إلا أن يموت في احسان والده الشيخ . فنددند فرود الريان أن يتمسك بها خلاصها ما إذا استطاع مع ابنة قطعة سارية كانت طافية على وجه الماء ولكن أضاف الله أن يرفع القلب في هذه اللحظة إلى مستودع الطود في السفينة فسمعت نفاً هائلاً ألقى إلى اتلاخ البحر الوطد والود للناظرين في ميدان الشهادة والاخلاص لبعضهما وأصيب (دويي مارو) ديان السفينة (توتان) بقيلتين دوا كما فلتحلف زملاءه ألا يسلموا بأنفسهم وأن يلقوا بحمصه في قبح إذا أسرت السفينة وجندل الكونوت الاميرال دوشايللا مصاباً في وجهه بشظية قبيحة وعلق الاميرال طرس أنقى في جسمه فطلب إليه حبيبه ليواقيه بصوت العريفة |

أما الكونوت الاميرال الفرنسي الذي لم يبق عنده من

المدافع الصالحة للقتال - وى ثلاثة فقط فقد أخذ يصبح في رجاء  
أن اسقطوا القلر دائماً ولا تكفروا عنها بركة - فقد يكون في  
الطاقة الأخيرة من طقاتكم القمضاء للبرم على المدعو .

وكان ( تينار ) وبن السينة ( أكيلون ) قد شجعت  
للضحية الانكليزية حبه فلم يكف مع هذا لحظة من حض  
رجله على القتال . وما زال بهم حتى ثبت أقدامه بمناء آخر  
قطرة من دمه . وبعد ساعتين من بدء المركة أصيب ( برويس )  
لقائد السام في أحشائه فقتل الى جبرته ليسف بالملاج ولكنه  
أبى أن يتأخر مكانه لثلا - لا يبني لأموال البحر القرمسى أن  
يموت يبدأ من موقف القتيل - قال هذا ثم عاد الى هذا الموقف  
وما قضى به عشر دقائق حتى قضى عليه

انتهت هذه الأنباء الممزنة الى علم برتايرت فيلر ما في  
وسه من وسائل القسرة لأهل القتل وأقربهم . إذ سكتب  
الى أرملة الأميرال برويس يقول : « سيدتى : يبدو أن الرء  
أشد جلدأ وأعظم سلفاً بما هو عليه من تلك في الحقيقة وأعظم شعراً  
في موقفه هذا بأنه إذا لم يكن ثم ما ينظره الى الحياة فلا أولاد له  
يموت ولكن يكفي أن يصم هذا الرء أولاده الى صغره بعد  
تزد تلك الفكرة في خاطره لكي تنبه المسرع وهو الحظ

التي غررت في ثغاف وتشتط طيبات الخليفة فلا يثبت أن  
يرى بفساد على قيد الحياة لأجل أبنائه ضربة لأدب ؛ ثم أنها  
السيدة إلى لأطلب منك وقد اعتذرت بذلك فداخ أن ترسل  
إلى أبنائك نظرة من نظراتك الرحمة ليفتح القعر قلبك فلا  
تظن أن نمرسي دموعك بدموعهم وتغنى بزيوتهم وتغنيهم  
وتذكرى لهم عبرة أوبهم وما كان لوفاته من الألم الشديد في  
نفسك وما خسروه م والجهوية بفساد

وكتب إلى (القيس أميرال نيفار) رسالة قال فيها .

« لقد مات ولك خديجة مدفع وهو في موقف القبادة  
والتي أياها المواطن أودى واجبا عزنا بأبلاغ هذا الخبر إليك  
ولكنه مات مبته الشرفه وهو أن يشرب بالأم وعندته  
الشربة الوحيدة التي يستطيع بها تطايف ما يشرب به والله من  
الألم الشديد لقد ولده وإنسا جميعا مصيرنا إلى القضاء وعلى لو  
على الله أيلدا أكثر مما نقوله أن يعيش أفضل حياته فيها  
سادة موته لوطه وعلى تساوى هذه الحياة الأم الذي يشرب به  
إذا رأى نفسه على سرر الموت وقد أحبط بظواهر الكبرياء  
وحب الذات من الجليل الذي يحق به بل أنجزى حياة تلك الأم  
ما يمكنه الله في مرمه الطويل من الآلام للبرحة وكراهة

الديار والعهود فيها ، ما أمد وأهناً الأبطال الذين يموتون في  
ميدان القتال : :

وبن قول ، وما أنشئ سوط نهرليون فإنه لم يزل طريقاً  
من السعادة التي أشار إليها في كتاب نعرته

أحسن القائد العام ذوو النظر وهو بعيد عن السواحل  
وحده وسوله غريب وفروع كلوة بحرية فقد تلبية على اعتابها  
وهذا إذا أخذ إلى الأميرال الفرنسي أحد ملازمي دكايه مروّداً  
بأمر يقص عليه بالانفلاج حالاً نحو جزيرة كورفو إذا لم يستطع  
القيام بدوامته بشر الاسكندرية . فحدث ان قتل البرلمان هذا  
الرسول في الطريق وبينما انتهى الى موناكوت نأ هذه لشارة  
القاصمة كظم حزنه ولم يظهر شيئاً من أثر الدهش على وجهه

وكان موناك أنه إذا حصر اسطرله فقد قطع كل صلة بينه وبين  
وطنه وحرم كل مساعدة توجه اليه من الخارج . وكل ما ألقاه على  
حده فهو « أصدقائي » قد غيبت خوفاً ولم تنق عندما سبينة  
واحدة فأتى الآن بين أحد أمرين إما البقاء والاستقرار هنا  
وأما الخروج عالية رؤوسكم ثم ثؤفكم . فتلقي الجنود هذا  
التصريح بميحات طلب الأعداء والكاروكيب الاسرار لمورطوليون  
ميا بعد على سفرته ( يردها المؤلف صخرة التي بجزيرة

التمدية هيلاه) ما يأتى . لقد كان غلبتنا فى واقعة ابو غير  
تأثير عظيم فى حوادث السلم أجمع فانه لو نجت القوسنة الفرنسية  
لما وجدت الحجة على سوريا فى طرفها حقبة ولعل تقل مدافع  
المصار فى الصحراء ولما وقعت مدينة عكا حائلا دون تقدم  
الجيش الفرنسى أما وقد دمرت القوسنة من آخرها فقد شجع  
تلاشيها القباب العالي على اعلان الحرب ضد فرنسا . وقد الجيش  
الهنرى أقوى مضده ونحوه مركز هذا الجيش فى مصر من  
الصد الى الضد ونظما نابليون من إقامة نفوذ فرنسا فى قنرب  
على اساس وطيد .

وكان يونانرت موقنا ان جهوط كنهه وفشل مساعيه كانا  
من نتائج خذلان الأسطول الفرنسى فى أمانيه وآله الكبار  
للكى يصرف الانتظار عن هذا الحادث ونحوه دون تسرب  
قباس الى القوسن أمر بأعداد المعدات الكبيرة للاحتفال برفاء  
الليل وفى هذا الاحتفال ليس حلة شرقية وحف . كبار رجال  
أركان حربيه وعطاء أرباب المال والمقد من اللطيف وشهد  
بذمه إنشاء بحال عروس الليل فى هذا التهر وهي العروس التى  
تلقى جريا على التبادلات والتمايد للألومة وفى حصرة طبع الخليج  
وافترق فى تلك العام ان طع الليل فى وفاته الى الحد المناسب

الرعاة والراعي لحس مجموعا فانطلق سكان القاهرة في الطرقات  
يصبحون صيحات الفرح والسرور ويمزجون الى انفسهم الطاف  
فضل هذا الفيضان المبارك وكانوا كما التقوا به يقولون له : قد  
أختارنا لك مرسل من الله وإنه لحقيق بك الاختيار بخورك  
والاستبشار بأوفق فيضان الرعاة شهدناه منذ مائة عام ، وقد  
يسط بهذه المناسبة يده بالطاء للأهلين وقدم الهدايا الثمينة  
للصوات والقطيع فكان من هذا وذاك ان أطلقت الألسنة  
بالثناء عليه واجتمعت الآراء على وجوب الشكر له

وبعد ذلك يومين أحمل بالولد السوي احتفال عظيم فكان الناس  
في الطرقات يتنوعون المرحات وشجون التمسك به ردهم برأيت  
في حشد حشيد من كبار عباطه الى دار السيد البكري للسلام  
عليه وتبيل تناول الطعام في للآذنة العظمى التي أعدها السيد له  
وبذل في تهيئتها وتلبسها كل ما عرف من الترفيع والسليق  
من الكرم والبخس وعقب هذه الاحتفالين احتفل ببعد الفورة  
الفرنسية بأن الفرنسيين في مصر لم ينسوا هذا الاحتفال بل  
أنظروا بتأنيبه حرما ذا سبعة أوجه قسست على قواعده أيا جميع  
الأطفال الذين تملوا في المراكب السايقون كانت إقامته وسطيحان  
الازنكية وأنهم حوله حدد من الإحمة مبار ليدد المقاطعت

التي تتألف منها الجمهورية واسطمت جنود حامية القاهرة والجبلات  
 المحيطة بها بالقرب من ذلك الأثر فلما كانت الساعة السابعة من  
 صباح يوم الاحتمال وصل القائد العام بحف مائة ألف حربه  
 وأعيان القاهرة الامثال واختلط دوى للدافع بصيحات الفرح  
 والسرور من الجوع وأهلى برفات خطبة قصيرة وهو واقف  
 على منبره عند قاعدة الحرم فقال : «أيها الجند نحتفل الآن باليوم  
 الأول من السنة السابعة للجمهورية كان استقلال الشعب الفرنسي  
 منذ خمس سنوات ميعاد الجانب مهدد الاركان ولكنكم  
 لتستولم على ثمر طولون فتكن استيلائكم عليه فألا صادقاً على  
 ثلاثي أعدائنا والسياد كنهم والقتال عرشهم وبعد ذلك بعام  
 تحررتم النسيوي في والفة (ديجو) وبنتم في السنة التالية الى قم  
 جبال الألب ثم حاربتهم منذ سنتين مدينة (مستو) وظفرتم الظفر  
 الثام في معركة (سان جورج) وفي العام القابر بنتم الى بنايح  
 نهري (دراي) و (يزوتزو) اثناء هودنكم من ألمانيا في عطر  
 ياله وتشد أنكم ستكونون اليوم على صفات قليل في وسط  
 القلوة القديمة : لقد سترعيتم أنظار العالم طرّاً من الاسكندرية  
 المعروف بالبراعة في الفنون والتجارة الى البدوي المشهور بالقوة  
 والصراوة ، غيا أيها الجند : إن ثمر الحظ مهتم لكم لانكم خير

لعل لما قدم به من جلال الأعمال ولا تنكم عند حسن ظن الناس بكم  
إنكم إذا ستم فأما تحرون شرفه كأذلك الانطلاق الذين تشتت  
سلاؤهم في هذا الحرم وإذا عشتهم فأما تزوجون إلى أوطانهم مكالين  
بنار الانتصار مشيين بنظرات الإعجاب من جميع الشعوب .  
ما سمع الجند هذه الكلام الحاسية حتى صفقوا تصفيق  
الاستحسان وظلوا فرحاً وسروراً وانصوا نهلهم في الثمرات  
الثيرة والناوذة العسكرية ولتسابق على الاندفاع والتليل  
وخرجت فاصلة منهم إلى الجيزة فوضت للعلم الفرنسي على فة الحرم  
الكبير وبها كانت أبواب الزينات تسطع في الليل كأنها عضود  
التراب وقد عبط إلى الأرض كان القائد العام ونحوه لائقين من القواد  
المظاه والاميان يتناولون الطعام على مائدة أمدها لهم في القصر  
التي كان مقامه بالناحية وكان للظفر قاصيا بالمعبد والاستنراب  
إذا كنت ترى به اهتمام الأصداد في اللابس والهجيات والمحتات  
بلغ ما عرفت من القرون بين المسلمين الفرنسي والمغربي .  
ولكن لم يثبت أن جاءت بعد السكر بغير هذا التصاق  
بين المسلمين الفتنة الزمجة والاضطراب الخفيف فأن مدينة  
القاهرة التي باتت مظهرأ ومرآة لسلام الرواد وآيت الأعداء لم  
تسم أن سالت فيها لعدوان الصنوع والهداء .





فولبيون بحضرة في مزرعة الأركيكية  
 يوم الاحتلال سنة ١٩٤٥

+

+

وسبب ذلك ان أعاليهم الوجه البحري كانت تحمصات وجبال  
الذين قد ضمت فطما في نفوس أعاليها لمصر الواد القفرة والصحبان  
وأخذوا يرتكبون القتل من السلب والنهب والاعتداء على  
السادة إذ كانوا لا يبرهم بردهم من بردنا حتى يرهقوا منه الروح  
ومحاراجته الراس ولم يستطع القواد (لان) و (مورا) و (ليلال)  
و (لانيس) اخذ القواد القفرة وقد انصمت جيوش القنادين (منى)  
و (ملومون) هم توفى لأخصاص كثير شيلس إلا بأمراتهم ليله بعد  
أن ترموا سروراً للهلاك بأبدى أهله . تلك كانت مقدمة الحركة  
الكبرى التي ظهرت آثارها وتأتبها بالقاهرة بعد حشوها بأيلام

ويان ذلك ان الاحدين من الطبقات الدنيا تسلخوا بالقباييت  
والاحبار وحققوا منه انبلاج الفير يقتلون كل من يخالفونه من  
لقرئيسيون قد قتلوا القاضي ابراهيم ادم الفندي ياب دله ونهوا  
ممكن الخيال (دوقلجا) وكان غالباً عنه وذبحوا اثنين من مبلط  
لرقة المنتصة كانا بقبان به . ولما انشده المرح بعض الجنرال  
قوى لومندان موقع القاهرة خيل على الكائين الخلق بالنظام  
بعد يسير من فرسان القوادين وولم قزانه ليضرب واحداً  
منهم فقتله اعدام وإبعاله برمح طينة قطعت سره وأودت بجباله  
اطلقت عدته مدافع الخطر وضرب الفير داهياً الجنود

الى الاحتشاد والاستعداد فتأهبوا جميعا لقتال وساروا يقتصرون  
أمر القاترين الذين كان قد استعمل أمرهم ولستشرى غلادهم في  
كثير من المراتح وسأفهم أنهم سرقا واضطروا خسة عشر  
الحاجتهم الى اللباز بالجامع الازهر وبقعة الخاروس بأطراف الطريق  
للرسلة اليه

وبينا كان الجنرال (دينو) يصعد هجوم نحو خسة آلاف  
فلاح وحفوا من الاريف الى المدينة والجنرال (دوماس) يتكفح  
الى المدينة كانوا يستشفون في السهل ربح السلب والتهب  
والتهريب والتدمير ، وبينا كان (سولكوسكي) ياور القائد العام  
يجهز القاترون عليه باحدى نرى الضاحية بعد ان أترقوه من  
جوانبه وكان قد خرج للاستطلاع كان القائد العام يوناوت مقبلا  
من دومة للنيل ليظهر في دوق هذا القفق تأمر على القنود  
الجنرال (دومانون) ماى ينصب أثناء الليل بسفع للقطم فيها  
بين القلعة والقبعة على مسافة ١٥٠ توارا من الجلس الازهر  
بطرية مؤلفة من أربعة مدافع . وفي الساعة العاشرة من الصباح  
أنذر البصاة للقاترين ه أن يبقوا السلاح من أيديهم فم يكن  
منهم الا أن تقوا بالرماس وقد الشاخ والعماء الذي أتت  
عليهم في هذه الليلة ورفضوا كل اقتراح لتفرج عليهم لتسلم

حتى اقتراح العدو عليهم مشعوبين هذا الرفض بالسباب القاسح  
والشتائم الثلاثة . فلم يسع القائد العام ساعته إلا أن أمر جنوده  
بتوزيع القنابل الصاروخ عليهم والتشكيل لهم وفي الواقع أنه لم ينجح  
فلاقي مدودة حتى عطل على الجناح وأبلى من القنابل وصوب  
القنابل على غلب في نفوس اللاتيلين للفرع وأداتهم للوت  
وافق في الآن نفسه أن يبصر هائل ما حطت بهاج العناصر  
الطيرية بدوى الشجاع واسترجعت سحب دخان البرود بسحب  
السحاب القاتلة وثلاثت القناري والحسم أمام هذا الاضطراب الهائل  
لقد لغت لغت له الأرض والسما . وشعر اللاتيلون بالسعد كأنهم  
قد أخذتهم صواعق العر بعد أن تحيقهم صواعق الأرض فتقوا  
الرؤوس طائرين وصاحوا مذعورين وانفدوا طالبين السلامة  
والأمان ولكن القائد العام جلوسهم على هذا الطرب بقوله :

« لقد ولعتموه حتى خفت عليكم حتى وقد بدأتموهن في النظام »  
وما أتم هذا القول حتى شرعت مدافع البطرية والقنابل تطلق  
البضخ بلوها فهدمت سقوطه وكادت تدمن التأثير لللاتيلين  
تحت أقدامها . وطول بعض هؤلاء التمساء الخروج من الجناح  
بالذين فكان كما اتهم فريق منهم الأبواب في حذقه في الحال  
بأخفاف الحراب للشرمة لصدورهم وألقى البعض الآخر السلاح

وحشوا مستغربين وصاحرا عطش الأمان فلما شهد القائد العام  
هذه المنظر أغضبت عليه الرحمة بهم فأمر بإيقاف الدبحة بعد أن  
قبض على قواد الفتنه ورواد الاضطراب فأصدر حكمه على أحد  
عشر من زعمائهم قطع الرقاب ثم رأى ان في هذا الحكم شيئا  
من المصراة والشدّة فلم ينفذ الا في سنة منهم عطف رؤوسهم  
بأطراف الدمي وطيف بها في شوارع القاهرة مملا بالعادة التبعة  
وقتشه . وبلغ من قتله الممرد الفرنسي من الثلاثين ثلاثة آلاف  
فترأى القائد العام ان في هذا القدر من القتل الكفاية لأرصاد  
العمل العسكري وشفا التليل والأخذ بالثار

ومن ثم فمت الفتنه بجمع الأروهاب والأحلف وانقضت  
كراية لتسلط الأجنبي الى جوع من الاحترام المزوج بالمعطف على  
اعباد المللك . وبعد ان ساد السكون في الامم كافة لشهرين  
أخذ يواظب تشكيل الجوان وكان قد أتم بسبب الفتنه وإقامته  
في البلاد الحكم العسكري وقرن ذلك بمشور لا يلبث القاري  
أن يرى في حصونه الدلائل على قوة سياسته الحاذقة المسكية ؛  
« بسم الله الرحمن الرحيم من أمير الجيوش الفرنسية  
خطا الى كافة أهل مصر الخامس والعالم لمسلم أن بعض الناس  
المساكين المنول لثلاثين من المعرفة وأدراك القواب ساجد

أوضحنا الفتنة والشرور بين القاطنين بمصر فأهلكهم الله بسبب  
 ظلمهم ووجنهم القبيحة . والهاوى سبحانه وتعالى أمرني بالشفقة  
 والرحمة على البعاد فامتثلت أمره وصرت رحباً بكم شموفاً عليكم  
 ولكن كان حصل هذى ليط وجم شديد بسبب تحريك هذه  
 الفتنة بكم ولذلك انطلت البوران الذى كنت دنته لنظام البلد  
 وصلاح أحوالكم من مدة شهرين والآن توجه خاطرنا إلى  
 ترتيب البوران فلا يكون لأن حسن أحوالكم ومصلحتكم في المدة  
 المذكورة أساساً فزوب الأثرار وأهل الفتنة التي وقعت سابقاً  
 أيها القراء والأشراف أظهروا أنكم ومساند وعينكم ان الذي  
 صادفني ويخلصني إنما خصامه من ضلال عقله وسواد فكره فلا  
 يجد ملجأ ولا غلماً يفقه منى في هذا العالم ولا ينجو من بين يدي  
 الله لملازمة المقادير الله سبحانه وتعالى والقائل يعرف أن ما  
 فعلناه بتقدير الله تعالى وإرادته ومصلحته ومن يشك في ذلك فهو  
 أحق وأسمى البصيرة . ( وأعلموا أيضاً أنكم ان الله تعالى الأزل  
 هلاك أعداء الاسلام وتكبير الضلالت على يدي وتدفق الأزل  
 أي أجي من العرب إلى أرض مصر لحلاك الذين ظلموا فيها  
 واجراء الأمر الذي أمرت به ولا يشك القائل أن هذا كله  
 بتقدير الله وإرادته ومصلحته وأعلموا أيضاً أنكم ان القرآن العظيم

صرح في آيات كثيرة بولوع الذي حمل وأشار في آيات أخرى  
إلى أمور تقع في المستقبل وكلام الله في كتابه صادق وحق  
لا يخطئ . لذا نقرر هذا فترجع أمتكم جميعاً إلى صماء التوبة  
وإخلاص الطهارة فإن منهم من يتبع من التوبة وإظهار عدلوني  
خوفاً من سلاحي وشدة سطوتي ولم يعلموا أن الله مطلع على  
السرائر يعلم غائبة الأعين وما تخفى الصدور والذي يعمل ذلك  
يكون معلوماً لا يحكم الله ومناقضاً عليه الجنة والنار من الله  
علام للنيوب . واعلموا أيضاً أني أقدر على إظهار ما في نفس كل  
أحد منكم لأنني أعرف أحوال النجس وما انطوى عليه بصبر  
ما أراه وإن كنت لا أنكم ولا أخلق بلقي متد ولكن يأتي  
وقت ويوم يظهر لكم بالباب أن كل ما مكنه وحسنت به هو  
حكم إلهي لا يرد وإن اجتهدوا الإنساق فإية جهده ما يمتنع من  
قضاء الله الذي قدوة وأجره على يدي طهرون الذين يسارعون  
في اتحاد مع صماء التوبة وإخلاص السريرة والسلام ) ( ١ )

( ١ ) — قد ورد ما هو من هذا المشور يركه . فلاح عن الجهرى ( لا يرد من الله  
بالرسالة في الصفات القدرية من التبرعات التي هي من الصور . لا يوجد هكذا ) وإذا كان  
الآيات لله وحده مقدون هذا الشطر بطرقه لا أنكر من آثاره بآيات الطهارة الحكيمة  
قدوسه . حتى ما يدل على أن من التوبة كانت مهبة من القبول والبر . لا قال  
في الله لو كانت تلك لا تخرج على ما به من الصوريات على القول والحق على دعوى  
الخراس من القهر بآيات التحيات التي تأتي على مظاهرها بآيات الحق الصادق من القهر .



وفي تلك الوقت استيقظت الدولة القوية من سباتها فأصدر  
السلطان فرماناً وزعه على الولايات التترية ومما جاء في صدره .  
« إن سيوفكم طارة قائمة ورماحكم حادة التصل بدم القوم  
يشبه دويها دوى الرعد وجميع اصناف السلاح القتال اذا وصحت  
بأعلى القربان الأبطال استطاعوا الظفر بمرادهم من العدو  
الكافر واقتداف به في قرارة السجيم فلا بداعطكم ذلك في أن الله  
معكم والله كاشك بين غنايته وولق لحياتكم من الاخطار وان  
أولئك الكفرة سوف يصرفون أشتابا بعدد من رسول الله  
ويذهبون يداً اذا نشروكم وان ساعتهم الأخيرة الآتية لا ريب  
فيها والحمد لله رب العالمين »

وكان مفرداً أن تبرز للكرمة الانجليزية القوات العسكرية  
التي كانت الدولة القوية تحتدها لقتال الفرنسيين . وكان يونانوت  
والنا على هذا السر قلبي يحيط هذه الأعمال للهدنة لكيان  
فتراحه من ناحية الشام . ويعاقب في الوقت نفسه حاكم صكا  
لاهتمامه بمحمد الجيوش وتعبتها رجب على هذا السر للاستيلاء  
عنوة عليه نظراً لأهمية مركزه كفتاح الحدود . فاجتاز الصغراء  
في جيش مؤلف من ثلاثة عشر ألف مقاتل واهي في اجتيازها  
من الصعوبات ما سبق لنا وصف بعضه . إلا أن هذه الصعوبات

لم تخطه من الأسبلا، على العريض خفرة جافا خبيثا ولا من  
مواصلة السير بعد ذلك إلى الأمام فانه في اليوم الخامس والعشرين  
من رحلته تراءت له مدينة عجا عجا ينادك ابن قال : « اذا تم لي  
الأسبلا على هذا الفرع . فقد آت لي ان أغلب الدولة  
العثمانية رأسا على عقب لأوسس دولة كبرى جديدة في بلاد  
الشرق »

ولكن الله تعالى لم يحقق هذا الأمل ولم يشأ ان يصير به  
وجه الكون

على أن للدولة لم تلبث أن سقطت في يده وذلك بأن دخلها  
مائتان من جنودنا في أقل من ربع ساعة من حملة في الأسطول  
فاستولوا عليها وتحكموا فيها وسقط ( كملرطلي ) في خندق وهو  
ذلك القائد العظيم الذي لم تسح له فرصة إلا لقتلها ليبلغ إلى  
معالي الرتب وسبق في ذلك الزوراء والأفراد بالرغم من سانه  
الغشبية . وكثيرا ما كان يذكر سانه الحقيقية التي تركها بعد  
نهرها على شفاف نهر الزين فكان يقول على سبيل المزح تسرية  
الهدوم من غلوس زملايه واستقلوا لضحكهم وصرفا لهم عن  
التفكير في أوطانهم والحزن لمناقشتها : « أما أنا فأني أسعد منكم  
حقا لأنه لا تزال لي ساني في فرنسا »

ولولا الأساليب المدنية التي اتخذها الإنجليز منا لجسالم  
 الأساميل تقضى أئمتنا بقيادة (سيدى سميت) واستيلائهم على  
 مؤننا وذخائرنا ولولا غيابة الكورول على القاهرة (عظيم) لقتى كان  
 يذير فظاويك حصوننا فدمر حصوننا وبذل في هذا السبيل  
 جهودا مات بسببها ايل انتهاء المصلح لاستطاعت ان تخرج  
 بالاستيلاء على عكا واقعة جل تأخير على حومر فيها من الساعة  
 السادسة صباحا الى الساعة الأولى بعد الظهر ألما غرلى قتلوهوا  
 بجراح باهر عشرة آلاف من النساء وخمسة وعشرين ألفا من  
 فرسان الاراك

ولقد انتشرت الفرق الجمهورية الى مصادرة سوريا للحد  
 من الاوضاع للمصرية وحمايتها إلا أن الطاعون كان قد قسا في  
 صفوفها لحصد وجثها حصداً ذريعاً ولم يكن تأثير انتشار هذا  
 الوباء في حالتهم المتدنية أقل منه في حالتهم الحسنة . ولقد أراد  
 قباويلون ان يخفف من وطأه التأثير المسمى لذلك هذه القربيل  
 فأدماح في كل مكان ان السبب الوحيد لكثرة الوفيات الغاير جمع  
 الى الحلي الالهائية غير المدنية ولكن يبرز هذا التأويل القوي لم  
 يمكن التمسك منه سوى التسلية والتمرية ما في يفس أمام الجمهور  
 السجين بالطاعون في مستشفى بلقا

كان رعب الجيش في عودته محمولا بالمصائب والكناهب فلما  
التقاه البام والمباط كانوا يتقدمونه سيرا على الأقدام بعد أن  
زلوا من متون الجبل ليتركها الرضى والجرمى  
ويضا كان هذا الجيش يهر انظار البام بحلده وصبره وقوة  
مراسته كان الجيش الذى يقوده فى صعيد مصر الخفرال (ديزه)  
على بعد مائتى راسخ منه يتألف من مريدات كالمصون النينة  
ويظهر بالاعداء وان يكن على الدوام أقل منهم عددا وأضعف  
عدة بكثير ولقد هزم المالبك والقربان للمرة الاولى فاضوا الى  
عاجته ليتلقوا بالخرى والخذلان وكان مرادك كلها جهم بحشوده  
الكثيفة ذلك الجيش مررد القربان بالدخية القوية كان ديزه  
يصبح بيلازم وكاه (راب) لا فلا : د ان مدافعهم لازمة لنا  
فيجابه : د اذا تريد ان تهر أو عوت : فيقول له : د أريد أن  
تهر : فكان لا يفيض القليل من الرمس بعد ذلك حتى تكون  
المدافع للطرح فيها فى حورنا . وقد حدث ان ثلاثاثة من الأعداء  
أولواى غابة من الخيل بالهم غامضون ان تكون لهم منفعة  
على التسليم فأصرنا النار واشجارها وموت حتى ادركت  
جسومهم فأحرقها بعض الأحران ولكنهم كانوا مع ذلك دائري  
على مقاومتنا . ولقد تودت جلودهم بتأثير النار وتزقت لحمها

تغير الانظار عنه جز ما فكنت ترى اليه من منهم لا يزال يعمل  
يسعه ويصيب به اللعين عليه بعد أن تقب جسمه طمانات  
الحرب

وشهد غلام في الثانية عشرة من عمره ليس كله في الجلال  
شيء جيء به الى الحلال ديزه لأنه أغنى بعض الناس وكان  
مما ياتي حواشي عرج بالغ مما شرح في علاجه أنشأ ينظر الى  
السلية يسكون وفيه اكثر من فتل :

- من أنرك بهذا القتل للقيم ؟

- لا أحد

- من حركك على الاضرار بالترسيخ ؟

- الله القادر على كل شيء

- ألك أهل ؟

- لي أم صغيرة عيياء

- اخبرنا ما اسم الذي بت بك وعن لا عمك باوى ؟

- قلت لك أنه هو الله

- انما أصرت على هذه الأقوال فان رأسك ..

- رأسى ؟ عاهو كالمطروء ..

قال هذا ثم غلب سكرته عن رأسه وألقى بها على قدم القناد

التي أبت عليه مروءته أن يفرق بين هذا الجسم الصغير وذلك  
الروح الكبيرة فصرعه من حضناته فأتى القصب إلى سبيلك  
فالتصرف القتلان العربي بدون أن ينطق ببشارة شكر ولكن  
شوهت على ثغره ابتسامة ماضي إلا ابتسامة الفحش مما رأى  
وقا ماو يونابرث من سوريا ترأفدت الأعيان إليه برحيل  
مائة سفينة بعضها انكليزي والبعض الآخر صيني قيادة مصطفى  
بلشا والي الروملي إلى أبي نير وأن (سلومون) حاكم الاسكندرية  
وآلها رأى العين بيوت لقائد الشام إلى هذا الحاكم بمانه على سكوته  
وعدم تحركه فلما هذا العدو فأجاب : « لم يكن تحت قيادة سوى  
ألف رجل ومائتين يينا يتألف جيش الأتراك من ثمانية عشر ألفاً »  
فقال يونابرث : « الأندري اني بتل من سلك من الرجال  
أستطيع الزحف على القسطنطينية »

ولم يصبر يونابرث لثبته فصرعه على هذه المجازفة إذ لم تكن  
الاعشية أو ضحاها حتى أخذ بأثر رجلا الذين ذهبوا لحماية القلعة  
أبي نير بالثقل على ذلك الجيش الضعيف ودحره إلى بعد  
أن عطل منه ثلاثة عشر ألفاً من أسب وفتيل وغرق أما هو فلم  
تزد خسارته على ألف نفس

وحدث في بحر ان القلعة أن أسب القائد الذي قتل القائد

(مورا) يجرح حذيف من طينته فقايل الجرح هذا للقل  
 بقطه إسبين من أصابع حصه فلم يسع القائد الثاني متدئذ  
 سوى ان سلم سبه فيه وطلب منه أن يأخذه أسيراً ولكن ابن  
 الجاشا قد لجأ مع من بقي من جنوده الى أحد الحصون وظل  
 يقاتل الفرنسيين فيه أسبوعاً كاملاً لم يصل اليه في أثناءه شيء  
 من اللؤن وقد كل رجاء في موافاة المدد له لانتقاده حتى انتهت  
 الأمر به وبهم في آخر الأسبوع وبعد أن سقطت جدران  
 الحصن فصل الدافع الفرنسي الى القلح السلاح وبسطاً كف  
 الرجاء الى حصونهم أن يوافقهم بما يملك دستهم من الخبز والماء  
 وأصيب (فرجير) قائد للشاة بتهمة اخرجت ذراعه فلم يكن من  
 هذا البطل الذي تولى بعد هذا الحادث بأنتق عشرة سنة في بلدة  
 (أفتيون) إلا أن يأس بعد هذه الاصابة من الحياة حتى سأل من  
 حوله ان يقتلوه الى برتايرت فلما صار في حضرة قال له : « اني  
 أسلم الروح وأنا في ميدان القتال فقل يوماً يأتي أيها القائد تنوق  
 فيه نفسك الى مثل هذا الحظ » ولقد كان في قوله هذا من القنطين  
 واعظم برتايرت بعد ان تم له هذا القود الساطع بتلايل  
 ما كان يتردده من السموات في النظر للمعري ولا حرم قدسه  
 كانت للتطري بعد تخزيق الجيش الثاني والتصرف الاسطول

الانكليزى أن يعين الجيش الفرنسى السيادة والكلية العليا  
لنفسه وإن يمت تفرده في أنحاء البلاد فما كان يستحق له هذا  
الأدب ويشتد السكون لتمام أئونه على أعاليه الوجهين البحرى  
والقبلى حتى تناهت الأنباء من فرنسا بأن القومى حلت فيها  
عمل السلام والنظام وأن النمسا والروسيا وقتنا حالما وقفه انقسم  
الهندو للكثير من ناه فرأى جونا رث أن يقوده بمصر لم يمد  
بالأمر الضرورى وكانت قد جاءه برسالة من حكومة الديركتوار  
تستدعيه فخرج مصر سررا لكيلا يتطرق اليأس الى غلوب الجند  
ليكنفى نفسه وانقسم مؤودة الحزب والألم ساعة الوداع  
واسطحب في رحيله القادة (برنييه) و(ولان) و(مورا)  
و(أندروجى) و(مولسون) فلما بلغ الى الاسكندرية كتب  
الى كايبر الذى خلقه على القيادة الأسطر الآتية

« ان المركز الخطير الذى عهدت إليك به سيملكك من  
اغتيال الزاياتى خصتك بها العطرة ولا يهرب عن لمحكك سحر  
خطورة ما هو حاصل الآن وإعراكك تأنيبه وتأثيره الجلى في  
التجولة والدينية . فالوقت الذى تبدأ به عملك سيكون هو ان  
تتبعك عشية وإصلاحات حمة . والذ كنت مثلاً ألا أرى  
البراء على مشاق الحياة ومتاعها لا بما تبديه الأحيال القبة من



الرأى بشأنها فأنى أعاد النظر المصرى وملء قواى الأسف العظيم . . . إن مصلحة الوطن وعيته وواجب الطباعة له والمخاوف القطنى إلى وقت أعبراه ستلجى إلى اهتمام أساميل العدو لوصول إلى أوروبا ثم إلى الجيش الذى أعهد بقيادةه إلى كفاءتك مؤلف كله من جنود ثم أبناء إلى ولقد اقتضوا جميع الأوقات وعد الشدائد راضين للاعلاص إلى والتمس إلى فأتى للسؤال أن نسلهم بطل ما كنت أعلمهم به من الرحمة والرفق على أن هذا فرض أنت مطالب بأدائه بما على ما لك فى نفسى من المودة والاحترام وما بينى وبينك من الروابط الوثيقة التى لا انقسام لها .

ثم أرفق تلك الرسالة ببيان رسمى جاء فيه ما يأتى :  
 « الجنرال كليبر مأمور بتفقد القيادة العامة للجيش فى الشرق بسبب استدعاء الحكومة إلىها - برنابرت »  
 كانت شمس القرن التاسع عشر وقتئذ على وشك البزوع ، وكان الجيش الفرنسى قد حرم قيادة البطل الذى ملأ دياره بمجرات النور والانتصار على ضلعى النيل وما برح أهلا للاحتياط بالقرات الذى آل إليه فضل هذا الانتصار ، وكانت القائد الذى تسلم مقاليد القيادة وأصبح حظه فيها مرتبعا بحظ

سلفه جديراً بأن يكون حير بدلاً منه كوف لا وهو الذي ظهرت  
بطورته في القتال بوقائع شهبائها وقائده وظهوره وسمايته  
وأنتكنتكي وكثير من الوقائع في مصر ، وجمع الـ مزنة الجراء  
خضيلة الروية وبعد النظر في التواقب وخص من البراعة والقدرة  
بما يحمله أهلاً للفرح الشار الذي لمح سلفه اليه وانما الفرق بين  
جوناوت وكثير أن الأول كان سريع البديهة والانتكاز والفتى  
طول الذائفة والروية ومن كانت هذه خصته خلق به اذا امتد  
حبل أجله أن يحمل ما ابتكره سلفه من الانتكزة أثراً جليلاً  
وملائقاً

ولو أن هل مصر استشيروا في تعيين خلف لجوناوت  
لأعطوا جيرة أن القصور عليه مستحيل ما لم يكن كثير الذي  
يقلد الأمر من بعده ، ذلك لأن المصريين بما استقر في قلوبهم  
من آكلو الحسية الأولى مدحومون إلى تقدير القول بحسب ما  
يرونه من ضئيلة الأبدان وإن عداة الرجال وفطنتهم في نظرم  
م أصحاب الأبدان الفاتكة وأقرب الأساطين ، ولا ريب في أنهم  
يجهلون ما إذا كان عليه الاسكندر الأكبر من صف الجسم ولم  
يكونوا دأوا عمداً عليا الذي كان القاطرون اليه يحسونه من  
الأفراد النابيين اذا اعتدوا على صفاته المحسوسة ومميزاته

الظاهرة في الحكم عليه ومن يقول الرجال وبناتهم اذا عركوا  
في هذا الحكم على التماثل النسبة والصفات للصورة وليس من  
الغريب ان يجهلوا ما اذا كان رأى الأمم الأوربية في البطل  
برنابرت وأنه يخالف رأيهم الذي على الصفات الحسية لا للشرية  
وكان يشق عليهم بلا ريب اعتقاد أن من كان مثله في صرحه  
يستطيع أن يقبض العالم رأساً على حذب وأن يهز بانتصاراته  
المروءة ويزول بتوحيده الأوجين . ولقد حظوا القس في أمره  
اذ تمسوا عليهم للتوقيع بين عصر قلته وجلال شعره انهم يستطيع  
سوى لشعراء الفروع من هذه الحيرة حين تقل بعضهم في وصفه  
ما مثله : « اذا عصرت قلعة القائد الجمهوري فان رأسه قد ساء  
الى كبد السلاء »

وكان تكبير يهدف في النفوس الرجعية والاحترام يظهره  
الجاني الذي يهر الاضمار يقتسب الأعضاء مع قوة الأساطين  
وكان باجراح الآراء أهل جندي في الجيش الفرنسي فلما استندت  
اليه القنبلة القيا بمصر لهذا الجيش هابه القناس وحشوا  
بأسه فمت له وقامهم وتطاعأت رؤوسهم حتى تقبوه لهذا القنب  
( مريح فرنسا ) وما كان أحسنه بأن يدرك اليه المراد من  
لكلمة التي ظاهراً برنابرت يوم ضمه الى صفوفه حذب وقائم

ابن خيري ، أياها القائد إنك لعظيم كهذا العالم .  
ولما كانت الأمة التي استلم زمامها تحكم على القوة والجلالة  
بحسب ما يقع بصرها عليه من مظاهر اليفخ والبطشة وكانت  
لهذا السبب تدعسها رؤية من يطيعون رئيسا لم تكن ثباته  
انظر من ثياب جندي من جنوده قد قد رأى القائد كبير صونا  
لكرامته ورفا قدره وتحرزا لشدة بأسه لن يستمع حوله  
مظاهر الجلال الأسيرى قضى بأن يؤدى إليه ما كان يؤدى  
ال البكوات والايك من مظاهر التشرىف والتكريم وآليات  
الاجلال والتعظيم فرتب القوامية ليسيروا أمامه على صنف  
متوازيين وبأيديهم النصى والخاصين بسبحون على ثلاثة بالقة  
القرية . عدا هو السلطان هذا هو الحاكم للسلط مطاميرا  
رؤوسكم اجلالاه ، ولكن السابة من الشاة إذا رأوه مقبلا  
وصعرا أبدهم على صفوفهم ثم انحنوا أما الركبان على منون البغال  
والخيل فكأوا يدرجون أولا ثم يؤدون التحية على النمط للتقدم  
وتنقل كبير من هذه التسلط التي لم تكن حقا قارعة من  
الننى ولا خالية من التأثير ال النفرغ لشؤون أخر كانت لأحيها  
تتمس جهده ومعه فانه أراد أن يورث لعبد اسباب السعادة التي  
لم يكن من المستطاع التمييز بينهما نظرا ال لنسل

الموادت والذات واستمرار الحاجة الى الجيوش قسيتها فاصبحت  
للمستشفيات والسكرات بفضل ذلك الجهد متوافرة فيها  
اسباب الصحة والطمعن والاستعدادات أوسع نطاقا وأقن  
صنع لتلبيز وملئت الثمارن والمستودعات بالثؤن والالذية ومحمل  
الغناويرن على حساب الجند بالقسوة والصرامة ودعا لهم وحوسب  
عمال الحكومة على التمثل والتغير من تصرفاتهم حتى لقد وقع  
من أحدم أن فرض فريضة غارحة من القانون يبلغ ٢٠ ألف  
لرلك وعص بها عه غلزم بأطاعتها الى أوليها وسبق هو الى  
أحد ميلدين اللدية حيث أحدم وميا بالرماس

وفي مستهل تدمير من السنة الثامنة للجمهورية أقيمت  
حفلة باهرة إحياء لذكرى تأسيس الجمهورية ألقى فيها على الجنود  
خطبة استلها بقوله :

« أيها الرطق الإبطال : إن أعلامكم تكفى مبهة ضار  
الاتصاف ومن قام مثلكم بحلاتي الأعمال لجدير بحسن الجزاء  
ضليكم بقليل من القبر والكتابة ليحصلوا على مكافأتكم وتناولوا  
مشتاكم ولن يحضى زمن حتى تقنعوا بفما يحكم الميمنة أسم  
الأرض كلها سلما ثابت النظم وطيد الأركان بعد أن حاربتوها  
جيا »

وإذا كان الفصل في استقرار السياسة الرحيمة بأقاليم الدنيا  
على الأساس الرعية راجعا إلى ما اتخذته القائد العالم كثير من  
الاحاليب الحكيم والاحتياطات الرشيدة فانه يرجع الحشاش  
الاعليم الوجه القلي فيا حث بها من أسباب السادة والرفه  
والنسيم إلى حسن ادارة القائد دبره وعفته وزاخرته . فانه ما كاد  
ينتهي من اختراع لعالي تلك الاقاليم ويستتب له الامر فيها  
حتى تفرغ قدير مسؤولها جاعلا ذاته القفل والاعتدال  
والحاسة . وطغ من الامر أن اعز أن الاملون اليه ضاعوا إلى  
مزاولة امالم الرماية وأطلقوا عليه لقب السلطان المادليو يبرأوا  
من كل فتنة اتلو للمالك غبار حاسولت هؤلاء الامراء البهراكية  
لهذا السبب في منزل من التميز والظهير من ابداء مصر ولم  
يحرأوا على اغتراف الصحراء المحاربتنا ولم يبق لهم من حية بسد  
أن يرحوا مصر بالسين من العوفة اليها إلا التوفيق بين حركاتهم  
وحركات القوت الانكليزية لتهديد نهر القصور والاسيلاء  
عليه . وكانت قيادة هذا الموضع بيد الادجروانت (دورلر)  
فتمكن من ايجاد القرة قاتلين البريطانيين القويين وصلنا اليه  
وأصاحاماته بالرغم من كثرة القنابل التي أطلقتها عليه ومدها  
٦٠٠٠ تبة أمامه بذلك فقد تصدى له (مورانت) قائد

احدى فرق القرساي ومرتق شمله في سمهود (بحركو مجمع  
 حمادى الآن) ضد ان لفتى أثره على مسافة ٥ فرسخا  
 وعند القائد ديرة لنية حينما رأى ان ذلك الأسير يضر  
 دواعيا ولا ينفع أبداً ان يقضى عليه القضاء الأخير فجمع ٩٠٠  
 صبيحة عودها جلبة القتال من صليل - بوف وصهيل خيل  
 وفرقة بتألق ودوى مدافع وعرب مثل هذا العدد من الجنود  
 على دشانة الحركة وسرعة الفاجأة ثم قسم هذا الجيش الى قسمين  
 وكل لهما ملاحقة ذلك المصمم المييد والقبض عليه. وقد ظهرت  
 أكلوه لها بأطراف الميود فترجل القرسايون عن صغارهم وألقوا  
 مرصدا هجم الرادون عليه ثلاث مرات متتالية فلم يبالوا به  
 سالا بل اضطروا الى التكموس على احتاجهم منهزمين وحل أثر  
 هذا الخلدت زمس يسير عر مراد قليل بالتقرب من أطلق  
 وأول في وادى لنية من جهة لادوس ثم عاد أمواجه وأخذ  
 يحول جولاته الأولى في الوجهة للقبلي

وكانت مرصدا الميعة قد ملنا في مسرعا الى أسير قرض  
 على مراد بك ان يملك هذا الأقليم الذى هو أقليم المييد  
 وأوسما نطافا وأوغرها خيرا ويخول الاستقلال التام به مرصس  
 مراد معاهدة القرساي على الاختصاص بترك المنطقة الصغيرة

من الأرض ينابض فيه ملجأ النظر القصرى كاه ومالكه  
 القصرى . وكان هذا الرقيم جملاً لاطرام القوادى كما كان هؤلاء  
 يسبون بطوكه ولركته الدائمة لئن لا يمتريه هو وزحاه  
 بسما القصب والكلال ولم يجد مراد من الضيق وخرج  
 للوفى فى عمله مع القرنيسين ما يجهل على كسر حده والخط  
 من كبرائه وعطرته وكان لا بد لئن يجمع لهذه الضرورة يوماً  
 ولكن هذا اليوم لم يمكن قد حان بعد

كانت الحكومة الثمانية قد ألفت جيشاً فى الشام وزحف  
 به على مصر لاحتلال الضفة اليمنى من النيل فاستدعى دبره لشفقة  
 القائد العام وكان وراء هذا الحادث البطل قد بادى شعبة جيشه  
 وتجهيز مؤنه وإعداد عدته وفرر لئن يترك لمراد بلك البطل على  
 القنارب لبتفرغ لقتال العيوش الثمانية لئن لم تكن شيخ الأمير  
 لغير كسى عجايبها شيئاً لم كوراً

وكان أرضه آلاف من جنود الانكشارية الثمانية يقسم  
 جيش احتياطى فى مثل هذا المهد قد نزلوا الى البر فجاء دمياط  
 والنشأوا الاستعدادات على السواحل وهى الاستعدادات التى  
 أحلام بها فيما بعد ألف جندى فرنسى تقط تحت قيادة لغيرال  
 (فرديه) ولم يجهلوا للقيام لهم بها مستطاعاً . ولم تسع البقية



أخاطبة من قلوب تلك الجيوش للفتاة إلا أن تكسبت على الاعتناء  
بهيئة النظام منكحة الأجزاء وفي مقدمتها نالها سيدة على بك  
ولمأت إلى سمن القومودو ( سيدنى سمث ) التي بلغت بها من  
البلاد الثمانية وكان هؤلاء اللاجئون قليل العدد لضعف  
السواد الأعظم من الجيشين في قتل وجرح وأسير مقابل اثنين  
وعشرين قتيلاً فقط غرق الجيش الفرنسي الظاهر

على أن هذا الفوز الذي يظن نصفه إنما لم يكن بحاجة  
عن نظر القائد العام للجيش الفرنسي حرج موافقه وقر بطلان  
الذئبة ه قلة الرجال والمال وغناء للزمن والنفائز خصوصاً وأن  
القتال لم يمد يده وبين ذلك فقط بل تناول المعالجة الدولية  
التي تألفت مندوباً من انكلترا واليابان والولايات المتحدة  
حول كليب على استئناف المفاوضات التي كان جوناپورت قد بدأ  
بها قبل دحيه إلى فرنسا حيث إلى الأتراك مندوبين مفوضين  
من طرفه لمفاوضتها الحترال ديرة والمدير الخصام ( جوسيلج )  
ولكي يؤيد جانب هذين المندوبين ورمز القيمة لموكرلة الهامذهب  
يجبته إلى الصالحية على حدود الشام وكان المصدر الأعظم قد تمكن  
أثناء ذلك من استيلاء أولياء الأمر في القريش عليه ودرس في هذه  
الدينة صلاحه واشترى بالأموال بعض القوم والمصاريف بحثاً لها

لم تلبث أن سلمت إليه حيناً دعوها بحرفه غير أن جدياً من  
القرسان الفرنسيين أبي الأتقيام بالوابب والموس على الشرف  
فأطلق آخر وصامة من بدفته على برميل البارود في الحصن  
فانفجرت ونسفت في اقتجارها جدران وأسواره التي دلفت تحتها  
الفرنسيين على هذه الخيانة والمركبين لها

ولا خلاف في أن هجوم الثنائيين على ذلك الحصن في الوقت  
الذي كانت المدينة فيه على وشك الانهيار عاقبة مريحة للامانة  
وشهوة ظلم من القواعد للرمية في الحروب على أنه ترك  
الفصل في هذه المسئلة الى أولياء الامر الذين لم يحق لتفكير فيها  
ولستؤقت للفتوحات من جديد فأُسفرت عن اتفاقية ٢٨ يناير  
سنة ١٨٠١ التي بمقتضاها تعهدت جنود الجمهورية بالجلاء عن القطر  
في مدى ثلاثة أشهر بشرط ان تقدم الحكومة الفرنسية اليهم  
وسائل الانتقال الى فرنسا بسلاحهم وسنابغهم وتخفيفاً لهذه  
الامتناعية كان الجيش الفرنسي قد تأهب للتدخل في المدن التي  
أعطتها تلك الحكومة إلا ان الاميرال (كيت) تدخل بين  
كثير والصدر الأعظم مدرا القائد العام الفرنسي بأن بريطانيا  
الطبي لا تصادق على المعاهدة للبرمة إلا بشرط واحد هو تسليم  
الفرنسيين سلاحهم واعتبارهم انقسم أسرى حرب وتركهم كل ما

يكون من سنن وفختر ومجلى ماستاء حكيم من هذا  
الاشتراط ولم يحلوا الرسول البريطاني عليه بكلمة واحدة بل  
اكتفى بان طبع الرسالة التي جاءت اليه من طرف أمير البحر  
البريطاني وقبلها بالجملة الآتية :

« أيها الجند ! إن مثل هذه الأحوال الرقصة لا يحلوا عليها  
الا بالاتصال والقود تغذوا عدتكم للقتال : »

فوثبت الجنود من مكانها وحبت من مراقبتها منعشة  
للاستقام صانعة بكتار وحاول القوم موهود سيدنى سميت بياض خير  
من قسه ان يحسن النماء ويرقى لانسانية شر الصدفة المقتولة لكنه  
عبثا حاول لان الأهانة خلقت الجيش الفرنسي ولأن كليبر آلى  
على قسه ان يقاتل مرتكبيها . فأعلن ان الجمهورية والباب العالي  
أصبحا في حالة حرب ثم رسم خطط القتال وعين ميادونه وحشد  
تحت أسوار القاهرة عشرة آلاف مقاتل لم يلبث ان قذف بهم  
القناوين الضخمة التي تبين قصفوا بالهلال عين الشمس (عليه بوليس)  
تحت قيادة يوسف محمد باشا المشهور باسم كهور باشا أي الباشا  
الأحمر . وكان هذا القصف قد استمر لحدى عهده في دافعة مع الروس  
ولى لجر يوم ٢٩ فتموز من السنة الثامنة للجمهورية ( ٢٠  
ملو من سنة ١٨١٠ ) انتهى ( كليبر ) جولاى كراما وليس أحسن ثباته

السكينة وبعد ان مر من جهوده في سهل تمتد على عدة ائيل  
صاح فيهم قائلا :

« أصدقائي وانتم انا اطلبوا انكم لا تملكون من مصر  
الآن سوى مواصل ما تقدمكم فأذا تراجعتم الى الوراء غطو قواحدة  
قدروا على انكم المقاتلة »

وما علم هذه الكلمات حتى علت الى غنان قسده صيحات  
الحماس والحمية وأخذ الجيش معه الى الأمام

وما راى الجيشان حتى شرعت ميسنة الجيش للقرنسى بقيادة  
الجنرال (مرمان) تطلق القذائف من قروحات مدافعها فأرايت  
القذبة الأولى تنطلق من قسط العدو فتمزقها ومالت اليه  
تحت تبعده (وبقية) برصاص البنادق وحرا بها على بقية الطليعة  
القنابية التي استمرت بقية الطرية وهناك أمت النار على عالم  
يأت الحديد عليه وكان السواد الأعظم من الجيش انتهى آخذاً  
موضع خلف عابة نخل بحيلة بقية المرح مستترا بها فاستكتمه  
فرمان وزج به الى الخائفة ثم الى الصحراء وكان لا يزال يحل  
ليس وما جاورها من البلدان الى فارس من هذا الجيش وعدد  
عظيم من المشاة فسأوا كلبير الرحمة بهم فأذن لهم بالمرور الصدر  
الأعظم كيور بأشار التي ولي الأديار في حسيانة من القرم ان

والاحتفاظ بأنفسهم ليدفعوا عن أنفسهم عند الحاجة صد  
المران

ولما غلبت تلك الجود الثمانية مراكرها الحصينة تركت  
في قبة القاهرين عددا كبيرا من الجيول وأسرة النفل والسروج  
والأفشة الحمرية والزواشع النظرية والصناديق والقيام والدافع  
ولم تكن الأحوال بداخل الدبر المصرية أقل استعدادا للهمة  
واليقظة والنشاط منها في هذه الأيام ذلك لأن عددا عظيمين  
الجنود الثمانية التي مرت اقتضت فرصة اشتغال الجيشين  
بالحروب اللامعاس بين سكان القاهرة وإذاعة الأراسيف عن  
نتيجة هذا القتال وصدق الأهلون قولهم قبل أن يحكموا في  
مصناعاتهم فانسأفوا بدافع الكرلة وحسب الانقسام نحو الأحياء  
الأوروبية وأخذوا يفتخرون سكانها بصنوف السباب للقاسح  
ويكسرون زجاج نافذاتهم بالأحجار ويحطون أبواب دورهم  
ويقرون بحلهم في الخليج بد القرض عليهم وعظم ولكن لم  
تكن الا عشية أو صباحا حتى وصل اليهم الملبوسون والهيومنون  
في واقعة عين شمس فاشتد بهم الحلق والطقد واقضى يومان على  
البطل (دورانت) وهو يحارب في القصر الذي لجأ اليه مع مائة  
وتحارب رجلا من رجاله عشرة آلاف تركي وجا العديد من الأهلين

قد تحملوا عبثاً فكراسة وحب الانتقام وأخذ مدغم بالريادة حتى بلغ إلى غدير القاتس مسلحين بالرمح والسيوف والبنادق المتينة . وفي نهاية الأمر وصلت إلى المدينة قصائل من الجيش الظاهر تميز زجارتها الصخيرة التي اضطدت منذ وصول هذا القصد خطة المجرم بدلاً من خطة المصالح وكان الثائرون قد أقاموا للثائري في الطرقات بارتحام أربعة أمتار وجدارها طليتين نعلو احداهما الأخرى وانتأوا لحمل البارود وصنعوا من حديد اللامجد القتالي وتدفقوا إلى أعدائهم ما كان هؤلاء يرمونهم به منها . وعاد كثير إلى القاهرة فعرض لنا هو قابل الشدة بالشدة أن تقدمته القنطرة والجند فوضع إلى للسائلة والتماسح والحق مع الثائري اتصالاً رضى هؤلاء به في الظلم والظنوة في الباطن فاضطر تجل هذا الحش إلى اتخاذ وسائل الارهاب مدغم من اسراق وتخريب وكان الامير مراد يكره الحكومة النهائية فمخشي انتقامها منه اذا استتب الامر لها في مصر فاقسم إلى جانب الفرنسيين واناصرهم ومدغم بالخنائر واللوؤن فلما كان يوم ١٠ أبريل سنة ١٨٠٠ الموافق ١٠ جرمينال من السنة الثامنة للهجرة اُسْرِق الفرنسيون بلدة بولاق في ضاحية القاهرة فاصبحت آكامها من الرماد وعطيت العامة بالهلعان للتصاعد من الاماكن التي شب

صرام النار بأعمالها المتفجرة ونعت الأطلال من بناها ، ثم عدل  
كثير عن التدمير والتخريب وأعلن عهده من المدينين والكافرين  
في مقابل ما فرغته على الأهلين من التمرينات للقادة بقدر  
ما يفي بمحاجات الحسد ولوازمه في هذه الأزمة الصعبة

ولم يزلهم من مجاح القائد العلم لها لولده من تجميع القوى  
والخداة القليلة لم يسهه إلا أن كشف من حوله بما هناك من  
المطاحة للسلطة إلى عناصر صكرية جديدة لجميع إلى الصلاة  
والمقاومة القوية على السدوان والتم بإساليه ولم يكن متاحاً له  
أن يستمد على أي مدد يأتي إليه من ناحية فرنسا ومع هذا  
فإن ما قلناه جيشه من صعوبات الطقس وشدة اند الحرب كان  
قد أحدث في صفوفه فراراً عظيماً صرف كل عته إلى سده  
واصلاح الساد الثاني عته قائم بعد أن نظم حملة الاموال الاميرية  
لخلف اتقائها من المواقف بحيث أصبحت في طوف الاحتمال ووجد  
استحكامات القاهرة وولاني وعزرا الحصون في نقط مخفية من  
سواحل البحر الأبيض المتوسط أنكب على التحصين في الأراضي  
التي تحتها جنودنا سيومها تكتسب بذلك من جسر الأعداء  
المقهورين أصدفاه خلفاء وأمرنا أمانه وكان برنايرت قد شكل  
فرقتين الاجانب وأخرى من الفرسان السوريين بجنه كبير عدد

صلي من الممالك والقلاع القوي شمر لهما بمجد بالمكرى وأنشأ  
طابرداً مؤلفاً من عبادة تبطي وآخر من تعبئة يرقى وأدخل  
في أحسن القرفة الحادية والعشرين الخفيفة جيداً من السورانيين  
اشترام من توافل للخاصين الآنية من التوبيا والقرية

وقد دعب في تونيق الزوايط التي دبطت مراد بك  
بالجمهورية الفرنسية فله زمام الحكومة بالتصديق الأعلى  
وخرطب له موعدا للقاء في جزيرة ترسا القرمسة من الجزيرة  
وهناك في اليوم الأخير من أبريل سنة ١٨٠٠ تصافح البطان  
تحت عيمة أحدث لها وتبادلا عبارات التوداد ولم يتقابلا من  
ليل إلا والسيوف مسارة بأيديهما والرماح مشرعة إلى صدورهما  
والبنادق مصرة إلى رؤوسهما وكان يقص هذا الاحتجاج خصم  
كأن لم يكن أهل من كليج إصجابا واسمراما لبطل الممالك العظيم  
ألا وهو القائد ديزه الذي كان قد عاد إلى أوروبا وفي حقه فيها  
بمركة مارنحو

وسيرى القارىء فيما يلي أن الاتصال من هذا الاجتماع  
الذي على الزمام والاتفاق إلى ما يشبه قصص للكلايد وروايات  
الطبل والكتبات سيكون انقبالا غالياً سريعاً وليس هذا  
بمستغرب لأن من المروءات ما تبدو عليه دلائل التناقص ثم



لاحظت أن ثلاثي كاتباي ترمي إلى غرض واحد  
 ويلزم هذا أن المصدر الأعظم كان معفراً في سرقة بين خمس  
 إلى الصحراء بخطر جبينه عزياً وخية ولفظ فيه لئلا يخطئ  
 وأقل ظناً أس على حياته من خطر اللامعة أصدر لئلا يخطئ  
 ثم بعض ينشئ فيها اسم المقتد والكذب علفد وصف القائد  
 العالم للعبس والمرسى الذي كان ذنبه الوحيد أنه نطب عليه وخلفه  
 وأخره الفرار بوصف الكافر العين الذي دس أرض مصر  
 يقدميه ثم قدر الكفاة شظالية لئ يحميه برأسه ذاكر أنواب ذلك  
 عند الله ونعمه للناس أجيبين فلم تكن هذه المناشير إذاً إلا  
 دعوة عامة للمسلمين أن يفوسوا نومة وجل واحد على المسلمين  
 ولهم اقتضت لهذه الدعوة آذان الناس في العالم الإسلامي فاجرى  
 من أهل حلب وجل عرف فيها بالقتل في الدين والتصلب في  
 الشجاعة له أحد على نفسه أداء هذه المهمة مزوده أمر أن المصدر  
 الأعظم براحة السر وخبر القتل وثلاثين قطعة من النقد  
 القضي للاتفاق على نسه ولعل في تحديد اللبغ بهذا العدد إشارة  
 إلى أن المسيح بيع بثلاثين دراهماً

وصل سليمان الحلبي إلى الصحراء فقصى ثلاثين يوماً في  
 الجاهل لأداء المهمة للوكولة إليه بالصوم والوعظ وفي الاتفاق

مع جملة من الشيوخ ورجال الشريعة .  
 فلما كان يوم ١٢ يونيو سنة ١٨٠٠ وهو اليوم الذي جعل فيه  
 ذبحة بواحدة ملو بمحو قتل كليو بيد ذلك الرجل على أثر حرمة  
 الجيوش بحرية الرونة وتناوله طعام القتل على مائدة الجفراق  
 (دوماس) في وسط وسرور . ويان ذلك أنه بعد انتهاء الطعام  
 خرج قاسداً إلى دار مجاورة لدار مضيقة من دقطنه حدود بين  
 اللينين وكان يقبه للهنس (بروتان) وكان استدعاء لاستشارة  
 في ترميم البناء الخامس بالقبعة الدالة موضح نظره على رجل زدي  
 للشكل يتقدم نحوه تقدم اللتس صاحب المطبعة فلما صار على  
 مقربة منه انحنى أمامه انحناء الطاعة والافتاد وانفذ وصح من  
 يريد أن يش إليه شكوى أو يمرض عليه حالاً فأخذته الرأفة  
 به وبد إليه يده بشيء من المال فلم يكن من الغاش إلا أن وثب  
 فجأة وزق قلب القائد للسكين طعنة شديدة سقط بسما على  
 الأرض سائحاً . « قد كتبت » هم بروتان الهنس ساحتف  
 بضرب القاتل بسا كانت يده مهجم هذا طيه وأصابه بست  
 طعنات من خنجره حتى إذا ألقاه طريحاً على الأرض ملو ويده  
 سلاحه يقطر دماً ليجز على فريسته الأولى وبعد أرودها صلا  
 مولده الردي

اعتنى إلى القاتل عتيداً بحديقة دار القيادة العامة ليعيش  
 خلف شجرة كثيفة الأفنان فقبض عليه ودفع حراً وبقي عليه  
 الجلس الأزهر إلى لجنة تحقيق عسكرية تمكنت على هؤلاء برى  
 الرقيب يوم الاحتفال بتنصيب حائزة القاتل باعتباره أنهم شركاء  
 القاتل في جريته وعلى القاتل بأمر لى يده ثم برحمته على الظالمين  
 ويقاد جسمه مطلقاً حتى تهته الطيور الباردة

وقال القاتل لا يجلود الزامة والمشر من السر وانه سار  
 مطبق القواد نمر مكان التعيد وأظهر القاتل من المرأة والحيات  
 بخلاف شركة المياه الثلاثة الذين كانوا إلى ساعة رى رقبهم  
 يكون بكه التكال

أما سبلان الحلي فند من يده إلى القاتل للتصدي وكان يرى  
 بهينه له تشويه النار فلا يهدى حراكا ولا يفوه بكلمة ولا يلق  
 أين العالم أو الشكوى ولما وضع على الظالمين لم يهد على وجهه  
 علامة الاكثارات ولم يفتو جسمه بتأخير الألم وحياة ما شوهد منه  
 أنه حيها رمت أكف المتعدين الحكم لوصفه على الظالمين أجل  
 نظراً فيمن حضروا لشاهدة إعدامه مطبق القواد ما كن  
 الجأش ثم قد بالشهادتين

وقد لقي على الظالمين أربع ساعات ونصف وسأل مراراً

في خلاط من معدن الحكام أن يرفعه بشيء من الماء فلم يجبه  
أحد إلى طلبه خيفة أن يفت عليه فيموت فسل أن يأخذ من  
المداب القصب الذي استخفه بحربه إلا أن أعاد رجل التوبة  
الفرنسيين أخذته القسطة و فرغ إليه بطرف بدت كروب منه  
ما كاد يشربه حتى اسلم الروح . والميكيل انطوني ليليان المظلي  
معروض في غرفة التشرع بحديقة الثباتات الفرنسية بفرنسا  
وفي السابع عشر من يونيو أقيمت حملة جنونية لإجلاء  
القنيد وتذكر أنه ، وقد لبث للدافع منذ كتبه نطق طفقوا بعدة  
في كل نصف ساعة ثم أعلن من تشريح الجنحة بالطلاق للدافع  
من القسوة وسائر الحسرة . وكان الجسد يحمل ذلك بثلاثة أيام  
قد تناولوا أسلحتهم وهم تحت تأثير الأسف والمزن لهذه الحسرة  
للثقة ومما باعتراف شوارع القاهرة لأمراء قار فيها والتكبير  
بالأعين جميعاً انتقاماً لضعفهم وأكن القواد تلافوا هذه الكثرة  
بضرب القصور العام جميعاً لثباتهم ولم يسكنوا من إيمانهم من  
القوى في تيار الانتقام إلا بشق النفس . وساروا بعد ذلك في  
حقة الجنحة متسعين وكالوا يسريون والأسف بالية أكثر على  
وجوههم من ولود للثمين من الطوائف المسيحية والإسلامية  
وكانت البنية مجللة بغطاء أسود وضمت عليه شارات القنيد

وعلمت شرفه وتقل الثابت الرصاص على مركبة نهر حاست  
أفراس مجلدة بالسواد وتحرك للركب يبطه وسكون قاصداً  
مسكراً ارفع بك الحصين الذي كلف الى جانبه أرض  
فيحة تظللها أشجار الأثل فأضيفت بالشموع وشن بها الحدود  
فلما وصل للركب الرعب غيت الجنة فيه بعد ان غطيت بقتار  
الازهار واكاليها وبكت بدموع الباكين وحت بصوات  
الانقياء والمصلين

وصح عندئذ الشير (عوريه) كلام أسرار المجمع العلمي  
المصري عن درجة يرى منها الجلود جيداً وقد استطعت استغلالها  
للقتال فأنتى حطبة تأيين مسوية مدح فيها القائد العظيم (لا إله  
إلا الله) في قلبه كما أسيت هنري الرابع والقبول دوجيز ونس  
بسرنا أن نورد من هذا المطالب الشطر الأخير من القصة بآيات  
حب الوطن والجلال قال :

« أيها الجيش الذي قرن اسمه بإسمه إيطاليا والرين ومصر  
ان الحظ أودعك موقفاً غريباً فبما ان أنت اليك أنظار العالم طراً  
جعل البلاد تسبب شهامتك وثباتك وعلك سيرة انتصاراتك  
مقدومة بالتشكر لك . لا تنس أيها الجيش انك وأنت هناك  
لا تزال تحت نظر ذلك الرجل العظيم الذي اختاره فرنسا ليدعم

أمكن حكومتها بعد أن دلتها أبهى الكوارث الطبيعية  
والصائب المظلمة . إن جفيرة ذلك الرجل العظيم لا تمسها  
البحار النارية ينشأ وبين وطننا فأكلوها موجودة الآن بينك  
ومخرجة بدعائك . إنه ليحك حبا جيا ويحملك على الشهامة  
والثقة في رؤسائك تلك الثقة التي بدونها لا تكون الشهامة شيئا  
مذكورا بل ولا تنفع شيئا . وهو يحملك على الاتصاف بالفضائل  
السكرية التي خلف لك منها كثيرا والتي ينبغي أن تكون  
للك الأعلى لرجالك الجبين . أنا لندعرك الله أن ينوح جهود  
الفرسيين في ذلك السبيل ويجعل حكومة راقية نالية . عندنا  
أيها القائلون الأبطال نتمنون بشرائك الرتب التي هي حق  
لأبناء الوطن المحسنين والوفاء تصدون بينكم في شؤون هذا  
القطر البعيد الذي فتحتموه مرين وفيما كان من أمر الجيوش  
الديدة التي ردت مولود القضاء فيه سواء أجمع بوقارت شعائرها  
بحرأته المسكينة حتى في وسط بلاد الشام أم بعثها كليب  
بشجاعتها التي لا تقهر داخل القطر المصري فأكثر الذكريات  
الطيفة للوزارة في النفس والتي ستجرون كواشها مني انقلهم إلى  
أعاليكم وعشتم وسط أسرائكم التي نرجو لها المنع بسعادة تطف  
ما في نسكم من مولود الأسف بل ما أكثر ما تمزجون وتشتد

سيرة كثير العزير بما ستقصوه على ذويكم من قصص الحجة  
وأى لواحق من أنكم لن تصفوا أدليها الاسم إلا وأنتم تسمون  
بطلوكم وقد نهت منها اللسان بل لن تسموا سيرة إلا وأنتم  
تقولون لقد كان غير صديق وديق الساكر وقد كان ضيقنا  
بدانهم مريضا على تخفيف آلامهم -

وأما أنت يا كثير : أنت أيها البطل العظيم وهل لى أن  
أقول لكس ، أنت للتعود بهذا الاحتفال الذى نرجو أن  
لا ينفذ احتفال من نوعه ، فم بسلام وأمان فى وسط ما أفتنه  
من آثار العبد ومعلم المنون ، اسكن هذه الأرض الشهيرة منذ  
التصور الأول وليدون . اسكن مع إلهه ( سبرمانيكوس )  
و ( بجنوس ) ( وروبيوس ) وليرحم من كبار القواد والفقلاء الذين  
تركوا منك فى هذا القدر تذكروا لا يبعي ،

واخلقت بعد ذلك للدماغ والبنادق وسفهمها وداع الخطيب  
والجيش للتفكير الزاحل وآلت القيادة لليلة الى أقدم قائد فى  
فرق الجيش . فكان هذا الحادث مصابا جلا . فكان لأن الجترالى  
( منو ) وهو الذى آلت ليه القيادة لليلة كان لا يصلح لبدان  
القتال صلوحه لأدارة دفة الأمور . فأنه اتفق فى سبيل الأحوال  
الأدريه كل لليلة التى كان يفتنى صرفها بلا حساب فى وسط

المسكرات وكان يرمى طول اليه مبهوتا فيمنع من توبه  
متبا كما كان يرمى نهاره مسكرا غلا يأنس من نفسه القوة  
الكافية لكبح جماح المراتب الذاتية التي استغلز كادتها في  
نحوس خصومه وخطراته لاحتذاء الى ذلك النصب المطير . على  
أن أول حاسطه من البلاغات والأوامر الرسمية كان خير ما  
ألمح به في خلال الداء التي تول فيها القيادة وهاهو

د أيها الجند لقد وقع جرم عظيم حرمكم قائمكم الذي كنتم  
تختمونه وتبجلونه وإلى الآن مستوية هذا الحرم للتطبع أملككم  
وأمام العالم أجمع على ماكن قائم ذلك الجيش التوحش الذي انتجسرت  
في سهل للطيرة فله هو الذي باتفاقه مع أنا الانكشارية وضع  
السلاح في يد سليمان الحلبي الذي لم نكابه أشنع البرائم قد سلب  
من يشكم وجلا يجب أن نبقى ذكر له حادثة في نفس كل فرنسي  
يجب وحته . عيا أيها الجند لقد تمكن كليلير في مدة لا تتجاوز عشرة  
أيام من تهديد سحابة أولئك التوحشين الذين اقتضوا على مصر

تمكن كليلير بما سنه من القوانين المشككة من تحليل عدد  
السرقات والغنيامات التي كان لا بد من ونوعها في كل دولة واسعة  
القطاق . كان كليلير قد دفع للتأخر الجند وجعل مرتباتهم داخلة  
في الحساب الجاري وكان مهتا شديدا الاهتمام بخطة رسمها



للإصلاح العام مما أياها الجند إن أصغر مائة تطيعون أن تسكروا  
به سيرة البطل كليبر إنما هو خصوصاً ذلك النظام الذي تتوحد  
عليه قوة الجيوش على قدر مدتها ومناخها عند الحاجة وهي تذكركم  
على الملأ أنكم جمهوريون صادقون وأن الواجب عليكم في كل  
مكان أن تسكنوا مثلاً يحتذى عليه في النظام والأخلاق كما أنتم  
كذلك في البراءة والنبات عند النضال عليكم إذا أن تطهروا  
رؤسكم من جميع الرتب والدرجات وتطهروا أيماناً كنتم جمهوريين  
فإن الواجب علينا التحمل بفنائل الجمهورية . أياها الجند إن  
الانتمية في الرتبة دفعتي مؤثراً في مركز قيادة الجيش وليس  
لنبي ما ألقاه اليك إلا التمس للجمهورية والارتباط بها ارتباطاً  
غير متغصم القوي التي ساستند شهيرة بونابرت وبطولة كليبر  
وإذا سرت في مقدماتكم فما هو إلا فصل جيداً بالأخلاق لانيه  
مصلحة الجمهورية .

الامضاء : عبد الله جاك منير

ومن الحقائق المقررة أنه ليخلف قائد الجيش بونابرت  
يجب أن يكون بطلاً معلوماً وليخلف كليبر يجب أن يكون  
وجلاً هادئاً وطلاً مقدماً . ولهم من أن للزعيم على القسود الذي  
أوردنا نفسه فما نخدمه له وعد بأن يقتني في الطريق الذي  
سلكه الأول الأثر الذي تركه الثاني فقد انصرف انصرافاً شديداً

من الخطة التي سلكها كلاهما فإنه لم يثبت أن كليبخه يرضه  
بنقطة الاحتياط والتمسك في اقتفاء الأبرياء العسكرية التي كان  
بها يميل عين خمس بل أنه عدا الاقتفاء بل التحصيل على أسناده  
فذلك القائد العظيم فاستفاض عنهم و للراكنز التي تستلزم الخفة  
والإمالة بأولئك الذين كانوا به من التركيز والتعلقين . فكان  
من نتائج هذه الخطة السرجاء أن الرجال الضخمين أمسكوا من  
سلواته وأن الجنود أنفسهم حادوا عن مصادقته خصوصاً وأن  
ذكرى ذمهم كانت لا تزال ماثلة بأذهانهم

ومن الأثر من حنودنا الليل لن لطاية ولانهم وأن أول  
ما يسمعون منه هو النظر والجبال من كان إذا صار على خصمه  
بدت عليه الخيرة للجزء من حمل جسمه الضخم وإذا ركب جواداً  
لم يشمر حتى من الراحة فهذا القائد الذي انحصرت مزايده وصفاته  
في روره أن جنته بهذا الشكل الضحك يند وقاد أجل ضابط  
وأنه الجيوش الجمهوريه هو الذي لطمة في استيالة للبدن  
واكتساب ثنائهم وحدهم قد اتخذ له اسماً شريفاً واحشاً وتروح  
بصدق شرعي من خاة مسلمة إذا ليس بها في العمر بدا كأنه جديها  
الأنثى . وهو الذي منع للمصريين مع ذلك من مزاوله كثير من  
مادتهم المستعدين من الدين وكان مصرحاً بها على طريق التسامح

من مواد جيوشنا فلا يجب ان يأتهم وقد صواب بالاحترام  
الواجب ان كان في منعه بل كثيراً ما كانوا يقولون : لسا  
نريد شيئاً من جنسكم الخالية الطي ولا من جنسكم الزمهريرة  
الهدر وإذا كان مما لا مفر منه اختيار فالتكم مدبراً لشؤوننا غانا  
تفضل الأقامة في جميع سلطانكم التقيد على الإقامة في دسرون  
سلطانكم انطال»

ولوجب من هذا للاعتبار أن تنابى الأعداء فيها بينهم  
والاشاعات التي تداولها الأوروبيون كانت تسع خلالها الخاط  
الثورة والسقوط والانتقال في قلعة بل ادعى منه ان الاحتراس  
والخلف ما يهدد للشعوب الأجنبية من الاستفاضة بما دب بين اعدائنا  
من عقارب الاقتراق وعدم الاتحاق فاقصد تحسنت انكثرا  
مواع للصنف منا فكنمت اليك الشيا في العالي ضرورة التهور  
يسهل حربي يكون حانة أعماله صداد. وكان الاسطول البريطاني  
قد اجتمع في كرامانيا بالسطول الممولة الملية ولاح الاسطول لان امد  
نهر الاسكندرية في ٨ فبراير سنة ١٨٠١ الموافق التاسع من  
شهر رجب سنة ١٢٢٠ للهجرة وكان النهر (الف أركروسي)  
يقود القوارب النهرية فوالقرد (كيت) القوارب البحرية فاكاد زوون  
الاستطلاع فلقم نهر النهر فلقو تسع فلقو حتى استولى الفرنسيون

عليه واعتقلوا ركابه وم ثلاثاً من ضباط دم الخمسة واسطرت  
 السجون سفينة التي كانت تحمل عياب البحر خلفه الى تحويل  
 خط سيرها بعيداً على البحر فزداد الجور وارتفع الامواج  
 وتبدد الالحماء نحو السواحل . وبعد أسبوع صعدت بحراً الى  
 البحر فتمكنت من لقاء مراسيها في مودنة ( ابروير ) وكانت ريح  
 الشمال الاستوائية لاتزال عابدة فلما كان الثامن من مارس للوافق  
 ١٧ فتتوجهت هذه الريح من الشمال الغربي وهذا البحر وذلك  
 أمواجه فتمكنت تلك السفينة من ابرال من سها من الجلود الى  
 البر اذا تحركت الى الزولوق خمسة لم وعددها ٣٢ دوراً مربة على  
 صف واحد ومنصة الى حصة الحمام وتجهت نحو البر تحت  
 قيادة الزمان ( كوركان ) في مقدمة كل منها مدعية وكان عدد  
 ما تحمله من الجلود ٦٠٠ رجل تحت إمرة كل من البحري جنرال  
 ( مود ) : بالبحر جنرال ( لورلو ) وقد أحضرت المدافع الصغيرة  
 على الساحل مقدومتها على بحرية الزولوق فسقط بعضهم فوجدوا  
 فوق الجلود التي كانت مطروحة على سطونها بداخل الزولوق  
 اتقاء القذائف ولكن كان كلاً مروع منهم واحد خلفه غيره على  
 القور ويدل المندفون قصارى ما عدم من الجلود في التحديق  
 حتى تمت الزولوق الى الشطوط ووقفت عندها . عندئذ نهض



الطريق كغيره طريق مزدحم . ٥ اظهروا انكم لا تملكون من امر الناس  
شيء مما افلق الله انكم بذلك ارجس خطوة الى الوراء فيسلككم العناء .



المخوذ من قيمان الزدابق ووثبوا سراعا الى الارض وكانت  
الجنرال فريمان قد بلغ بالجمعة بناء على إشارة وصلت اليه من  
للكاكر الاممية وأمر وجهه الذين لم يكن عديم تجاوز الآف  
والحسيلة بالمل بمد أن فرهم على الرؤوس للسرور في العودة  
ولم في القتال السيف ثلاث ساعات لم يسعه بعدها تجاوز كثرة  
العدو ووفرة مداته إلا الانسحاب . وإذا كان قد خسر في هذه  
الواقعة اوساخه نفس من وجهه فإن المساواة الى الحقها الانكليز  
لم تقل عن ١١٠ بين قبيل وجرح وإذا كان العدو قد استولى  
على الموقع ورجع عليه اعلام سيادته فاما الشريفة فوامة في ذلك إلا  
على طاق القائد لتمام عد الله جاك منو

وصلت الى هذا القائد عشرون رسالة من مراد بك على يد  
عنان بك البريدي بحيث تلك الصورات القديسة وتدمر الى  
انخذل الحيلة لها غم يشأ ان يسلم بأمكن ونموج اى عمل يكون  
المرض منه ازال ذلك الجيش الا في اليوم الذى ظهرت للأفطار  
فيه الموكمة الانكليزية الشابة والى خبر وصولها رسمها وكان  
الى ذلك الوقت بهزأ باناسمين اليها ان يجب للعمل مستجراً مصانهم  
ليه واستغز ازمه لاء نروما لاسرع له فلما هم اقتصدوا ولم يكن رعب  
في وصول العدو ونأهيه للقتال كنت تراو طمس الرماحي الصجرة

متجنباً التدابير الكبيرة في ذلك لاجتماعه عن السير في مقدمة حيث نحر المكان الذي نزل العدو فيه وانصره على انقاذ فرقة الجنرال ( لايس ) الى مايلي الرحابة فلم يطأني وصولها الوقت المناسب لثلاثي نتيجة واقعة ابي لير

انضم الى جيش الجنرال فريمان بالقرب من ( نيكروبوليس ) فاضطر الى التحول في معركة كان من سوء حظ الجيش الفرنسي فيها مثله في الواقعة السابقة . ولقد نال الناس أين يقف العدو بعد أن نزل الى البر وساد بهم الخوف والتلقن بما ألقا القائد العام الى الاستيقاظ من نومه ففتح عيبيه بعد ان خرج من دائرة حرمه وقرر مناصرة القاهرة وسلم ان الجنرال بودابرت لا يرح القهرة قتال مدعني بشا لم يترك في هذه العاصمة سوى مائتي جندي . وكان في هذا العدد الكفاية الكامة لمعط الدم والأمن بها وكان ذلك من سياسة حكيمة أظهر بها للأعالي عظيم قدرته حتى مع مداومة العدو له . اما الجنرال منوقندسرم نفسه هو ينادي القاهرة معونة اربعة آلاف جندي تركها بها فأصبح من المتعذر عليه ذلك المعلوم عن منه من الجند القليل على الجوانب الكثيفة من جرد الأعداء . وكان من أمره لهذا السبب أن اكتمى بمناوشة هؤلاء مناوشة لا فائدة في النهاية منها ولا شك



و أنه لو أراد أن يصرّب العشرة القصية حتى لا يدع الثنائيين الذين كانت فصل جودهم بها من ناحية الشام يندسون ويتعصبون الاكبر لتبرير هؤلاء ، لأبغى بلامه القتل له لا لبس الا  
 لغة الجنود منه

ولقد حاول عثمان في سبعة ٢٦ مارس الموافق ٣٠ هـ أن يغدر من آكام (كلوب) الزمينة الى الحية التي من البحر والعسكر الروماني القديم نهاية آلاف وثلاثمائة جندي من مد الاستحكامات التي تخص فيها ستة عشر ألفاً ومائتين بحري تمحيهم مدعية عائلة عثمان أحمد مرسانه ٣٠ عاماً لتبرير نصف القرعة الحدية والمشرق التي أدت من آيت البطولة ما هو حري بالتسجيل في صفحات التاريخ ، وعثمان أودع الموال الذي أدت اليه تيانة من الحدي وقت غير ملائم استغزاه من جيشه بقوله لهم : «أها الأصدقاء اتنا مبعوثون بما الى العهد وبما الى الموت منتقدم ، ، وعيناً اعترفت حياته المؤاسة من ألف ومائتين مارس الاستحكامات البريطانية واستلوت القنادق وتطلبت على الخطير الاولين ، فان القائد العام بدلا من أن يقوم على تدير حركة حربية بواسطة ثمة جيشه أحد بروح ونفوس ميدان القتال فكان من نتائج هذه الحركات أن انتدت القوة

التي فيها أولئك الخنود عليهم فوجدوا الجدي في الوقت كقفل لهم في  
كله الحاسبة . ومع أن الفوز في هذا النهار لم يكن إلى جانبنا  
فإن العدو لم يجرأ على أن يتقدم خطوة إلى الأمام . ولقد اتفق  
لأحد ضباطنا أننا نرجل من جواده فأنطع في حينه لأن القائد  
( أبركروسي ) وأتخته يجرأ لم يمش بعدها أكثر من ثلاثة أيام  
ولقد قال هذا القائد وهو يلفظ النفس الأخيرة إنه يموت . فشرح  
العدو منبط النفس لشكته من صدأ أول جيش في العالم .

وأصيب الجنرال ( دانيون ) من نواد أوكان حربنا بأكثر  
من عشرين رصاصة نجت نياحه فجدتها كالثلاثة وأصيب الجنرال  
( ديتان ) بجراح بالنسبة وترعت قنبلة سابق الجنرال ( سيلي )  
وأصيب الجنرال ( برادو ) بجرح عميق وطويت حياة الجنرالين  
( لايس ) و ( دول ) على السجل للكتاب

احتجب مو في الأسكندرية احتجاب من هذه النظري  
والعدو وقرق قوات جيشه في الوقت الذي كان التتبعها أو ما يكون  
وبه انتشار الطاعون بالقطر على أثر ذلك صعد على ياقة إذ مات  
به في جي . وبه حليفنا الصادق الشهم مراد بك الذي لم يكن  
إخلاصه في البكار عليه أقل من إخلاصه بمالكه في ذلك بأولئك  
إلى اليك الذين كسروا سلاحه على قبره لا متقادهم أنه ليس منهم من

مواضع لها وحققه بعد موته من قبله المشهورين ولكن هل كان  
 لبرنسا ان تستند عليه اعتمادا على سلطته ؟  
 غلبت رغبة الأوكليتز كما غلبت لهم الجبهات الواقعة عند  
 مص النهر فاستولوا على زعمهم على بلدة (عوى) ثم صدوا عنها  
 الى الرحاية وطلوا وحقهم حتى صكروا ببلدة (الميرة) ونزل  
 الجنرال (بريد) الى بر (القصير) على رأس ستة آلاف من  
 من السيلبي السود ونزل الليل مع مراكب مراد بك أما المصدر  
 الاظم الذي كانت طليعة مؤلفة من مراكب ابراهيم بك فقد جاء  
 من الشام في ثلاثين ألف مقاتل اشتد عشرة آلاف فارس منهم  
 خمسة للجيش مقسمين في طريق بلبيس وجحور رت مدينة القاهرة  
 من كل جانب وكان الجنرال (جبار) قائدا لها ولم تكن عنده  
 مؤن ولا ذخيرة للدفع ولا مال الا ما انتصده زملاؤه من ثغاة  
 أنفسهم . ولم يكن عنده من الجند سوى مائة آلاف كان يدخل  
 مائة منهم كل يوم الحاجر الصحي بسبب انتشار الطاعون . وكان  
 يرى أنه أكثر من سبب نفسه فانتقل من جفون قتاله ويشهد غلظه  
 هو ما يريد عدمه على الثلاثمائة ألف نفس قد أوردوا الرعد موازدا  
 التلف والجرح فمضوا وتلوت طليعا ثلثتهم حينما وأوا تحصن  
 سلطتنا مؤونة بالأفول ومع القائد بمطلة هذه الحالة من غير

نمرة تحتى لأن دياط والبرلى والأفليم كله أغلت من بدنا  
ووضع فى قبضة العدو .

عندئذ صاح القائد القوام رجاله . « أهيا جند ، إلى الأجيال  
الخالدة تستطيع لسطكم من العدل وتصدقكم أيماناً انصاف . ولكن  
الواجب عليكم الآن ان تموتوا فى مراكم من استحكامكم  
وطاعة هذا الامر أنتم مدينون لها للشرف والأرواح وملائكم  
الذين صرعوا انظاركم نحو الوطن وكان الوطن آخر ما فكروا  
فيه قبل موتهم »

ان حياة أولئك الأبطال وان يمت بأعلى ثمن فقد كان  
مما يحزن الأفئدة نصيبها فى سبيل الاستعيل لهذا السبب فقد  
جلس حربي للنظر فى الأمر واتخاذ ما يورث من الوسائل حياله  
ومن القريب أنه مع وضوح الحالة وورود أسخطوها للأنظار قد  
وجب أعضاء هذا المجلس موقف الفرد تجاه الطريق الوحيد الذى  
كانت تقضى البداة للوثة بالسير فيه . فقد كان الفرنسيون  
يحاولون الدفاع عن مصر فى جهات متناحية مجازين بأنفسهم فى  
ذلك ومودعها موارد الموت وكانت البداة تؤيد جانب الذهب  
القائل بضرورة حزن السماء وغداً بالأساية . إلا أن نمرودة الوطنية  
وعزة البطولة قد نالوا ثمرها فى تقوسهم حينما سمعوا أن من بين

الشرط للعودة عليهم التسليم صاعرين فإنه لم يسع (دوا)  
 فقد احدى الفرق حينها هم بذلك ألا ان صاح في جنوده قائلا :  
 «أجود برأيت وكثير ، اذا أردتم ان تصفوا بقول فتظفروا من  
 استكمالك لتأية العدو وجها لوجه في استكمالاته . فان الجبد  
 ينظرنا فيها هو الحق المخلص اذاه ملشبهه من تولد الجنود حاسة  
 ونجدة على قرار في هذا التي غير ان بعض قوى المحس من  
 أصاته لم يفتوا ان تمسكوا من تطلب النقل والصلبة العامة  
 القامية بصيانة الاذواح على تلك الحركة الحسية للنبذة من  
 أحاس كرم وعطرة طاهرة واستطامرا أن يفتوا يداعة  
 الحباب ما هنالك من الخطأ لدا ترك جبل ذلك الحاس على طوبه  
 وتقر في حابة الأمر أن دم الجنود الجمهورية لا يسح أن يدفك  
 بعد الآن ما دام أن للرض من سفكه لم يكن أكساب الجبد  
 والشرف في سبيل الوطن .

وصل رسول من طرف الفرنسيين لتأية القتلة العام  
 فاجود الانكليزية وكان هذا مسكراً بالبيعة في عشرة آلاف  
 جنكي صرمان ما والحق على الاقراعات التي كان يحملها اليه  
 الرسول ولما كان حتى تلك الساعة يمتنى ان يقات له البحر  
 ظهر الجبن . وتم الاتفاق على تعيين مفوضين من الجانبين النهي

الأمر بهم بعد المفاوضات إلى التفرع في الساج والقشرين من  
ويو سنة ١٨٠١ الموافق ٨ سبتمبر من السنة التاسعة للهجرية  
على شروط صالحة للفرنسيين لأنها جاءت بالنسخة لمعادن الرئيس  
والشرط الثاني عشر يجبر لكل مصري واجب في البقاء على ولاء  
الفرنسيين ورايتهم والرحيل من هذا القطر وهي تشير بوجه  
عام إلى ما كنا أهلناه من الاحترام بما أديناه من الصديق  
والاستقامة في تصرفاتنا - وما يدل على ذلك دلالة صريحة أن  
تجانية الآف غر من المصريين والفرنسيين المواطنين لهم آثروا  
الرحيل في السفن من مودنة إلى فيرجو - رحيلنا التاني من القطر  
المصري الموافق ٩ أغسطس سنة ١٨٠١ و ٢١ ترميدور من السنة  
التاسعة للهجرية - ومن لم يساجرو وطهم المصري ليعيشوا  
بخرنا وشهدوها وطننا ثانيا لهم فقد راحوا على التواطي  
وعلامات الحزن بادية على وجوههم ونساقوا إلى تودينا - ولقد  
قالوا يقولون في صيحاتهم لنا " إنا على ثقة من أنكم لو انظروا  
لمدائنا الآن على أثر ما وقع فيه فأنكم من الأخطاء فأكم لا  
بد مائدون لنا بولاء "

وبدعي " أن عساكر ما كانوا لا يستطيعون الاقتصاد من  
مصر مع تركهم فيها جثة القندم الأعظم كايبر - ولذا كان أول ما

ذكروا فيه بل وحيلهم أن قنصوا افره واستردوا منه تلك البقية  
للكرمية . وقد حيت المدعية الفرنسية الحقة أننا نطلبها من القهر  
الى الساحل وبلغ الإنكليز والاراك النظر فاشترى كرا في النعية  
بأطلاق مدافعهم أيضاً

وكان ( سو ) ما زال مقبلاً بالأصص صورية التي تمنعها  
البحيرات والبحر فلما لمع اليه نأ الاطواق التي عقدت بالقاهرة  
تكونت دائرة نصفه وأقسم ألا يوقع عليها . على أنه حدث في يومه  
وأمناعها فلا يمد إرسلها يسير من الزمن . وكان هو أيضاً  
تفحص الوسائل للذوية اتصال من لسنيلاء اليأس عليه بسبب  
انتشار الأمراض الروائية . وكان يشعر كل يوم بتصيق الخشاق  
عليه فاستمر يمد حصار دام اربعة أشهر ونصف أن يعمل نفس  
العمل الذي جهر بالتفاده وعيده . نعم . كان في بيته أب  
يحدثي الاسكتندرية سيرة مقاومة الجبال ( مابيننا ) في حنوى ،  
وكثيراً ما كان يكتب في هذا الصدد الى الجبال جوناثان  
فرنسا ، ولكن من أين كان له أن يحقق هذه الأمنية وهو  
الذي اتخذ نحو نواو جيشه خطة صارمة بأفعاله للقائين ( دماس )  
و ( ريشيه ) الى فرنسا ومقاتله الجبال ( دامبون ) مقابلة جالقة  
عجلة لا شيء إلا أنه قل عليه نأ الفلوسفة في الصلح التي قرر

الصباط في مجلس منقوه لأن يجتثوا إليه . ولقد نقل إليه القائد  
( دارمانيك ) من ألبا صيريه مو قوله : « وأنت أختك أنت  
التي أعطيت شهادة الأرتقاء إلى رتبة القيادة » فأجاب دارمانيك  
على الفور : « لك أن تستردوها بأيدي بل إلى (إرادك) براسها  
لذا كان في بقائها عني ما يفرض على القومف معزل من شرف  
عساكرى ومصلحتهم »

ولم يكن الوقت ملائماً قط لوعني خطة العشيرة والصلابة  
في الدلالة مع (إرادوسين) ولا مع الرؤساء الذين تردوا في دست  
الرأسه براعتهم وبعد ان جهر الجهر في منوا أكثر من عشرين  
مرة بأنه يؤثر الموت تحت الطلح الموضع الذي يدفع عنه على  
نصيبه للأعداء كل أول من رضى باقتراح حقه مدة أخرى  
أثناءها مفاوضات الصلح وفي الثاني من سبتمبر سنة ١٨٠١  
الواقعة في فروكشيمور من السنة التاسعة الجمهورية كان هو  
الذي قالوس الجهر (هتكسن) في الجلاء وكان هتكسن كلما  
تكلم بعد ذلك في الموضوع قال : « لو كنت في مكان بونايرت  
لأحدث هذا الرجل دما بالرياس لأنه بمحضته وغروره أخرج  
مصر من قبضة فرنسا »

في آخر جيمبر السالف الذكر أدفقت جيوشنا السبي



التي أعيد لها سلطانها ومهابتها وأديت إليها التغطيات العسكرية  
وكان أبطال منو على ما ذكره بعض كتاب التواريخ آخر من  
صعد في السفينة لأنه كان يشمر بعارق يده وبين جنوده بالخطبة  
التي أتبعها وبلغت للفرس على هذا الثمور لاسيما إذا سار في  
مقعدة أولئك الأبطال الذين تولاهما تقوا حوريات معمر إلى  
مرسان يد غير يد الانتصار والقور

ما في أولئك الأبطال وقد ركبوا الشمس بمقود بانظارهم  
الأرض التي رويها طريق جيدهم ودم توجهم . ذلك لأننا نحب  
الماضي التي شهدت ما تكبده من الآلام ولكن طريق  
الفران والترى أفتح من الطريق الموصل إلى وطننا فأد  
كل من جلال الأمور فتح البلدان والآن نل على الشعوب فما  
بحلو فنفس حت السير في الطريق الموصل إلى مسقط الرأس  
مردنا فيها تقدم حوادث هذه الحلة التي استمرت انظار  
لأم الأسيرة والأوروبية مرأسريها والآن تذكر أن أمين  
من أساطين الأدب والشعر قد دوما موضوع هذه الحوادث  
في قصيدة شعرية جميلة يد مطلعها فيها الفوائد بربايرت في صورة  
وجل أحاطت برأسه حالة الفخر وسورايجها الجيش بجلاله القديم  
ومصر يذكرها وسابها الشقة وسرايا الزائل ونصيبها

الشيء وفعلها الصبية . ولم يرد أحد من المؤرخين الذين  
تناولوا البحث في هذا الموضوع في أن العالم لم يره لم يشهد عتقا  
أعجب من منظر الحلة الفرنسية في مصر ولا شيئا قام بمثل مقام  
به الشعب الفرنسي من المنجزات ولا شيئا ففهم في جهة  
الأحرام هذه الكلمات التي لا تسمى : « لاشي » بمصطلح على  
الفرنسيين . . ووب منقوش يفترض بأن الأعلام الفرنسية  
أولت من فرق المساجد وله قول : « نعم أولت ، ولكنها بقيت  
خفافة بين صحراء آمون وفي جبل تاوور وبين رأس البرنس وبلاد  
النوبة أي ما إلى الشلالات وبجيزة مية ( أنس لوجود ) هي  
خلق في جوها لمر الأمبراطرة الرومان زمانا ما  
لما وصل مراد بك من الصعيد الأعلى ليدرك القنوت  
الثانية في مسكر أبي سير كانت لمعالي الجيش اليهودي  
ناكدة على الأضباب للاجتماع والاحتشاد . . وخيل لطيف مراد  
الثاني أن هذه الحركة مظير من مظاهر الطوف والفرود . فلما  
رأى حيله الجركسي مقبلا من بييد صاح قائلا : « أولئك  
الفرنسيون الذين لم تطلق بقاءهم قد كفى أن ظهر لهم بنفس  
لا أرفعهم ملازمة القنوت . . فلما سمع مراد بك هذا الكلام غضب  
وصاح : « يا أباها جدير بك أن تحمد الله وتصل على نبيه

لا سحب الشمس من أمملك لأهم لو عادوا لا خفيت من  
 أمملك وتعدت نراك كما يندد القرب ويدهب انداج الرياح ،  
 وذهب نمن أصحاب النظر المحدود في الحكم على الأشياء ،  
 إلى أن فتح وندى النيل حم قنار وأمنية مرفقة يديع الألوان  
 فقد دم للزورخ ( نير ) في كتابه على التعمية . « ان مابلون لم  
 يتصور قط في محيته مشروما أعظم ولا أضع من ذلك المشروح ،  
 وفي الواقع فإن القوس التي دى إليه من فتح مصر كان أقرب  
 إلى الخط من صلب الإنكليز الكاسين لنا منه إلى الرعية في  
 مسافة اليالك حرك اضطرادهم لتجارنا وقد كان الإنكليز في  
 لحظهم الحرية الأخيرة قد استولوا على شبه جزيرة القوس ( بالهند )  
 فكان لا بد لنا من أن نستول على مصر للموازاة بين كفة الفتوحات  
 الإنكليزية وكفة الفتوحات الفرنسية حتى لا يكون لاحدنا  
 رجحان على الآخرى ولذا لم نضمر في سفهم بلاد القديس  
 دوماج وجزر الانيل ونفر كللكنه فقد وضعا في السكفة الثانية  
 أهمل مستمرة في العالم ، وهي منها تم التمديل وغير الموض  
 تأقلمها للنام للصحة البود عن وحاشات الحيات وأرضها التي  
 يضرب المنل بها في التلصص وأهلها للطواغيت للعلم الكاسين  
 الجزيرة صافرن وسهولة المواصلات بينها وبين جزرات الأرض

وان قد أسما الى سور إيطاليا وكورسوماطة تنور الاسكندرية  
ورشيد ودياط فأى وصف برصف به البحر الأبيض المتوسط  
سوى انه بحيرة عرسية ؟

ورإذا كان في المستطاع حصوله مد هذا غير تبدل قوايين  
بلاحة في البحار وحروج صولجان القيادة على العالم من عبدة  
انكثرا واعتراى للآل باستقلال البحار وأها لم تد ملكا لولة  
سبعة من الدول ؛ وذلك هو ما درست مرنا قواعد على الآس  
للجنة لصالح العالم أجمع وأما ما قامت به مصر فيختص ليا يلى ؛  
لإزالة ظلم الهالبك والعض من صلبهم وكبرائهم وحتم  
ونحنين أحوال السكان تربية معيشتهم وإثاقهم على حقوقهم  
التي كانوا قد سدوها منذ زمن طويل وتنور أذعائهم تنورا دعام  
الى التفكير في تأليف حكمهم الرطية وتطبيق معائد الاقتصاد  
السياسي التطبيق النفع على الشؤون والصالح العامة وإنشاء سجون  
ديراك كانت أشبه بالمجالس البلدية في بلد القنطر وأمهات  
مدائه وكان يندب واحد من كل ديوان لينوب عنه في القيوان  
العالم التي كان مقره القاهرة . وكان عبارة عن جمعية نيابية  
يشترك في مفاوضات ومدلولاتها مرخص عرس يرجع اليه الحق  
في قضاة من مصالح الجيش وأمانه وسن قوانين الملكية التي لم

تكون معروفة بالبلاد من قبل واحترام الظاهر من لكل ما كان يرتبط  
 بالقوانين الدينية والشرائع السليمة والمبادئ الخلقية وما من  
 ينسج السعادة والرفاهية نصب بالحيل والاحمال عليه حتى قامت  
 خيرات وعاد السابق مجراء وما من ميدان أو شارع إلا وأقيمت  
 فيه الأسباب لتقيا الحيوات وفي الأمان وشفقت الترح التي  
 يرجع إليها القفص في تسمم يرى عاء القليل الذي هو مصدر كل  
 خير وبركة واشتتت الجسود لمنع تدفق الزائدين منه عن مجراء  
 والحق أثر العصور من التعريف وأدوا بمعرفة جيوشنا التأديب  
 اللازم فانتظروا عن القسط والتعدي بالسلب والنهب والتدمير  
 وأقيمت المائل والمصور على شواطئ البحر الأبيض والاحمر  
 في الجهات البعيدة والصحارى القارية وأحييت القاهرة وتنود  
 الاسكندرية ودمياط ورشيد وبنوا قنا واسوان نياح من  
 القلاع الملية بحجر الصوان وحسن النظام والاعتدال الذين للحياء  
 في عناية الأمور وقرست القبولات القاسية على أرواح القارم  
 وعززت المملات التجارية بالكدمات القادرة القوية وشيدت  
 المصانع لصنع البلود والمساكن لصير الحديد وصبه والمعامل  
 للصناعات المختلفة وثامت اللحم من خولجها واشتتت حوائج  
 الهواء لأول مرة في حياة مصر الاقتصادية ونسقت حدائق

البكرات على أجمل الأغاط ونسجت الخرف لتطيم الرنص واليليار  
وسطالة السكب وأنشئت الطامم والقهوات والجمال الباسة  
الغزف بلوسيتي ومزق كد القعاء بالأسهم النابوة ونظمت  
شواطي الخليل بحيث أصبحت يحيطها نذكر الرافق بشواطي مهر  
العين

ومعونة القول أن المختارة بما دخل عليها من التعيين  
والاقتان قد أعادت بمصباحها الساطع البلاد التي أبعث منها  
أول شعاع من سورها الوهاج وأن ما قامت به مصر من  
مدنيها في أسيكا قامت مثله فرنسا نحو مصر . قال أحد الكتاب  
للعاصرين في هذا الموضوع : « جادت القوم إلى الظهور من  
خبرها في وطنها الأصلي ومدينتها القديم وأخذوا العلم والفهم  
الأوروبيون مقاعد من مدرسة البطالة »

وكانت هذه الحقبة بمثابة حيج إلى ميكن مقدس بل لكأن  
آخر حرب صليبية انصرفت إلى مصر فحمل ما حدى يديها هذه  
الفتنة إلى مصانع بالأخرى يد العلم والبرقان فقد أثرت بمرات  
منه في السفن من ثمر تولون رجالا درتهم الحرب وتدججوا  
بالأسلحة مثل تكبير وديره ومودا ولان ورتيه وجونو وداغو  
وغيره ولوكبير ودورتان وغويو اودنييه الخ الخ ورجالا غيرهم

بحارون في جباههم النمل والحجبي مثل جومار ودونيل وهارسال  
جرنبرون وجوريه وسونج وذنون وبرتوليه ودروتيه وانديوس  
وديجنت ولازى ودوبرالنج . وبعد أن استولى على عسور  
الملك بالقاهرة عقب مناصرتهم لها فرس أسكنها دماقه من  
الفرجين ثم أنب طاقته أو جمية للتنقيب عن الآثار القديمة  
والبحث في أسباب التدهلات القائمة ونشر أنوار العلم في كل مكان  
ونصب قصبه وكلا تلك الطائفة بعد أن عين سونج رئيسا لها  
وفرديه . كرتبرا أديا ثم رأى أن الثرمب كل الشرف له في  
تقد مضوية تلك الجمعية التي لم تحت أن سميت بإجمع العلمي  
للمصري ولم تكن مكانه كعضو فيها أقل سها لو عين عضوا في  
لجمع العلمي الفرنسي . ولم يكن اشتغاله بمسائل الحرب على ما  
بها من المباشرة والمقاساة باثمة له من مهوس والبحث . كثر  
ما كان يعرض على زملائه السائل والمسئلات العلمية التي تتطلب  
الحل ليتناولوها بالبحث حيث فيها على القود تحكيم قروية والنقل  
لا تحكيم النار ولأديد . وكانت المناقشات في الجلسات تروى ال  
أسى المقامد وليس فيها شيء من حب الهوانة للأئمة من بعض  
عاجع العلم وكان ( بوسفال حرزبون ) يقرأ بالشرم الفرنسي تطعا  
من الشاعرين اللاطينيين ( كلوانس ) ( وتانس ) كما كان ( مرسلي )

يخرجهم الى القرية حكم القبان الحكيم ، لاهوتيين القرب ، الذي  
بيع للمبرانيين في عهد سليمان وحل على سوايته التزم ووجهه الله  
الفضل والحكمة غلب الحسن النشوي غير حكاياته الحكيم  
الطيفة نحو عشرة آلاف حكمة بالية سرت بين الناس مسرى  
الامثال ، على ان القسم القنوي الاصل من اعمال الجميع المصري  
كان ينح في الامة القسم النقي لما يرتبط بهذا الأخير من  
التشؤون المحلية . فقد نرأنا في أحد محاضر جلسات الجميع لهذا  
القسم ما يأتي :

- ١ ما هي أحوال النظام القضائي والتعليم بالنظر المصري ؟
- ٢ هل يحوى هذا القطر الوسائل التعليمية لصناعة البارود ؟
- ٣ ما هي الوسائل لمحاربة بكثرة النمل والقمل ؟
- ٤ هي الطرق التي يمكن اتباعها لمحاربة الآفات في الصحراء ؟
- ٥ وكان كلما من له حل مسئلة من هذه المسائل ألف نقطة  
من الاختصاصين قوى التزم بها وحصد اليها بالتفرض لها أجناس  
حليها وقد جمعت أعمال هذه اللجان في كتاب منظم هو والحق  
يقال من أجل وأجل الآثار الطيبة في العالم
- ٦ وأنشئت سبلوح للتنشيط مثل طبعها وديارات بارسية  
الامل وأسست صحيفتان كانتا تنشران من ما تنشراته أعمال



البلد وأخبار الحرب . ولو أن الاستيلاء الفرنسي على مصر دام  
حتى الآن لما انصرف على نشر هاتين الجريدتين اللتين كانت  
لعمامة نسي الديكاد أوسينزوالاخرى نو كوريه دي ليبيت  
بل ليغ عدد الصحف الاكثون

ومفهوم أن اجتهته النور لا يكون إلا بالبلد والاجتهاد في  
تحصيلها فلم يكن النفس الراحة والتعيم في الحملات للرماية أو  
الجلوس في غرف القسيساء والتصامير القديسات على الأرائك  
الحريرية مما يمكن الفلكي من رصد مياه غير سماء وللهندس  
من مساحة أرض لم تغطأها رجله من قبل والجراف من وصف  
نهر أو ساحل أو بحيرة أو مقاطعة والطبيب من درس أعراض  
النفس والباحت في المخلوقات من ترتيب المادون والأزهار  
الأجنبية وللقب عن الآثار من النظر في الاطلال القديمة  
والهندس للمباني من تسيير الأبنية وتصميمها والرسام من  
تصوير الرائي المختلفة . فلا يحب بدهل . ذا رأيت الشعبان  
والخلصين من أولئك الاطلال دواء العلوم والنسوز يقتوف  
بأيديهم في الهلكة ويتسولون صنوف الآلام في الصحاري  
والقفار . ولكن لا عيب قال شعبهم بحب الجليل والنسوس من  
الاشياء كان يفرهم بالفاخرة بنفوسهم وبالتقلب من ميدان جهاد

عليه الى ميدان غيره حتى كثيرا ما كانوا يرمون الأرمسى أو  
يسحبونها تحت رايه من رصاص ينافق العدو ويحققون ما هو نوعه  
من الخسوفات في كساشاتهم بالمال التي كانت تبخرها القذورات  
ويستعير أحدهم بين تدوير صحيفة والمصحفة التالية سيف جدى  
لعدو هاجم أو دفع مستد أو يزول عملاً شاملاً يفسد الشهي وتعد  
الوقت .

وكأنوا اذا انزلت غلبة سيوفهم من شدة ما حملت في الرقاب  
عادوا الى تناول البركار للرسم أو الى القلم الرصاص للتدوين  
والحبر وبالملة فقد كان القنح المسمى المرفى يسمى ذمار القنح  
المنلى المنلى ولم يكن الجدى ولا العالم مديناً أحدهما الآخر  
بشيء من التراجعات وكيف يكون لأحدهما دين على الآخر  
إذا كان الاثنان ينفون عن نفسيهما بسلاح واحد ويشان مع  
بعضهما تحت حجة واحدة . ومما يساق مثلاً على هذا التضامن  
في السفين المسكرى والمنلى أنه ينأى كل من الجنرال (دوزه)  
والعلامة (دنون) يحوّلان الأقاليم الثقيلة الأولى وأسماء البتارى  
أحشاء للميليك والآخراً مقتنياً أثره على الليل حاملاً آلات القلم  
وأصواته حكان العدو في مرلوه يمر بهذا الشبح الجليل متأملاً  
وباحثاً فيقرطس فيه شبه أو يدقته وهو يدعو على جياده فلا

يصيبه لحس الخط مرر . وكان الصلاحون يصيرون الشباك  
والسكمان ويدعون القول الرماس لا اللسان ونحوه الانعام  
والكن كان الرماس يعبد عنه حيدة الخجل والاحترام .  
وكثيراً ما كانت الجنود القرنية والأندما القيام يسمعون طلقات  
البنادق ويهاجرون بشجدة الشيخ (ميرور) وهو شيخ رجل حكيم  
كان الموت على وشكه أن يقتاله وكان إذا أقبلوا عليه أرسل  
اليهم نظرة مطمئنة وقال يكلم الجماعة والشكر ورجا منهم في  
الآن تمه أن يوافقوه بشئ مما يحتاجه في أداء مهنته ألا وهي  
رسم الجباب التي استلأت بها أرض مصر بين الاسكندرية  
والشلالات

وكان منوطاً بالهندس (نوير) تعيين لأقسام الطبوغرافية  
لهذا المنظر والهندس (نوري) تمديد ما لمدينة القاهرة وأسمات  
مدائن الوجهين القبلي والبحري مع درس للتخيلات الجوية  
ولاستخراج لارتفاع الأهرام والهندس (نوري) تباين أنظار  
عمود السوراري وآثار آخر غيره و (ديجنيت) الاحصاء الطبي  
و (برولان) تشخيص الزمد القديدي وعلاجه و (جودفروا)  
(سافيجي) تمرر قائمة بأسماء الطيريات والنباتات و (برتولايه)  
و (ديكوتز) بيان غوامس بعض الثباتات من حيث الصنع

بالألوان و به (جيرار) تخمين أحوال الزراعة والتجارة بالوجه  
 القبيل و به (لانسكويه) و (شاهبول) توسيع نطاق رى  
 للزروعات و به (ديمر) تحليل طلي القليل الخصب للأرض  
 و به (كوسنار) تحليل رمل الصحراء و به (ديسون) تفسير نظرية  
 السراب و به (ديبوليت) ترميم أحوال الواحات التي نفي إليها  
 لياصرة رومية المرتقيين الخارجين على الشعب المسيحي والتي  
 زلزلها لسكرتير الأكبر اعتقاداً به أنه أحد اليهودات وهناك  
 فيها جيش قوامه للثواب من خمسين ألف مقاتل دفن تحت  
 الرمل التي كانت تنفخها الرياح و : (سمارنزي) لشكشاف  
 الآثار البركانيه و بالقائد (أندريوس) تفتيش بحيرة القزلة  
 والبحث في حبر ملح القاق والاحجار الطقلية والجبس واليشب  
 والاعشاب الصحراوية والكائنات للبحيرة المنتشرة في البحر بلا  
 ماء والحشرات المنتشرة بشواطئ "وحى التطرون"

وكان كثيراً ما يتردد بخاطر موناكوت الليل الى الكهف في  
 البحر على السيادة الانكاذبية فيها فأراد ان يوصل بين البحر  
 الأبيض المتوسط والخليج الهندى ببحر برزخ السويس وابتدأ  
 بهذا الطريق البحرى طريقاً عسكرياً الى بناله للقضاء فيها  
 على خصوم الجمهورية فجاء ذلك يوم الى هذا البروخ بحف به

أعضاء الجمع العلمي لاستكشاف آثار القرعة القديمة التي كانت  
محصورة في قديم الزمان للتوصيل بين البحرين ولقد وضع  
بنفسه العلامات على ما ظهر من آثارها بالطرف الشمال من  
الخليج العربي في المكان الذي كانت قائمة به مدينة (لوسيثون)  
ثم سار على الجسور البازرة القريبة من الساحل مدة ثلاثة ارباع  
الساعة عتازاً نحو الحصة للفراسخ حتى وصل الى الحد الجنوبي  
للشربي من بحيرات عمار (المروقة بالبحيرات المرة) ثم وجهه  
وجهة اتجاه نهر الطرف الآخر فاجتاز ناحية النهاية القريبة  
وعلى امتداد عشرة فراسخ ولحق طويلاً غير انه لم يسطر أثناء  
ذلك الى العودة الى القاهرة لفرح منها على الانكليز وعهد  
بأنهم انما هم الى من كانوا معه من رجاله وبما لاحظته الجمعية  
العلمية ان أعظم عرض للقرعة القديمة كان لا يتجاوز خمسمائة  
متراً الى اربعين وكن عمقه يختلف من أربعة أمتار الى خمسة  
والمعروف ان الخفاء القاطمين م الذين حضروا هذه القرعة التي  
أولها قائد الجيش الفرنسي اعانة حضرها ليشغلها كما كان يقول  
بجرا التجارة الانكليزية

وبعد أن عبر برتايرت البحر الأحمر من غادة كان السبر  
فيها ممكناً وحشد أوصل في البر الى مسافة عريض ولحد ليور

عيون موسى وهناك بحث طويلا في هذه المكانين ليعيون التي كان  
 الله يفتن منها ساعداً ، والتي يذهب اليه أهل البلاد ان هذا  
 المكان هو الذي ضرب فيه فلك التي الجوى المجر فاقعرت  
 من تلك العيون التي يخط لها منها ساعداً قديماً ولما أراد لقائه  
 العام المودة من هذا المكان وجد القمامة قد صمرت بماء الماء  
 فاعطى بحث عن خمسة أخرى واضطر أن يصبه الى اعمى الطريق  
 القيس سكت يزدى الى الحية التي كان يصبه اليها ليعيون أن الأداة  
 أخطأوا الحساب فيما يتعلق بالشداد الله فتشأ عن ارتجاع الله  
 خطر كاد يزدى الى كلزنة عظيمة وذلك لأن أحد المساكين  
 حل الخيال بوزاره فجاء على كفيه وحاول أن يحترقه للخناسة  
 فكذلك يمت به الى قاع اليم ويصفق فيها بفرعون موسى  
 ولا أتبع له أن يتشد ذات مسه ومن غير أن يعلم به أحد  
 عن شطوط مصر لينجد غربا بيضه كان قد اصطبغ في  
 المرقعة (مورون) التي حثته بالتيين من أمر العلماء بعبه  
 وأكرمهم عنده وهما (برنوليه) و(موني) وسبب إضراره لها  
 على جميع رجال الحقة وكلهم من أرباب الحجى انه قد حدثت في  
 إيلان الحروب والخصمان إحداهما على القمر والأخرى في الوقت  
 نفسه بالسمل للشد أمام إلهة بليس وكان برنوليه وموني في

زورق صغير ميب عليه الصندو جام غصه وسفطه ، فأظهر  
الرجلان من البراعة في القتال ما استنتج القائد العام منه أن من  
كان مثلهما راسوخ قدم في العلم وشدة جده في القتال لا جلد  
من غيره بالأحترام وهذا ما جعله يفضلهما على غيرها ويخصهما  
بإظهاره لهما بمردته ولما أرسل القائد العام البريطاني ملاحه الأخير  
إلى قائد موقع الإسكندرية كانت الفقرة الثالثة من الاقتراحات  
التي تضمنها هذا البلاغ مالمع الآتي : « تصهد لجنة العلوم  
والفنون أن لا تأخذ معها في مودتها إلى فرنسا شيئاً مما من  
الآثار العامة ولا الكتب المطبوعة المرسومة ولا الصورات  
الخطائية ولا الرسوم ولا التذكرات ولا المجلدات بل يجب  
عليها ترك ذلك كله تحت تصرف القواد البريطانيين ، . أظهر  
الجنرال منو قائده فروع الدين والنراكل في هذه المسألة إذ قبل بها  
بلا شرط ولا قيد ، أما أعضاء المجمع العلمي الذين آثروا التماساً على مصر  
فكانوا أحرص من على كرامتهم وأشد غير قهلي شرفهم إذ أورا الموضوع  
لهذه الاقتراحات التي كانت ترى في الحقيقة إلى حصول الإنجليز  
بطريق السبب والاستبداد على العائنات التي جميعها مقررسيون  
بالتصامم الأخطار ومساندة الشان وركوب الأهوال . وقد لجأ  
منو في آخر الأمر إلى الإلحاح على الإنجليز باسم أولئك العلماء إن

بطور انك الشرط لم يسمع في سعيه لعم الانجليز بأهمية التسمية  
والارتفاع قيمتها ، فتأثرت عندئذ كآثرة العلماء واشتد بهم الحق  
وأخذوا الى متكلمين وغدا منهم ليخبره بأنه إذا ظل مصرأ على  
طلب ما يعدم من الرسوم والكتب الخطية والخرائط الأثرية  
فإنهم يضمنون اتلافها بالتأثير في البحر على أن يظلوا الرأي العام  
الأوروبي ميا يمد على الشدة التي حرموا بها والتي هي سبة فاحشة  
للعالم للتبدين أجمع . فلم يسمع البريطانيون أحلام هذا التهديد إلا  
التنازل عن مطالبهم

وكان القرم الذين ذوبتهم الثورات الكبرى في بلادهم  
على القتال قد استولوا على مصر قبل الميلاد المسيحي نحو ستمائة  
عام وشاهدوا بها حكمهم على الآساس الوطنية فكان في طليعة  
مفوضوا به من الأعمال تدمير ما احتوت الخزائن من النقائس  
أو نهيم إلهها وإتلافهم الآثار الهندسية الكبيرة ونسبهم على  
الدين الكعري حتى أصبحت أطلالا دارسة ليس فيها ديار ولا  
تبقى لمز واستبداد الأهلين وأفراد الأسرات للقرية خسبا  
فما كان القرن السابع من الميلاد أي بعد تلك الحوادث بألف  
وثلثمائة عام ظهر حرب جديد انتهى بتدمير ملك القرم في  
قلعه وحسنه وسيله الى الأهداد والتفريب ففقدوا مصر من المطالب



قد سألته فائدة عمرو بن قدامس فيما يعلو بالصناعات التي كانت  
تقوم بها دار كتب الاسكندرية وكانت تعد بشارات الألف  
فكتب اليه عامته . و ان كانت هذه الكتب تحتوي على  
القرآن فليس لنا حاجة بها وإلا فلا فائدة لنا فيها وفي الخلف  
يجب إسرائها ، فبما على هذا الأمر أحررت تلك الكتب بأن  
استعنت وفودكم بمهماتكم من قبل الاسكندرية منذ سنة أشهر (١)

ومما يؤسف له أنه ما من مرة منيت مصر بأغاوة الأجنبي  
عليها إلا وتحقت نبوة الكاهن الأعظم ما يثرون الأمين على  
الكتبات القديمة فقد قال : **دنى حكم الملك نيأوس أظهر الله**  
**غضبه علينا فسلق إلى بلادنا جيشاً أجنبياً أخذ يبيت وغضد**

(١) في القرن الثاني عشر قبل حيا الكتاب أي في سنة ٦٨١٢ على توهم السام  
بكونه حوآن عمرو بن الخطاب وهو أن من أسر عمرو بن قدامس بأمر من مكتبة  
الاسكندرية ولكن بعد ذلك قلعة الأوروبيين الماشية سنة هذا توهم لا أنتموا  
وفي مقدمتهم القس بيرون أنه لم يكن بالاسكندرية ابن الفصح الاندلسي عمر ولا قبله  
بحر ٦٥ سنة مكتبة م . وفي القوام ٨٦ كان توجد بالاسكندرية حين دافره  
للويزيوم مكتبة كبر ، منرب العراق إلى بيروا للبحر يعمو فوسجن سنة فقلع القوية  
التيه منها إلى جليل القويوم جيد عمود القويوم . لأن وجدت فيها مكتبة روم  
والتيه عليها على روى القوام حتى لما كان أول من القرن الرابع قبله (٦٨٦٦)  
قام سيجو الاسكندرية بأستيفاء القسرين ، أولئك القسروا ذلك الطريق بغير فائدة  
للمكتبة حين ما سلق فيها ، وجدت بعد الاسكندرية (لجها) على جمران حصل أمر  
البحر دم نبدأ بعد اذ من عند المكتبة مكتبة أخرى وبذلك أن يوسفوس الرضا  
الفرج زور الاسكندرية ليا بين الفرج والفرج والفرج من البلاد ووجدت مكتبة كثر  
والس يها . يها . مكتبة الاسكندرية

مها إذ استولى على أملاكنا وقتل مرغانا وأثني الهاتين  
في ذل الأسر وأحرق عواصمنا ونسف عياكلنا وعامل بالقسوة  
والنصف أضاء بلدنا وكين بالقيود والأغلال ساء ما وأءنا ناء

أما الفرنسيون فكفوا لا يرمون طرق القسطنطينية والحق على  
بحر ما كان يرميها القذارة للتوحشون إذ رأوا بأقسام من حق  
للشامل والطارق للأسراق والتدمير والقضاء في لحظة على ما  
حفظه يد المهرور وأما حيل الرجال من جلائق الآكل بل لم  
يجرؤا يوت الأمراء والملك من معاخرها الضيقة ولم يستخوا  
الى النصرين بالقضاء على محاسنهم وإغلاف عياكلهم . كلا بل  
أنهم كانوا أوسع خطا ولذا كاس لياصرة رومية وأقل استغلا  
لشبه إذ استغلوا تلك الاطلال على استطلاع حيايا الناس  
ومكنونات الضيل . وفل أنت يمجبروا بخصب الأرض  
دويرة محصولها وكثرة خبرها جعلوا أول همهم النظر بها أمهم  
فلم يشبهوا أن يواشعوا كبراً وجاوروا الاسكتندون شكره فلم  
يكلمهم أن يشبهوا بين آسيا وأفريقية مدينة زاهرة زاهرة جزر  
العلم والرفاق بل وحبوا عابثهم الى الدائن للشرقة على الموت  
والزواني فأقاموا أركانها ودمروا على الأسس الوطيدة حداثها  
ووجع حنوداً فجأة وقد نكسهم النهش أمام مدينة طيبة ذات

الثلاثة لب خيرا أحلالها بمصيفاتهم الخاصة الدائمة على الأصحاب  
والاستعمار ، وفتحت مدونه أى تدبير القديسة وإستأى أى  
لاتوبوليس القديسة وأدلو أى أبولينوبوليس القديسة وجزيرة  
اليفتتين وجزيرة فية ايوب هاكها وأصوروها لالتد اليها يد  
السلط والتدبير بن تدغلها مواكب الننون الجلبة يسير فيها  
العلماء والتعلماء.

ودعشتهم فوجد مجمع علي أميت حدراة في مسكر  
حرق ونضاف دعشتها واستراها عند مارأت بنات الافكار  
تسير خلف حرية الانتصار وقد نقش هذا الرأي في قلبها  
أحسن ذكرى للمستقبل اليه الذي هيأ لها بين صليل السيوف  
ودوى الدافع في الواقع للأمنية أولئك القاتلون لها بل التصديفون  
الخصون بفتحهم عليها . ولا يزال الرواة من الوطنيين يروون  
من أولئك الغربيين ما يشير الى بقلهم على عبدالحب والاحترام  
لمهم فهم يقولون إنهم على فلة عديم قد شقوا للثامن التشرب  
للحظفة ومنعوا كل مزق جيوشا لا يحصيا العدد ، ولا يزال  
الشيوخ من أهل القياكل الثلاثة حداث خليج السويس يدكرون  
ما أصابهم من القدر أيام صياهم حينما اقترب منهم القرحل لانس  
الفرور يرمون به نابوليون العظيم ، يؤكدون أنهم لم يلقوا وغرقا

تاما على إحصاء جنوده وإما يدكرون أنهم كانوا أكثر من  
 أهل عدا وإذا عيوا دهم قالوا أنه لا يخل عن قلب ألف من  
 الرجال وربما ذهب بهم الدرع إلى التأكيد بأن ذلك للرجل كان  
 يقود طائفة من الجن وأنه عثر على حاتم سليمان فأصبح يهجم لغة  
 الطيور وسائر الكائنات السابوة وأنه كان يرى في اليوم الواحد  
 بالقاهرة ودعا وأنه كان يستطيع بوثبة واحدة اجتياز مسافات  
 تقرب في بعدها ما بين الثرى والتريا وكان بعضهم يسمي ذلك  
 الداعية صاحب للمميزات بأبي القزوة والآخرون يونا بردي  
 وغيرهم بسطان الكار وغيرهم بالسطان الكبير

حدث لأحد أبناء جلدتنا أن رحل إلى السويس قبل أن  
 عثر علما نادى به للطاف إلى بيت رحل من أبطال تلك القزابلت  
 وكان يرفى أصحابه العرب من ليل وأكمل معهم فيه الخمر واللح  
 ولقد أحب أن يضيء به بضغ ساعات في طلب الراحة فأكد أنه  
 لم يجد به تغييرا ما عا كان عليه يوم زلزال الطوفان بونا بردي بل أن  
 صاحب هذا البيت الذي اجتمع به فيه هذا القائد الكبير لمساعدته  
 على أمر ما كان لا يزال على قيد الحياة وأنه سمع بكرر بصوت  
 القنص لوله لم يكن بونا بردي عيوا السليين لأنه كان يستطيع  
 بس إرمه أن يهزم جميع مساعدا ولكنه لم يفعل ذلك فليس

اسمه حاكم بين الأمم . وقد علمت ان أنى عشر ملكا من ملوك  
التصاوى قد تمكنوا من أسره واحتفاله في صغيرة من صفود  
البحر الكبير بعد أن ألهوه بالبحر ، ولكنى علمت أيضا أنه  
لما حانت ساعة وفاته رأى رجال الحرب الذين كانوا يحضرون به  
روحه وقد وقفت على طلاء سيفه . طليم في سلام وأمان .

•

وكانت تربط بعض الفرنسيين بولدى النيل وروابط العبة  
والبلد . مثلوا القاء والاعمة فيها سد حلاء الجوش الفرنسي عنها  
وحمل أحدهم مقامه بأحدى القرى حيث نوسل بحس سيرته  
وحبه الحق والاصناف إلى الجورسي ممة القماء وكان إلتاد  
خطة القضاء إليه تنفص الشاوة الحسبة ومواقفة بعض التفقيس  
في الدين عليه فلم يشأ ذلك التامش الاعياد في إلتاعهم صوله في  
معبه الجلود على الخلف بالقرآن أو الأتجيل بل على شارة  
اتفق الجميع على إحلالها وتعظيمها ألا وهي نيايه العسكرية التي  
علقها في عرفة القضاء فكلمات غير شارة تذكر للتقاميس بكثير  
من الخواص الدالة على القوة والشوكة فلا يسهم متى وأوحا ولا  
الانحاء أمامها إحلالا وتنظيها

وقد عاد الجُمرال دليار ميا بعد الى البدير المصرية كرحلة  
مستكشف ثالثي بالقاسي القرمي غاشماً بالبحال التضاء وهو  
الذي دوي حادته على رجل شهم فاصل بجيل ألا وهو الكولوني  
(مريانيه) يلور الجُمرال داب مجدداً



## الباب الثاني

### الاسكندر والاميرك والهابيك

لما كان القريسيون في مدة احتلالهم لمصر قد اسكروا  
لشاول يد هدموا ودمروا وقلعوا ما هم باليد الاخرى قدشادوا  
ونجدوا ونظموا. ولقد شمر الشعب للنصري في ظلال تسلطهم  
بعبده القديم ولحق قلبه بما عرفه من جلاله وعظمته في سيرته  
الأولى وتكونت في نفسه فكرة كبرى قلما شهد آخر شعرا من  
أشعة سبغت الراحة باليد الى مرنا وقد احتجب بستان الاقن  
اضطرب صدى لا كما يضطرب لاجتماع صدى في كما يضطرب  
انراق أخ أكبر يميزه الليل والحصى وظهرت على وجه آيات  
الخلق والوجرم لما سمر فزاده من الاكشاف والحيرة فما كان  
لشبه بين بشر يفرح بحدوث المصيبة فصرود حركة معها القلق.  
ذلك أن الليالي في مصر كانت بعد انصراف القريسيين منها حيلة  
بالخراوت وكانت ليومها تليد حول النيل شيئا مشرقا فتمل

لأنهم أمل في هذه وقتك أن الصاعقة الأجنبية سوف تتركها ماضية  
أهلية هرجاء وأن جلة المروب سوف يمتدوا زريق الفتنة  
والاختلال

١٤ بدأ جلاء الفرنسيين من مصر كانت القاهرة مركزاً  
لقيادة جيش الصدر الأعظم يوسف باشا اللوات من ثلاثين  
ألف جندي بينهم الحرس الخاص بالوزير وبعض الآخر  
الانتكشارية ووجه من تشيخ الصورة التي لا نظام ولا صابط لها  
وكان ذلك الجيش يحتل أمهات مراكز الصعيد والوجه القبلي  
وكانت الدونسة الثمانية راسية في مياه أبي قبير وكان من قلعهم  
من التليويحي أي المساكين المنصعة لنزول إلى البحر وعدم سعة  
آلاف انتكشاري ولزينة آلاف ابوتوودي يرتبون جهات الدلتا  
الأقرب ما يكون من مرمى ذلك الأسطول .

وكان عدد الجيش البريطاني الذي سبق من أوروبا ١٦٠٠٠  
جندى تحت إمرة الجنرال هكتكسن وكان قابلاً على الاسكندرية  
ورشيد وجنهور والتي اتحد من الحد ٦٠٠٠ من السبهاى تحت  
قيادة الجبر جنرال (بيرد) وكان يحتل الجبله تجاه القاهرة  
وكان للماليك ينفرون برامة هناك بك انطيوخى عليهم  
وكان رجلاً مشهوراً بالقتل والحزم والشجاعة وقد اشترك ستامة



مهم في حصار الاسكندرية ولم يشعروا بعد من هذا الموضع  
وأحدث ثلاثة آلاف وخمسة مائة فارس من بينهم الفريد الشترين  
بالمثل من ثمرات الفداء في الآتية من سائر ولائمة فرس وبرا كز  
مصر القديمة وبولاق وبعض نرى الجزء الأعلى من وادي النيل  
تلك هي القنطرة الجعفرية التي كانت لا تنام عنها أهل  
الفاكرين الجديدين لمصر أو بالأحرى الظالمين للفقيرين بها  
وقد وصلت إليهم الخواطر إلى حالة وصعبا للكتاب العرف  
الأديب عبد الرحمن (١) حيث قال :

« ولقد كثرت زعمى القسرة بالآفة على لاسمة وارباب  
الحرف فبأن القسرة من مهم ويخلص على بعض الخوايت ثم يقوم  
فيدهي صياح كيه أو سقوط شيء منه وإن أسكنه الخلال شيء  
فصل أو يدلون النتائج الزبوف النافعة للقصص القامش بالدرام  
القصة أو يلائمون النساء في صمم الأسواق من غير احتشام ولا  
حياء وإذا صرخوا درهم أو ابدفوها اختلسوا منها . وانتشروا في  
القري والبلدان ففعلوا كل مبيع فتدعب الجامعة منهم إلى القرية  
ويدهم ورفعة مكتوبة بالله التركية وبوجوههم لهم حضروا اليهم  
بالولس إذا برقع الظلم عنهم أو ما يتدعوه من الكلام الزور

(١) ٩٤٤ هـ من قبل من عثر على كتاب هذا الاسم في الرسم والكتابة

ويطلبون حتى يترجمهم مبتغاً عظيماً ويحبسون على مشايخ القرية  
وغير موتهم بالكلف الناحشة ويحطون الأنعام ويهجون على  
النساء وغير ذلك مما لا يحيط به العلم فطمشت التلاحون وحضر  
أكثرهم إلى المدينة حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم أو يركب  
السكري حمار السكري نهواً ويخرج به إلى جهة الخلا، فيقتل  
السكري ويذهب بالحمار غيبه بمساحة الجبل وإذا اتخروا  
بشخص أو شخصين حارح للمدينة أخلوا دراهمهم أو شلصهم  
ثيابهم أو كلوهم بعد ذلك وتسلطوا على الناس بالسب والقتل  
ويحبسونهم كغرة وقرئيس وغير ذلك وتقتل أكثر الناس خصوصاً  
الملاحين أحكام القردة ابوية وتسبب أكثرهم في البيعات  
وسائر أصناف المأكولات والمضادات يبيعونها بما أحبوا من  
الاسعار ولا يسرى عليهم حكم المنسب ولا تجوز وكملئك من  
نولي منهم رئاسة حرفة من الحرف تدعى من أهل الحرفة مسلم  
أربع سنوات وتركهم وما يديرون يسرون كل صنف برادهم  
وليس له هو الصفات شيء سوى ما يأخذه من دراهم الشكوى<sup>(١)</sup>

(١) عند آفة القردة من القرية إلى المدينة في الصيف معلوك دية الأسفل  
من كتاب عجائب الآثار ج ٤ ص ١٦٦ سنة مولانا ١٠١٠ ولاحظ في قصص الأسير  
التي هي من كتابات راجع إلى أكثرهم في البيعات الج ١ ص ١٠٢ و١٠٣  
فقد لاحظ في قصصه وحمل القصة من

وروى واحد من مهاجري الجمهورية وقد صار فيها يمسس  
أعضاء أركان حرب الجزائر الانجليزى (ستوارث) أنه رأى  
بينه الفلاحين يلقطون عبارات الوعيد ويشهدون بأشاراتهم  
التهديد الى الانجليز ويقولون : « أن الله أعطانا الفرنسيين فهاذا  
أعطوننا أنتم أيها الانجليز » الا تراك . . . وإن يكن الانجليز  
والهكوات الساجن والفتاويون قد اجتمعوا تحت لواء واحد  
وضموا كلتهم عند الفاعين الفرنسيين الذين ألقوا في دوحهم  
الخوف والدمر ولكنهم لم يلبثوا أن دب بينهم ديب الاختلاف  
وأثارت نار الفراع ولشفاق على الثروات التي تركه من خلفهم  
أولئك الفاعين لانه حاول الجزل في تنكس عما في بين لكل  
من المتنازعين حصته في السبيحة لان الاتحاد القويعة الكبيرة  
في قوس المتنازعين أصبحت حائرا ماها لكل اتفاق ودى بين  
المالك والدولة البلية وكانت هذه القولة قد سررت أولئك من  
من يلقى الامر صرية شديدة بحرمانهم من جلب المراكمة  
من ملادام الى القطر المصرى ومنهم ينقل من أكلال للنقص  
الواقع في معونهم ووعدهم بذلك بالانقطاعات في بلادها  
الأروية وأعخت في ملاطفتهم ومداراتهم لأنهم وأمراتهم  
في لجج الفتنة وشرعت في الآن نفسه ترتب الادارة المصرية

برأسه الصدر الأعظم على نخط جديد من مقتضاء الاستبدال  
من سلطة المالك بأربعة تشكيلات ونمرين أملاكهم جميعاً لمح  
البعض منهم الطامات لأهمية الحانكات بذلك كن يختص بالحصنة  
الاسدية في القصة الفخرى حتى اذا ملت القيد على هذا المثال  
انكفأت على غريبتها لتنهشها بتواضعها الخافدة

وفي يوم الخميس ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٩١٦ هجرية للوالت  
٩ فديري سنة ١٠ لجمهورية وأول أكتوبر سنة ١٨٠٦ كتب  
نبطان باشا الى أكابر البكوات مختص بيت مراد بك وهو اربع بيوت  
للمالك عمداً وأمرها قرا وأعطها شوكة بدموم اليه فقتلوا  
عن العز اجباها فردوا عليه بعد الأخذ والرد والحل والنقد  
والانقسام والاحجام الاجابة على هذه الدعوة بالقول كي يتخذوا  
دليلاً على النطف والجدة لاسيما وقد عهدوا ان القرض بها  
لينا دم على الصغار اربعين بك يتخرجهم عن الحكم في مدينة  
التمارة ورأوا من العدا المستحكم بين نبطان باشا والصدر الأعظم  
الذي كان ابراهيم بك وأصاره لا يزالون ملتزمين له ما حلهم على  
حسن الفس بقاءه الاسطول العتالي في دهره ايام الى الحضور  
هتده

وصل البكوات الى ذلك الى مقر هذا الاسطول فقام

تبطان بلنا بالمقاوة والاكرام وأمر بأن تنصب حياتهم وسط  
حيات الاراك النصوبة على شكل حلال فانقضت الايام الأولى  
في الفراور والقيام برسم المقاوة إذ كانت لا تطلع الشمس إلا  
على حلة جديدة يركنون فيها الجياد الصلخات لمرض الجنود أو  
الغزو غير أنهم لم يمانحوا قط أثناء تلك السنة فيها هو المرض  
الذي جاءوا من أجله واتاهم من ذلك خلق وتولهم رية لم يسهم  
معا إلا اشعار الجنرال هتكسن بها فبدأ هذا القائد ووجه  
وأكد لهم حسن نيات قلب القتال نحرهم ومن لم يأمنوا منهم  
الباقية وظلوا متروعين متوجسين خيلة فقدوا الحواسر على  
السرعة الى القنطرة فلا استندان ولا استنام

وعلى أثر ذلك استدعى الميرال هتكسن الى لوجده ونهى  
عن القيادة الى غيره ودى ببطان بكش والكورات المالك الى  
حضور حلة تقليد القائد الانجليزى العام الجديد وهو القورد  
(كلفان) فقد الاميرال القناى اعنيًا جاما من أولئك الأمراد  
قرأ عليهم فيه مرماك زعم انه وصل الى الصمد الاعظم من السلطان  
وانه محروم بحسب التقاليد الثبة في الماين القليزوى وسومع من  
السلطان قسمر العام عن المالك ولتقليد كل واحد من أرائهم  
في الادارة المصرية مرتبة تلعب الطمعت التي يؤذيها والفرح

قبطان إنشا سد ذلك عليهم مراقبتهم الى نقطة عينا لقائهم غيرة  
 يراد بأنه سيدعهم قبل سفرهم بالبحر الى الاسكندرية الى تناول  
 طعام القنداء على ماكددة يدعها لهم وأنه يحسب نفسه سيداً من  
 احتفائه به هو وزملائه بمناسبة حادث سيكون من شأنه تحقيق  
 الأماني المصرية وتوثيق روابط الوحدة توثيقاً لا انفكاك له أبداً  
 فلما كان صباح اليوم التالي منطلق البكوات جياهم وساروا  
 نحو الساحل حيث التقوا بالقبطان إنشا الذي كان في انتظارهم  
 جلة الزوارق يقوم قيادتها بحية الساكر البحرية للركبة وما نزلوا  
 عن جياهم وتركوها الى خدمهم حتى شرت الزوارق نحوها  
 وسارت في بحيرة السعيد التي كانت تفصل للمسكر عن الموردة  
 الراسية فيها من الاسطول الثماني وجلس البكوات في الزوارق  
 الخاس بالاميرال وجلس تحرسه في الزوارق الاخرى . فلما  
 دنت الزوارق من الساحل رأى قبطان إنشا دودقا يتجه نحوه  
 فقال : « لابد أن هذا الزورق يحمل برسمي مكاتب من الاسكندرية  
 لليلة » ثم وقف الزورق وخرج منه صابط وتقدم نحو أميرال البحر  
 ومله رسالة ضا عليها يدر بالزور الى الزورق مستمراً الى صيرته  
 بأنه مسطر لمناقشتهم عنية ليطع على مايل في الرسالة  
 وكانت الزوارق مابرحت تشق حياض الماء وكان قبطان إنشا

قد تخلف في الطريق فلما اتى بعد ما ينه ويحب وحرمت الزوارق  
للدة الأصراء من البحيرة ودخلت في اللودة لم تقص إلا دقائق  
ممدودة حتى برزت ثلاث سفن مشحونة برجال مدججين  
بالأسلحة شاهرين السيوف وقد أخذوا برورق الأصراء من  
كل جانب فأدرك هؤلاء في الحال أن في الأصراء عصابة وأن  
رواء الأكمة دورابها فيها والنداع عن أنفسهم عرمان ما أطلق  
العدون البهارات الثائرة عليهم هو نفساً مير منهم وصاح وقد غلغله  
التغيب والاضطراب

وما هذا : أهمل هذه الحيل الدنيئة فهاهنا وجالا مر لا بما  
يحمون به نوحهم بل م سبوتكم وقد أسعوا بأنفسهم اليكم بناء  
على كلمة شرف طاعت بها ألتكم واعتادوا على مولى موقع عليه  
من يد ملككم : أشوهت في العالم كلمة حياة تشبه النفس  
منها ونجزع كهذه وسلوك لا يلبث أبداً بفرم يؤسون بالله : وهل  
للكم بعد هذا أن يستمر في التوب عنه بأمر المؤمنين  
وعظيمة وب الصالحين وسأوى على الحرميين الشريين : ولكن  
بطاعتكم لم تعرف إلا السيلة والكدف ولم يكن لها في وقت ما  
سوى نكت اليهود والخث في الأيمان وإذا كنتم قد انصرفت  
من قبل الكيد فهاهنا عصابة ما كان أفتاكم من نطق أسوار

الحياة والنفس لشهداء هيلكم منا على ما كان أوصاكم عن الاعتناء  
فلك على الجانب والقدر الذين يحفظون من قدر سلطانكم ، ولو أن  
في عرولكم طاعة من قسم الكرم الذي كان يجري في عروق  
أجدانكم الذين مدحوا آتيا وأوروبا لبادتم الآن بقلعنا إلى سيف  
للبحر ورددتم علينا جودنا وسلاحنا ثم عرجتم من معركتنا  
حييا وتزعمون أنكم وقضيتكم على ما نص به الآن من ضعف  
ولم حتى إذا طرتم بنا سابع لكم أن تجروا مدادكم القاتلة لنا  
بما أحررتموه من القود ، فأجاب الأتراك على هذا الاحتجاج  
الحاسي بالطلاق الكار هيلكم ثانيا على منع من الأمر أب تناول  
التلويحية الذين كانوا يجرون بالمجاديف الخسائر والخطيئات  
الحضية واتصوا بها على الالهيك مدار القتال بين الفريقين ملاحمة  
في خلافة من ناز بتلق الزوارق المصطبة بهذا الميدان النادر للال  
وكلن محمد بك المنوخ أول من عبّ للقطع وتبسه رفته  
واتباعه في الانقضاض على التلويحية والمساكر الذين حشكوا  
يحاولون صدم الزوارق بزوارقهم فتمت القصة من سقوط  
الامراء تحت رصاص العدو ومات السواد الأعظم منهم مشحوا  
بحر اساءه ولكن هذا القود الذي على الحياة والنذر لأم الأتراك  
كلنا عظيمة لوقتل منهم العدو العظيم . وكانت من الأمور



لإهلك الذين قنوا حديهم في هذا القتال عيان بك الطيور وهي  
خليفة مراد بك الكبير وعثمان بك الأشقر وإبراهيم بك كنفدا  
الستاري ومراد بك الصغير أما سيدي أغا فقد انكسر سيفه في  
يده أثناء القتال فقبض على أحد الأعداء الذين كانوا يصيرون  
عليه انحناء وجهه أمامه لينتفي به الطعنات للرجبة إليه كما ينفي  
الطواب صرلت حمسه بدوّه ثم غاتته القويّ بعد أن ظلّ مطويلاً  
عسياً بحيث ذكّ ذلك الرجل صعد على الأرض بلا حراك . وكان  
سليمان أغا وعثمان البرديسي وحسين بك وإبراهيم بك ممن مجروا  
من هذه اللدبة متحنيين بالمراح فسيقروا أسرى إلى السفينة  
الأميرالية للسيفان (السلطان سليم) والسباقي أيضاً (ويلي بعلبان) <sup>١</sup>  
وجها دعوا إلى الحلف بالقرآن ألا يظنوا الاتجهاد إلى  
الانجليز وإن يلقوا مع السبانيين فمما أفسدوا كلوا بالاعلال وكان  
الذين يشارون تكييلهم بها يدون لهم الأسف من أن الحوادث  
كان نتيجة سوء تعاملهم ولما العمل هذا التبرأ بالبيض البريطاني استاء  
استياء شديداً وروح مسكرة فاصداً إلى أبي نهر وفيها انقسم  
إلى مرتين متفداً أمام الأتراك الأعية للقتال ثم انتظر ابن  
جوانيه هؤلاء بالقرصية السامة عن ذلك القتل . وكان الجيرال

(١) في إحدى نود سبها حكماً لروح مدولى

هتكس أب بطلان بلشاً غايياً شديداً لدعوك ذلك لذلك الذي لا يتفق مع الشرف والكرامة وأبلغ القائد (سيبولوت) إليه هذا التأييد وطلب اخلاق سراح الأسرى فودا وتسلم الجرحى والتقى إليه فرأى بطلان بلشاً أن من الحكمة أن ينفذ إلى القائد الإنجليزي ترجمته اسمع بك ليهدي كرامة نفسه لم يكن من الجنرال هتكس إلا أن وصف الأميرال النهائي في حديثه وصفاً شاملاً وورماً بالحقائق والتدور فقال له ترجمان يسكون دليل سداونيم نجهون القرو الذي أسدده الباب للمال بشأن المالك واستقبلهم « وادعى بعد ذلك أن الأسراء كانوا من القاديين بالدولان وأنه لم يكن في التية إلا توجيههم إلى الأسئلة البلية

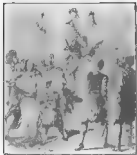
قل للمالك الأسرى إلى الاسكتندرية لحقق الاعطير عديم فظهر لهم أن لوصة منهم غير موجودين ورغم الأتراك أنهم عطلوا أسماء الواقعة والتقيت حثهم في العر فطلب الاعطير تسليم هذه الحث إليهم وجرى في هذا الشأن معاوسات بين القائد البريطاني وبطلان بلشاً وتسلم الجنرال هتكس قضية من جيشه قصد بها إلى مسكر الأميرال النهائي فحضر خيمته ثم دس عليه فيها يحف به أركان حربه . ولم يشكوه بنية ما بل جاء بمناقشة كانت من أكثر لكفتات عدة وشدة لمجة وبعد أن انتهى الجنرال

من مخاطبة الأميرال وتوجيه صنوف القنطرة والتبكيث إليه فحول  
 نحو القنطرة وقال له بعد أن أشار إلى القنطرة بتحديد وتعيين  
 « ان هذا الرجل لا يؤمن بذا بالله . سله ان كان يؤمن بالله »  
 فقال القنطرة الأميرال فتكلمن بعد ان جئنا منه : « مولاي  
 لقد ترجمت لك كلمات سيدي الأميرال ترجمة صحيحة لا تفسد بها  
 ولا تحرف فاعطني من أن أتعلم إليه السؤال الذي تريد توجيهه  
 إليه وإلا معب دمي هدرًا وسأبني ان يسأل منه إلى كان  
 يؤمن بالله . إن عرود القصير عن هذا فتكلم سيكون سببًا في  
 صرب عني » فخرج القائد الانجليزى من طيبة بعد أن أقام  
 على حراسها فخرجًا من جهوده هناك فبطان لما أنه مشغل إلى  
 أن يرد إليه الأمراء الذين لم يبق على حشمتهم فأمر القنطرة على  
 القنطرة باستخراج الجثث من قاع البحر وإلا صرير أعانهم  
 فاستخرجت الجثث وسلمت إلى الانجليز الذين احتفلوا احتفالاً  
 شامخاً بها

ووقع حشمتهم عقب ذلك سمر إلى إنجلترا متحمسين  
 عن القيادة لرأى للهابيك في مفارقه عسكرة لا تفرح وحرمانا  
 من حيلة قوية فائدة على صون دعاتهم من أن ترق ظلمًا وأحد  
 فطال لما من جهة بالهجر القنطرة إلى اليوسفور لرأى للهابيك

في عدد الحوادث بأوروبا من عبيد من الرعايا التتالي  
الجنرال البريطاني ، على أن القوي أن أن يندرج في مهنة  
وليس هذا يترتب لانه اذا عشت مساهبه في هذه المرة فأن  
أمران القتل لا يهي عزيتهم مثل هذا القتل

ويبدى ذلك ان الياسا وذرر الدولة لما عي اليه بأ خطب كانوا  
الاسراء من الرأية وفيهم عند اجباها يوم الثلاثاء ١٢ جادى  
الثاني الموافق ٢٨ فندبير سنة ١٠ لاجيهورية و ٢ أكتوبر سنة  
١٨٠٠ - حضره جميع المالك من أتباع ابراهيم بك الموجودين  
بالقاهرة وصور حيا وخطب فيهم ملكا أنه كان قد اتى لهم راحة  
السلطان وعوده وأن كتاب المال تفصل بتد على حد الانقاس  
بالدمو العام عنهم . ثم قال : : وهاكم هو الهرمان الذي يحتوى  
لصوص العدو لشاهاني وأبرز لم حطاً شرفاكرامو ليس افندى  
على الحاصرين بصوت جهورى فاذا هذا الهرمان نسخة طبق  
الاصل من الهرمان الذي أيلنه قبطان بنشا الى المالكين معكم  
أبو قير لكم الاى مادة إضافية واحدة تحفظ لأبراهيم بك وخليفته  
السابقة وهي وخليفة شيخ البلد أى الحاكم على القنطر المصري  
بأجته ، وسد ثلاثة مخط للشريف أليس الصدر الأعظم أمراء  
المالكين الملقح السنية والتماخين ثم أجسهم في محاسنهم بالديوان بحير



الطلاب يدرسون التاريخ \* في قاعة المتحف الوطني  
في العاصمة صنعاء أثناء زيارتهم للمتحف الوطني



يحتسبون فلا كانوا صد سماع القرماني بل متفرقين بين الصباط  
الأتراك على بحسب الرتبة التي منحها والوظيفة التي أسندت إليه  
وفي نهاية الاحتفال أمر الصدر الأعظم الحاضرين بملازمة السكون  
ثم أخرج من بيته فرمانا آخر سله الى الرئيس أخذى لقراءه  
فاقاب به بتاريخ سابق على تاريخ القرماني الاول ببيعة أيام وقاميا  
بزل أولئك الأمراء من مناصبهم . وقد ذهب جلالة السلطان  
الى أبعد من هذا المعنى في الشدة والقسوة فأمر عصيان المالك  
وشقهم مما الطاعة فيه للراي العديدة لانا قد استنفدا سير  
الحكومة الثمانية وعدلا بها من الجاعة فأمر الصدر الأعظم  
بالقبض عليهم وإرسالهم الى الاسنانة العليا مكبلين بالاحلال وتحت  
رقابة الحراس

انقل المالك انقالا جانيا من السرور بالناسب الى الجرم  
من شر المستقبل ومن السخط والنضب الى الرتبة في الانتقام ،  
فأرادوا وقتا ما أن يدخلوا منهم وسنة المار يسلم مبي على اليأس  
والقنوط إلا أن الصدر الأعظم كان قد اتخذ ذلك وسائل المبطنة  
فلم يطلع الأمراء في مشروهم الجهنمي . ويبان ذلك أن الجيوش  
الثمانية كانت منذ الليلة السابقة مدججة بالسلاح وعامة حول القصر  
تحرس سلفه وتحت فتحها ، فلما رأى الأمراء أنه قد بات من

المتعذر بل من المستحيل عليهم الدفاع عن أنفسهم اجتهدوا في  
الرضى بالقدر واتصفت بعد ذلك عتية في سكون شامل خائف  
ابراهيم نفسه على تقدي الزور مستوحاً مخلصاً لقلقه الشجاء من  
الموت ، فأجابه المصدر الأعظم بأن الاسترحام والاستشفار هما  
بوجهان الى السلطان ثم أعرب له عن أسفه من ومحرم الاختيار  
عليه القيام بهذه المهمة واستدبر من قيامها بما كان ينتظره من العقوبة  
الشديدة لو خالف ولجب الطاعة بالامتثال من القيام بما عهد اليه  
به . فل هذا وأمر بغيره الأمراء من أسلحتهم ورسالم الى القلعة  
لكي يرجع بهم في سجونها

ومدر على أثر ذلك الى طاهر دشا الامر بالتوجه فورا الى  
الصعيد للقبض على من فيه من الهاليك فلكي لا يبع أحداً ممن  
آووا منهم الى ضواحي القاهرة واعتصموا بداخلها يشككون  
من القروا أمر اليهود التركية بحصر هذه الديرة والقرى القريبة  
منها ثم انتشر هؤلاء الجنود في الطرقات وفتشوا المنازل جميعها  
فقاومهم الهاليك مقاومة عنيفة صبت في خلالها الآذان بدوى  
البنادق وسمعت الحامية الانجليزية بالجزيرة هذا الهوى فتصد  
(ملوكو سعادو) ترجمان الوزير الى القائد (دلمسى) قائم  
بقيادة الجند وكاه راجيامنه اتصم على سليم بك ابو المعب



(وقد كتب الجبرني «أو ذهب» وعلى جميع محالئك إذا اجتازوا  
 أبواب العاصمة وبني هذا الطلب على أنهم نهبا قلعة تركية  
 فاصدة في مكة وقيل نصف الليل جاءت نصيحة من الزايك  
 بقيادة محمد أغا لنس من طنجة البريطانية حايها لأرفقهم  
 الأتراك للأجودين بأموال الثنائين قد فاجأهم في الطريق  
 وأنهم لدانحوا بحوائهم منها في ذلك إلا لاشتمالها بالسلب والنهب  
 ولما وصل أولئك الزايك في المسكر كانوا ملوئين بالطين  
 وتبدو عليهم علامات الأمياء والمروع فتلقاهم الانجليز بالكرام  
 وأحسنوا مشاعرهم وبعث الجفرال رئيس أحد صلاحيه ليبلغ إلى  
 الصنائين رسالة في هذا الشأن ، فتقاء هؤلاء في الخليج  
 المصري ناز البادق ولكنه استطاع الوصول إلى المورروا غيره  
 بأن محالئك سليم بك هو الذي لحاوا إلى المسكر الانجليزي  
 وصاروا في عاه ، فتظاهر الوزير بالرضي والأرتياح مؤملا في  
 أن هذا المسكر سيراقبه هم محفوظين بالحراس فعلم لم تحقق  
 هذه الأمنية فقد إلى الانجليز أحد تراجه لمعونهم إلى التوجه  
 إليه كي يوصوه على المكان الذي بنى إليه فذلك موسم الذي كان  
 مازال منذ أصيب بعض الخراج في واحدة الأهرام ملازما  
 للفراس بأحدى لرى الوجه البحري ، فتلقوا دعوة الترحيل

والاستنكار والاحتضار وأبى الجبال وأبى صد ذلك أن يسلم  
الى الصدر الاعظم أولئك اللاجئين بالرغم من تكراره المطالبة  
بهم وإخافته في السؤال صمهم وفي ١٦ جمادى الثاني للوافق ٢  
بروسير من السنة العاشرة للجمهورية و ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٠١  
ظفر سليم بك أبو الذهب في الصبيحة على مقرية من النقطة  
الأمامية لمدينة ، وكان منتهك القوي بالمخيم والأعياد لآله  
ظل عالاً أيما طريقة على وجهه في الصحراء للأطولات من أيدي  
الجبالين الذين كانوا يلاحقونه بظلمهم واستبدادهم برأيتهم في  
تشرده شيخ من شيوخ تيبة للعبادة غلبا مثل أمام الجبال  
ولمسي طرح على مصيدة ما كلن يحمله من السلاح والقتلى  
به أصحابه ثم داسن القائد وقال له مطلقاً أنه يسلم بصدقه اليه ، فربما  
القائد منه ومن رجاله أن يقتلوا أهلهم كما كانوا كانوا لهم  
« انكم لستم أمري بل أصدقا »

ووصل من بيده محمد أبا ومما ليك قتراسوا في أعضائهم  
أحوالهم حينما شهدوا وأخذوا يقبلون أقدام سليم زعيمهم  
ويعرضون عليه طاعتهم ويخضعونه على الرضا والأمانة له . وكان  
الوزير الثاني لا يزال يمس نفسه بالقبض على فريسته - فلما وقعت  
المواجين السابقة وادته شوقاً الى الحصول عليها فضايف في هذا

السبيل منه ونشاطه ونشاطه في هذا القرن ساهم حيك ودهاه  
ومن الوسائل التي بدأ فيها إرساله المندوبين نحو المندوبين إلى القائد  
السام فكان هذا برصها ورددتها إليه فلما ينس من إتباعه بصواب  
رائده وسط عنده السير ( روزي ) اتصل جبرال النسا ونابغا  
من الهالك استأله إليه باللو ساطعاً عطفاً من الأثر لك فذهب  
هذا الوفد معه الدليل الساطع اسواب مطالب الوزير وهو  
صورة خطاب كتبه الأراء الأسرى إلى السلطان ينسبون من  
الأذن في التوجه إلى الاحتاة القيلة لتقديم لروص الاخلاص  
والسيوية إلى العتبات الشاهانية . وكان هذا الكتاب قد كتب  
في الحقيقة وإنما يساقى التأثير وتمت حكم قهر والتهديد  
غير أنه اتصل بأولئك النساء الذين وعوا على الكتاب نأ  
ساقه سليم بك من حسن اللقاء وكرم التوى في الجيش الإنجليزي  
فتمكنوا بواسطة رجل سرين من صدم من الاعراب من  
شكرم جبرال راسي تأييد قضية الطومين ورجوا في الآن  
نفسه من ألا يكثر بما يظهر منه اسطرا من . عاشر الموضوع  
والطاعة للثانين مسدين إلى هؤلاء أنهم يقتنون فرصة هزم  
الطلق من الدفاع من أنفسهم ليقتوا بتل تلك الأساليب أن  
الهالك راسون من أمهم . ولا وصل يعرفون الصدو الأهم

الى القرد هتك من وأخذ ثم حفا بمقابله كلن به ومسل و  
الآن نسه ضابط من عند الخيال راسي بحمل اليه كسبا سرية  
يدافع بها من المالك ويؤيد فضيلتهم

وفي ٢١ جمادى الثاني سنة ١٢١٦ هجرية الموافق ١٠ برومير  
سنة ١٠ هجرية وأول نوفمبر سنة ١٨٠٦ وصلت الى الجزائر  
راسي بالاسكندرية قطيقات وأمر بعض عليه بأن يطلب من  
الصدر الأعظم بطلان الحرية للمالك ورد ألاكهم الساغة اليهم  
وورد على الصدر الأعظم في هذا الشأن رساله مرسحة العبارة  
شديدة الحاجة تظهر عليها مسحة الأمر والتهديد ورساله أخرى  
أشد حجة الى قبطان باشا تنصص الامر اليه بالرجيل غوراً ولا  
كبل بالحدود وأرسل محاوراً الى لنده أما الأميرال القماني فقد  
صدم بالامر إذ رجع مراسيه واحد من غوره الى الاساتنة العلية  
ويهل أن يبلغ الخيال راسي الصدر الأعظم وأمر القائد العام  
البريطاني جمع بالجيزة اربع عائلة من الجند ليقابل بها التجيرات  
العربية التي كان فلك الزور يفرم بها بنقله للزمن والفتنار الى  
قعة القاهرة ومكة المصالح بالاء وحمله للدد ونسيه السكان .  
ورأى الخيال راسي مدأن أنهم مدعويين في الجيزة بالأورمة  
الساسة والشاوي وما بينهما من اللدافع أنموذ بانتوى لتسطاع

إصلاح الصدر الأعظم البلاغ الشديد الذي تمت به في القامق سام  
لجنود البريطانية وقد طلب الثماثيون الفاعونة مراراً عديدة  
لاكتساب الوقت فرغعت طلباتهم ورفضاً باتاً

وله كل يوم ١٣ نوفمبر حضر الجنرال استيوارت من  
الاسكتندرية مزوداً بأمر يخفى بحجم هذه البائلة فأعند الصدر  
الأعظم بأنه إذا لم يفرح من المالك في اليوم التالي فلا يحس  
لجنود البريطانية من الرحب بالقتال

ولأن تنوق الجنود الأوروبية قد ظهر في آسي مظاهرة  
أيام الحق للقرسية وبلغ من ثقة الناس مبلناً لا يظن معه أن  
يمراً زعيم الشيخ البسورة للثككة ترى الحقنة للثغام على  
مناوتها لهذا لم تطلع نفس اليوم اتسالى حتى تم الأفرار من  
الأسرى وكانوا نحو ٢٥٠٠ مملوك، وما لك ظالم حتى ساروا  
وفي مقعدهم اثني عشر أميراً برأسهم الأمير ابراهيم بك الى  
الجيزة فتلقاهم فيها الخامية الأسكتندرية بالخدمة العسكرية، وعز  
على نائب الباب المال ان يحول أولئك الأسرى خمسة المروج  
من ظلمات السجن الى ضوء الحرية من غير أن يتخذ وسيلة  
للتعريف على النطة التي سيستكونها بعد الأفرار منهم فزودهم  
بعدد من الضباط الأتراك وكلت بهم المداخلة على الرضا بما

وعند به من العودة الى القاهرة بسد الأهراب عن رغباتهم  
للايجل

ولما اتصف النهار ولم يذكر شيء ما عن تلك العودة به  
اوتك الضباط الأمر بأن تمت العودة فمدحوا فلما علم الجنرال  
اسيولوت بهذا القول صاح قائلا : هؤلاء الرجل يحنون في  
دعوتهم لان السينة الثابتة مدة لفهم منذ زمن طويل ولما  
فلا بد من بقائهم معي

ولما سمع الأتراك هذا القول رأوا أن الأولى بهم العودة الى  
السينة التي كانت تنتظرهم فاعدوا اليها ينجا سكان الأسماء  
الجراكسة يترسلون في للسكر الحزق لرقصهم من ربي  
الاستعداد في مطاعم الفرح والسرور وولد سرورهم وضائف  
شكرهم أنهم رأوا سليم بك وماليك وعبد من نجوا بحياتهم  
في مدينة أبو نير وأرسلوا الى الاسكندرية قد الفضاوا اليهم  
واجتمعوا بهم بعد فراق طويل

رأى تولد الجيش البريطاني أنه لكي يقوموا بالهمة المطلوبة  
في فرضها على أنفسهم بقي عليهم أن يبعدوا جيش الماليك  
القوى الى ما كان عليه من مرة الجاني بعد أن قرر الباب للمالي  
منه القفرة الأخيرة . وكان هذا هو ما سمي الجنرال ستولوت

الى تحقيقه حيا وصات من اسكترا الأوامر القاسية بنسب  
 دفة التماسح والكريم الى وجهة غير وجهها الأول  
 ولما كانت الملامات الرذالية بين فرنسا والباب العالي غير  
 منقطعة ولم تنقطع إلا مدة الحق الفرنسية على مصر فأما لم تلت  
 ان عادت الى مجراها الأول بمجرد جلاء هذه الحق هنا . وكان  
 السيو ( الكيران ) وزير الملائات الخارجية قد عقد بتاريخ ١٧  
 فتمبير من السنة المائتة للجمهورية الموافق ١٧ أكتوبر سنة  
 ١٨٠١ مع سيد على افندي - مدير البوالة البلية بفرسا مقدمات  
 صلح تلوت تجديد للماعدات القديمة وإعادة الحقوق التجارية  
 والحرية بالاقليم والولايات النائية الى ما كانت عليه مع الامة  
 الفرنسية فيحد يرمين من أمضاء تلك المقدمات سافر الكولونل  
 ( هوداس سبستيانى ) الى الاسكافا البلية ليل المواقف من السلطات  
 عليها ولقد فزع سره القبول في تلك المناسبة في اليوم الذى حدد  
 للمفاوضة بها فأعلم السيو الانجليزى بوصول الحركة لاستكمال السر  
 والتمس على احباط السياسة الفرنسية حتى انتهى الأمر الى إعقاب  
 الباب العالي سرف للتردد فيما كان قد عقد البلية عليه فلم يسع  
 الدواس الفرنسيين لدى الباب العالي إلا أن أبرروا الشكوى  
 المقدمة من الصدر الأعظم وقبطان باشا الى حكومتهم عند تصعيد

القواد البريطانيين الممالك على وجه أدى الى الخط من كرامة  
 الدولة قضائين لأعقرا سبزاها من دعوى هذه الادلة الخاضعة  
 على بحرها لأعداء الدولة الخمس أثرب قوسائل فتذليل قصصها  
 التي أضرحت ساعيا مبهرت بسدم الواقعة على تصرفات  
 القواديين هناك من وسنولوت ووعدت بأن لا تطلق القدرات . عند  
 الآن فصاعدا في سبيل تنفيذ قرار الباب الثاني الثاني بألوة  
 للمالك ومن ثم استعفى الجائر من هناك من كفاونا وخلفه في  
 القواعد العامة للجبر خزال اللورد ( كالفن ) الذي قصد على القصور  
 الى الاسكندرية مع المستر ( سواناث ) سكرتير السفارة  
 البريطانية وقد نبط بالقيام على تنفيذ ما أخذته بريطانيا من الوثائق  
 على قدمها . وفي ١٦ يناير سنة ١٨٠٦ نزل هذان اللوردان الكبيران  
 الى جزيرة قدوم الأمراء الممالك اليهودية الأقدمها فرشوها  
 بأعقر القرائن والائنات مرفعا هذا الاكرام رفضا آثار كتك في  
 نفوسهم إلا أن اللورد كالفن يجتهد خلال المناقشة بينه وبين  
 ابراهيم بك في إزالة هذا الحبر الزعيم البر كسي بأن الواجب على  
 بريطانيا العظمى بصفتها خليفة الباب العالي مساعدته على تنفيذ  
 فرواته وأنها لهذا السبب تنصح ان الممالك أصداهاها ينهول  
 اقتراحات الصغر الأعظم التي سبق له اقتراحها عليهم



شاعت آناء هذه المقالصة بين الجند العريضا بين فلقوها  
بالأضراس والاستبحان حتى أن الحترال ستولت التي كانت  
ملازما الفرائش أحبر القرد كالحفن إلى الواجب عليه ثقلا تقضى  
الوحد الصريحة المطاة للمالك تحللتهم تحذير هؤلاء وحضهم  
على أعد الحيلة لانتسهم وأه يصحبه اليهم على هذا الوجه إنما  
يقوم بعمل الرجل الشريف للربط بالحطة الرسومة له

وما استقرت نصيحة هذا القائد الحرقى إذعان الأمراء  
وقدروا مفراها حتى استطوا صبرات جياهم وحسبوا في اليوم  
تصه بأحد أبواب الجزيرة ولما كان اليوم الثاني الموافق ٢٠ يناير  
افتدى المالك والساكر الأنصير مودعين منهم البعض بظاهر  
العودة والولاء وابتعدوا عن المعسكر بعد أن أجروا الحترال  
ستولت أنهم احتراماً لوطه وأمه قد مولوا على أن لا يهاجروا  
الأترك قطع إذا جئوا في رحيلهم أسهوط وتابعهم هؤلاء اليها  
يؤخذ من هذا أن مصر السلي ومصر الوسطى بقينا منذ ذلك  
الحين بأيدي التتانيين ومن الدور أعمال القسوة والقطائع التي  
الساكن اليها مدافع منهجه المحضوف بالمصاحب وباعت مطالب  
الجاب العالي بالرم من ميوله التي تحمله على التسايح والرفق بالخصم  
القرعة العودة إلى الاستانة الدية إذ سافر عن طريق الشام اليها

في الخامس من شوال سنة ١٢١٦ للموافق ٨ فبراير ١٨٠٢ شطر  
من الجنود العثمانية وفي مايو غادر الجيش الذي كان قد أتى من  
الهند ثمر السويس في ٦ يونيو عائداً إليها

عهدت إدارة شؤون مصر الي محمد خسرو باشا الذي عين  
والي عليها في أواخر رمضان سنة ١٢١٦ للموافق أوائل فبراير  
١٨٠٢ وكان من عماليك القبطان باشا وبواسطته رقي الي هذا  
النصب الجليل وهو جركسي الأصل إلا أنه كان كرم السجايا  
جيل المقاصد كثير المشاشة في وجوده الاجاب شديد الصلف  
والكبرياء مع عشيرته الاكرمين وكان قصور نظره في السياسة  
خليل الإدارة بأرجاء ومن كانت هذه مدته لا يلحق طبعاً بالحكم  
واستلام دفة البلاد والبلاد

وعهد الي نحر ١٢٠٠٠ جندي تأييد جانب الرائي الجديد في  
جهات متفرقة من القنطرة وصمره على خدمه كانوا مع قوة عدهم  
على شيء كثير من مضاء الزمجة والتماني في القنطرة عن حباسهم  
وكان خسرو باشا كثير الاعتماد على جنوده الالبانيين فاعرفوا  
به من التهام الخاطر بالرغم من رداة سلاحهم واختلال نظامهم  
وكانت أعظم تحته الكريين والسودانيين الذين اشتروا من  
التخاسين ( الجلابه ) ودرجوا على أساليب القتال بمعرفة مائة

وحسين فربيا أقدم اعترافه في هذه

أما للملك فقد كان في صفوفهم بيا عدا الفرنسيان البالغ  
عدد ٢٥٠ فارس مثل هذا العدد من عربان القبايلة و ٢٥٠٠  
من عربان أولاد علي وكان الشقاق مستعكم العري بين هذه  
الناصر للثبابة فكانت لهم القوة لهذا السبب في حكم القدم  
وقد خطه مراد بك في الزجاجة الذهبية على الملك عثمان  
بلك الطنبورجي الذي ذكره بيا تقدم خير سقوطه قبلا في  
مذبحة أبونير ، طامحات نوزع الزجاجة على الملك عثمان  
البرديسي ومحمد الثاني وكانا بينهما خصم من لدون لما قام في  
نصيبهما من الأطلال العسكرية والتنافس في إحراز السيادة  
فبعضة أومة الأمير مراد بك . وكان عثمان البرديسي ميالا إلى  
فرنسا بينما كان الثاني ميالا إلى بريطانيا سرح الاحتيد لأوامر  
قواعدها ونصائح وكلائها وكان يمارض بين هذين الأميرين وبث  
الأمير إبراهيم بك . وكان هذا الأمير قارلطة لطوره في السن  
فلم يكن تقوده إلا بقدر ما كان جديراً به من الاحترام لشيوخه  
وسابق خدمته . ولم يكن لدى الملك مع كل هذا حطة عامة  
مرسومة للقتال ولا وسيلة للصناعة ولا أسلحة ولا ذخائر حربية  
وكان جيشهم متفرقا متقسما إلى عشرين جماعة مشتتة بلا نظام بين

لشلاطات والدكا ومع هذه التفاضل والعيوب النظامية كان  
الهالك لا يختصون الخروج من الصعيد للهجوم على القصور والقصر  
السف والهب بها . ولم تعرض لها تقهيم بأقصم ليقهيم بأن  
مدحا غركا سبعل اليهم . ولذا كان يونانبرت شديد نابل لليهم  
كثير الاعجاب بهم فقد لجأوا اليه في التماس مساعدته ينام على  
ترقية شؤونهم إذ أخذ عنان البرديس وارعيم بك الى ليورنة  
مندوبا من عددها ليرجو من الجنرال ( برون ) قومندان هذه  
الدارة العسكرية أن يبلغ الى القنصل الأول بواسطة الوزير  
تأثير الرسالة الآتية .

« بما انك قد عدت صرح شوكتنا وعنت على آثار  
عبدنا وتدنونا نحن ننتظر الآن من كرمك أن تسيد كل شيء  
على نصابه . ان وفاة مراد بك ألقت بيديا بدور اختلاف والتفاني  
وعسرتنا الى الاحتماء بالبريطانيين ولكن الأتراك لا يزالون  
بحاربونا حربا جائرة شامراها الحياة والندى . وغير خاف عليك  
أناس من القوة والباس بحيث تستطيع التعرف في ديجهم والقصر من  
لشاربيهم إلا أننا في حاجة الى سند يشهد أزدنا بالتفارج وصرر  
جانبنا فأنت الورر والسند الذي اليه نطعن و لموت الذي اليه  
نجاأ به تنق واعلم أننا نضع كشروط التي يروق لك أن تعرضها

عليها ولتغريب من شكرنا لك ما نطمح من وساطتك صدك بأن  
نخص نحمارة وطنك بأوسع ملككن أن تناله تجارة أمة من  
الأمميلات »

هذا الاتهام موجهاً من قوم عرفوا بالشم وإزاء الضم إلى  
وجع ولف وحده على سر الظفر بهم جدير بأن يوصف بوصف  
الجلال وإن لم على ما يختار لخدمهم من ألم الشفق والمرج ولكن  
مقدعت الصلح التي كانت أنجلا قد حصلت مند سيدة أشهر على  
مواقفة الدولة القوية عليها مضحية بها تضحية للذالك إنثار الصالحا  
التجارية كانت تدنحوت في الوقت الذي بث فيه الأسيران  
كتابها السابق إلى جواترت إلى مساعدة وطنية وعجورية بين  
الباب العالي وفرنسا . ويان ذلك أن السفير الثاني الجديد وهو  
السيد محمد سيد خالد اخدي كان قد وصل إلى بلورس في ٦ سيبود  
سنة ١٠ من الجمهورية المملوك ٢٥ يونيو سنة ١٨٠٢ لتوقيع على  
اتفاقية في الموصوع تقرر أن يكون التصديق « بها من السلطان  
خلال شهرين بمضيان من ذلك التاريخ فكان للنظر أن يضع  
التماس الأمراء في وسط هذه التقلبات وان يبق عديم الثمرة  
بالنسبة لهم أو تنشب نار الحرب بين المولتين المتعاندتين  
أما محمد خسرو باشا الذي كان يتوقف أول عوز له على

الفرق بين الاحزاب للتألفة فقد فتح باب الكشف عنه  
 وبين الهالك بتدبير المفسدين ونصب القرائك وبتلك الكائن  
 وكان عثمان بك حسن من أمسى أمره الهالك واليهام منزلة في  
 نظر الناس وقد عاش طول عمره بعيداً عن التنازعات الحربية  
 التي كثيراً ما عرفت بين أبناء جلسه حضرت عليه جملة اقتراحات  
 خادموه وأتباعه على أثرها الصيد إلا على الألفاظ بالتأخر أما  
 بقية الأمراء فكثروا أهل ميلا معالي السكون والوثاق وقد باعهم  
 في اللؤخرة مرفعة مؤلفة من ستة آلاف رجل بقيادة طاهر باشا  
 الذي كان يحول في البلاد لبحث عن محمد الأتقي من غير  
 أن يقف له على أثره . وقصد حسن باشا من رجال الحملة التي  
 سيرها الصدر الأعظم بحبس مؤلف من ٨٠٠ رجل التي جرحا  
 لاحتلالها وانضمام أهلها لأهمية موقعها بالنسبة لنقل اللؤلؤ  
 وجباية الأموال . وكان الأمراء قد قلقت من عتدم الأموال  
 واللؤن والنفقات لها ما يقضم الجود اقترحوا عدة حسة أشهر  
 يكاتبوا في خلالها الباب العالي ويحصلوا على مبلغ شريف دائم .  
 فاستشر قباشا من صارتهم يجرح موقعهم فرعى منهم خبراً  
 إياهم بأن أنصى ما يسبح لهم به هو الاقتداء بثمان بك حسن  
 في اللؤشة بالتأخر كما حد أمره سلاها مستحباً من هذه الاجلزة

عزائى بك القردىسى ومحمد بك الاقوى وسليم بك ابو الغضب . فلما  
وصلت الاجابة اليهم على هذا الخط اشتد بهم الغضب فحسروا في  
الحلل جمعهم وجمعوا بها على مقربة من بلدة يطفيح على ألف  
جندى عزائى بقيادة حاجدلو ثم تطلقوا من وراء هذه الحجة على  
قروحه القبرى فاروسى الاموال القصادة في طريقهم على أهل  
القبرى الخارجين عن مقاومتهم

وبدئى أن تكرر هذه الحوادث كان لابد أن يضعف  
أمران الرب يستزاد ثروته وتضيق موارد الحكومة منه  
فما آمن الزوال القدر في هذه المسألة وما يحسن أن يتخذ من  
التدابير لحسمها رأى أن لا تناس له من أحد أمرين إما غزارة  
القوم في السلم أو إيلانهم جميعاً بصره فاصبة . ولكنه في إيلان  
الترضىين والسير في الطريقة من غزارات الصلح عرس على  
الأمراء إقطاعهم ما بين استأ والحفود من الاراضى عرسوا بذلك  
على أن يتنحوا أيضاً إيلان جرجا إلا أن الزوال دفع هذا الطلب  
وأمر حاكم القنطرة بتعبئة مرتين من الجسد موداً وتسيرهما  
للكبح جماع الأمراء . وكان يوسف بك الكيخيا على قيادة  
احدى القوتين فأودكه طاهر باشا بالوجه القبلى لتعزيره . أما  
القوة الاخرى فكانت بقيادة عزائى بك حسن ثم جعلت بقيادة

محمد علي صارى بشبه صب فرار عثمان بك حس الى الصحراء  
حتى لا يقال عنه إنه خان إخوانه

وكان الصارى محمد علي يتأخر الثلاثين من العمر وقد أوصى  
به حسن أغا الذى صار بها بعد أنا الاسكندرية عبد قبطان باشا  
كما أوصى به هذا الأخير أيضا محمد حسرو باشا الذى لم يلبث  
أن رفعه الى رتبة طوقنجى باشا أى حامل لقرائبة رتبة الشدبة  
فى الاستعانة بتجارتهم

وكان نحو ٨٠٠ بملاك مسكرين يمشون وفى اتصال تام  
مع الاسكندرية والدواخل ويتمدون تلك القاهرة فتقدم نحوهم  
الجيش حتى انتهى علم الناس قوته القوية وما عزم على إجرائه  
من الحركات الحربية ضد أعظم البحيرة. وكان قتل سياسة الانحياز  
فى العهد الأخير لى للابن المهاجرى قد عاد بهم الى النظر فى  
مستقبل لئلا يترك بين الرفق وشمو لم يواطف اللذة والألم  
فصموا بها لهم لى ألقى بك حتى لا يتعرض لأية معركة جديدة  
مؤكدين له أنه لا يستطيع الانسحاب من مواقفه اذا قلب تلك  
الجيش عليه ، وهو ينتظر وفره بالنظر الى كثرة عدده وعدده.  
وأكدت بريطانيا العظمى له حسن بينها فأمن بقولها ولم يشاركه  
أحد من الامراء فى رأيه جعل بمناخه دمنهور لئلا وأجمع



هؤلاء على المباشرة بالانحياز القتال في واحدة حامية فأمر عثمان بك  
البرديس بجلبه بالانحياز على الأتراك مسدوداً عليهم فحركات  
بيروش يوسف بك مرتبة ترتيب القتال وسط السهل ومرتبة  
الجنح الأيمن على تربة الاسكندرية وفي مقدمتها الدافع  
تحتى الصفوف الأولى منها بقا فتحت أفواه النار وما هي إلا دقائق  
معدودة حتى استشر عثمان بك بالخطر الذى يهدق بخيافته  
لذا هي التفتت تلك الصفوف للكتيفة وأدرك أن لا يخص له  
من الورطة التى تورط فيها لا توجد حركة هؤلاء القوم من أثناء  
انحيازهم الشديد على العدو ولكن يتفقد هذه الخططة حمل صبه  
في مقدمة رجاله وطارد نحو ولعبة العدو إلا أنه لم يثبت أن أنس  
في نفسه التجرع من الانحياز به فتحول من الهجوم مواجبة ان  
مداحة المسح الأيسر الذى لم يكن مرتكراً على شئ وقد أطفح  
في هذه الحركة لثمة الصفوف الأولى منه وتحت بالمشاة لتسكا  
فربما وتم له بذلك القود على المشائين

ثم انزاله على ما تركه هؤلاء من ذخيرة وميرة وسلاح  
ومناجح على أنهم لم يخسروا سوى سبعين من رجالهم في مقابل  
٧٠٠٠ منى منهم خمسة آلاف قتل وأسير. ولما كان للجهود  
القتال لا يفر يخطه الذى أدى الى هزمه والفتك به فقد رأى يوسف

به الكفيا فانه الجيش ان الرميعة خلاصه من مسئولية الخلد لان  
 القتالها على مرار من محمد على بحسبة انه شغل يمد من موطن القتال  
 ولم يماند بامداد له ليقدره من موقفه المخرج . ولم يكن عسرو  
 بلشام من صدق النظر والنظرة بحيث يفهم سر هذه الوشاية ، ثم ان  
 هناك أسا با عديدة كانت تحمله على الموف من محمد على وغير  
 يسا ك من امداد الجيش الشبان بالزغبة في الاحتفاظ بالآلانيين  
 ليسامدوه على قضاء ما ربحه المستقبل ، ومن ثم قد التية على التتكيل  
 به . ولكن محمدا عليا كان أشد دحعا . وأوسع حجة منه فانه لما تلقى  
 من الرالى الأمر بالخضوع عنده بعد القروم أجابة بأنه لن  
 يحضر اليه إلا في رابعة النهار بين جوده للهو اسل فلم يمد  
 عسرو بلشام الى تكرار هذه الدعوة بل ثم تجاء اجابة محمد على عليها  
 ملازمة السكوت

مستكمل

## الباب الثالث

### التونسي

من سنة ١٨٠٢ م. سنة ١٨٠٤ م.

وصل الكولونيل (جوراس سينتاني) يرافقه السيد  
(سعيد حوير) إلى الاسكندرية في شهر أكتوبر آتين من  
فرنسا ليبحث في احوال مصر والمطالبة بتسديد شرط مساعدة  
سلح (أبيان) القاضى بجلد ١٤٣٠ جنديا انجليزيا الذين كانوا  
لا يزالون بالدار المصرية يحرقون المتبذلة للموا إلى كل مكان  
بمظاهر الاحترام والاكترام وعهد الشعب المصري للسكينة في  
في حالة لا تسر من التونسي والاختطاط وان التولى المتاني والاراك  
والملك والقرب يشارون في استزاف ثروته بما يفرضه عليه من  
القرض والضرائب الفادحة وما كاد يذبح في البلاد غير الهبة  
للكوكة اليه حتى توضع الناس حدا جلا سيؤدي الى طرد الانجليز  
والاراك من بلادهم فذهب الخاسر في قلوبهم وغالوا غرب حدة  
بوابرت اليهم بل ساءوا سفاكين هذه العودة واعرؤا بالقواهرات

الكثيرة من احترامهم لمؤدته وتمايم بأبناء حلقته وشامرا  
 من خلال السحب الكثيفة في الأفق البعيد طيف لزجة لثقلته  
 الأولي وكان الكولونيل سيستياي انما سر بمن معه في ميدان لو  
 طرس لو سوق تقاطر اليه المشايخ والنباه والقضاة والملاحون  
 وسلا من كل حذب وقاموا من مقاعدهم لو وقبرا اناء سيرهم  
 لتحت بالتصميم والاحلال والاحلام وكان العاصم الفرنسي  
 قد جاء بصورة صغيرة القنصل الاول ودايرت ولنا غزالين افا  
 قلنا ان الزحام على مشاهدتها وانتائها كان لا يقل عنه لو كانت  
 هذه الصورة تمثل بعض مختلفات التي وكان يروح هذه الصور القيمة  
 على الجمهور ولما وصل الى القاهرة استقبله حاكما عظامه الاحبار  
 والكرام والعمره بلقضاء القوية وكان كلما زار محمد خسرو بلشا  
 لا يقصر في الطمع من المالك وتأيد جانبهم فكان هذا الأخير  
 يقيم الخرج على حسن نيته بخوم وانما كان يسوع غطته معهم  
 بالمصوبت التي كان خيرها في طريقه وعرفه في الوسط بين التقيمين  
 قريس الأوامر للتطرفة الواردة عليه من القاب العالي وتقبض  
 الشدة التي كان للماتيك بمصوبها اساس معانهم  
 وكان خط الخيال استقرارت من القتل في مساعيه كخط  
 الميوت الفرنسي تأميمين بدلا من البحر جبر الى كفاف منده احست

الوزارة الانكليزية بجهزها من تأييد شوكتها في البحر بأسلح  
السياسة صاغت الى مسألة المالك فتولى القيادة العامة لحامية  
الاسكندرية وكان قد سطر في شهر يوليو الى الاسكندرية لحسم الشاكل  
التي ألقت بمصر في القومى والمخرج الى حد أصبحت لا يرى الجنود  
الانجليزية منه ان ترك ذلك الذي اتفق فراسة لها غير ان الباب  
التي لم يتحركه بس هذه الأحوال التي ظاهرها الرقن والشقة  
فما عاد القود ستيولوت من رحله والقشل وانتهى التخذ في  
مخاضه لوالى مصر الهجة الجائلة الحالية من آثار الجدة  
ونسطة في قضاء مطالبه فاعترض الرالى بصين السلطة المنوطة  
قلا ساء ان يرى في اليهود التي ملطأ بالرم من انتصار المالك  
على الحنة والتمنايقى حسن وفلاح متعالية وادبتي من السكولوت  
سبنيان الاندلو تلو الادلو بالرحيل من مصر أوصل الى  
اليشا قبل رحيله الرسالة الآتية :

« لقد استطاع المالك ان يقتضوا كل ما يرم من المشاريع  
الوجبة صدم بل انهم فعلوا اكثر من ذلك اذ جاسوا خلال  
الوجه البحرى مشاكين من فوز الى غور وقطعوا طولا وعرضا  
تلك البلاد التي أصبحت ملوثة بدمه القتل منكم فان اكثر من  
ثلاثة آلاف بيت لا تزال طريحة الثرى في المساحة القصيرة بين

دمهور والصحراء ، ولا تزال القبائل القوية من العرب الذين يسوا  
الأمراء وانضموا إلى حربهم يفرعون لضرائب والأموال على  
جميع بلاد الضفة الغربية للتبيل بما قائدكم مرهم على البقاء محصورا  
في مسكره ينظر بلا حراك إلى حراثة التخراب والتدمير  
« وادكت مع ذلك شديد الرغبة في تقديم مساعدتي  
وعضدي إلى الباب العالي ونصرة لوقاية مصالحه في مصر من الخطر  
الظيم الذي يهددها فقد عرضت لخدمة الأخيرة لأن أعرض وسألتني  
لحل هذه المشكلة ، ولقد استطعت أن أقنع الأمراء بالعودة في  
سلام وسكون إلى الوجه القبلي لغير أنهم يفرمون ذلك شرطا  
وهم تسليم بعض الخازن المسكره في الاسكندرية إليهم وإني  
أرى أن للسلطة الجلية التي سامعوا بها للاستيلاء على هذه  
الخازن المهمة من يد البدو اللصم للطرفين تعطيم الحق الشرعي  
في وجوب رعائهم وعدم تعطيم هذا الحق فتح »

وعندئذ هذا الاقتراح الخامس بتقديم الوساطة من التمثل  
والطية ساقية الاخرسات السابقة رأى القائد الانجليزي ان  
إعادة الفكرة بالإصلاح والائلاف في الشؤون يكون باعنا  
على الميزة والسخرية ، ومع ان الظروف لم تكن قط ملائمة  
لذلك وأنه قد صار من الواجب المبادرة بالرحيل ، فها كان يوم ١٠

هو للصدقة سنة ١٢٠٧ الموافق ٢٣ فنزور سنة ١١ من الجمهورية  
و١٢ مارس سنة ١٨٠٣ سلم الانجليز على الاراك حصون  
الاسكندرية وللاعباء وعهد خسرو باشا المحافظة على هذه المدينة  
الى حورشيد باشا بعد ان خلفه رتبة الباشوية وبعد ذلك يومين  
ركب الجانزال استبولوت سفينة قاصدا باسطوله الى تونس.

ولقد ارتكب المائيك خطأ عظيماً بالصالحين الثانية بتوسيع  
انطلق غوردم في واحة فمهور فاهم بدلا من رحبهم على القاهرة  
التي كانت لبرابها مفتوحة لهم قصوا ثلاثة أشهر كلفة في الروحات  
والقنونات حول نهر الاسكندرية ومن غير أن يقوموا بسبل مات  
في شأنها فلما احتته اخنود للتركبة أصبح مركزا محبوا من صرائر  
المعجوم ضدكم ولقد اذكروا ذلك في ختام الامر فتركوا الدنا  
قاصدين الى الوجه القبلي لينصروا فيه الى الامير ابراهيم بك. وقد  
فرغوا في هذه الرحلة القرمس المالية على جميع فقرى الواحة  
بالضفة اليسرى من النهر حتى ثلثيا ومعلوم ان هذا البلد من  
الذائع الهبة في القرعة القبلية فان سبق قبل بمباحه بعرس ثار  
المصون السلس لثارة فيه محوارة ، غير أن وسائل الدفاع كانت  
وتتد في حالة يرثى لها انه كانت من ناحية الغرب شبالا عبارة من  
استحكامات اليمت على عمل ولم يحجر مدافعها بما يكفي من القنطرة

ولا يسن يفرح على إطلاقها القول بالحس ، فمع ان رجال الحامية كانوا في استياء ، وتدنر لقلّة ما يقدم من ذخائر والذّون ولعدم تهيئهم للموتات وتشرش القرىان المهاجرين هم في كل آن . وبالرغم من صعوبات حصار كل الجهد فيه موثوق الى عمل القرىان لان المدينة لم تزلت ان سقطت في اليوم الرابع من حصارها ولكن لهذا الحادث تأثير عظيم جدا لما انقسمت مصر بسببه شطرين فاقطعت الواسلات بين القاهرة والصيد ، وأصبح القيا أسير وطجرا بحيث لا يوصلان في الميناء من قسما الأ على القوات الموجودة بها وهو مالم يطره الى العرف في موضع الحصار من جهة صد المراكب ومن الأخرى ضد القرىان الذين جاءت هذه الظروف وفق مرادهم

وتفانم الخطب على التتالي المتقدم كان يستوجب طلعا لمرأى القوية والحيلة لمضيه فقد أصدر البشا أمره باستدعاء جيوشه على طاهر باشا فتمركت عند الجيوش من معسكراتها بالبحرة يوم ٨ محرم سنة ١٢١٨ الموافق ٣٠ أبريل سنة ١٨٠٣ واستقر صاكر محمد على في ضاحية القاهرة وصاكر طاهر باشا داخلها وكانت المداكر الأخيرة قد أستهلكها الثعب وانقارها التكلال كما كان يقصها كل ثوب من مهبات الجيوش فلما طلب منها الصر



الى الجيوب المطاوعة اليانك طابث بتأمر أجبرها وبلت و  
الطلب فبعت بها الوالى الى القردار خليل القندى الذى عنه  
السلطان حديثا و هذا النصب قلنا سأله ذكر دفع متأخر لهم  
الحظم على محمد على ولم يكن هو أيضا في حالة تحككه من سداد  
مالهم لانه لم يكن استولى على شيء من ائمال برسمهم

ازداد الجنود تدمرا سادت القومى يدهم حتى حركات  
تغلب الى ثورة قلنا كان يوم ١٠ محرم الموافق ٢ مايو حصروا  
بيت القردار صاحبين صاخين فسألهم ان يظهروا اليها وذا تصل  
ليه الاموال لمع حقوقهم فرفض للتسردون الانتظار وتبين  
لهمرو بلشا حرج الولف بلجا في حل المشكلة الى جاب اليهود  
والشدة تاركا من وراء ظهره وسائل الصلح والتماسة او أطلق  
على جميع التسردون المدافع بقصد اخضاعهم بها فزادوا تمردا  
وتدمرا وأطلقوا بادلهم نحو الجانب الشرقى من ميدان الارمنكية  
حيث قصر الوالى وقعت جنود محمد على الى نغزو التسردون وشده  
أودم وحى وطيس القتال بينهم وبين القوات المسوعة فتأديهم  
وى الانباء كان طالع بلشا يفرح على لمرالى القوسط لمع  
النازلة فدى هذا اقراحه بمخذه وظلقة فأخذ طالع بلشا يجرى  
جنوده على القساد والاضطراب خدمة لقاصده القاية ولم تحض

لحظة حتى استدعى إليه المندوبين والزمه بمرس دعائهم الحساب  
 لينظر فيها. وفي اليوم التالي كشف القناع عن وجهه مقاسده  
 ومرايه فسار في رأس عريق من دجالة نحو القصة فتمكن بمصهم  
 بالحيلة والقبض الآخر بلسان الاسوار من اجتياز المنفذ الاول  
 ولم يلتزم ان استولوا عليها وكانت قيادتها في عهدة خرنندار الوالي  
 معروف على جبهته وتورده عقب ذلك الحوادث وكان العاقب لمعور  
 فنى لدى مطالبه بالتسليم فأذعن ولم يدر محمد خسرو باشا بجور  
 الاستيلاء على القلعة الا عند ماسح دعوى القتلى التي كانت  
 شظاياها تملأ كالمطر الزوايل على سقف قصره وفي حدائقه التناء  
 وقد أبدى المدافعون عنه من الأمانة في دفاعهم والصدق  
 في انقاذهم ما يستوجب الشكر لهم على أنهم اسطروا يوم ١٢ محرم  
 الموافق ١ مايو الى الخضوع والتسليم على أثر هجمة شديدة كانت  
 لوجبة السعد بها في كفة المهاجمين فضلا عن انتظارهم الى  
 التخلص من اطلاق ذلك القنصر الذي شاوله محمد بك الاقوي  
 وسكانه من بعده في عهد الاحتلال الفرنسي لقائد العام للصحة  
 خرج خسرو باشا من القاهرة يحيط به ضباطه وجنده  
 الزوار له ويحبه لسلوته وأخذ معه الى المنصورة مئيا في يوم  
 الجمعة الهنيئ من النهار وكان يحويه في هذا الانسحاب الفرنسي

الذين كانوا في خدمته والصيد المدعوون على الانظمة الفرنسية  
بحرفة هؤلاء الضباط وتسعة وتسعون من الحرس الأتراك  
وفي المساء جمع طاهر باشا حوله كبار الموظفين وأرباب  
الاعتماد والمحيطيات لاغتبار دهم بهذه اليه تشيرون البلاد والبلاد  
وكلوا يرمون جميعا أن الرشيع لهذا النعيب إنا هو ذلك الذي  
دعاهم إلى الاجتماع ولما تقدم بحره القاصي وألهمه خطة القاتلية  
وتبارد أنوار الباب العالي عند الشأن وكان لا يتنب عنه في الآن  
فيه أن من أسفل للسائل التي يجب عليه حلها عبادة النعيب  
لذي كل اليه عنقاً بكل منبسل اليه من الوسائل والطهور واحتضانه  
به نفسه فكان أول ما خطر له لقاء حودة خسرو باشا إلى تلك  
الولاية من حديد ولكي ردهه فيها بالقتل أقعد النعيب ابن أخيه  
حسن بك في بيوت من الألبانيين لكي يتلافاه رجل قريبا من  
اتباع الوالي المنزول فالتين بحاربة خط فارسكود فهلكوا جميعا  
مع قائم أحمد أما وكان خسرو باشا ومن بقي من رجاله قد برحوا  
المنصورة فاصدين شبه جزيرة ديباط حيث وقفوا ينتظرون نتيجة  
الحوادث بهذا السكان القوي الطيرات الحسن المرقع طليعه  
ولم يأس طاهر باشا مع هذه الحوادث اتخذ الوسائل اللازمة  
في القاحل فقد كان أول ما انصرفت اليه عنايته أن يشر منشورا

يرى الى اعادة الطرأينة القليلة في التمرس ووعده السيور ووزنى  
تفضل النساء والروسيا بان الأفرنج واليهود واليهود وروما والقوقا  
الدية ستحترم حقوقهم بلا تمييز بينهم ولكن ارادة القصد أن لا  
تخرج هذه الأمانى كثيرا مما سبقها الى حيز التحقيق فقد ضربت  
الضرائب القادحة على التجارة وعمول الناس طليط وانفس  
لذا كان اذا تأخر أحدهم عن تنفيذ ارادة ذلك السيد ولو لم تكن  
في شيء من العدل والصواب ثواب إما بالرح في غيايب الجون  
أو بالثقة من المذاب . وقد حدث أن اثنين من الاقباط وناظرين  
أهل دمشق كان كل جرمهم أنهم من ذوي القروة الواسعة وأنهم  
أثروا بوجاهتهم مرافق السيد في نفسه فأسفهم الى الحلال ، على  
أن مدة هذا الظلم السيد لم تقل في سبيل في اليوم التالي والعشرين  
من استلامه لمرام الأمور

وحدث أيضا ان رسالة من الامراء المالبك نشوا بها الى  
الوالي السابق سلمت الى القاضى طاهر باشا هذا الطبع عليها ود  
استألفهم اليه بعد القى عليه من بحسب الساطع في حكمل مكان  
فاخبرهم بما هناك من الترم على لسان الناس اليهم وتقديم  
الاحكامودعهم بلجة الحب والاخلاس الى الاقرب من القاهرة  
فاجتت آراء الامراء على قبول هذا الاقتراح وساروا عن

عروهم حتى اذا بلغوا الي صاحبها بغيره سخطوا برجالهم وأقاسروا  
 مصكرهم وكان طاهر بننا الرقبة الشديدة في القلعة منهم على  
 وشكته ان يختار النيل في الضفة اليسرى ، غير ان المحاولة التي  
 طرأت على حين غرة ومن غير انتظار لم تساعده على تنفيذ هذه  
 الفية ، ذلك لان السائين وان لم يشتركوا مع الالانيين في ثورتهم  
 كانوا منهم تضررا واستياء عظموا مرورا من طاهر بننا ولكن  
 بلا جدوى فقيام دفع مرتبهم ثم عرروا استشار المطالبة للمرة  
 الأخيرة فلما كان يوم ٣ صفر سنة ١٢١٨ الموافق ٢٥ مايو سنة  
 ١٨٠٣ تقدم السكياتيان اسماعيل آغا وموسى آغا لمرس مطالب  
 البليس ورفع رجائه فلم ينأ طاهر بننا ان يسمع لها نداء فألما  
 ان الطاب مأسر على الرقص واشتد بين الفريقين القحاح فاعتمد  
 طاهر بننا على التهديد والوعيد فلم يكن من الصائطين الا أن اشعنا  
 عليه بسلامتها وقطعا رأسه وألباه من كثافة التي كان حالها  
 يحوّلها ولما كان الشر يجر الشر والدم يجذب الدم فقد وقع قتال  
 عنيف بين الاركاء للوقت منهم الوفد وبين الالانيين الذين  
 في حدة الثأقام واشهر هذا القتال بأحراق السراي التي كانت  
 مقرا لحدا الأخير

وقا بنت الأمور الى هذا الحد من الشدة والخرح وهو دعس

الرؤساء الثمانية صبروا في الولاية رجلاً يسمى أحمد باشا كان قد  
وصل بالمصافاة إلى القاهرة على نية مبارحته بعد قليل لاستلام  
القيادة في مصر جميع ولم يكن مثل هذا التقليد على ما فيه من  
الأهمية مما تأباه العرس أو تصرف عنه الطامع قبل ومنذ مساء  
اليوم الذي استلم فيه زمام الأمر أتيح إلى محمد علي بواسطة كبار  
الشيوخ بأن يخلو الولاية واستلامه زمام أمورها فأجاب الزعيم  
الآناني أنه لا يصرف في شخص أحد باشا إلا أنه أجنى ولي  
ولاية إقليم عربي ولكنه غير أهل للقيام بأعمال شؤون مصر التي لم  
يكن مألفاً بها وبعد محمد علي قصد إلى معسكر المليك وخصوصهم  
في الأمر حتى استسلم في رأيه وكتب إبراهيم بك بأن ياتوا منه  
إلى أحمد باشا يدعوه إلى سدة القصر حالا وتسلمه فتنة طاهر  
باشا هم يسع أحمد باشا إلا التنازل عن الولاية وهو ما لم يكن له  
عنه عيب من نفسه العمد والتعير وقد اشترط فقط أن يورثه الله  
أصحاب الرحيل إلى بلاد العرب ولكنه نوع من اليوم فتنة  
الأكثرت هذا الشرط فأعده وعدل منه وفصل الانثناء مع  
شرقة من الحنود التركية إلى جامع الظاهر بظاهر المدينة وهو  
الذي حوله الفرنسيون إلى قلعة سموها قلعة شو لكونه سكي النابط  
البولوني ملازم وكتب (بلور) القائد بروت . والحق الألبانيون

أثر أحد باشا هذا أدركوه وحبس موقف الدفاع ولكنه لم يلبث أن  
أذعن لثقة الرجال والدخول معه مسبقاً إلى أكاسين البكباشيان  
موسى وإسماعيل أمّا في ضفة الخليج بالقرب من القصر العتيق  
مضيف إبراهيم بك حيث دس خناتها ونشر بالمدينة أمر باسم محمد  
علي وإبراهيم بك متضمناً القصر العام من الدبوس وأصبحت أزة  
الحكومة ملغية اليوم بأيدي الألبانيين والماليت فاحتل الأولون  
مدينة القاهرة والآخرون ظفنها . وقد كان من الممكن أن يكفرو  
صدا هذا الحكم الثاني لأنه لم يكفد خسرو باشا غف على ما آل  
إليه أمر المنصب طاهر باشا حتى قرر العودة إلى القاهرة اعتقاداً  
به بسوج الفرصة له للقبض ثانية على زمام الحكم ولكن لم يثبت  
أن خرج من القاهرة من الماليت والأوتوزود صاعداً دراجه إلى حماط  
ويان ذلك أن عمداً علياً كان قد سار إلى حماط بجيش من  
لشاة الألبانيين بعم مدده بالنصام بماليت حين بك الجردى  
وعمران حسن بك إلى عشرة آلاف مقاتل ، حتى ٦ ربيع الثاني  
سنة ١٢٦٨ الموافق ٢٦ يوليو سنة ١٨٠٠ وتبع هذا الجيوش أعلام  
الأسرار التي تحصن الأتراك بها وبدأ الحصار . وكان (أيس)  
أحد ضباط فرقة الهندسة الأنكرية قد حصن قنصل الدفاع المختلفة كما  
كان (سليم كوس) أحد الماليت الفرنسيين يدبر مدعية للتحقيق

فقص العريقان أروعة أيام يتبادلان الصرب بالمداخ بلا نتيجة  
يحسن الوطوف عليها . أما البنادق فكانت لا تصيب الحصى  
تقصر مرسلها وكانت الساقة بين المدينة والحامرون لها منسودة  
بماء ترعة كبيرة فاضطر الحامرون الى التدير في عبورها وأخذ  
جندي على مائه سبر عبورها عتريا يرى القلائص ثم أخذ معه  
بضاعة من البطيخ محبة بيعها في السوق فسر الاغوار للاحق  
اعتدى الى مكان لا يزيد عن المائه على ثلاثة اعداد وى الليلة  
التالية رأى الزمبان للحاققان ان الوقت قد حان للانتفاع بحيلة  
الحصى للسكر فكان هو في مقدمة من حاولوا عبور الترعة ،  
ودفع الثيلار محمدا عليا الى بعيد ولكن لم يلبث ان عاد الى دجته  
وباع معهم الى الشاطئ " فاستول على المصور والمداخ ثم على المدينة  
بجر قبوم القائل بقرم من دار الأتراك الحامية ولم يسع حروبا لها  
تجاه هذا المدلان الا الاسحاب الى الترعة بهاية الفرع الشرقي  
من القيل حيث تلاوم مقاومة عنيفة اضطر منها الى التسليم والضرع  
الى محمد علي ان يمانه بالحلم وسعة الصدر فثقله بما كان يرجوه  
منها ثم بعث به أسيرا الى القاهرة ولم ينصر اراهم لكس مقابله  
يحل ذلك علامة بأن حسن الفاء حق من حقوق الظلاء الذين  
أغنى الدهر طيهم



فقد محمد علي وثمان بك البرديسي بعد ذلك الى اترجانية  
حيث لفتا جميع الزولوق وحمل القناطر وتطلوا الى الاجرامعات  
الحرية الثقلة وهناك مر بهما السيد ( دولاس ) فحصل غرضا  
التي كان قاصدا الى القاهرة ليرجع وابتنا فيها عالية

وكان من نتائج انصارات المالك ان تمتك النضيب قوس  
اعضاء اللدوان الثباتي حيدر بارمال والى حديد الى مصر لمنع  
حضور الدولة الطيقين الاستقرار والرسوخ في حكومتها. ولقد  
كان في وسعهم اختيار رجل مثقف مدرب صير بالأمور في حلها  
النصيب الخطير الا انهم صيروا فيه على باشا المراتلي وهو مملوك  
بركمي بيع في مضطرة شابه الى محمد باشا ادي الجزائر ثم  
أهدى الى أمير البحر حسن باشا الذي لم يلبث ان دفعه الى لسي  
الراتب وحلاء بالانقلاب . والاثور عنه انه من ذوي الخبرة في  
السلب والنهب والحياة وأنه عوف بالعرب ولهمي مرارا  
وصدوت عليه أحكام طمحة له بين أهل وطنه

ومل هذا الرجل الى الاسكندرية في ٨ يولي سنة ١٨٣٠  
حلا لقب الباشوية وسه الف جندي من المشاة ولا مشاة  
في ان صنف هذه القوة بحمل نجاح الاجراءات الحرية مستحلا  
لقدما عزل فاك التوالى على إكمال هذا النفس للسكر والخليفة

ولكنه لم يرض أبداً في هذه البيلة فإن الأمراء قد مضوا  
في القاهرة لوزبالب الأسر واليهي لردوا البقاء بالولوليتأروا لاضهم  
منه لاحتقار. ابانم برفضه الاستناء الي شاكلوا بم أيا كانت . وى  
١٢ المسعى استولوا على قلعة رشيد وأسروا فاعلمها السيد على  
أحاه على باشا الجزائري ثم أنشأوا قنطرة من الزولوق على بحيرة  
للعدة لبيور الجنود ونقل الله افع . ووضفوا على الاسكنندرية  
التي كان للوالي الجديد قد شرع في تحصيدها وقوة موطن الضف  
فيها واتحفوا مسهور معسكروا لهم . وكان فريق من الانانيين  
والتيالك قد سبوا اليها

واتفق أن احد قدماء الجوربحية زانو ضبان الجرديسى في  
حيث فقبل هذا الزعيم يده ثم اطعمه الي جانبه وسأله عن رأيه  
في الحادثة بين المايك والالانيين وكان هذا الشيخ البالغ من  
العمر التساوسة بعد المائة مرفوقاً بالثغوى والصلاح والانياء  
بمستقبل الحوادث فأجاب بما يفيد ان عرجا شديدا يشقك منك  
ومنه سيحدث ميلل عيد الاسمى فسأله ضبان بك ومن أين يأتي  
المرح ومن الذي يسلط الله ويحيات من سيكون الظرفاً جلب  
الشيخ بان الملك ستفرس بالاجانب ثم أسسك عن الكلام  
ليرتشف كلش للقهرة التي قدمت اليه . وتذكر الملك في الاسماء

أن أهل البلد كانوا يسبون المليك الخلس الاحبي فحشي أن  
يكون للتصود بالذئاب في عارته الالبابير . ونفى لمر الساعة  
واجباتها في يده الفكر والتأمل لما بيده على حربه مراشدوكا  
وكان حوادث الطبيعة جاءت تؤيد ماغافل به الشيخ من  
الشر فان القبل لم يبلغ فيها الى النصاب الملائم لوزن اعتقاداته  
أسرار الاخوية نمتاعاً فاحتا ووقفت الجماعة على الأرباب . وكان  
الآن اللازم لقتل حاجات البلد قد قد من يده وذهب من  
هؤلاء الصبر عقالوا يتهددون ويصخبون . وكانت نبوة الشيخ  
برزكت في نفسه أرامزها فسيل بالسوفة الى القاهرة وكان  
قد سبقه إليها صبة أيام لى في فروكتشور سنة ١١  
و ١٩ جمادى الاولى سنة ١٢٠٨ هجرية و ١٩ سبتمبر سنة ١٨  
عقد على قائد الابانين الذي قرر أن لا يدخل وجهه في حرب  
جديدة ماداموا لم يقدروا أحراراً اتابهم في الحروب الاخيرة  
فلما وصل البرديس الى القاهرة وكان عهد علي يوسف على  
يزادته بهر شعور منه اتفق على إدارة الشؤون العامة مع ابراهيم  
بلك الذي لحق في المصروف على المال لمقع متأخرات المسكر الى  
فرض الضرائب القاسية باستاء الاعوان منه لذلك لاسيا وعند  
ذلوا الامر من جراء عيت وحك وإفساد وشوهد أنهم

بك للصحر الذي تلقب بقلب استاذنا أمر وجهي فلا يتر من عليه  
محترق ولا يراجه أحد حتى لقد أمر بقتل كل من الجوارك لألم يحبه  
الى ما عليه من حطب الرمود كما شرعده حسين أنا والى (أنا  
مستحفظان) بأمر دسمن أحد الشيوخ طمعا فيها يفتدى نفسه به  
من المال . وسأله إبراهيم بك أن رد الرجل الى أهله فبعت اليه  
برأسه بفطر التهمة وحسين بك الرضى رسول مراد بك سافعا  
الى الجزائر كبير برنبر عدايت الخلعين والقلة وشوى قبادتها  
لجستولى بها على قنة القياس ويخضع الاحال والساكر الشايرة  
من الطريق ويختلفهم فى القيل من أعلى الأمواج وسير الزورق  
الدمعية لضط السس الآتية من الوجه القليل ونهب مشعرها  
ويختل أفتياء الخجاج والصحراء ثم يطرحهم فى القيل :

وما من فرقة لاحت ليل لنا الجزائرى إلا والتهزها  
للإصمها والظلم فلم يحترم امتيازات الأفرنج ولم ينظر فى الشكاوى  
للقدمة اليه من قضايتهم بل عرض ساكرا على الانتداء به  
فكافوا اذا رجوا من التعذيب المسكرى أخطاوا بنادهم على  
نواخذ منازل الأفرنج وحدث أن غلبت رسالة الى داخل للجمعية  
النسوية فكانت تقتل نائب القنصل ولم تنج أعلام الفرنسيين  
والسويديين والروس من هذه الاهانة حتى أصبح من اللعنم

الزام مرتكبي هذه المظالم والموهرين اليهم بها بالقرصية القليلة  
واسطر الامرج الى اخلاق مخازهم وحشها وحطها تحت نظر  
خورشيد بلشا (حاكم الاسكندرية) ونزع القنصل دايته دولهم  
من فوق خورم ثم عجزوها ليشتوا مع حريق من دجايم الى  
الاسطول الذي في الراس في ليلاء القديعة . ولم يسج الخزان وقد  
شعر بمخرج مكره الا ان يدرس على القنصل صلحا فلم يرضوا  
بشروطه حصدي له خورشيد بلشا فرفض لأتاعها أنته المطالبات  
من بقاء مقامه . وكان أساس القصر للروض طير القنصل لها  
كتابة بأن لا يصيبها منذ الآن صبح ولا يلحق بمحلولها وكرستها  
أقبل مساس فخلد القنصل الى الاسكندرية في ٢٠ شعبان ١٢١٨  
الوافي ٦ ديسمبر ١٨٠٢ وروىوا الرابات فوق الدور طينها القلاع  
والفس الراسية في ليلاء وحدث ان وجلا يدعي خليل عطا وحر  
شيخ طائفة الاشياكين طالب اثنين من رجاله مكلمين بسلي ما في  
القنصلية فرنسا سرقا بالنهي بلا وجه حق صوب بيتل ما طامها  
به وألزم برد ما أخذ من اللق ضبا منها وكان ٩٠ قرشا

وارتأت الدولة على أثر هذه المحاولات ان اللالك تصبحوا  
بجامعة الادب ودر أصحاب الفن والمند وانه لا يصير عنيا اذا هي  
حذهم الى تابعها بالبرود والحسنى . فاعطرت لهم الاحترام

والعودة وجازتهم في أمواتهم وكان ينتظر أحدهم بالاستئذان ود  
الباب القابل على التراجعات الترحوا سدا على صاح ذات  
يوم وجهت إليه ذمة اليكوبة على غير انتظار منه وأعطى خطا  
شرعا يخلو زهاء ثلثيها حق القصد والاستقرار في النظر  
للصري ومنعهم مرتبا بنحوه كيكسا نكل مهم ومنعهم رقلم  
للرؤوسين لهم الأموال للقدوسة على نفس القري بشرط  
الاجتماع من التداخل في شؤون البلاد وحماية أموالها

فرضي البكوات ذلك وامرهم من ارتباهم له . واجيز  
نيل بلقا البرازلي المصور ان القصيدة للامانة بها على شرط  
ان لا يرافقه من المسافر أكثر من ألف والى يتبع في حضرة  
الطريق المار بمسجد البصرة والطراقة على صفة النيل اليسرى  
ومع ان هذا الشرط كان مفرعا في غالب الأدب الا انه كان يجيد  
الأمر والالزام من جهة الالانة والحقير من أخرى . على ان  
الوالى لم يكتف بذلك فاعلأه يوم موافقة صدقاته في هذه  
الامنية اليسيرة الى لاصدر منها ولم تطلع شمس يومه رمضان  
١٢١٨ الموافق ٢٢ ديسمبر ١٨٠٢ حتى تحرك برحله فاسدا الى  
المنامة بعد ان سقته إليها أربعة أيام عطية صغيرة من جنده  
غير ان المسافر الذين ساروا في محيته كان عددهم لا يقل في الحقيقة عن

٢٥ من الشاة و ٥٠ من الفرسان وهم جميعا من حصروا من  
الاستانة حديثا وما خرج هذا الجيش من ابواب الاسكندرية  
حتى جعل وجهه مدور مشهور ثم انصرف قبل الوصول اليها عن  
المنطة لتفتي عليها غير القرعة فارد الى رشيد فأسبح الاتفاق  
للرم هذه المحاولة فانه لم يكن

ولدت حامية للمالك نقطة وبتأهية لازمة بالسير في  
الطريق لتفتي عليه وأنس منها التحمر تلك ضاد الى هذا الطريق  
ولقد ناله غيظ شديد لفشل مساهمة من هذا القبيل بتفريه  
القرى واحرقه الكفور حتى مر بها وهو التلي تحم به شقان  
ووصف في كبر الشرفاء الزبيب من القاهرة الخمس الراحة. وفي  
٦ شوال ١٢١٨ الموافق ١٩ يناير ١٨٠١ ظهر محمد علي وسن بك  
والاخي الصبر وسليم بك الاول والثاني في مقدمة الالبيين  
والثالث والرابع في مقدمة المالك وكان للبرلمان يتوسلون للذين  
الجيش بالاستسلام لحماهم الا انهم يتناحسون لحماهم الا انهم  
مرتكزا على القل وتواجه الفرسان ثلاثة أيام بدون ان يتدوم  
أحدهما حركة. وكتب علي باشا الجزائر اتاهها الى دعاه  
الارثوود ومشايخ البرلمان والمعلم والناس جميعا كتبها بها بث  
الشفاق بينهم فأخذ قادات الجيش ومنهم محمد علي يمدونه بالأعلاص

والولاء، ويستدعونه اليهم بكل الوسائل، يصدق أنو علم وقيل  
نحوهم بلقي بنه في الشرك الذي نصروه له . حتى اذا جاء  
الليل الداس الدل حين ملك الزنطى في ذورين مسلحين بفلان  
جاعة من عساكر الاعرق فوضع امعة المدود ذخائره في ذوارق  
أخرى فوفت الذوارق كلها يابدى للهلك والأوتود الذين  
أسروا من أقتهم من الجند . فاحتج على ما تابشده على هذا العمل  
وعدة تدعى الاتحاق فأجاب القرقان للصحافان بنجمة المجرم  
عليه وفي ١٢ شوال الموافق ٢٥ يناير عام الهالك والبريل بحركة  
امسح بها الولي محصورا في مسكره لا يستطيع الخروج منه  
فبدت عساكرات حلت عقيدة النتيجة حول على مانا على المجازفة  
بقتال اعدائه آنلا أن يكون الظفر له فاستتب له الأمر وبخلص  
الحكم . فأبى رجاء واستموا من حل تدولهم محتجين بقلة عددهم  
والخوف من هائلة أوامر الديوان القلمية لأن يكون أخذ  
الاعالي تأييد سلطة الدولة في مصر بالمعروف والحسن . رجاء  
استماع الجنود عن القتال صرة قطعية على الياساقا خيل في امره ولم يدر  
الى من يتشعرو هذه الأؤمة . ولستة حول على مواسلة السير  
في طريق فواصب ظما كان ١١ شوال الموافق ٢٧ يناير قصد في  
خاصة من رجال حاشيت ومن بينهم ابن أخيه حسن بك نحر عيام



للإبليك فتولى فيها الأكرام والمخاضاء . وبينما كان أنى لك الصغير  
يمرد الأتراك من سلاحهم ورمى أصابى ستة من أكابر رؤسائهم  
ويست بالساكر ال حدود صحراء الشام تحت حراسة الهرمان  
كان على الشايدرو وهو فى صيانة عثمان بك البرديس الساسى  
فأخذ يرسل فى السر اتين من أكابر ومحمد الثورية والحياج فى  
القاهرة وبها عثمان بك حسن والشيخ السادات وقد صطت  
رسالة اليها وحرصها عليه كينيا زعيم للإبليك موجها اليه  
الاسئلة الآتية

— أنترق هذه الأوراق ؟

فأطرق على بابها المزائيل برأسه ولم القصت . فقال له

الكينيا :

— تمه حان وقت وجيبك فأن الخيل بانتظارك

— والى أين أذهب ؟

— ال القى لانتك لم تمه أهلا البقاء بيننا

وفى الحال أقتت شروسة من الخند بقيادة محمد بك المنوح

وسليمان بك ابراهيم لحراسة القوالى عسارت به ورجل حاشيت

ال متعاد . وفى بعض الروايات ان البرديس صعد فى هذه الساعة

ال قفة أكمة وأمسك يده متظلاً وأخذ يشيع البابا للسكبي

بظرب السروود والأوتياح حتى اذا توارى عن نظره صاح  
« لقد أعذت بتأري » وعلى مسيرة ساعتين من المسكر  
زحل على بلقا للاسفراحة هو ومن معه ثا كانوا بأعدوت  
همالهم حتى صبت عليهم عصبة من الزايلك لالصار وأحاطت  
بهم اسامة السوار بالمعدي وأخذ دخلها يطلقون الرصاص عليهم  
مواصلة فأصيب قوايل مطلقين فأرسل كما أصيب ابن أخيه لقى  
ما كان يشهد جرحه حتى طرأل منه وصاح قائلاً :

— لقد دنت لـ اسامة بإدنا فيها بما تعود عن أنفسنا

فوضع على راندا ساعديه على صدره وقال :

— ان ولياً مسلماً يجب أن يعرف كيف يموت وأن لا يدس

يده بملامة المعصاة

ثم نشر أملم قائله لحظة من القماش الأبيض كانت معه  
وقال لهم « أها الجند ان هذا القماش كفى وإلى سمعوت أني  
من بني الإنسان أي مخلوق رائل لم يخالني هذا الكفن » ،  
ولست أسألكم أبدا العو فاضربوا ملثتم ولكنني استعطفكم  
برسول الله وصحابته لن لا تحرموا حتى هذا الكفن »

مدت يداي الساكر عليه بالسيوف والمهوى ومن لم يمت  
من راندا يثار البنادق فطمت رأسه بالسيف

وفي اليوم التالي غداه للبلدية على يد نائب بلده البرديسي ومحمد  
علي وغيرهما من الزعماء والزعماء إلى القاهرة فأقيمت للزيارات  
والترافيق مرحبا بمرورهم وأزال سعيد علي بك أخو علي باشا  
الحزائلي من القلعة حيث كان معتقلا ودلر لبحث في المدينة من  
رسل الباشا وجواسيسه وكان علي آغا أحد كبار ضباطه وشريكه  
الأكبر في دس النشأى عتقيا بالانصاف الفرنسية حصل من  
الانتماء على التأكيد بحمايته وتسهيل السفر له من الاسكندرية .  
وبه التزجلى الى انه وقد أدى إليه لتتصل هذه الخدمة الجلية  
أصبح مدينا بالشكر له فلم يكن من هذا الرجل الكنود القادر  
بالخدمة الا أن أجاب بما يأتي : « أكانا لم نستخدمنا لأحد سوى  
الله بشئ ما فإنه وحده هو المتخلص من أيدي الأعداء واما  
كنت الآن حرا طيفا فذلك لأن خلاصى كان مقدرا في الأزل ،  
وظهر في بلدى الامر ان النظام والهدوء أوشكا أن يعودا  
الى مصر وان بشرنا أعلامها على أوجنها فان الأرباب كانت  
قد أقرت بالحكومة لهما بك والابانيين وذاعت فيها شهرة ثلاثة  
رجال وهم البرديسي بشجاعتهم وإبراهيم بك بسعده وشفه ومحمد  
علي بحيله وسهولة . وانضم الى هذه العناصر الثلاثة عنصر رابع  
وهو الشفاق . فانه لم يمض زمن طويل حتى ظهر على سواحل

لجورير ديم قديم قدامك سفره صيات نهر التاميز من الاطوار  
 دوحا من الزمن ، نرد به هناك للعتل القصور عود لك الانفي  
 الذي رفق الحامية الانجليزية في رحيلها من الاسكندرية على  
 أمل ان يستقبل الأمة البريطانية على مؤازرة الامراء بحأيد الى  
 صفاف قتيل في الوقت الذي انتصت به الاواب على مصارمها  
 القطار معنأ نصى بالحقرا أحد عشر شهرا عاش أكتامها مينة  
 رسمته الوردية الانكليزية فكانت هذه الوردية تحفه تارة  
 جنايتها ورمائها ونهله تارة أخرى بحسب ما يصل الى عنها من  
 ارتجاع شأن السالك في مصر أو سقوطه فما أفضت المرافت  
 الأخيرة الى وضع أزمة الحسك في نصبة وقائه وانخراة وأصبح  
 هو رجلا من الطراز الحديث ومقرا من الاعيان والنظام ومحررا  
 من ولي عهد الدولة البريطانية ومرموقا بين الاستحسان من  
 السيدات اللواتي كان يفتنهن منه حال ثيابه ودرشافة نفسه وكل  
 عنيه أول أرطب الأموال والنظارين عليه يقدمون اليه للال  
 جرحا وكان قد باع الى بعضهم جردا من الأبرار الذي كان يرحو  
 تحصيله في المستقبل واشترى منه أكتام جيللا على الطراز الأوروبي  
 قصير كان يأمل أن يشيده يوما على مصر قلا على مستهل القعدة  
 سنة ١٢٦٨ الموافق ١٢ فبراير سنة ١٨٠٤ تخله قرطاطة انكليزية

مسلحة بأربعة وأربعين مدفعاً وتحمل معه ثقباً من الاسنجير كان  
قد وُعد بأن يكونوا حرس الشرف له وجوقة موسيقية لمصر  
على الآلات المختلفة لم تلوث هذه الأشياء أن دعيت بها بعد بدء  
بين أبدي عساكر محمد على كما دعيت هذه الاحلام للذبذبه هباء  
متورا

وفي السادس من ذي القعدة للواحد ١٢ فبراير طاع في  
القاهرة بأمره من القاهرة إلى البر ولم يكن البريدي يرغب  
في أن يتناول لهذا القادم من سلطة استقرار له الأمر فيها بمحمد  
الديب كعهد على سواء فقصي هذان الرجلان نهاية ورعيين  
سلطة يتفاوضان في شأنه وفيها ينمي أن تكون خطتها المستعجلة  
حياله فترد في نهاية الأمر لزمته من عالم الوجود . وكان مما يليكه  
قد سلفوا لقلقه ، ولكم لم يستطيعوا الوصول إليه إذ بوغثوا  
في القبة الثانية من رحيلهم بحرب الجيرة وامباه وأفتوا عن  
أعزهم تاركين أمتهم الخيرة بأبدي خصومهم . وكاد محمد الأمان  
تصه يقع في شدة بحرية روبرق ألباني بينما كان راكباً في دجته  
ولولا أنه ترك ما كان معه من الأكلت وغالب الأملق لما وجد  
إلى الصحابة سيلا . ولقد فهم من هذا الحادث انحراف الخواطر  
عنه وأن الرسائل قد أخذت من ليل للأيقاع به فخرج من ذلك

مرحاً عظيمًا وعمل بعد خروجه إلى الصفة اليمنى من البحر على  
 الاختفاء ، صار موعلاً حتى بلغ إلى قرية فرخيل على مسافة  
 مرسخ ونصف وكان يذل بها جماعة من عرصة الخويطات صال  
 امرأة من هذه القبيلة لن تكرم مثواه فأجلسه إلى سؤله حتى  
 إذا تنفس الصبح جهزته بحرس واثنين من الحصانة لأرشاه  
 وحراسته لير أن العربان المواليين للبرديس اعتدوا إلى أثره  
 فالتفوه وكانوا يدركونه ويحبسون عليه لولا أنه لقي اليهم ما كان  
 منه من الطمع الزينة والجواهر السكرية فأن شرعهم وطعنهم في  
 لئال الخيالم من ملاحظته فتعا بمسه من غضبهم ولسوتهم وفي  
 خلال ذلك كان محمد علي يشقت انصاره وأسراهم في كل مكان  
 ويضيق الخناق على من يميلون إليه حتى أنه مالبس بلبان بك  
 البواب كاتب متوفى فخره من لبلابة لآله أكرم مثوى  
 ذلك الأمير وأطمسه على مائدة . أنه الانجليز فقد أذكروا خطأ  
 سياستهم وصموا أن السادة الشيعة التي لقبها الأنبي منذ وصوله  
 موجبة قيمهم في الواقع فأخذ قتلهم الجبال يصبح ويضرب  
 ويحجج ويترش ولكن البرديس كان لا يمر هذه الصيحات  
 صمه ، فتمصبت في تصاصيف الرياح  
 وكان البرديس قد نقل إلى عماره السجائيد المسجبة والفرش

والقصبات والجوامع وجميع ما فيه الآلايون من الثقلان الا  
انه لم يحل دفع الثأغات المستحقة لهم عن ثمانية اشهر  
فلمستوا من هذه الماطلة ورأوا فيها سكاية مضاعفة بهم،  
فقتصدوا من عودهم مع زعيمهم محمد علي الى قصر البرديسي  
مطالين بكتات الحقوق مطهرين القلوب وجاهرين بالتهديد والوعيد  
فوجدوا بالكرمية في اليوم التالي ، وتداخل محمد علي في الامر  
اذا انفسهم ببول هذا الأجل فرأى البرديسي غصه مضطرا الى  
فرص ضريبة عطية على الجالية الاجمية من أهل الاساكل  
للشرقية ومن الأوروبيين أخذهم لرفاه بيده ، فاحتج القنصل  
على هذا الفعل وعدوه منه لثباتا وانحصارا ولتعدا لهاب جديد  
من بواب الانجاز وحتوا السواد الاعظم من مواطنيهم على  
المسيرة الى الاسكتندوية ولم يكن الا تزود قد حصروا على كل  
مؤخراتهم فرمروا ونشروا وكثروا عن انيابهم فقرض  
البرديسي ضريبة ثانية على الاهل

لمستض سكان القاهرة من هذه الضريبة وتكثت نخبهم  
وتكثرت ثأرتهم فاصحوا على رقاب الحياة وظهر من حركاتهم انهم  
عقدوا النية للمرة الاخيرة على وفاة انفسهم من غير الأرتزود  
وعسفهم ومن ظلم للمليك واجتازم

أدرك محمد بن عذمة أن هذه هي الفرصة الباقية  
 لاتمام تجميعه فأعمل روته وصدق ظره وجرائه على عظام  
 الامور ليحول مجرى المولات الى منفعته وتحقيق اغراضه  
 فذهب وحده الى الجامع الأزهر الذي انصرفت فيه فكرة  
 الاصطراب والميجان ثم لى الناس بكلماته الطيبة وأكدها الشائع  
 تحت ضيائه أن القراءة المفروضة سيتم التدول عنها بمصاحبه  
 فكنت كاتبة وعدل فلتشددون عن طرفهم اعتمادا على ما وعدكم  
 به وفى الواقع فقد التقى بكل من شأن التدريس و برهيم بك  
 وعلاصها مليا فى الامر واحتمد فى التاعها بالتخاذ وسائل أخرى  
 لجمع المال لا تقضى الى اثاره الخواطر ، ولسكنها لم يصيبا الى  
 أمره المسكين من دفعها دفعاً يكاد يكون جوارما . وكان  
 القارون والنافون ينتظرون من حبة اخرى حصول المعدل  
 والانصاف ، فأغصوا يشاءون مما اذا كان ذلك الرجل الذى  
 استطاع فى لحظة واحدة ان يسكن بالزتهم ويقتنم تلازمة  
 السكون انما يريد السخرة بهم ولما هم جشعوا الى سوء الظن به  
 فاضطرب حول الاحوال فانياً بختهم التى تلوذت أطراف المديفة  
 وسرت فيها سرعان النار فى الحشيم  
 وفى أول ذى الحجة سنة ١٢١٥ الموافق ١٧ مارس سنة ١٨٠٤



تقدم قبيل الظهر حشد عظيم من الأتراك نحو البرديس الذي  
 كان يحيط حصن من حصون المصح العلمي وأحاطوا به فجاءه  
 إسطة السور بالمعصم كما أحاطوا بالجمعات المبنية للترسانة فكانت  
 تجمعه ويطاردة المدافع التي سمت على عرش التلحاح الكبير .  
 وكان ذلك عظيم القوة في حصانة مرفقة غير أن القبط على المدافع  
 كان قد استهواهم المحاصرون واستلوم إليهم عند أن أحققوا على  
 هؤلاء . حتى لو ست طلقات بالبارود وجوا عرصات مدافعهم  
 نحو الأسوار التي كان الدفاع عنها متروكاً لهم فشكوا الأرواد  
 بذلك من الاغارة على الترسانة وأخذوا يطلقون النادق من  
 ناقلاتها وسطوحها وتلقى الخندق جيها الأمر بالمجدة على القصر  
 فانتحلت أبوابه على مصارمها وأدا بزعم المراكبة قد اندفع منها  
 واكفنا على جواده وحلقه جنة من أعوانه الأسماء وجمال محبة  
 عما كان عنده من الأموال والثقات وشهر سيده وأخذ بطرب  
 به ينة ويسر فقامت بحرج ولكن انصرف منسحباً نحو البساتين  
 وفي الوقت نفسه كان عريق من الألبانيين حاصراً دار  
 إبراهيم بك ولكن بشير شدة ولا تضيق ففنى هذا الشيخ  
 إليه بأحد الرجال عن إذا كان القصر خرج يحيط به كنفه  
 فاصداً إلى الرمية تحت وإلى من رماس النادق وور في القصر

أما حسبك لك الوسطى الذى كذب مسكراً بالقياس في  
ماتين من جنود الهرديس قيونانيين قد أطلع في سعة قلعان  
بهذا الزعيم فأصبح الأوتزود في أقل من يوم واحد أصحاب الخيل  
والقعد بالهامة والتصرفين في شؤون القطر وبلغ عدد القتل  
من المالبك بالقاهرة ذلك اليوم ٣٥٠ مملوكاً . وهؤلاء إذا انقطع  
بوتهم خفتان فخرهم فيالك دمياط ورشيد والراعي السكره  
في الوجه البحرى كانت لا تزال شديدة الخلقان حلاً وفزعا  
فأرگنوا الى القلعة ولم يقف في طريقهم أحد

حان قلبك الذى ساء الناس بالسند الحقوق التصورة أن  
يحقق مقاصده ولكنه لم يتقدم كنه بهذا التباح المصروف  
بالأخطار ولم يستم الى الشهرة حتى احردها ولتنة فاز بها الى  
رأى أن يترتب ويتأكد بجم أركان شوكته على الأساس الوثيقة  
وكان هو ان بصرف من خاطر للألتصرى انه نص على الولاية  
ونكل المالبك ليحل عليهم وقبض على أسواقهم رأى أن  
خير الوسائط لنفوذ بالأعجاب والشكر منه ومن الدولة القليلة  
إلخال شؤونه نظامه مد الذى قام به للصحة العامة . وتنبه  
لهذه السياسة المسكينة تعد الى القلعة فأخرج خسرو باشا  
من السجن وفادى به واليا على مصر

على أي ولاية كانت قصيرة العمر فإن أبناء أخ طاهر باشا  
أحرقوا الألبانيين بحلقة تخلصهم للمرة الثانية في يوم ٣ ذي الحجة  
الموافق ١٥ مارس ولوسفوف من رشيد في سبعة إلى الامتياز  
البلية . وعقد الرئيسة والزعامة بعد ذلك اجتماعا احتلوا الولاية  
فيه خورشيد باشا حاكم الاسكندرية . فوصل إلى القاهرة في ٢٦  
من ذي الحجة الموافق ٢ أبريل وكان قد صعد بها في الثانية عشر  
يوما التي مرت إلى محمد علي بطلب الانتقام

ثم صدر فرمان للولاية إلى خورشيد باشا بعد تخطئه لياها  
صلا بثلاثة أسابيع فكان الفرمان الرابع من نوعه في الليل من سنة  
واحدة . فلما رأى الأمراء ذلك جمعوا جنودهم تحت أسلحة  
القاهرة لمنع الولد بها وأخرجوا المراكب للشحونة بمواد الغذاء  
لأنها في الحاجة ، واتصدى الفرمان بهم مضطربين على أن  
يد الانتقام لن تصل إليهم فأخذوا يتلفون الدروع وذهبوا  
الحاصل وأصاب سكان المدينة من ذلك شر عظيم وجاءت  
تصرعات الأتراك وعيشتهم وإسلامهم صغارا على إياها ، فلأنهم صبغوا  
الطرق بدماء الأبرياء بقتلهم في الطريق من غير ماسب  
واحتلت أيديهم إلى النساء يتكفون حرمتهن ويأفونهن في  
الحانات القذرة واشتد الحرج على شر الناس جميعا بالحاجة إلى

وجود رجل في الولاية أكثر نفاقاً من الرجال الجديدين والذي  
بالترام حد توسط بين الشدة البائسة والفرود المال على صنف  
الرأي . ثم قد كانت حورشد بشا صالحاً مستقيماً ولكن  
الاستقامة من العمل التي يبدو أن تقوم غيبة في عالم السياسة  
فلا يجب إذا لم يظهر في الواقع التي تحتاج إلى الشدة والصلابة  
شيئاً من إمالة الرأي وبعد النظر في المواقف

وبعد ول حورشد باشا على ممر ذلك الحادث على أنه  
خلق الحكمة بقاء وأقام بين وبين كتمان الأسرار سداً منها  
لقد أمر بتفصيل أموال الليرى من الأقاليم من ستة لم تستحق  
بعد مع تصويب مولودها لسكرتيرة ما ابتز منها ذلك ليغرم بمطالب  
بحد لأحد لشرايعته ولا صانط له في تصرفاته ومرض مائة  
وخمسين كياً على نصارى دمشق النازلين بالقاهرة وحماية  
على الاصطاط وأتقن على الشيوع والوجاهية عننا عليهم جميعاً  
تقديم الرهائن من الأشخاص ضيافة لفتح هذه الباب بعد حورده  
ال بناء أمره بالملك إذ مرض عطين ١٢٠٠ كين وبعده  
الوسائل الحائرة وتبليها آثار في نفوس الناس جميعاً كان  
الكرامة له واستمرها الانتقام نسوة مع تلك الشدة  
ومنت أشهر ثلاثة بعد ذلك كانت الاصطدام بالملك فيها

متنوشات بسيطة ، وقد طرهم محمد علي بنعمه لرج سادات  
لو عسا بالقرب من بدء المتقدمة ثم عاد رجاله حامين وؤوس  
القتل إشارة الى القوم عليهم وكانت حادية هيس مؤلفة من ٣٠٠  
جندى قطعت دقاتهم حيا الا ثلاثتهم الكشاف وكتابيان  
ومد لبالك بالقرب من هيسم وأخذت استعجابهم في يقص  
ولسكن قدمت حين محمد علي للاحتشهم واحد الآفاق عليهم  
وعيل صبره فمقد الية على القيام بعد حليم فمعليهم في القلوية  
حتى اذا نكل بهم عاد الى القاهرة . وكان عا كره بلا مؤن  
ولا نياپ مشكوا اليه كثرة التآخر لم فقبض في الحال على  
اتيين من اكابر القري ولم يطلق سراحها الا بعد ان أعبد  
من ملحقا ثلاثين كيسا ولم يعبأ بوجاهتهما ولا بانائهما الى القوال  
عملا بقاعدة ان الضرورات تبيح المحظورات ولأن عملها عا  
لسد الخلق ومعالجة الية

وكان اهلالك يحدون من كل ضيق يتعون فيه خرجا الى  
الفرج فلقده استلقوا اليهم جماعة من أنصار الارتود وعلوا عنهم  
ما استقر عليه رأى حصومهم في أعرم وكان عيهم يدهسون الى  
السكر ثم يودون ومهم أوراق مكتوبة عمياء في أديب  
شبهتهم التي يدغنون حيا التين لو شعر لحياتهم الكشيب وقد

صبط يوناني حاملا رسالة من هذا القبيل مضرب عنه في  
خفاء الديوان

وكان محمد علي وهو على رأس الجنود المسكرة متعلقا قد  
تكلم بالملك واقتفى أثره إلى طنطا ثم عاد إلى عرافة مصر لطلوذة  
المرابن الذين يرجعون التردد بين اليد المني وبعد أن قطع  
من هذه الحجة وأبرهم لاحت البساتين بنباتات من الشاة وما تكلت  
نظراً لومها فدمه حتى برزت له من الكباش دمر كثيرة من  
أغلاط الملك دعت جيشه ففزع ساكره وتراجعوا بلوى  
في يدي متخلون من مرا كرم خلال دونهم وأخذ بعضهم على  
الحيات ولست كتاب القتال ثم يصفوا له وبعد أجمع اتقى الانابون  
والأراك على مدافعة الأمراء ليلا في قيامهم عاد محمد علي  
بأنف من الشاة على ثلاث فرق إلى دير التي فرسوا قبيل الفجر  
واحقق أن أطلق بعض التحسين منهم البنادق قبل الشروع في  
حصار تلك القرية فاستيقظهم صبح من الملك على دوى البنادق  
واستطاعوا خيلهم وفروا تاركين وراءهم الأمتعة والذخائر واستولى  
الأتراك على طرة بلا قتال وكان نيا قدوسهم قد وصل إلى حراسها  
فأقروا إلى الجبال وعاد محمد علي برؤوس أربعة عماليك صرب  
أخذتهم بسيفه فألبسه الباشا فروة سمور جزاء شجاعته وهي ثياب

خطة أسبهاى فى اقل من ثلاثة أسابيع

وفى ٢٢ ربيع الثانى ١٢١٩ للهجرى ٣١ يوليو ١٨٠١ رأى  
 الملك من لائحة من استرلوم على حصر القاهرة فاصرفوا  
 عنها . أما محمد بك الاثنى فقد عاد بعد استخفافه ومآ فى حيلة  
 أحد هريانى القشرية الى صفوف اخوته وشاؤكم فى مطاؤكم  
 الأخيرة ثم انتقل مع ابراهيم بك الى القصة اليسرى يتناكلى  
 البردوسى ومجان بك حسى بالعفة اليمنى يقيان بها الاستحكامات  
 والحصون . واستطاعت السفن على اثر هذه الحوادث الملاحة  
 بين ثغرى رشيد ودمياط وبين القاهرة وتويزد للتلاحون تباها  
 الى العاصمة ليقيموا أهلها مانى من حاصلاتهم بعد الذى مبه  
 التعاريف لو أنفقوه . وماضى على انحطاب الأسر الى  
 السعيد عشرة أيام حتى لمع لأهل مصر فى أفق المستقبل برق  
 الأمل فى تحسن الأحوال اذ كان الخيل قد طغى من الاتساع الى  
 الدرجة الصالحة للرعاة واحتفل الأهلون بحجر الخيل بمحصول  
 الزاى ومحمد على والقاضى والأعيان وولمت حوالى هذا الوقت  
 بالعاصمة حاوية كانت تتحول الى كورة تلعب بحيلة الاوربيين  
 القاطنين بالقاهرة جيما

وبياتها الى اثنين من الاوتزود لبيت الحرة برأسيهما كالا

عند طبيب يوناني نعى الأرمج وكان الحسيو (رويه) حكيرو  
 صيادلة حبش الشرق ومن آثروا البقاء بمصر سد الحلاء لمزاولة  
 مهنة الطب واتقوا إمام بيته ويده صا ياطنها شيقى فصامره  
 الرحلان طفا منه الصا لائق فأمسكه أحدهما بطرفها الأسفل  
 وحدها إليه فلم يجد يده غير جفير الخيش وقى الخيش نفسه  
 يد السيورويه . فادمع نظره عليه حتى أحمده البعض إذ لم  
 تسببه له رؤية عصا من هذا النوع واشتد به التنبط فتطبخ هو  
 وزميله بما كان مسمما من السيوف والطبخت شوها على الصيدل  
 يربدان به القتر فاعترضها النظم وبعض الأفرنج المهاجرين  
 وتوسطوا بين الفريقين حقتا الدماء ، فأصيب اثنان منهم بمراح  
 حبيطة وثقت وصاحبة ثياب السيورويه وأحرمت جرما منها  
 وكان أحد الإلباسين لشدة نحرهما من زميله فأصيب بطنه سيف  
 في جبهته ثم يملأون نارين حرا بهما سريعا على الأرض وأصيب  
 زميله بطلقتين من طابحة وطلعت سيف ظنا انتشر الخبر فوجس  
 أهل الحى حيرة وتلزموا وأخذت كل عائلة تحبس نفسها مفرا  
 بوملاذا ، وأعلن باب الحى ونسقت الامانات بأشائهن الاسوار  
 المبطنة بدمر القنبح الهدى ودخل بيته فأواضع عنده وسكن  
 بأشبهن وطيب غاظره من . وماهي إلا ساعة حتى حصر فصل



فرسا الذي كان مسكنه نبي السادة وأبلغ الخبر الى محمد علي  
 فرحل فوصل الساقط الى مكان ساداة سيرا على الاسنام  
 يذمه بعض رساله فتمكن محمد بن سبه من تهديده بالارزود  
 الذين كانوا التشرقات القرية ونعمروا للأخذ بالآؤد ثم  
 فتح باب المي وجعل عليه الحراس واتخذ التدمير لمح الارزود  
 من طاب الانتقام مقتضا إيام بأحد القدية من القليل وهي أربعة  
 آلاف ارضية الى فرش عتاني فاستلم هذا الملح أعظم واحتدي  
 حروشد باشا بمحمد علي في الخطبة التي وسما ففصل بين القرع  
 فأحال فوصل فرسا على جارك الاسكندرية ليقبض بها مبنا  
 يبدل مبلغ القدية وكان القليل بكباشيا تلبا لمسن بك فقتلوه  
 هذا في الامر ووفاس البحث في نفس الخلاف قبل ان يسلمه  
 الزكييل القرمسي دجينة عنده مرس المسيو ( هلدبرند ) نفسه  
 ولت خلاصة أيام تحت رحمة حسن بك أظهر في خلالها الشهادة  
 والنعم وحب التضحية وقد سألته هذا التريم :

- لملك كبيرك لاندري من القائل لكباشي وأبي عبا  
 - نعم لا أندري

- أن مسدق لك اذ لو كنت نمره لادرت بأيقن على  
 الحقيقة عرصا على حياتك

— كلا — فإن إذا عرفتها لا أدعك أبدا عليها  
 — أمت ستصطرنى لذا لم أعرف الجرم الذى إيقظت كبريتك  
 واعلمت فى ضمن دأوى دميأ بالرماس  
 — أفضل ما تشاء للسوف نسمع حكومتى طلائع النار فلا  
 يثبت القاتل أن يبيع القتل  
 وكانت الدعوة البلية على أثر ما ورد إليها من التقارير  
 المستفانة من أحوال مصر تنظر بين القتل إلى الساع نطاق  
 شوكة الأرنؤود والستداد بوذا وعيهم وكانت رجبات السلطان  
 متجهة إلى وفاة القطر من السقوط فى أيديهم سمعت أن محمد  
 على ومضى تراءد جوشه الهرمان الثالى « تملون أنه لما أقام  
 الهرمسيون أو كان حكمهم فى مصر بدل الباب الثالى الكبير من  
 المال والزجل لفتح هذا القطر ثانيا . ومنذ هذا الوقت وبعد  
 من يسكن من سامت نياتهم وصعدت مبالرم فألقوه فى مخالف  
 المباليك وسعوا رمايه إليهم وليس من قصد الباب الثالى أن  
 يستد اليكم جيما هذه النطقة ولكن حيث أن ما مضى قد اقتضى  
 وارتمت للشولية وانصمت الجرائم بالنمو السلطاني فإن الباب  
 الثالى يدعوكم إلى معاودة القطر والعودة إلى أوطانكم أنتم ورجالكم  
 الشجعاني وللكم لا تأبون العودة إلى حائلناكم حتى نسط نحركم

الأكف لتتفككم في أحصائه . كونوا على ثقة من ان حوادث الماضي قد عبرت وأصبحت سببا متبعا وأنه لن يطرأ أبدا في حوادث ولاية خسرو بلشا . وان لذهب الثاني لواتن نكل التوتوي من انكم ستقدرون تساعده وحضوه حق للموها فتمستنون اولموره ولا تخرجون من طاعته .

لم يستطع محمد علي الاجابة بالامتنان لهذا الامر طالما كان حصار القلعة قائما انتهى الحصار آخر بعض الزمان القين أثروا على حساب اليهود الاثمنوا في الفتنة ليستأقوا الذهب والفضة ويزدادوا بها بسطة في الجيش على أنت يوردوا الى أوطانهم فتمسك أموالهم .

ومن الذين طلبوا العودة الى وطنهم سائق آغا وأحمد بكه فند أجانها الولي الى طلبها ومهد لها طريق سفرها إلا أنها ما كادا يركبان القنينة بموردة جولاق حتى نجأها الارترود ومنعوها من الرحيل قبل أن يندما اليهم التأخر من حقوقهم وشاع بأ هذا الحادثة بالمدينة فاعترت له الطمعية وتوجس خورشيد بلشا خيفة فوالام بشير من متأخريهم . ثم ورج عليهم بعد ذلك بأيام ١٥٠٠ كيس جمعا من الرجايلية . ثم أخذهم الى الوجه القبلي لانتقاد أثر اليايكي متبعين إياهم بأن من غائب

منهم أمره طرده في الحال من القطر المصري  
أما محمد علي لم يكن وأبيه قد استقر على شيء بشأن بلاغ  
الجنود السلطاني وإنما اعتزم عدم القرمصة ليحبر الرأي العام  
في أمره ولعلم مقدار ما يمكن أن تحرره مشاويخ الثورة من  
القبول لدى رعاياه ، ملعب من غروره إلى التوكل وعلى أنه إن أراد  
الحكومة لا يفي بعتقات الجند وإن استلزل النظام والفرق  
لا يفتان لهذا السب منه حد وأنه يرى من أجل ذلك أن لا يفتنه  
ترجي من خدمته هو بفضل العودة إلى وطنه ليفضي به بقية  
أيام حياته ويدهي أن التوكل كان يرى في محمد علي أنه لم السد  
ونعم اللون إلا أنه كان يخشى أن يكون مؤيد الخائب من ذي  
قوة وجله ومال فسرطان ما أجابه إلى طلبه وعين سلطانه على  
جرحا بدلا منه ولكن لم يحسب عورده بشا حسابا لرأي  
الشعب كما أنه في مصر نظره ، فلما كان اليوم الذي شرع محمد  
علي فيه بيع أملاكه تابعيا للرجل من مصر وانتشر هذا الخبر  
بين الجمهور الذي كان محمد علي نصيره في اللهاث اعتقروا الفور  
والخوانيت إمرأيا من استيائهم واندفعوا دمرأ وشي إلى  
البادي العامة والطرقات يبيعون مبيعات اليأس والحزن  
وتألفت من الماكر مصالحت السلب والنهب فانصهم محمد علي

السير في طريق الواجب وملازمة الاستقامة ثم طلى بالاسواق  
ومعه حس بك وأخا الاكشارية لأعادة النظام الى صباه  
وعاق في ذلك منوف الثاني ١٠ وباء يمى لرب الفتن قطع  
رطبهم وعمرى رؤوسهم وحشهم للأذهاب والبراءة وفى اليوم  
التالى بعد ٢٠٠ أبقى قيادة احد بك الى الاسكندرية وديار  
القليوب من تحقيق أمانيهم وما كان لعمد على أن يشتكى بهم لما  
كان يشترى نفسه به من أمه لو أنى مثل هذا الفعل لكان لعمل  
مصر عليه جاحداً وجليها ماحكراً

عمرى التوالى الجلود وألف منهم ثلاثة حيرى وجهها الى  
الأقاليم القليلة أحدها الى جرجا بقيادة السعيدار وقد اجتاز لاهر  
وسار صاعداً على الصفة اليسرى وكان مؤلفاً من ١٠٠ حتى  
ومعه التالى في نفس الطريق يوم ١٢ وجبلوا لاهق ١٢ أكتوبر  
وكان مؤلفاً من ٣٠٠٠ بين راجل وفارس ومد سلم غورشد باندا  
قيادته مع كركك من السور الى عمدة على ، أما الثالث وكان  
مؤلفاً من ١٢٠٠ فقد أسدت قيادته الى حسن باندا واعتبر جيشاً  
احتياطياً وكان زحفه على الصفة اليمنى كطابور استطلاعى  
لطابورين السابقين

الثلى السعيدار قريباً من الفتن يحبس من المالكى والبردى

اتسم الى سكان هذا البلد في مقاومة الجيش الإيطالي  
والقيام على أن هذا الجيش طردهم في آخر الأمر وبقت  
غسارة الألبانيين ١٢٠ بين قتل وجرح وأرسل الى قلعة القاهرة  
الأسرى من العدو . وخلق في ميدان الرميبة واحد وعشرون  
رأساً من رؤوس أعيان القتل وطرود الأمراء الى رب الدنيا .  
وفيها كان القوز لم يذ عندهم من الأتراك أربعة مدافع وقطرا  
عدداً عليها منهم ولم تتجاوز حسابهم اثنين من فكشاش وثلاثة  
من الأمراء ، معزز محمد علي بحمة السلطان وحصر للوضع في  
منتصف رمضان سنة ١٢١٩ الموافق لحاية ديسمبر ١٨٠٤ . وكان  
للإتاليك قد حصروا البلدة بحجة من الاستحكامات ووضعوها للدمار  
في الأركان الصعبة من مختلف لليارات وقاطروا بالصل عليها  
للدفعين اليونان والقساكر المروحيين لهم بالصدق والاختلاس  
وأقام الأتراك استحكاماتهم ونصبوا بطارياتهم بجدار مراكز  
للإتاليك الأمدية وجعلوا مركز فرسانهم بعيداً عن مرمى القناص  
في غاية من التخيل وأولقوا اللشاة في غندق يوصل الى الغنائق  
للمدورة حول المكان المصنود . فبعد أن نهي القرضان ألبانيا  
للدوشات خرج للإتاليك من الباب اليسرى الى الخلاء لقطع  
لواصلات على الجيش المهاجم ثم انهبوا نحو بني سوب وحاولوا

عبد الأسبلاء عليها فأنتم محمد بن هذه الفرصة العجيبة على الدنيا  
غار في القبر من دجالة وساعده على الخطف انتشار سبب  
حيث ولم اللطيف . فصاروا إلى حالة غرق البدن فظاهر  
المرسان بالمجهوم على قطة مواجعة لمصر العليا . وكانت السلام  
لتي قلها المسافر معهم قصيرة لاتصل إلى متن الاستحكامات  
فأعطر الأمراء محمد عليها ورجاله وإبلا من الرصاص فحضرهم  
على الصبر والابساك فسلوا ، إلا أن عدد القتلى منهم بلغ في  
هذه الواقعة إلى ٢٦٠ جندياً

وفي ١٩ القعدة الموافق ١٩ فبراير أي بعد ١٢ يوماً من ذلك  
القبض على حرس ملك الأسبلاء على المرفع فقي من القتل ما  
فيه محمد على بالرغم من فحش حسين بك الزنطلي المعلن عن عروده  
اليوم والى السودانين في أول القتال وانضموا إلى الهاجيين وكان  
الأشرار وقطاع الطرق منتشرين في ذلك الوقت بالوجه القليل  
لحدث أن رئيس جماعة منهم معروفًا بكنية (أبو ليلى) القرح على  
البرديس احرأق من الاتراك فارتاح البرديس لهذا الاقتراح  
وأمر الرجل بالقتل فلأمره صبرة قامت معه عواد بدخلها  
القتل وروح الشهيد فلما كان ليل ٣٠ القعدة الموافق ٢ مارس سيج  
حاجة من أمراء الكس في القليل ومهم القرب فرطوها إلى جانب

البحر والشبهات واشعلوا بها النار بواسطة أسطحة وصفت في  
التقاديل صدى القربى والسمن قبل أن يستشر بها حراسها  
ولما دمع لظفر هؤلاء عليها تولام الرعب فبدلا من مكائهم النار  
فرتوا عازين نحو المسكر ، أما محمد على فسرعان ما توجه الى  
الشاطئ وأمر صرل السمى الى دبت فيها النار من الخي لم يصعبا  
أقوى فاقذف بمحور دهنه ومصله عزجه جاتا عظيما من التلوى  
والقنائر . وكان للمالك لاهتمام القتال في سبط الارض قد  
شعوا الأتمة خلف الأسوار فتركوا مراكمهم من غير أنفى  
لينصروا الى الأمراء الذين تخلفوا واباسهم كل يوم في مكان ولم  
تلبث بقية الحامية أن التفت بهم لإذرفت غيلها الى حيث  
تسوقها يد الامم قد غل الأنايون والاراكيدة للثيا من غير  
قتال مدة حصار دام ٥٦ يوما

وفي خلال هذا الحولوت ومحت بالقاهرة جريئة تارث لها  
الخطوط وياها ان كاشفا من الارزود اسمه الدالى عيان كان  
ساكنا بالقرب من جامع السلطان حسن وكان يتردد عليه شيخ  
اسمه احمد البهراني ثلاثة اقرآن في بيته قرأى منه مع فراشه عذابه  
مضربه بالخنجر والنباح صرعا الخفى الى موته بعد ساعات  
وتصل بالعلماء الجبر فاضربوا عن المصور الى الجامع الأدهم



والخديس به محبة ، لا فائدة من تسليم الآداب والأعلاق  
 إذ لم يسس بها ورنح الشافع ققتيل بل الحكمة حيث وضع القاتل  
 وابن القتيل للشافعي وما دخل الأخير عند القاضي أشار إلى  
 الإلهي سائحا ، هذا الرجل هو قاتل بن بلاذيب جده وهو  
 وشايته القاصحة الفأرلة أن يستر حرمته وعظمى من عاقبة  
 صفة قال والذي أحسك قبل أن ينفذ النفس الأخير أنه يموت  
 طهر النيل في الصحيفة .

وإني ظانك أن يستر قول القتل في مثل ذلك لأنه في  
 حالة يستعمل عليه فيها الكذب وأيد الشافع هذا النص فقال  
 القاضي لا بد من يمة تشهد على قوله فقدم واحد للشهادة ولكن  
 المجلس القضاة وأهل الأمر حتى يأتوا باليمنة . وروى ساعة الدال  
 عنك الذي لم يثبت أن عين كلشعا صغير . والفق أن جاد للبالكة  
 أن هذا القيد وحالوا فيه فسادا خرج القاضي عيان في جملة من  
 وجهه لظروهم ولكنهم وقع في كيف تصوره له فقبضوا عليه  
 وطهر أول

وكان حورشد باشا يشعر بضرورة موازنة القوة الألبانية  
 بقوة تعاونها فطلب من الباب العالي إمداده بهذه القوة . في ١٩  
 القعدة للوافق ١٢٩ فبراير وصل إلى مصر ٢٠٠ ٢٠٠ جندي عثماني

ليكونوا تحت تصرف الوالي فيها يريد جعل لحم هذا سكرًا  
بحصر القديحة والضاوية ، وكأخرًا جميعًا من الفرنسيين السوريين  
الذين تألف منهم الفرقة للخدمة بقيادة نو النملانية ، سمو  
هذا الاسم الذي معناه الخنوت والمخوس لتخصيم في القتال  
والقتالهم الأخطار. وقد عاملهم غورشد بلشًا بالتسامح والأعضاء  
لاحتقاده لهم سيكونون حسنة له وودعا. ولم يكتب بأن خصص  
لوضع مرتباتهم سنًا كريس في الشهر بل أباح لحم للفقير فيها  
استلوه من الظلم والاعتداء على الناس بالسلب والتهب وأدرك  
محمد علي وحسن بأننا حقيقة القرض الذي دى الوالي إليه يطلب  
هذا الجوش تمسلا بممارسة الوجه القبيح آمري جودهما بحث  
السيد نحو الخاصة وكانت هذه القردة للتحالفة تندر بقرب  
التمام الجوشين وغير محمد علي بضرورة امتلاكه القنطرة حتى  
لا يشك الوالي من إعتاق أوليها في وجوه الألبان وانتهت  
إلى غورشد بلشًا الأغل تحركاته لجنه إليه الشيوخ والطاء  
والواجبة ومنزل محمد عليا وحسن بلشًا في صورة الكثرين للباقرين  
ليفور الفتن خضبة لأغراضهما ، ولكنهم يقتسم بصحة هذه  
التهمة أبرز لحم وورقة من كريس حرر أحضر كان يده ووثقوا  
وعدا هر خط شرب يبيع لي في هذين الشقين حيث أورد

فيها الآن بين امرين إما الاستمرار على قتال المهابلة أو إما العودة إلى وطنها أما التمس منكم جميعاً في هذا السلك فمراتب عليكم الإخلاص في خدمة وطنكم والقيام بما يلقى لتصرفي وتأديبي بآلكم وجهكم ورأيكم هو هذه الحاضرون خيراً وقرروا أن يلزمه في كل يوم بالنوبة شيخان ومحمد من التوباطية وجعل خورشيد بآنا في القلعة اليكباتي صالح كوش من المخلصين له وسه ماكما جندي الدفاع عنها ثم أقر الدلالة في الجيرة وطرد وأنهم بها المصورون والتأليس ونصب الدفاع وزودها من اللؤلؤ وذخائر الحرب

وكان محمد علي وحسن بآنا بمكان السج بالخدمة القيمي من الليل ومنها أربعة آلاف جندي بجلا طليخها في الصف وممسكر هلق القيين ثم شورا امام طرد ما جازا أبو لها عابدي الدلالة بعض المقاومة ولكن محمد علي طلب إليه رؤساءهم للمقاومة منهم بقاوم وتلقوا صرا عابيس كلا منهم كرك كسمور وغمره بالمعدايا الثغنية . وكان محمد علي دلق السلطان حسن اليان طمرا في الاتخام فآلى في اعتقادهم أنه لم يكن قط عاصيا وأن حضوره إلى هذا المكان إلى حد إلا للمطالبة بالنيابة من سنوده بتأخر مرئياتهم وخجولهم وكان يدها أن يقابل هذا السعي الظهري بالجد والقتال

على صاحبه وهو ما يدا من جانب الدولة الذين تأكدت مدى الانحاء  
بينهم وبين الأرتودو فسلوا معهم الى القضاة  
وما اجتاز الاثناييون أبوابها حتى انصرفوا الى مساكنهم  
القديمة وولف الدولة عند دير اثنين ومصر القديمة حيث الباشا  
يسألهم عما دار بينهم والأرتودو من المحادثات فقالوا له انت  
للألبانيين الحق ميا فعلوا وإنما لن نسير السلاح في وجههم  
لكنهم من طلب حقوقهم ولا نكرى لماذا تقول هذا إذا لم تدع  
الينا مرتباتنا وأرهننا السكت من المطالبة بها :

أصبح محمد علي وغورشد ماتنا كاللصوص بانتطرنج الراج  
منها من طلب نظيره بذلكه وأما فهو مدين فاستحوكت عزالين  
الولاية صفرا من خلال على شدة حاجة الولي اليه والفراب يكاد  
يكون من السحبيل فحصيلها من القلاحين لما اتلبهم من ظم  
للإبلك والقرمان وسارهم وكانت ادارة البلاد لهذا السبب  
مشغولة الحركة والدولة يمشون بمصر القديمة لجاوا إذ كانوا يشون  
للأزول عشرة ويطردون أصحابها وشفتون على قنصه ويخطفون  
الفلان فامر مع أهل القنصرة فانتظروا الحرايت وعطروا الأسواق  
بالشدة الضك بالامة فانتظروا في الطرفت صاعين طالين من  
الحكومة معالجة المدين وكانت الحكومة من صف القزعة

وسوء التدبير بحيث لا تستطيع القيام بعمل ترفع جبراً المتضررين  
 كخبا الوالي وأرادوا التكلم بالنيابة عنه فلقوه بالسباب والندب  
 الاخبار وهذا قرأتى الفرق الواضح بين الوالي في محزه واستكانته  
 والرأى العام في غرضه المستمدة من تعود محمد على ومطابقة سلوكه  
 لأوامر الدين ونواحيه ومن تركه إليه باحترام قطعه والشيوخ  
 وديونه لهم ونسبته على الأرثود وتحمكه فيهم وصبطه لمركابهم  
 أيقن الوالي أن في بناء الوعيه الألباني إشفاقاً من عرقه  
 وطمأن مكره فأبلغ إليه أن غطى شرباً وصل إليه في الامس  
 من لاسطوان غاضية تنميته وإياها على جسده ثم دعاه الى مقابله  
 ليطمئنه عليه وليرسم التقليد في قلعة القاهرة وكان محمد على شديد  
 الحذر طبعاً فلم يجاوب سورشد باشا الى طلقه وأظهر من عدم  
 الليالة ما اضطره الى توسيط جماعة من أهل الثقة لديه وألح  
 هؤلاء عليه فلم يسه إلا الاتفاق معهم على الاجتماع بيت سمي  
 أماً للإمران على أمر في ذلك الشأن وتوجه محمد على لحالا الى القلعة  
 ساعة للتصبر برفقه على من حسن باشا وعابدين لم يحضر الوالي  
 أيضاً ينجيه كبار ضباطه وقرأ من عهده على مسح من القلعة  
 والهاء الفرمان المراد إليه من الفتوة شريعة محمد على على جسده  
 وأدبه كرك السور والقاوي ولكن لأم الوالي الجديد

بالانصراف انصرافه لتساكر وأوتفروعه طالبوه متأخر انهم فأشرف  
الى غورشد باشا صاحبها : « هذا هو واليك خطالبوه وهو اللزم  
وحده بأداء مطلوبكم » ثم أخذ ينثر على الجميع المستندة من  
الاعلين النفوذ القهية والنفسية ثم ركض نحواده حتى نوارى  
عن الاضطرار

وما ناب من أصعب الاوتزود حتى نارت آثارهم  
مطقتوا يشمون الوالي بسرعة أسواق الولاية ويتهيدونه بالأسر  
ادالم يوالهم يحفونهم فبدل حسن باشا جهده لتسكين آثارهم  
وتعطيل عواملهم ولا جن القيل عاد الوالي الى سرايه بالقنطرة. ولم  
تغض أيام بعد ذلك حتى علت أصوات الأرتزود والاعدين لبعض  
بالفساد والبعض الآخر بالشكوى من حيف الولاية ومنازلهم  
ومن نوالى مرض الصرايب القنطرة من الوالي عليهم فلما كان  
يوم ٢٠ سفر الموافق ١٤ ما يو تفتت جموع الحاقين والتمسرين  
نحو ساحة المحكمة ودأبى القاضي تقالام الامر واستضعاف الشر  
عاطق ابوابها ونصد سعيد آغا وكبار المشايخ الى محمد علي  
وصارحوه بما يأتي .

— لقد استوجب ملكك غورشد باشا لعنبت الامة ودعا  
الى تصرحهم ونحن منذ الآن لانقره بالطاعة لظلمه وكراية

الناس له وسأل القوم عز وجل أن يقول به بطلته ونصبه  
وأضاف السيد عمر مكرم تقيب الاشتراف إلى ذلك قوله  
- وإنا لا بد لنا من عزله

فقال محمد علي .

- ومن تولون إذا مكناه ؟

- أنت لا لك يحب التغيير

فلتسنى محمد علي من يقول هذا للنصب ترميها وتأديها فألح  
الشائع والاميان عليه بالقبول فلم يسعه ثملة هذا الإطاح إلا أن  
يحقق وجدهم فنهض السيد عمر مكرم والشيخ عبد الله الشرنقادي  
والخمين والهاء كركا من السواد ثم سار الحاضرون في طرقات  
القاهرة نادون بولاية مكات. فلتغير تحقاه نصيحات السروز  
والاستشار وأصبح محمد علي منذ هذا اليوم وهو ١٤ صفر ١٢٦٠  
الموافق ١٤ مايو ١٨٠٥ القابض على زمام الحكم في مصر  
والتصرف في شؤونها

وجبر حسن أن يسمى بالنصب من يتحاوه النصب  
فولاية عليه وبسمل قياده اليه لأن الرائي الذي تجمع الأداء على  
تقليده زمام الأمر لا خلاف في مطابقة توليته للشروط المنصوص  
عليها شرعا وفي عوائد التاريخ أن رجلا سأل الفرز فدين الله

أحد الخلفاء القاطنين من أصله فادعى الخليفة سيفه من الحديد  
وقال لسانه :

هذا حسي

تم ملأ بعبته بدنانير الذهب وثراها على السلس وقال :

هذا نسي

أما الرجل العظيم الذي أشرفنا الآن اني توليته مصر فلأنا إذا  
سألنا حريء كذالك لسان من حبه ونسبه جاورناه على سؤاله  
بما هو موضوع الباب الآن بعد



## البلد الرابع

عمره

من سنة ١٢٦٩ الى سنة ١٤٠٤

يسمى بسس ولايات تركية أو دوا في هذه الأيام بأروملى  
بدلا من ( مقدونية ) اسمها القديم ورتبة واليها بكلمة أى بك  
البيكوات وتنتميها خمسة ولايات ( مضافات ) في تلك الولايات  
غربي داس أسيرود وعلى الشاطئ الشمال من خليج كوتلنسا  
ونجباء حريرة طلسو التي يسكنها الفرنسيون فليس واليونانيون  
غربي القصبية لما تحتويه من كنوز الأحجار وقديد الامصاب  
ومتنين الاخشاب الصالحة لأبناء السفن . وفيها بين الفير  
والأستربخون بهابة سيول سرس على مسافة ١٢٥ كيلو متر أكثر من  
سلايك و ٥٠ كيلو متر غرب الأستانة وفرنسيين من القنطرة  
تري صخرة قائمة معلقة في البحر على شكل الجوارح وغربها مدينة  
تلكها الجنوبية والبنادقة أما طرلا ٠٠ تلك هي بلدة  
لاكرال ( الحصان ) أو عمره

كانت قوله في عهد سابق مستمرة طريرة طاشيوز وكانت  
تسمى جالبوس وأيضاً يوسفالا انتطها وشادها ابن ملك  
مقبوني تذكر أحواله ومحيط بقوله سور لمياتها وبها قلعة  
يحرسها بعض الاجناد وفيها غير القسطلر أى قائمقام القلعة قائد  
لجانيها وقاض القضاء بين الناس وقائمقام الادارة شؤونها  
الادارية وهو نائب لولاية سلاتيك

وهناك طريق بعض اليها من هذا السجق يحترق أطلال  
ايون ثم بلدة اورقو مقر أحد الاقوات وبها سوق لمبيع ما يزرع  
من القطن حولها وبعد أن يجانب من اليسار الآكام وسورح  
الجبيل التي كان يقطنها اقوام الليير ينجم نحو غم جبل بانجمه القى  
يحتوى مناجم الحديد والفضة والذهب التي أورد سبيلها  
للأورخ هيردوتس وقال إن توبسبد كانت في وقتها بدبر  
شؤونها وبعد أن يمر السائر بالقواعد الجنوبية الأولى من تلك  
الجبيل يجد نفسه في طريق يتكد يكون مستفها من سلسلي  
الجبيلين ويحف به من الجبال من عدد عظيم من القرى . وفيها على  
هذا الوادي القى يبلغ عرضه أربعة كيلو مترات وطوله لربعة  
وعشرين كيلو متراً متصلاً شديداً ينهي عند قرية بروسنا . في  
هذا الطريق سلوا كزديس من المصم على داس جيوشه الكتيبة

قامدا انتيبوليس وفيه انقسمت هذه الجيوش شطرين  
 يسيل عليها الأبال في مقدونية بومن ثم يخترق الإنسان سهل  
 طيب الذي حكر الانجيام فيه وبمر بطرية رسقشا ثم يوصل كما  
 أوصل أولئك الخنود في مناخ جبال سايبان وبعد مسيرة نصف  
 ساعة في هذا المصيق الذي يسمى اليوم دربدى الطريقين  
 المصيق بين جبلين عاليين يصل الى مرتفع عال تسمى له فيه  
 للرأى البديسة وهي بروج جبل آقوس وجزار طاشبور  
 وسلمونراس واميدوس ولئوس وشطوط ترابية وجبالها ثم أفق  
 البحر الذي لاحد له

ومن هناك يصل السائر من منحدر كثير المنحدرات  
 والتملوج الى قولة التي حل بابها الوحيد بناهوت ابيض حكيمة  
 على شكل الخوض وعليه قنوش لاطينية تتضمن سيرة إحدى  
 سيدات رومية وتعد فيها من قم الجبال المهادرة خطرة جلب للام  
 اتصال اللام لسيا سكان المدينة البلق عدم غاية آلاف تمس  
 السواد الاعظم منهم مسلمون وهناك موردة صالحة لرسو السفن  
 التي ترد فيها وتصدر منها مشحونة بمختلف البضائع  
 ويغتنمى الامتيازات الاجبية الاولى حرزت مرصا لحق  
 في تعيين اتصال لها الصيانة مصالحها بهذه الجهة المشهورة ينحصر

أرضها وفي سنة ١٧٧١ اشترى بها محل تجارية فرنسي كان لأحد  
مديره وهو السيد ليون نفوذ أدنى بين أهل المدينة فانضم معه  
لقرعة شوتين روابط الليرة والنظام بين الأوربيين والوطنيين  
ومنذ هذا الوقت أخذ صاحب السفن في نشر مرسييا مسقط  
رأس السيد ليون بمسدودون إلى نوره البصائح والمنتوعات  
ويسودون منها بالتبع والقطن والأرد والشمع والزيوت

وهناك دامت أغريوتى يتناوون قوله روابط الليرة وذلك  
لأن القصة الخافكة على الرأس المنتنة في البحر تحتوي ثمانية أو  
عشرة مدافع منها مدفع نحاس من عيار ٢٤ يحمل اسم قنصوم  
وهذه الجملة اللاتينية *Ultima ratio regum*

وتحيط بقلعة اماعة الأطلال بالصورة جبل صبول الذي  
قال ديون كاسيوس أنه يصل جبل بأنجه بالآكام الداخلية وقال  
ايانوس أن لوق جيوش لجنهوره الرومانية بطست خلالها  
بقيادة كاسيوس دبروتوس فيدها على نورداتوس وديسديوس  
فألقى جيوش حكومة القريوميرا الرومانية ، ثم جبل هيوس  
المتد إلى نهر هستوس على مسافة ٢٠ كيلو مترا

وفي وسط هذين الجبلين مطح كبيرة من الرمر النديه في  
نومته حمر بلروس لأن مراد الأمطار ما برحت تصفه برامها

العتان ولأن أشعة الشمس ما خفت تكسبه لماء ورياسا فامسا  
منذ الوقت الذي كان الرومانيون فيه ينتظمون منه ما يلزمهم  
لنحت التبايل القعدة قد كرى أبطلهم وفي بطون تلك الأكام  
الكثيرة المادن يشتغل العمال لتزويد الأسواق بما نقصه من  
لقد وجدت برسم البحرية والقلاع النهائية

في تلك القلاع تيشأمة على النظرة الأولى وهي في ماذتها  
وأخلاقها كالصخر الصلب أو أشد حمرة نساكن البراة في أوكارها  
وتشترك الجوارح في بطونها وشوكتها . أولئك تقوم مع سلافة  
الذين مرهم غيرودنس المؤرخ بلم القسرين واسحب الأوامر  
المجاورة لهم القناصون ونسكتهم ظمرا كأجدادهم بعيدين عن كل  
الاستعداد والمخضوع لغير الاجبي ولم ينتظموا من الأجانب إلا  
بقوم التشنعان اليهوديين لحاجتهم اليهم في صناعة الآلات  
اللازمة لهم . وكان من عادتهم من أقبل فصل الربيع أن يدعوا  
الرحماء يوم جمعا من الشيوخ ، للتبعية الحربية الى التفرغ للملاذ  
والطعام والشراب قبل انبالم على سنة سيفصونها في القتال وأن  
يأخذوا من أهل القرى الاطعمة والابنية بالقوة للقاهرة ومن  
الرحماء ما يروق لهم من الاطعام ومن غيام اليهوديين من شأوا  
من القضاء . فلذا ما عيالت الاطعمة جلسوا مترددين حقائق حول

الطراب التي تدل على التلوين في محور من الغضب يرتكن طرفاء على دافعين يتناولون منها وس القوان الاطعمة الطوية المصفوفة على مرتفع من اعمالي الاشجار يقوم بهم مقام الطوان ويتعاملون اكلواب الشراب. وبعد أن يصيب كل منهم ما يريد مثلت املهم بالمرحلات والاختارات للناظر الشيرة للاشواق فن كان دافعا منهم في التطرل بالصلاح فسل ومن اوداه سهم اللعان بالانصات للاتي ارون في نفسه كوا من هذه الاشواق التي آتاه في المهادت المكتبة الملهودة للكلان. ومن ثم ترى أن إحياء مقوس بالكرس الله المحر التي كانت شائعة في سالف الايام ما برحت مربية في هذا الاوان وعلى أمر ذلك ينقسم اعتقون مرافا رجاءات كل فرقة أو جماعة يحسون نفسا تمهدأبون اليوم القائل على السير فلا يغفون الا عند حدود وودوب

يسى لوذلك الرجل الآن بالموضعية وهي لغة فارسية معاها الوانهم لانهم على أهبة مستمرة للقتال والذرار واليهت ترى الواحد منهم يكفني لانتفاء ومهرور القبرد بالكجوت والقتال بمسقة الصيادين والوقوف وفئة الكبرياء والصفحة والشمرك بحركة التهديد والارهاب وحمل الهندسية الطويلة لايشها عن كتفه ليل ولا جهرا وانه البارود الذي يسبح منه ملازمته وحلان ونطاق



أهل القاهرة يمشون على أطراف البحيرات وادي  
في القصر الملكي





الخرطوش والزمامس والمخبر للثيابه مخالبير الاحداد وانغير  
توسيدبد أولئك الجليلين من قوم القينا السيس الذين كانوا أهواك  
لموتك القدار وعصوما للعالم الروماني على مرسح هذه الموائد  
الجديدة وتحت مياه أولئك الرجال الأفرود وبين تلك التراتر  
الغنية والطائع الخلفة ولد لميخ العظيم والمدن الكبير للشرق  
ولد محمد على سنة ١٠٧٦ هجرية الموافقة لسنة ١٦٦٩ ميلادية التي  
انخرعت للعالم الغربي (مزابرت) و (شانورين) و (كوفيه)  
و (سولت) و (بيلز) و (بي) و (لانت) و (دمبولت)  
و (شيلز) و (دترسكوت) و (بروغام) و (كالي)  
و (اليجتون) وغيرهم من ملوك الرجال

كان ولد محمد على وهو تركي الأصل ديبا لبحرس الشوط  
به تأمين الطرق وكان اسمه إبراهيم آغا وافق ان رأته ولدت  
قبل وضعه فيها يرى الناس ما صر له البوهيميون بأنها ستلد ولداً  
يتم له القنى والماء والتسوكه فلما كبر ابنها وزوجها أخبرته بما  
رأته عطل حلقها في ذاكرته هذه النبوءة العالقة التي بثت فيه  
روح الأمل فرجا وأمل وليس غريب أن يسو مثله الى  
الأمل المطيبة فاما وطنه الاسكندر الأكبر ووطن  
بطليموس واسمه كاسم التي مشتق من الحمد وليس في هذا وذلك

إلا ما يغيد مني السمو والعلية . والآل وقد فاز بهذه الزايا  
وجاءت له الأمانى متجادة ففتترك والى مصر الجديد يترجم بلسانه  
ماسلف من حياته قال :

« دون والذى بسيرة عشر ولما لم ين له منهم سوى إذ  
بات نسمة منهم وم الذين قبل في إلان البحر وهو ما جعل والذى  
يحوطى بحضانه وجهه وكان راقى في الطولية يبرأون في في أغلب  
الاحياء ويقتون في أقل الجله الآتية التي إلى أنس لا أنسى قط  
مرارتها كانوا يتولون انى اذا فقدت والذى فن والذى يوصى  
وماذا يكون مصورى والذى لا أمك شيت ولا اصبح شيء :  
فأثرت هذه الكلمات في نفسى تأثيرا حلى انعكاسية على بحسن  
حالى غسلى القسط للطلق على نفسى وافق لي أكثر من  
مرة أن أنضى يومين متعاقبين في الركض وتحمل القناه ولا أصيب  
فيها الا القليل من النوم والتنزه وما زلت كذلك لا أنقو  
الراحة عليها حتى فقدت الترائى فوفا خطا وبهم سيقا مصورا  
في صفوف الرياضة البدنية . والذكر أنه كانت هناك مسابقة  
بالجديف في وقت كان البحر فيه مضطربا بالأمواج وكان  
موسم السباحة الوصول في دون إلى جزيرة قريبة من الساحل  
ثم يسع القاطرون في وفد أعيان النسب الا الممول من السباحة

أما أنا فقد سأل منهم من كفى لأصابة العرض فلم أجدت إلى ذلك حتى وصلت والقصب السبق لحرزات. وتلك الجزيرة هي الآن من الملاكي (وهي جزيرة طالشيز)

ولما توفي إبراهيم والد محمد علي كلفه محمد طوس آغا وحدث أن ذهب هذا المم خصية انتقام الباب العالي منه في أمر ما أصبح محمد علي يتينا من أبيه وعمرهما من كدالة معه فاحتضنه جوديجي للديرة وورثه مع ابنه وكان السيور ليون الذي سبق لنا الكلام عليه بقوله لصارأي من ذلك ذلك الكلام ما أصبحه أمه حيا لا يتل من حب الأب ابنة ولدوا هذا سبب ليل التي طافا أهداه صاحب مصر قمر حسين طول حياته على أن يحمي عليا لم يمس خط أحدهم من واسوء في كربة. فقد بحث سنة ١٨٢٠ رسالة وداية إلى السيور ليون يدعو فيها إلى زيارة مصر فحدث لسوء الحظ أن ولتة التوز في اليوم الذي عيته للأبحار من مرسيليا فلم يسع لباشا عندئذ إلا تسرية أمته تسمية حيلة ومساعدته إلعاء عبق من اللال

ومما من فرصة لاحت لمحمد علي منذ طفولته إلا وانتهما لاثهار ماضيه فله به من سعة الخيلة ونمرة الأولاد ومعه السرعة من ذلك أن إحدى القرى الثابتة لقوله أبت دفع عاملها من

لئلا الجوريجي التي كتبه يده عنه فاقترح عليه محمد علي ان  
يغفره لقصه هذه الحيلة بالمال : « لا أطلب منك سوى عشرة  
عساكر ياترون بأمرى »

فاجابه الجوريجي الى طلبه وكان قد أهجه من بصراره  
وتشبهه وصدق عزيمته وأطلقه من كل قيد وأبح له كل وسيلة  
لتحصيل المال فقصده في الحال من موره في ذلك القصر القليل الى  
مسجد بروستا ليمد ان أدى طريضة الصلاة استمدى اليه أهبال  
البلدة الأرمية منتحلا لذلك سببا استغرم الى البادية بالمضور  
وما كادوا يصلون اليه حتى شدد وثاقهم وعاد بهم الى قومه متهددا  
بختبره كل من عرض أراد تخليص الأسرى من يديه يوما أشرقت  
شمس اليوم الثاني حتى دفع المال للطلب فأطلق سراحهم  
وحينما رأى الجوريجي هذه الحيلة اللبية في الجسارة والافتداف  
رفضه الى دية بلوكه بالى وزوجه من قرية نيبية له ذات ثروة وكان  
ذلك سنة ١٧٨٧ فرزق محمد علي منها بخمسة أولاد ثلاثة ذكور  
وم ابراهيم وطوسن واسماعيل وكان ميلاد ابراهيم سنة ١٧٨٩  
للمروفة بنحو انشا السياسة الكبرى في فرنسا وكان زوج والدة  
الاول لا يزال على قيد الحياة فأشاع المسدة واللاحون لحسد  
السلبة أقاربه دموا فيها ان ابراهيم ابنه لا ابن محمد علي وهما

تجاء هذا بعد تروحه من الجنة وبلغ من حكمهم ومعاظمتهم في الزعم القاطن ان اتحدوا تارخياً سابقاً على هذا الزواج تارة بتلافة عشر مائاً وطوراً بسبعة ومشرطوا أصحاب الزم الأخير بقرضه بلن محمد علياً أحب في سنة ١٨١٦ ان يسد للفرمان الذي تركه طوسن باشا بموته فتيى اراليم باعشوا انه أقرت الناس اليه بعد أبنائه . وذهب بعض للتفرعين واصحاب القرض الى أبعد من ذلك فقالوا ان الزوال لم يرزق بوله قط في حين انه ولى غير الامانة بسبعة ذكور

وعلى أثر زواج محمد علي تفرغ لتجارة السفن فخرج من الملك ما أقر في قلبه من حب التجارة ما زعمه طول عمره ، غير أن الأعمال المربية كانت من ناحية أخرى تجذبه اليه وكان كلما وجد فراغاً من الوقت اهتم بها الاهتمام الشديد

ولما حشد الباب العالي الجنود لاخراج الفرنسيين من مصر كان جوريجي قوله من طولبوا بتقديم بعض الجنود لحشد ٣٠٠ نفس ولوسليم الى مرمرس ركوب السفن . وكان قد قد ابيه على آتاه القيادة العليا على هذه القصبة وجعل محمد علياً نائبه . فلما وصلت السفن الى أبو نير وزل الجنود منها رأى على آتاه بعد الذي حاقه من لعول السفر في البحر والحرمان اليك في دما

ابن مبر الى ذلك كافي ليقال عنه إنه قلم بالواجب عليه + جعل  
الأداة الى الرضا على تركها قيادة القصبة ثالثة محمد على الذي شعر  
كان الأرض التنطسية التي جذبه اليها ستكرم مشوا وقدور  
فيته ولقد اتبع له عدد وقائع ابو غير القزول في ميدان القتال مع  
الحرال لا يرايح بالقرب من الرحانية ورأى رجاله يحنون  
من حره بمنهم نحو بعض ولكن ذلك لم يعمل شوكة اذ على  
الحلات الصادقة لظفر ومهد اليه تبطلان باننا بالمجبرم على  
حين القرويين فلما كان آخر الليل استمر بالظلام فسررب  
الى استحكاماتهم ولبت يتسح سلم يترك أذنه خمس فشيئا  
ولشد مالف حينما دوى انهم غادروها

وفي أوائل ١٨٠٦ وفي فطان باننا محمدا عليا الى دية القيادة  
( صاوي جشمه ) ولقد مرنا الحوادث التي تلت هذا التبين  
ملا حاجة بنا الى تكرارها وانما نقول ان توطه التناج والقدور  
والما كان النتيجة لللازمة لجرائه وشدة بأسه ومضاء مزينة، ولا  
جرم فهو الذي قلب التنايب في مصر بالماليك والواليك  
بالأزود والاد تودد بالصرين فكان القود الأخير لمؤلا بوفد  
بهر يراحتة أروسة من الولاة ولستفهم جيبا من كوس الولاية

وخادمهم فيه ملا حوب. دعم نزاله وتزعمته وقد مال أحدهم  
لهذه الناحية ، إذا كانت الطلوس على كرسي مصر ، فمعة  
طريقه فالقاء فيه ، معجزة فادرة ، ولقد سبق لنا أن تكلمنا على  
اللغة فلتكلم الآن على المسيرة



## الباب الخامس

محمد علي وليا

سنة ١٢٠٥ هـ — سنة ١٢٠٦ هـ

بعد وعد الى غورشد باننا ليبلغ اليه تعيين محمد علي وليا  
على مصر فأجاب:

ليس بمصر وال سراي يقتضي القرماتات لشاغابة  
وانظروا القسرة ، لهذا لن اصادق على المزل الذي قروه و  
حتى القلاحون ولي أروح القلعة إلا بأمر من الباب العالي  
ثم أخذ ينقل الى القلعة الماء والمهوب والبنسلا وكل ما  
استطاع أن يجسه من الميرة والحرفة حتى اذا تمت له هذه  
الاجبة أخلق على نفسه الابواب وفي معية المتلصون من جنده  
وعدد ١٢٠٠ نفس

واحتشد الاهلون متسلحين بمسدان الارزكية في الوقت  
الذي كان الشائع فيه يحدرون بالمكنة يانا ينطلي ما أقروه ضد  
غورشد باننا اصالح محمد علي . وكلف ترمي بحمل هذه الرسالة



الى الاستانة بعد ان صادق القامى عليها وشرع لعل القاهرة  
وحايتها بعد ذلك يحصرون القلعة وقيود الاستحكامات  
ويصمون الرماة في ما ذكر مسجد السلطان حسن القريب من  
القلعة وحلف الاعيان والشايخ الذين كان السيد مر مكرم غير  
عمدة لهم حمة وانشاطا شوارع المدينة وأحيائها المختلفة لتوطيد  
الأمن وموت السكون وأذاع محمد علي بالفتن للتركية والعربية  
أمر الى أعيانه ألا تزود أن يكونوا على خطة في يديهم الخلاء  
الليل وان لا يرحبوا الناس ولا يقابلوا القوة بالقوة إلا في احوال  
الاحتداد التي لا تجدى في سرها وسائل الحسى . ولقد وقع  
احده من هذا القبيل عند باب رولة بين مرق من الانانيين  
وجاحة من القبل استصفت الشدة في دفعه بسد مثل السامى  
الودية فلم يتسع نطاقه

أما خورشيد الشاهم فعزل لحظة عن تدبير الوسائل الموزنة  
لمركبه في هذه الحقبة إذ كتب الى زعيم اللاء في القبطية  
يخبره بفقد المؤن والتمائم من هذه وبعث اسبح به من العجز  
وبعدوه باعتبار أنه للمثل المحصرة الشاهانية الى نهجته والانتقام  
له . فلم يكن منه الا ان حمل الرسالة الى محمد علي وأقدم اليه بحر  
وكبار طاقته الطاعة والأخلاص فتمرم جميعا بالنصرة وأبسم

السمود واتهمهم بنفيس الخديا . ونجد الرسائل بعد ذلك لا زلنا  
القلعة على التسليم فمززت الاستحكامات بإحدى دومة وروعب دومة  
الحانة في المراكز التي هي مظنة الضعف ونصب مدفع هاون على  
اللقطع ونقل من حصن (كلمين) وهو اسم مناطة رئيس قلعة المراكز  
عنقها من ميلاد ١٨ نصب أمام باب الزور واطلقت بعد ذلك  
للدفع بقلعتها المثل وكانت حنة القنايين عليها اثناء حصة  
عشر يوما تاهما بإلقاء القذوفات على قصر محمد علي وبعث حسن  
باشا والجيش الأزهر

وكان حورشه باشا من القوة والثابة بحيث يستطيع المقاومة  
زمتا طرلا لا سببا وقد بلغت بمساركة البراة إلى تسليق الأسوار  
بسلام من الجبال نهب الأحتكولات من الساكن الجاورة وكان  
مستدار حورشه باشا معسكرا يحصر القديعة والقرى الجاورة  
لها وكان موصفا بمرکز هذا على المراكب النيلية فاستطاع تمرد  
القلعة من سورها الصغير المزاجه للمصراة وأخذ في ليلة ١٨  
حفر الموقر ١٨ يونيو أن خرجت قلعة مؤلفة من حصين جلا  
كانت تعمل الأكرولات إلى القلعة من ذلك الطريق فاستولى  
عليها واحد من أبطال الحاصرين يدعى حجاج المصري بأن قتل  
رجلين من حراسها وأسر ثلاثة ساقهم إلى محمد علي . فأمر هذا

بري دقائهم ليكونوا حرة لتبرم وكان محمد علي يعلم ان  
الاياليين ياتون بخطرهم الى الاعراس ويشددون في المطالب  
ومصدرون الخواشات والاشاعات فابقى انهم غير اصيل لثقتهم  
وقد جاءت الخواشات مؤيدة لسوء ظنه فيهم فان بعض القائمين  
منهم على الدافع يبدان الرعية توهموا بقاء صحيحة ذات يوم عن  
إطلاق النار بحجة مررتهم للآخره . ولم يكن في غرضه من  
يوثق فافترض عشرة اكيس الى ٢٥ فركل من ليلهم  
(منجن) القرس ودفنه فاستأنفوا عملهم

وطرأت بعد ذلك حوادث جاءت مؤيدة لهذا الانقلاب  
قد وصل في جر ٣٠ ربيع الأول الموافق ٢٨ يوليو فاصد وعلى  
يده مكتوب فيد ان القايي باشا صالح آغا كبير أمراء جلالة  
السلطان وصل الى الاسكندرية وامر بواجب عن سرورهم وتعامل أهل  
القاهرة غير ابا وجمع من الخواشات فأمر بواجب عن سرورهم بإطلاق  
الدافع التي ماسح خورشيد باشا وسليمان خورشيد خورشيد حتى  
اعتقدوا ان معركة عاتقة قد شب خرابها بين سكان القاهرة  
والجنود عسيرا في الطلقات فبين من الجنود لم يثبتوا بعد اصطدامها  
بالجوع أن تواجعت سهرتني وفي ١٢ ربيع الثاني الموافق ٩ يوليو  
دخل القايي باشا مدينة القاهرة وكذلك السلطان العبد الأعظم

للتوسط به تخفيف المولدات بالدفعة وتقريرها بالسيط ففقد مجلس  
من المشيوخ فرقت فيه عليهم الرسائل التي مع القناصين باشا فلذا  
بها تقلد محمدا عليا ولاية مصر التي كان قد تقلدها من قبل علي بد  
البلاد والأهلين وصدر الأمر في الوقت نفسه إلى خورشيد باشا  
بالسير إلى الاسكندرية وانتظار أوامر قيسب القناني في أمره  
فلما اطلع عليها أجاب بأنه تولى منصبه بخط شريف فلا يتنص  
عنه إلا بحسب مثله لا بفرمان سيوط . على أنه قد عقدت هيئة  
بين الطرفين وفتح الأزهر واستأنف الدماء والطبقة المدرس وأمر  
محمد علي الأهلين بمزاولة أعمالهم

بعد أن خورشيد باشا استدعى إليه الأمر . المصرية التي  
الماليك ووعدهم بتقريرهم في استيلائهم القديرة واتفق معهم على  
أمور بواسطة سفيرهم العسكري بالجيزة فتنقلوا حياهم إلى دبر  
التيين ليتصلوا مباشرة به فسار محمد علي بمشائه وفرسانه وتبعه  
حسن باشا وجايد بك وعسكر بالمناجس فلما شهدوا المالبس  
حشد تراجيع بعضهم إلى طره وماد الآخرون إلى الحيزة وتحرك  
هو بحيث إلى مصر الكثيفة وقد شهد جنوده هناك فارساً يسير  
في الطريق الموصل إلى القلعة فقبضوا عليه فلذا منه رسالة يبين  
الخطوة للرسمية للهجوم الآن على محمد علي ومما جاء فيها

« في ثلث سنين كبد الفداء بسنة أسهم غزوة فتح شهدناها صاحب  
السوق نائب الباب العالي في مصر أمر بصرف المدينة بالمدافع  
وروى سرى محمد علي بقناها وبعبرنا نحن القبل إلى مصر القديمة  
وذاق البردي من ودها انقطع ليدخل القاهرة من طريق البدلية  
وتحارب الأمراء سراخا من طره وهناك ما يدعو إلى الأمل في أن  
الأهل - ينجحون إلى العودة إنحاحاً لمشروعه القابل »

وكانت الرسالة إلى خورشيد باشا بضماء سابعه ورس  
أحد بكباشيه فلما ألم محمد علي بمضمونها غضب وأمر برب ودية  
الهادس وهو رجل حكردي بالرم من رجاء القناصيه أما  
بماليك الوجه القبلي فقد انضموا إلى جيش خورشيد باشا  
وأمسكوا عن الفداء إلا واحداً منهم وهو يس يكفاته أوغلي  
حزيرة المروحة في مائة من رجاله فأستولى على ثلاثة مدافع  
ولكن الأتاليين المسكرين بمصر القديمة استرحوا منه

وسد ٢٠ ربيع الثاني الموافق ١٧، عرليو كان استولوا لبطان  
باشا المؤلف من ثلاث سمن وثلاث فرمطات وعشرة عجل  
٢٥٠ جندي برى ما زال في مياه أبو كبير موصل ساعدوا  
أسير البحر المتأني في هذه القوة إلى الناصرة وسه عرمان بتقيد  
محمد علي ولاية مصر ورسالة تأمر خورشيد باشا بمعاودة القبة

والسفر الى الاسكندرية ، فلم يبق هذه القل ريب في بة الباب العالي نحوه ، وعقد اجتماعا حضره السلطان قطان باشا وكان قد ذهب اليه وسه القناحي باشا صالح آغا فاكه بانه بطبع الامر السلطان اذا اعطى ٥٠٠ كيس القرضها قبل من كبلو جوده وقال انه بغير هذا المبلغ لا يستطيع سداده دينه لانه لا يملك من الدنيا سوى القرب الذي يسره عزه

فاخذ محمد علي الدين على حده ، إلا أنه لم يأت الموعد المصروب لتسليم القلعة وغروح الوال المضروب منها حتى قال هذا إنه لن يرحبها ولن يفرح أحدًا من ليها سوى النساء والاعمال وفي حر اليوم التالي أطلقت ثلاثة مدافع منها لم يبلغ دوى طلقاتها الى مسدع حامية الجزيرة حتى تحركت الى اسبابه ومعا لرصة مدافع قلها وصلت تمام بولاق أطلقت القنايل على جهة الجمرك فيها فاند محمد علي ساعته بالفرجة الى اسبابه في شرفة من رجليه واحتلها قبل أن يصل العدو اليها وصعد السلطان القبطان باشا والقناحي باشا مرة أخرى الى القلعة فرح حورشد باشا به مداومات طوعة ببلاء عناني ثلاثة ايام قلها كان يوم ١٠ جمادى الأولى الموافق ٢ أغسطس قولى حسن آغا لواء الجيش بالبابية من محمد علي وروح الوال المضروب القلعة في اليوم التالي من باب الجبل وسار

بصاحبة للديانة حتى بلغ الى بولاق فقبل مع أسرته في تنجات  
ألمت الى رشيد وكانت مدة ولايته ستة أشهر ونصف وولى  
وخلع على يد خلفه في كرسى الولاية

وقد كان مرض الضرائب والمنازم في غير أولها واتحاد  
وساكن الاكراد والنفقة في تحصيلها من الاسباب التي خلعت  
شوكة للهايك وزعمت خورشيد باشا وكان محمد علي موقفا  
بهذه الحقيقة لا تداعله رية في شأنها عاكفا هناك من ضرورة  
إيجاد موارد ناجية للأيراد ينفرد بها المال لللازم لأهلوة مشغول  
البلاد فرأى أن أول شرط لأصالة هذا القرض وعلية الانصاف  
في جباية الأموال فحول على أن لا يقرر سرية إلا بعد استشارة  
الحكام في أمورها وإن تكون معافاة الدينين وشركاتهم في الجرائم  
الصادرة بالتراميت القاصدة ومصادرة الأموال وقبض يده من  
حديد على تونس الجباة والقبض على الأموال الدين جسر مهم  
الاستفادة من اللصاات التي تبيع بالجمهور والزم الاكباط واليونان  
بأبقائه على حسابهم وحتم على الملاحظ جرجس الجوهري دفع  
١٨٠٠٠ كيس أي ١٢٠٠٠٠٠٠ فرمك كان قد استولى عليها بفهر سن  
ولكن حيث في تونس المساكر الشهور بالوفاة واحترام كرامة  
الوطن عذب صانطا ثقت عليه تهمة التحسس لطالب القصد

ومثل به في ميدان الرمي الذي حمله سكاكاً لا عديم المجرمين من الجند وكان المالك يجرسون من آن الى آخر خلال صواحي الدمامة فاحتفروا على حصرها ثانياً إلا ان عمداً عليها نصب لهم كميناً فذهبهم الطيش والنفعة الى السقوط فيه

فقد كان بعض الشيوخ والخواص براسون الأمرأ سرراً ويجهرون في كتاباتهم بأقوال لم يروا فيها الاحتياط فمن ذلك الوعد بالاحتفاظ بالدينونة وإثارة الجهور وحسنه على مشايخهم والطائفة بأئمة ملوكهم . وعبروا التخليد هذه المؤامرة تنس اليوم الذي غرد الباشا فيه الخروج في هيئة جليلة من البلد للاحتفال بقطع تخليج فلما كان ٢١ جمادى الأولى الموافق ١٨ انصطس تقدم ٤٠٠ من المالك بقيادة ستة من البكوات نحو باب القنوج وكان بعض العامة قائلين على حراسة هذا الباب ففتشوه لهم من غير مشقة فلما رأى المالك أن ليس بالباب من يحول بالقوة دون مرورهم ساروا في الطرقات سيراً للتصريح بالظاهر وأمنهم الطرول والأجران ولكنهم ما كانوا يصلون الى باب زولج حتى اطلق القنارية عليهم النار فارتدوا على أعقابهم والنساء انخروج من الباب الذي دخلوا منه ولكن خاب أملهم إذ وجدوا كل المسالك سدودة في وجههم ولما لا طريق ولا رفاق إلا



وبه الجند من اتباع محمد على وأبشوا بالخطر فصاح صوابهم  
وحاشيتهم ناصتهم الميمنة فترجموا من سبيهم وحاولوا تسليق  
الأسرار أو الناس الساجدة لياذ بها وتوسر لآتين منهم الأكتفاء  
الى بيت الشيخ عبد الله الشرفاوى فوجدوا به لومة من البكورات  
وكاشفاً كانوا قد قصدوا اليه ليلهما على اعتقاد انه من حزمهم وقد  
استطاعوا بما قدم اليهم من الجياد النجاة بحيلهم إذ تركوا المدينة  
من ورائهم بعد فرارهم من باب القريب . أما الهلثون فقد وقفوا  
هيباً بين قبيل وأسير

ولم يشهد محمد على هذه للذبحة ولم يشترك فيها بداته فدا  
جىء اليه بالأسرى وليس عليهم من الخيل الا ما ينسج حوراهم  
ومن بينهم احمد بك عياط دمياط سابقاً أحد يتأمل في هذا  
الرجل لقدى كان من أنه غصونه وقال مسروراً .

— ها أنت قد وقعت في الفخ

فلم يحاوله بل دمهت يعصره ثم سأل ماء ليشربه فظفك المراس  
وناله وقد سوا اليه فقه ماء فلم يتناول احمد بك القطة بل انخطف  
بيده خنجر القرب الأعوات اليه وانقض على الولي يريد قتله  
ولم يفلت هذا من العظمة الانسية من الله وحاول الجنود  
تسكين نائرة الرجل وكبح جماحه فلم يصحوا حتى انه تمكن من

قتل أربعة أو خمسة منهم بطشاً . ولما رأى محمد بن ١٠٠ ١٠١

بن سعد أعيانه

قبل وملاءه الأسرى بالقبول والاعلال وزج بهم في سجن وأطلق  
وفي اليوم التالي جرى بالجرار فأعدوا يحشون بالتي جعلهم  
على المالك على رأى من أولئك الأسرى الذين قطعوا رؤوسهم  
بعضهم تدر فمس ولم يستثن منهم سوى حسن بك شبهه  
وكشفين اقتنوا أنفسهم بأموالهم القصودة في سائرهم وتحت  
حكومة الأساتذة الرؤوس الحشرة برهانا على عور الرمال ضلقت  
بأسوار السراي السلطانية

وكان للمالك بعد تلك التكررة متعطشين للأعد بالجرار  
كان محمد علي يحظر نصف عظيم تمام الفصل الذي ابتداء في ١٨  
المستطس بأداة المالك جيما مبر لهذا التمرس . ١٩  
بقيادة عابدين بك لمهاجمة اراهم بك وابنه مرزوق في طرس وما  
حواليها قصد الامتحان المهجوم فراجع الايباتيون الى مصر القديمة  
تاركين نحو الثلث منهم بين قتل وجرح ولكن هذا القتل  
القليل الأهمية تبعه سلسلة تير منقطعة الحلقات من الانتصارات  
المهارة

ورأى الزمان لتسجيل سقوط الجزيرة لتعصبت للدافع لهذا  
للترس في جزيرة الروسة واصلت حلبة المالك تارا حلبة غير

أنها قاومت حتى شدة التعب وكانت كلزنة للمالك في القاهرة  
قد زحمت يمين سلحدوم بالجيزة في المورد فألقى السلاح من  
يده في ٢٧ جمادى الثاني الموافق ٢٢ سبتمبر وانطلق يروى على  
الأمر له خير منه ثم قصد إلى الاسكندرية ليدرك سيده  
غورشد باشا . أما عساكر الخلية فقد عنا محمد علي عنهم جميعاً  
وانتقل يس بك وبقية الزملاء يطوعهم واختيلوم من خدمة  
المالك إلى خدمة الوالي

وكان بناء الدلالة على سنان النيل سبباً مستتراً لحدوث  
الفتن والسرقات فلما بلغهم نأ سيور حسن باشا إليهم في أنهى  
مقاتل طردوا بعضهم واتخذ بعضهم إلى بلاد الشام مفسورين بعد  
أن أعدوا معهم بضع مئات من النساء والاطفال والجمال  
وما كانوا يصرفون إلى أوطانهم حتى تسدوت من مياه  
الطوفان في مصر السحب المتلفة وبان آدم السياه عند الأق  
شياً سابقاً . فلما أن بطلان باشا استهوت دلائل الاعلاس  
وآبعت صدق الاشياء والأثم للفرادة من الوالي الجديد فخرج  
من دائرة التلك إلى دائرة البقي ومن الفرد إلى الجرم وأخير  
الهيوان بالشدان الأمور في مصر واستقر الأمن في نصابه  
وتجلى أسوارات السادة والهاء في البلاد بما وصحه ذلك الوالي من

الأنظمة الملكية كجباية الاسلحة من غير إرضاء ولا إرضاء  
غذا استوفى الباب الثاني من قوله أمر في أول شبان اللواتي  
آخر استعبر بالعودة إلى الآسنة فتمرك الاسطول مقل  
مورشد بلشا الذي كان قد جده التقليد بقيادة أحد مائة الجيش  
المغارب لروسيا . ولقد عين عقب هذه الحرب والياً على حلب  
فطرده الأهلون منها ولكنه عاد إليها بعد حصرها وبكل أهلها  
مضاهيهم ثم عهد السلطان إليه بفتح ثروثة والي بأنها مقام بمهنة  
غير تمام إلا أن السلطان لم يوافق في أمانيه لمسه عنه بنبهة أنه  
اختص نفسه بأمر هذا الزوال

ولا نغس أن تذكر الميرة المتغيرة التي تنبأ بها بطان  
بلشا قبل رحيله بستة أيام فقد كتب في مذكراته ما يأتي :

« إلى أتراك عظمى وجلا سعيبر أكبر زمام الدولتوا عظمهم  
خطراً . وما رأيت من سلامية في حياتي كدعائهم في السياسة  
الحاضرة ولا نشاطاً وحة من حاكم كفضائل محمد علي و »  
« وكان للهالك قد استولوا في هذه الامتاء على أسبوط وهزم  
ألفي بك في القبول أحد رفاقه الذميين في السلاح وهو يس  
بك الذي جاء في ١٥٠٠ عسكري لاحتلالها والقبض على زمام  
بذلونها ككتشف لها من قبل الزوال الجديد . وقد فاعله هذا

الذي ضجاً تحت جنح الظلام عند فتحة اللاعنون جبال شاميين  
 بك أحد ألياح ألهي بك دعي محلة بالامنة ولكمته لم يلبث أن  
 مرته هزة حب الاستقلال فانضم إلى سايهان بك كاشف جرجا  
 وحارب معه بالقرب من ملوى وما نحي هذا الظهور إلى الباشا  
 حتى غصب شعباً شديداً وأخذ الامنة وطرد والده يس بك  
 الذي ثبتت عليه الحماية مرتين وفيض على اثنين من ارباب  
 السائس والفقن وعما اسماويل بك أحد صباط الباب العالي  
 وعثمان أغا خان تدار خسرو باشا سابقاً ثم قصد بألهي جندي مات  
 ستون منهم اثناء ميود نوعة كثيرة الطين فهدأ إلى الأهرام  
 فظهر أحماء الجيرة من المالك ولصوص التريين واستولى على  
 بن يوسف بواسطة البكباشيين ما يدين بك وصالح كوش  
 وأتت أحمد على معسكرين أحدهما بالجيرة والآخر بطرة  
 وبعد أن انتهى بصفة اسايح بالقلعة في التماس لراحة انفس على  
 العنفة اليسرى من النيل ليحيى الفلاحين من عارث شاميين بك  
 مملوك الا إلى الكبير وخيفة الا لهي الصغير الذي تولى بدء الصدر  
 في المدينة. ولكن طاهر باشا الأمر بالرحف على اعيانه أما حسن  
 باشا فسار بأمر الوالي إلى الصعيد في أهلي ألباني وألف فارس من  
 الدلاء يث بهم إلى القاهرة يوسف باشا وإلى دمشق فالتقى

قرباً من الزفة بقوى أنقى بك للزفة من ٢٠٠ مملوك وعصبة من  
 الشاة النمايين و ٦٠٠٠ بنوى . فانكشمت للمركة من خذلان  
 حسن باشا أنقى قتل من رجاله ٢٠٠ جندي و رئيس الهلانة وكبير  
 يوسف أخجج بكباشي في جيش الرال ونحرك أنقى بك معه  
 ذلك الى كروانة حيث حيم بمكره فاستأف حسن باشا السير  
 في طريقه حتى وصل الى بنى سورف بدون ان يترنم أحد  
 وهناك بست من منه من الهلانة الى مسكر طاهر باشا  
 وانزعجت الخطوط في القاهرة لتدور لتدور إذا كان يكفيه  
 لخطوطا ان يصر القيل والدة قوى جانيه لخراتر اسرام الاوتزود لبله  
 ولكن لم يلبث ان بر له القرمسان القانوزي لقتله وتو فوجاطلة  
 وآغا الانكشارية فكان من نتائج هذه الحركة ان اراد أنقى بك  
 على أعصابه الى إقليم البحيرة واحتل كل من ابراهيم بك القردوسي  
 وعثمان بك حسن مدينة أسيوط وحصرت طلائعاً للتيا فبعت  
 عابدين بك الى حامية هذا الموقع بالند من الحنة والقرن  
 والقناطر وما والها الاغبيد مدغوم حتى بدوت بالبروز اليهم  
 فالتصمهم عنه ومكنت الامداد من الانصام اليها . وحدث ان  
 بكباشيا من الألبانيين اسمه رجب انضم الى مسكر أنقى  
 بك بأرمينية من رجاله طمعا في ملق وعده به منه ولكن هذه

التيهات جاءت يجليل الزايات لاجلها بنت وروح الحواس والمعنون الجلود  
 الصادقون الذين لا يؤثرون في غوسهم الوعور انطلاقة ولا يبيعون  
 ذمهم بالمال. في ذلك ان طيرزا وغيد الذي وقفه عمد على راسه في  
 رنية كحياء حب الفياض شكر هذه النعمة فحسب جنوده من اسبابه  
 ويخفى مع طاهر باننا اثر في ملك وناوشه حتى عطل دحفه على  
 الطرانة وحوش جيسى ودمهور وولست لحلال ذلك حواوت  
 وطرات غروب طرحت بسببها على بساط البحث مستغلة سيادة  
 الباشا. لا تريد بها الفتنة المحبة التي قام بها الكباشي عبدالله  
 وعساكره التشردون بارتكابهم صوف القاذح والمعاذى ضد نساء  
 بولاق وسلبهم الناس لمراملهم وقطعهم الطرقات في رابضة النهار  
 واصادم بما ارتكبوه من القذائح ضاحية الصورة فقد اكتفى  
 القوي بقى هؤلاء الماكنين الماكنين وتترعلهم غرطاره في يديه  
 من قطع الشند ليقنلهم بهم في ملوداء الحمود والسورة فكان ثأتهم  
 شأن الكلاب التي ترى تكسرة الطر لا تهاجر شرها وانما تريد ما  
 نحن مسطرونه بما يلى وهو من الالهية على ما يجري القاذى  
 غير خاف ان الاسرة الحديدة التي استلقت مقاليد الامور  
 قد امارت الخوف في نفس الباب العالي الذي أصبح تجاه هذا  
 الحادث الخلل لا يجرأ على الاصل بالخصاص رأس تلك الاسرة بالخصاص

للحدود المصالح الجبرية سافرا فلما كان الباب المغلق قد صادق على  
الغتيال محمد علي واقيا على مصر فالتجأ هو لسيده من الدول معه في  
ميدان. وبالرغم من ان الحكومة القباية أرسلت الى مصر  
سبعين تمريدا مع القناصل بلشا وصلوا اليها في أول ابريل ١٨٠٦  
ليقدموا الى محمد علي الاغتاب الثلاثة وشملت الولاية وعلامتها  
والهدايا القنبية وعلية التقليد فاتها ما عرف من سياستها من  
الحياء والمسل في الحكماء كانت تعمل على تقويض سلطة ما برح  
الياليك بحاربها علانية والى أجل غير مسمى وجسور لها  
المسائل بدافع الحسد والبغية. وكانت انقلوا تزيده الياليك منذ  
ومعها الاضي أسماء افقت بها جنود مصر في مقابل مساعدتها  
إليه على التحكم في شؤون البلاد والعباد ولقد خدع هذا الوعد  
فريق التجربين بالسياسة من الانجليز لا يثامم الحصول على طريق  
الى الهند لا يثاممهم فيه مناور على التفاوض مع رجل صادق عنك  
كعبد علي بلشا لا يرضى للمأكسة فيها له ماس بمستقبل البلد  
الذي يده زمامه حتى أنهم كانوا لا يكفون في مذكراتهم الى  
رئيس احدى أي مشير السلطة من وصف والى مصر بالسيار  
وتصريح أنهم ملك في صيغة الرجل الذي يستطيع دون غيره  
توطيد دعائم الأمن والراحة وشهد أوامر للسلطات التجارية



مهم وكفوا لذا لم يعبأ الباب الدال بعصائهم لا ينجبوس من  
تهديد سلطان ولزها به نسلهم واسطوهم  
أما فرنسا التي لم تشتغل قط بعاملها التجارية في مصر فقد  
سلت في هذا القطر على سياسة مائفة لحد فلها كانت تلود  
بخلاس وحدة من مركز الأسرة المصدية الميرة ونجارب القوم  
لتي يتلها ألقى بك و شخصه على ان هذا الامير الذي كلف  
يسر باحدى يديه أعمان الكاين ويحس بالأخرى هاضات البسود  
أوقد خلزنداره الى الاستانة العلية ليتعكك بالاعشاب الشمانية  
وخرج عليها دفع جزية قدرها ١٥٠٠ كيس بضمانة الحكومة  
الانجليزية في مقابل ضمانها عنه واعتراقها به تقبل الميراث  
للمايون هذا الاقتراح ووجه الى الاسكندرية أسطولا مؤلفا  
من أربع سفن وفرغاطين وكورفيت وغل ثلاثة آلاف جندي  
بقيادة صالح باشا الذي رقي فيما بعد الى رتبة قبطان باشا لهما التي  
الاسطول القماني مراسبه في مياه ذلك الكثر محمد أحد القابحية  
نواحي القنطرة ليأمر محمدا عليا بمناورة القطر للمصري خورا الى  
سلانيك لكي يتقدموا لانيها بد لامن موسى باشا الذي عين على مصر  
وقان محمد على سونا بالدابة التي هو ملائها اذا أطلع عدا  
الامر فجاب القابحي على لسان سليم آغا بأنه مدين لمسوده

بشربين قلب كليس وان نمردهم يحول دون مبلرته اليار صلا  
بالا لمر السلطانية ثم يجرى بقصد مجلس من أمراء جنسده  
وأقنهم مطالب قباب الكالى فصاعرا جميعا أنهم لن يرضوا بديلا  
منه فى مباشرة شؤون الحكومة ونهم يرضون لمراته لم وكان  
محمد على واقفا بصدق لمجنهم وإخلاصهم فى موطنه إلا أنه أراد  
ان يثير غييم الحاس والهمة قتال .

« أأند مرنى الى غائلة السلطان بالبقاء فى هذا المكان : دأ  
مذا تكون الحال اذا دعيتا جنودى بأية مرة تقاوم : ان جودكم  
لا تعرف للنظام لبا ولا معنى ولا تعرى من اسرار الدنيا غير  
السب والانهب ومسلية الناس بالغييب والخياف والالاف على قى  
طلب أجورهم ومرتباهم . وانهم معشر الرؤساء القاعين على  
تدبيرهم كيف تستطيعون انعامهم باتباع طريق القصوب وعدم  
الانحراف عن الواجب : أنتم تكرهون الحرب وتستحقوها لا  
تركه الانهك على اللاذ فى اعصابكم وأثر بهى قفوسكم  
إنكم وقد تغلبتم فى نعيم القروة ورغد الحياة أصبحتم ولا اعظام  
لكم إلا يحسم للقال والخلود . قد تركتم انفسكم لمرى فى بحار  
النوم القديده أما انا فلى مزال وللنا كالحدى على قدمي لا استبداد  
ومستغزا الحوبة على القرم السابعة ومستغدا الى الامام على القوم

فأنا وحدي أحسن أعباء القبل والخلق وأنا وحدي أقرض القدي  
 يفرط الأعداء فيه سلبهم السمومة وباليث هذا هو حنكل  
 ما أشكروته وأنوح منه كلا .. بل بحرني أني لا أستطيع  
 الاعتماد على وعودكم وإظلالا صحت في سبيل هناكم راحتي  
 وحلت نفسي لسبب السلطان وثقت عديدا وهذا ما زالت  
 إلى اليوم مقبلا على عهدي معكم فأنا لؤملي الصادق واللين  
 الأمين وعاكم غنجرى وساعدي وراسي وولي ، كل ذلك ما زال  
 يسر على ما فيه صلاحكم وعملكم كأخوة صحاء ورفقة أمناء  
 فخلصوا على هذه الصانحات القدسة صفحات القرآن الكريم  
 أن لا تغفلوا عن وأن لا تتركوا وحدي وأن تدلفوا حتى آخر  
 قطرة من دمكم من نصيب التي هي نصيبكم »

أثرت بلاغة هذا القول في نفوس السامعين وكانوا سعيين  
 عديدا فأنفسوا جميعا على للصحف الكريم ثم مردوا بعضهم ظو  
 بعض فوق سيف أساك طرفيه اثنتان هما أكبرهم سكا وظلو بن  
 الحامات في هذه الجيوش حادو وحائن لا يستعق الكرامة ولا الحياة  
 ثم مر من كل منهم على تحة مالا وقدمه إلى فوالق ما جمع هذه  
 الطريقة . « كيس ودلفوا نفقات السر لفساد يسائر إلى  
 الاستانة حلالا أماني فوالق والأمة المصرية

وكان محمد ملك الألهي ما برح معكراً أممدم ومنهور وكانت  
 نصل اليه بواسطة أنهران أنصقرا أبحار الجهور البهولة من  
 أجله فأمل جبراً من وراثتها واتصفت أوداجه وأراد إظهار نفسه  
 على غيره هذا الأمل كأنه مرئي بالجهر ولهذا كان معتقداً بخلق  
 أمانيه يوماً ما بتأييد فجعلوا يوماً النصل به ما تحرك الأسطول  
 الثاني من الفرد بل فليداً الاسكتندرية حتى أذاع في مسهور  
 منشوراً به فيه : « أرسل الباب العالي فرماناً بتقليدي ولاية  
 مصر وسأوجه إلى القاهرة مني تسليته لتنفيذ ما فيه عليكم أن  
 تقتضوا أبواب مدينتكم تفتحوا على إغلاصكم وطاعتكم لي ، فم  
 يحلوه المنهورون بكلمة على هذا البلاغ بل بنشروا « إلى محمد  
 على باشا واتخذى الخلافة بهم حيناً وصل اليهم بلاغ من هذا القليل  
 فكتب محمد على إلى القريظين يقول : « لم يكن محمد لألهي إلا  
 خيلاً منافقاً وسبكون الضاب الصلرم جزاءه وإلى مستد على  
 طاعتكم ورائق بإغلاصكم ، وكانت طرقت الأهلين كلمة قد كتبت  
 بلاعت كالتيلائين للشمسي فارسلت كلها إلى الوالي وساء حال  
 الألهي وحاشي سبه إلا أن عزيمته لم يترها و« ولا كلال قدس  
 استلج فبطان باشا اليه بهدية أهداه يعما مؤلفات أربعة آلاف  
 كيش وثلاثين جولوا ومائة جمل محملة بالزؤن والليرة وبلغ جسم

من اللال وأفضة فاعزته فشكره ببطان فاشاهده الحدية وبنت  
اليه بخدمين من المليون و١٠٠٠ بندقية وكية واقوة من دحيرة  
الحرب

وكان محمد علي يتخذ الحيلة لنفسه أنما ذلك ليبرأ الحراوت  
الطراية ويصل لذلك سعة حيلة وبعد مصره فاقده مؤن القلعة  
بالقباط والبلود والقتالين ومكف على استقره الاحوال في  
الدية متكررة فخطب الأرياء ليقب على حليفة شعور  
الناس نحوه وميلهم اليه وطورا يصير متكرر تتبعه شرارهم الجلود  
ليبرز مركزه في نظرم وقد استندى اليه اللطاف والهم الافصاح  
عن وأجهم في شحمه فكشفت له النطاء من حليفة صلازم ثم  
كشروا بعد انصرافهم عرما بتقاصدهم الى الباب العالي أشاروا فيه الى  
الهمة للركولة الى بستان باشا وقالوا : « إن السلطان لم يد الأمره  
عساكنه وأردء إلا اذ حسن الله حسن سيرم وسيرتهم بين  
الرحمة ، ولكن الله لم يأخذوا على عواقبهم مثل هذه  
السلولية إذ قالوا في تلك العرض بعد ما تقدم

« إن لولي أمرا وحده وعمر حلاله السلطان حق الأمر  
والهمى يد أن سوء - بوك الأمراء وسيرم بين الناس بالظلم  
مروان الناس طرا فأتهم سبب مالحى بمصر من المصائب وما

أما يا من الأكلام والله كتنا بدوفا طاعريشا واستيلاهم  
على القاهرة سأل الله أن يوفقهم للخير ويهديهم صراطا مستقيما  
ولكنهم اتبعوا غوايات الشيطان وأطاعوا أنفسهم الأمارة  
بالسوء فودعوا بيتنا وإسعادنا وأبداءنا وأمرلوا الله مرة فحلبهم  
بذلك العار والشعار وأصبح الرؤساء منهم لا يستطيعون الحكم  
على مرفوسيههم والسادة عاجزين عن اصحاب مواليمهم ومن اساليهم  
للمعونة اناء وجودهم بالمعاصرة اجترأوا على قتل حجاج بيت  
الله ونجريد الأهلين من أسلاكهم واستصلوا أموالهم واذا انهم  
ايام المرء والمظل ولا تزال حياتهم على بشا حاضرة والاذهان  
مارة لا تظار وفي السنة الخامسة نأى الحجاج والتجار والفقراء  
الأتون من التعبد صرف المطالب ونجروا أكفوس الشدائد  
فمن اين لنا ضيافة قوم شيمتهم الزهرد الكاذبة وعلمهم بالسنتهم  
مالا يتخذونه بغيرهم ، أما القروس التي اقرضها محمد على باشا  
والقرض التي فرضها على أهله مصر فليس القرض منها سوى  
طرد الاشياء والفسدين على ان فرضها كان بموافقة ساجدة من  
الاعيان والعلما في اجتماع تفاوضوا فيه طويلا ، إن مصر ملك  
حلالة السلطان ولا يست إلا الطاعة لمن يوليها عليها ولكننا نأى  
أن يحمل أنفسنا المشولية بضمان الاسراء إذ أننا لا نمتنع لنا الآن

بهم لمعاملتهم بالقسوة والاحتقار مما كان الناس من العبيد والساءة  
والفقراء من حين بن الرمية أمات في عهدة السلطان ورعايته وظله  
ونحن نسأل الله العادل العادل على كل شيء، ان يعطي حياته وبها  
أعداءه .

فكل جواب فبطان بلش على هذا العرض أن رجاس  
التي خرج على لسان سفحاده الامتداد على الثقة الموضوعة فيهم  
لحق التوالى على اماعة الباب العدل عتقوا رجاء بالاحترام وتدل  
الرسول الخليل لهذا الرجاء وهو شاكر آغا في دار محمد على بلش  
لهم يحصل من البلاد ولا من التوالى على اماعة ما ينقلها الى بطناب  
بلشاً جوماً على تلك الرسالة سوى الكلمات الآتية التي تفيها كتملة  
وكتبت رسالة سموكم بالطاعة والاحترام الواجبين لها ووردا  
عليها عنوان إلى أهل القنطر للعري صفاً وفخراً وقد يحدث  
أن يأتي الخنود الطاعة لوال جديد ونرجعوا بسبب ذلك الى  
الكتبة حتى لا يصدمهم أحد الى مبارحة البلاد وعند ذلك لا تكون  
النتيجة سوى تخريب الدور ونهب القصور وتهتك الحرم ولما  
كان الشرف لكم عنواناً والتجرب غاية لمص انتظار لراحة والراحة  
منكم ان شاء الله .

وفي اليوم نفسه اي ٢ ربيع الثاني ١٢٣١ الموافق ١٤ يوليو

١٥١٩. قال محمد علي باشا لبعض أخصائه ومنهم ثانياً ما قاله  
« ما أخذته بقوة السيف لن أعطيه إلا بقوة السيف أو يصح  
أن يصيح القاهره كالحمام يباح لكل قائم أن يدخله بلا احتشام  
ولا استئذان ، إلى أنظر من أمر الترك ما أعطوه وأنهم ممن يبيعون  
ذمتهم وسأخرجها ولذا كنت قد تمكنت تخفياتها وجعل من  
إتمام هذا الانقلاب العظيم مماثل من الآلاف وعساقيهم على القدي  
يعطون الآن بما أستطيع صون الآثار الجليل التي أفتة من عادة  
الاستلاف والقيت . وأما السيد القدير وصاحب الكليكة الناصبة  
هو الأكثر من غيره بذلك الدال والأبرج في إحسان سبل السبوق  
إلى أبدي مدى »

وفي الأسبوع المالي طلب لبطان باشا من التوالى أن يوايه  
كتابة رفقته للطاعة ليلاب المالي علم يكثر محمد علي بهذا  
الطلب ولم توفد بسببه فريضة بل عكف على تحسين المدينة من  
الداخل والخارج ، على أنه كان ينفقه المال والسلاح فتعرض نقل  
لللاذ والسنة أخرى بالوجه البحري غرضه بدفعونها متناصرة وحشد  
في إصابه من بني طاعته من القساكر وكان مشايخ الطوائف  
يظهرون إليها مع الوضعية والسكان القاصرون على حمل السلاح  
ودعب إليها التوالى نفسه وأتخذها مسكراً له وخرج أكليخبا



من الرحاية التي كان واليا عليها مع طاهر باشا معه في المعركة  
اليسرى قهر فرفع ألقى بك الحصار عن دمهور حانا للسير فناء  
الألبانيين وخيم بالقرب من النجيلة على مسافة فرسخين من  
معسكرهما وكان كنيها موسى باشا الذي ولي على مصر بدلا  
من محمد علي باشا بعد الأتقي بمصانعه وآرائه فيها يمتص بالاهل  
المريية فلما كان ١٧ جمادى الأولى الموافق ١٢ أغسطس هجم  
الأتاك على طاهر باشا هجوما عبقا من الجهة اليمنى فملك البلدة  
فصرع ما لجأ الى الفرار واقتدى به جاله إذ ألقوا سلاحهم ووزنوا  
في القوارب الراسية بالساحل . وقد عرف اثنان منها لأزد علم  
التأليف فيها من القارين وصم مرهان الأتقي ما تركه  
الألبانيون وراهم من خيام وسلاح وأمتعة . أما الكنيها بك  
فقد ثبث في مكانه ثباتا عمودا وصمد قتال الأتاك ساعيتين كان  
الجلاد أضعافا عبقا بين الفريقين ولكنه صطرف في ختام الحركة  
الى الانسحاب نحو النجيلة . وفي حر اليوم قتال عبر الليل وأدى  
فلول جيشه بلدة منوف . وخسر الألبانيون في هذه الحركة  
سنة عسكري وثلاثة مدافع والخيام والامتعة أما الأتقي الذي  
كان واقفا أثناء الحركة خلف معسكره شاعرا سبه بعضهم على  
القتال فقد أرسل الأسرى الى بيطان بك مع رؤوس القتلى

وماء الارزورد النهرمون الى النامسة ظرولاً وشيما متفرعة  
تبدو على وجوههم علامات الخزي واللثة طما اتصل بالوان خبهم  
حتى عليهم ولما كان كخيما بك قد اظهر من التبات في القلوة  
ما يحسد عليه فقد اقرء في منصبه ولم يرد به . وهاثم وضع نظره  
على يكباتي من اهرموا لحينهم غنق عليه عتقا شديدا وتناول  
الصلاح ليفتك به وهو في بهو الاستقبال ولكنه كظم لحيته  
ولم يصبه ظم يشته . وبالرغم من القرابة بينه وبين طاهر باشا  
فانه لم يشأ للمعه بل حطر عليه وحول القاهرة فوا ان لا يريه  
الآن وجهه ، غير أن طاهر اقام اصلاح عطاء وارصاد الولد منه  
حاشق الى العصة اليسرى من القيل فاعده حرة من المالبك موثق  
الرحابة اللهم الذي كانوا قد استولوا عليه قبل ذلك يوم واحد  
وما طرق هذا الخبر سمع محمد علي باشا حتى صبح منه ولحمه  
برحاء وحدياء

وكان من نتائج الفرقة في معركة النجدة أن انتشرت حول  
القاهرة شبح كثيرة من المالبك والقربان عتوب النافون على  
محمد علي وحكمه منهم وضاعف هو الحذر واليقظة فكان ينسك  
في اليوم الواحد على اشكال وصوب شق ويحرق الاحياء الآفة  
بالسكان وبالغ احواله في الحركة والتنقل ليل نهار لاتقاء ماله

يقرأ من الحوادث وهو ما يدل على شعوره بأخطائه فتورده وسوء  
 منيته فيها لو بعت بما قيل أن يتخذ الحيلة لدورها وكان يرق هذا  
 وذلك يعلم أن سلطان يثا والألقى يسيمان سمهما لدى الأهلين  
 لاستلزامهما اسم محمد على ولم يبق منه قط أنه إلا اختار الخط  
 ولم يستطع حسن الطالع من السلاح الذي شرعه لخصومه لكي  
 يصد من وراء ستار لا يدركه ولا يمنع احتشاده الناس بقصد  
 قتالهم وبتفكيرهم في التلويح قبل المباداة الاحتيازية فكانت  
 مباحته على البلادين النساء والطرفات الكبيرة بحيث لم يعد الضرر  
 منها سهلاً وساعدته هذه الحيلة على قتل ما يكون قد أبرمه  
 بعض أرباب الفتن من قتالهم لصالح الساميين ضد الحكم العبدى  
 المعزى في مصر

وكان الألقى قد عاد إلى حصار دمشق وتقدمت إلى قوس  
 سكناها منذ شهرين بين الحمة التي تمكنوا بها من اقتراض الحلة  
 الفرنسية وكان قاضي الاسكندرية وطلباؤها قد أقروا ببناء على  
 طلب قبطان بانسا، عروتهم من طاعة الخلافة وجبرهم بالصبيان  
 فلم يباؤا بهذه الفتوى وحلوا ثاقبين في مراكزهم يقتضون من  
 القاطعة التسلية والأولر ويستمدون عليها في احرار القصر  
 وكان مما حرك مجلس في صفوفهم اعتقادهم على وصول

المدو وارثك المالك أشنع القطاعات ضد الأسرى منهم حيث كانوا يلقونهم في أعماق الأشجار قطع حادة من الحديد ينزونها تحت أقدامهم فأكروا على أنفسهم أن يموتوا قبل تمكن العدو من تدريس مذبقتهم . ولقد حمل المالك عليهم بست مرتين في مدى خمسة أيام فلم يستطيعوا اجتياز أسوارهم بل كثيراً ما كان المحصورون يستقروا بالظلام فيلقون القذح في أكتاف المحاصرين بصرلهم الشديد ويصمون أنفسهم ويطلقون النار ثم يعودون على أسوار المشاة مترنمين بأناشيد الانتصار ساحبين علقهم عدوكم من الأسرى لا يستهان به

انقضت شهر طوال دون أن يجز عيطان بلشا الهبة التي جاء من أجيها وكان الباب العالي قد استدعا وطلب منه تسجيل الأوبة لأن الحملات السياسية بين روسيا والبولية ليلية كانت على وشك أن تنقطع فلم يصدح بالأمر فوراً بل نباحاً مردداً بأدلا الحمد حيث المحصور على مبلغ ١٠٠٠ كيس الذي شهد المالك دفعه للسلطان سترياً وحبب غيهم بما عاهدوا الدولة عليه من ذلك تمسكهم وتخاذلهم وإظهارهم مصالحهم الذاتية على مصالحهم العامة إلى غير ذلك مما يجزم من قوة عقل لم يظلم بلشا وقد أهد الخنزير ما أخذ عظيم أهم يبرأون بلحية الصدر الأعظم ولحيته

وان محمدا عليا لم تفوته هذه الفرصة فصرم ولولالم ولما كان  
 محمد علي حرا على البديل بما لظاهر الجاء اقترح عليه ان يدفع الى  
 الخزانة ١٠٠٠ كيس لا ١٥٠ وان يحصل له ابراهيم بك القى  
 وصل الى مصر منذ عهد قريب رهاها عند الدولة لصيانة السداد  
 وفي الاثناء وددت الرسائل من الدولة دعا على العرس القى رفته  
 للشاء اليها يفرض النظر في مسائل مصر وحسبها الى فبطان  
 باشا دكل كبار ضباطه الذين فنتهم محمد علي بكرم القى وكثرة  
 البطاء قد تقوا القى الكبير الى فبطان باشا من خصل القى  
 وقضائه فصرم ما لم ما ينج اليه قبوله واستعد لخاصته فيها يريد  
 القلوة فيه وحرر الشائع والقو باظية على أثر ذلك عرما القى سوا  
 فيه من الدولة اقرار محمد علي في الولاية وكان ابراهيم قد تقى  
 الاوامر من والده بان يحصل له في تصرف فبطان باشا فقصده  
 الى الاسكندرية حاملا العرس فزيلا بلصايات لاعدادها وسمه  
 الحدايا الكتيبة من الاقشة الحديدية والخيول للطبعة ثم قدم  
 اسمه اليه رغبة على ما اعطيه عليه . وعند ما تم هذا الاتفاق  
 أبحر الاسطول العلى في ١٢ أكتوبر ١٨٠٦ فاصدا الى الاسكندرية  
 وفيه موسى باشا القى كان مشهرا في كل هذه المواليد لم يستق  
 مع الكرامة ومركزه الأدي من اخرج للراكر

ترك فبطان باشا بالقاهرة كجيهاد لاستلام المال الذي تميد  
لوالى باد الله ضرعان ما وفى محمد على بمده ولم تحض ثلاثة أسابيع  
بعد سفر الأسطول حتى وصلت الى بولاق سبعة ثقل القناصين  
باشا حنلا لرمانيون يتضمن أحدهما الاعتراف بإسوية مصر  
لحصد على مع قراره في الولاية والآمر الأمر بتسيير غلطة الملح  
وتصدير ستة آلاف أردب من القمح الى جدة مع توصيته بفرق  
بالامة وبالحالك أيضا

وفي الوقت نفسه عقد محمد على آلية على طلب الحكومة  
واجراء تغييرات ذات بل ذلك لن وجيل الذين في مصر  
كانوا على مده كما كانوا على عهد القراغتة الاولين على شيء  
عظيم من الصلف والكبرياء والطمع وللبل الى تدوير القسائس  
واقف. وكانت الحكومة لهذا السبب تمسك عن التدخل في  
الشؤون الداخلية في اختصاصهم بيدهم الطمع وحسب الاستشار  
بالفرد الى محاولة الاخلال على شؤون الحكومة والتدخل في  
أمرها. وهذه القرعة عادت عليهم بالويل كما سجد القاري. بعد  
قد بلغ بهم حب الاستقلال بنصر قاتم والاستشار بالفرد  
والسلطة الى اقامة قضاء استثنائي في دورم بل عما كم تحصل في  
أم للسائل واسطهاثم تذاخلوا بحجة السهر على مصالح الرعية في

كليات الإدارة وجرأتها بتفقدونها كلها لاحت لهم الفرصة  
بالمحنة الشديدة المعروفة عن الصالحين واليوم القارس الذي  
لا يمحى من عيهم واسموا في الاكتفاء واليوم كلها ترحموا ان  
أولهم من حثروا في النسيان وكان السيد عمر مكرم مرموقاً من  
أولياء الأمر حين التجملوا الاحترام ملحوظاً على الخوام بتوحيدهم  
مأثر هذا الاثر في خصوص نظرائه من العلماء والأعيان الحسد  
والتيطوناتهم اجبا الى ان يكون لهم مثل منكره

وكان السيد منوطاً به النظر على أوقاف الجلسع الأزهر  
فكان من الطبيعي ان تضطرب نوايا الخلاف بينه وبين مجلسه  
والناظرين فلم تلبث الخصومات لهذا السبب ان تلوذ قوتها  
وتندلع لحسها وقد انتم محمد على باشا الذي كان العلماء يتخذون  
حياله حطة يذهبون فيها الى تقييده بأنهم هم الذين ساعدوه  
فيما شجر بينه والناظرين المهابين فرصة ذلك الخلاف بينهم  
والسيد عمر مكرم ليقض على ثلاثة من أولئك الناظرين ومضامهم  
وم الشيخ عبد الله الشرفاوي والشيخ الخواجل والشيخ سعيد  
المنافى

ونزعت حامية النيا الى المروق عن الطاعة بحجة للتأخرس  
مرتبها فارسل محمد على لأخصاصها ، وكانت مؤلفة من تسعة

توكي . جماعة من الألبانيين بقيادة حسن باشا ولكن لم تلبأ  
هذه القوة الى استنهاض السلاح لاغصاصها لأن لاجل أجا  
كاشف منوف كان عند مجمع في القبة التي شهدت اليه لحيها وهي  
بدل الوسائل الطبية لكي يهرب الى الطاعة والى يكون

وفي الساعة الثامنة من مبيعة ١٠ أكتوبر وصل الى  
الاسكندرية من الأراضى القلقة زورق حائلا رجلا من كبار  
الفرنسيس وأمدم ميتا في السالم كله ، وإذ لم يبق لنا أن ندورج  
هنا وصفا لمصر في أواخر سنة ١٨٠٦ بقلم هذا الكاتب الألماني  
وهو السيد دوشاتوريان . قال

« أصبحت بمجرد تدخل في الاسكندرية الى السيد دوشان  
تصل فرنسا بها . والسيد دوشان هذا حدى انتار بالشهامة  
والشجاعة ومن أبناء ايطاليا البقية ، فظفاني بالمشاهدة التي  
هي احدى الصفات القاسية في الجندي النحام وحياتي بحرارة  
شوق مستمدة من حرارة شمس مصر . وما كنت أدري اذا  
كان كيتاني اليه سيق في بدء وهو وسط الصحراء التي يسكنها  
ولكنني أنهي هذا من صميم الذي لي لم أنسى الزمن لن  
يضم في نفس مرة المواقف وأني لم أنسى قط ما أظهره في  
من الحنان والرفق حينما ودمني على السطح ، وهو حنا شريف



لا يشعر بأنه إلا من صليح يده يد ذلك الرجل وشهد ما لحقها  
من القتل وهو دائم بمحبة وطنه وإلى الخوس الكلى ومن  
الحلوة والأحران بل ومن الثقة عند الناس ولكن إذا أتبع إلى أن  
أكون على شيء من ذلك فإن أجد في نفسي استعداداً لبللها بإرتياح  
وسرور لأحد ما في السيرة دورتي

١٠٠٠ وصلنا إلى بولاق في ٣١ أكتوبر فلتأجرنا حياً  
وحيراً فذهب إليها إلى القاهرة ، هذه المدينة التي بطل عليها عصر  
باني القديم وبمسكنها جبل للقطم مدينة غريبة النظر حسب ما  
يشق في جوها من تشجار النحل والجبل ومسارات المساجد  
مختلفاتها من طرقات عديدة وحرية كلها ملال دائرة تجوس  
حالاتها الحديثة والطبوع الجارية فتمس مريضة نهشها ، فتركنا  
بني الأفرنج وهو دفاق لا ينفد له ، فائق مدحه كل مساء كما يلق  
الباب الخارجى لأحد الأديرة فاستقبلنا الموكيل الذي عهد الوسيو  
دروني إليه برعاية شؤون الفرنسيين ومعالجهم بالقاهرة فأفطنا  
بجائته وأخطر القاشا من موره بوصول كما أخطر به في الآن  
نفسه للبابك الفرنسيين بصحبة في عدواتنا ودواتنا

والد في هؤلاء البابك في حدة حوالي ١٠ ومن السادة في  
المحروب الكبيرة أن تترك دراعها بعض للتخلفين وقد تركت

حروبها في مصر نحو ثمانية عسكري فانتشروا في أوسانها موثرون  
للبقاء فيها على المودة الى فرنسا ومنهم من نشأوا في حرب الامراء  
فاشتهروا بعتهم بالشجاعة والافتداهم . وآراء الناس فيها متفقة  
على انه لو كان هؤلاء المخطئون قد اجتمعوا واتحدوا بدلا من  
الاختلاف والتمرق وعينوا عليهم يكما فرنسا لم لهم الاستيلاء  
على القطر فاسيه ودابيه ولستهم لم يجمعوا عليهم من الأسف  
رئيسا بل ملوا جميعا تقريرا في خدمة الامراء الذين احتلواهم  
عند موتهم وكان محمد علي اثما مغامرا بالقاهرة لا يزال يكي أحد  
أولئك الشجعان وبأسف لفقدته . وقد طنت من أمره انه كان  
جندبا يفرح الطبل الصغير في أحد ملو ايرنا ثم وقع في أيدي  
الأتراك أسيرا ، وكان حديث السن جدا فلما طغ أشده ودخل  
في طور الرجل أخذ ضمن من أخذوا في التجنيد لحيدش قبائلا  
التي لم يكن يعرفه قبلا . فلما رآه وهو يحمل على جمع كشتف  
من الامداد صاح قائلا ( من هذا الرجل ! لا يكون هذا إلا  
فرنسيا ) وكان الهندي ملهم فرنسا صلا فلم يلبث ان أصبح مند  
هذه الحفلة من المفروين للرجال ولم يكن حديث النجابة والحامة  
الا في شجاعته وسأله . وقد قتل قبل وصولنا الى مصر بجبل  
في معركة فقد الحجة للمالك المقتربون فيها غيو لهم

• وكان هؤلاء من مقامات (عسقرينا) (ولا نجدوك) و (يكراديا) وكان رئيسهم ابن اسكاني في تولوز (طلوسة) وكان القتل له في الرتبة يترجم لزملائه وتوسط في تعاملهم مع الغير ، لانه كان يجيد التركية والعربية ، أما الثالث وهو شاب أسمر طويل صاحب اللون فقد ساكني القريتين طويلا في الصحراء وكان كبيرا ما يوصو الى الميثة فيها ويذكر بالاسم الابام التي قضاهما بها . ولقد روي لي انه كان اذا رأى ضفة وجيدا وسط وصال الصحراء منتظبا فانه استشر سرود عظيم ولوتياح غس . وكان قبلها شديد الاهتمام بأسر أولئك المالك الحنة حتى لسكبها ما كان يفضلهم على بقية الاسماحية لانهم كانوا يفرقون في الاحكام والبيعة هؤلاء القريسان الذين لبادم الجبلش القريسي في واقعة الاهرام . ولا شك اننا نعيش الآن في عصر السجائب والخرائب فانه يبدو لناظر انه ماس عريسي الا وهو مدعو لقيوم للقيام بأسر رجل وأداء مهمة خطيف ، فان الحنة المسأكر لقيين خرجوا من الصوف الرابطة من جيشنا كانوا في سنة ١٨٠٦ أصحوب الحبل والشدة بالناهرة ولم يحسن من لناظر ما هو ادعى الى الاستغراب كخطر عبده في التولوزي (الطلوسي) لذا استعجم اثر حنة لقطاته وضربها وجوه اللصين من القران والآياتيين

أو فتح مسلكتها في الطرقات العامة بالساعة بينهم على أن لا تؤثر  
من الملوك في اغترابهم حب الاقتداء بإسكندر الأكبر في التخلق  
بأخلاق الشعوب المتفوقة على أمرها والنسك بمبادئهم ، فهم  
ملا هذه القدوة يفسون الثياب المرورية الطويلة ويحصلون في  
عناطهم الأسلحة الجلدية ويحسون بالياهم الكبيرة ، وقد اشتغلوا  
لحم حرما وعبيدا واقتوا الجياد الصائفات وادسروا من الأخلاق  
والنفاق ما لم يكن لآبائهم في عسقرنا وبيكارنا ، ولكنني  
رأيت فيما رأيت بين أمتهم وساحليهم وأرائك جلوسهم في  
بيوتهم ترانا من نرات الوطن ألا وهو السهم العسكري وقد مري  
لريا بطلمات السيوف . وهم لا يصحكون من وضع هذا القدر  
في دكن من أركان أمرتهم التي يتدون عليها

وولقد وافق المقام في القاعة موازنة نامة لآنها المدنية  
الوحيدة التي أوجت إلى ذهني فكرة كلمة من شكل المدن الشرقية  
البهجة ، على أنها لا تزال حافظة لكثير من الآثار والملاصق  
الخالقة على مرود الفرنسيين بها ، فإن النساء فيها أصبحن أفضل  
احتشادا في سبورهن بالتمجيب وما من أحد منها إلا وهو يحك  
الحرية المطلقة في القهاب ال حيث يشاء وفي غشيان لى مكان  
بريد ولم يكن القرب الأديوي شاعرا يجلب حمله إلى نفسه

السبب والاحظار . كلا في انه مرمي يدور الى الرعاية والحماية  
وطلعية حديثة في درجة لا بأس بها من جمال التنبؤ وحسن  
التسليق لموسم بها النخل ومدت المساقط على شكل الفواثر . والجامعة  
يترددون اليها للتزود وتبديل الفواثر . وإنما الذين تستوعبهم المنود  
الفرسيون

« ولعل منادوني القاهرة أهديت عبادك بتدقة سيد ذات  
روح من صناعة مصنع (الرياح) فوعدي باستعمالها في أول فرمة  
نسخ له

مواقع لي أن مصر أهل أقطار الأرض والتي أصبحت فيها  
كل شيء معق للمحاري التي تحف بها من جانبيها وتفتح لتتصور  
عجالاتها نهاية ، له

قال هذا في شاتوريان مؤلف كتاب ( الرحلة من بورس  
الى لوزليم ) وقد أضاف اليه في إحدى مذكراته قوله : « من  
مساكنات القندو ان اسم مصيفي بالقاهرة انني من صحيفة  
مذكراتي اليومية وأظن ان يكون حفظي له على مبر وجه  
الضبط لئلا لم أجسر على إبداءه هنا . وهذا التمس لست أنظر  
لدمي ذبها فيه إذا كانت ذاكرتي تحفظ الى هذا الحد حفظ  
العلم التي هي مدينة بها لأدب تلك المصنف »

وعن يسرنا كل السرور ان يساعد ذاكرة بلع بها النسخ  
الى هذا الحد فأن التوكيد القدرى الذى اكرم منوى السامع  
الكتاب الشير ودلفقه فى دمه الى سنة عين شمس وأطلال  
الطيرة وثر يوسف وذل معه جميع الامكنة الجديرة بالبحث  
والدرس كان يسمى السيور (ميكس مابين) وثانى مقابل هذا  
الذكور ان نسخ لصنا حتى ولو قليل من لمحتفيس شاقو روى  
الذى لم يحكر بها يد فى اصلاح منكل الذى من به وأخره الى  
ذلك الحد فأنه من التمدد ان يبقى جاهلا ذلك الاسم حتى فى سنة  
١٨٢٦ التى أمان فيها طبع جميع مؤلفاته. ذلك لأن السيد ميكس  
ميكس كان قد بعث اليه فى سنة ١٨٢٣ بالاسطر الآتية التى يسرنا  
كثيراً ان نوردناها هنا بنصها لما تضمنته من شرح لتقدم الباهر  
الذى تم بين سنة ١٨٠٦ وتلك السنة باليهو المصرية قال :

« مر لاى ! ان اسم مصر خير فى نفسك بلا رب أجل  
ذكرى وأعياها الى نفسك فقله زوت فى عهد منى سيد المدينة  
القديمة وأطلال الدولة المنظمة وأحييت أن ترى الأماكن التى  
خرج منها شعب اسرائيل للقيام بأوسم له من جلائل الاعمال  
« قد سمى أبلغ فائد عن حياض للسيحية (الى شاقوربان)  
الغياض التى شادها السحيريون الأولون على صفاء النيل ولا

تزال محصنة عن الآن لأعياء شمائر هذا الدين العظيم  
 « لقد ظهرت أطلال عين شمس التي انتشرت فيها معنى  
 بغور جودها فأصبحت لحرمان هذا الوطن وطن القراصة القديم  
 مزايا محبة لا يفي ذكرها على مر الأجيال ، وشهدت بنفسك  
 الانشقاق الذي يمزق أحشائها غدوت لها مستقبل يكون لها  
 فيه أوفر قسط من السعادة - هذه ثلثي التي تقيسوها قد  
 تحببت الآن .

« وذلك ان رجلا عظيما به من سواحل الروماني الى مصر  
 فظهر لجأه على أنفها . وكان من قوى البصيرة في الإصلاح  
 فاقاد لاسمه الحسن كل شيء لانه عرف الأعراب وحدث  
 الفتن والاضطرابات وحدث على القومى السلطة للثقلية وحادت  
 الفتنة الى جميع القلوب باستقراو الأمن المأموريات المصانة فتبع  
 لها طريقها كي تسير فيه الى الامام ولا رب في أن ذلك الأمير  
 الذي جمع الى العزيمة للاضحية والبسالة النادرة لضحية التسليم لا بد  
 أن يسو مصر الى اعلى مما كانت فيه من التوكة في عهد صلاح  
 الدين ،

وكانت هناك بك البرديي وهو أشجع الزعماء لمالك  
 وأكثرهم نشاطاً وأعضام عزيزة مرجحاً بالصفراء عند توفى مراد

بلك فكانت لرحمت القنطرة وقفت الحاضر وآلام الجراح التي  
أنتج بها واتجاهه لاخطاط شأن للأيام الذين كانوا في زمن  
مضى أقوى القهرسان وأشد من بأسهم براءت حرمة الكون  
والراحة اللازمين للملاح الطرد. ومن ما كفت القنطرة له ان  
الأطباء في مسكره لم يكونوا إلا جماعة من الشرذبة وأدعياء  
الطب الذين لا يفقهون لهم تلي معالجة أي داء حتى الصدام البسيط  
تخطر بهال أقدامهم التي تصدى للآفة ان يمزج بشراب جهنم  
له صارب الى الزدفة فطرات من حمض الكبريتيك (مد القنطرة)  
فأثر هذا الدواء في الرضى تأثيراً ذهب بحياه في الثالثة والثلاثين  
من شهر برم ٨ رمضان سنة ١٣٣٦ الموافق ١٩ نوفمبر سنة ١٩١٦  
وكان البرديسي ينظره الحاد وقده الرشيق وقده الناجية ومشيته  
للتناصفة لسطوات وظهر آيات القبل والثرف على عياله بقي  
الرب في القنطرة إذا انشغل جوارحه مصكاً سبعة من لعمري  
وكان بصرة واحدة منه يرى دمية القور الضخم وصديق في  
الوقت نفسه وكنته أصابة تكلا تنفره

وقد كان في مقدمة للأيام الذين اقتضوا عليه كالجزة يوم  
مركة الاحرام حيث كان يرى بسيفه أنابيب البنادق برأ  
وترامى بجراحه من الشاة من صاكرنا ومحاول ينسك القنطرة



دات الموحدة المتبعة القياس طريق له بين البنادق والرماح  
 المشجرة حتى القيد عاد به أصحانه مرة مصرجا بالهاء . وكان  
 الفرنسي مملوكا بيع الى مراد بالسلطنة لولا على عزيمته (حازم لول)  
 ثم وثاه بالندرج حتى صار بيكا فلكاني في الصيد أثر مولاه وظل  
 يشكره الأهل والأعطال الى ان أبرم الصلح مع الجزائر  
 كايير . ونظمت به بعد ذلك مهابت عشقة لدى فراد جويشا فكان  
 يقابل منهم بالاجلال والاكبار لقاء شعاعته . على ان الظن  
 منو كان لا يحتفل به فكان لهذا السبب يقول عنه إنه الفرنسي  
 الوحيد الذي يمعنه . ولقد أصيب في مذبحة أوبير بأربعة عشر  
 جرحا ثم وقع أسيرا في يد الأتراك فلم يستطع هؤلاء . فجردوه  
 من سلاحه إلا بعد تأليبهم عليه جملة وطرحهم إلى أوحنا ، وما من  
 شيء إلا ثلاثين أمام قدرته وسلطته في حصر دمنهور . وفي آخر  
 ليلة من حياته كان يمل سقرط حولة للماليك بأفنديهم على بريطانيا  
 دون فرنسا . وكان حزن للماليك لوفاته عشيا حتى أنهم كسروا  
 على قبره جميع أسلحته وأثعموا على رقاب جيلده اجلالا لذكره  
 وإعظاما لخدمته

وحزن محمد بك الأنفي عليه حزنا شديدا وإن يكن حصه  
 الفريد . ولقد ظل الاثنان في عداة سنوات طويلة ثم اتفقا على

فلمسح الذي لم يقع في اليوم الذي لا تمحى لأر الأثر في طريقه  
 نبأنا مقطعا ووقع في يوم آخر لم يسح له فيه ما يظلمه ، على  
 أن يت القرديس لم يشأ قط بعد وفاته أن يتعم مع بيت الأتقي  
 بقصة النسب فانظر الأخير إلى معاينة بيت ابراهيم بك  
 وحسين بك حسن واختار القيادة أعرانه شاعرين بك المراسي  
 على بنش من له وإسبار لعداوته في نفسه لانه قتل حسين بك  
 الوشاش أحد ممالكه للتقريب اليه فذكره هذا السبب والظلم  
 لقلة ذلك الرجل من ذلك عليه ولما تلم شاعرين بك زمانا أسود  
 المالك وضع آمله وأمانيه في الأجنيز الذين وعدوه بمحاولة  
 أسطولهم له واسترا الحرب على القوة القليلة من أجله وبذل في  
 سبيل الاحتفاظ عوائده في البحيرة جهده مستظرا نتيجة ذلك  
 التضييد ولكنه كانت تقصه الحنود والمؤن والتمار وكان للبرلمان  
 المولون له وهدوم ٨٠٠٠ يمدون الأرواب فخراتها وخضراؤها  
 حتى لم يبق من دلائل السرار في الامتيم كله سوى أسرار منهود  
 هي أسبابها مع ذلك الخراب والدمار وفشت فيها الحاجة فقام  
 أصحاب الأتقي يهدونه بالنصيان إذا هو لم يتتبع مكانا آخر  
 كبير الظير وبير الردي فرغ الحمار من لود من المدينة  
 وانسحب إلى الوجه القبلي يوم ١٢ شوال للوافق ١٢٨٠ وفسبر

وعلى ما عدا به حزننا مضطربا لئلا نرى ما يسكن به الناس  
نحبه وندى غائله الشعب سوى الانقراض على القرى التي مر  
بها والتكيل بأهلها تلالا وسلبا وسبا

أما محمد بن قنبر في آخر شوال ١٢٢١ الموافق أول يناير  
١٨٠٧ هـ خرجوا فشقان حيث عبر النيل ليحمل بضائحي أسيا به  
مسكرا حاملا به وفي ٢٠ القعدة الموافق ٢٩ يناير قتل مسكرا  
جوار الجمر الأسود عند سفح الأهرام وكانت تحتله طلائع  
الألبي بقيادة شاهين بك : وكانت القربة قاصدة بين المسكرين  
فصرح الألبانيون يطلقون النار ويكفرون على ذلك القهار كله فلا  
تجيبه بحسن السموت عليها ، ولم يستطع الاله بك الحلة بمرساتهم  
عليهم لأقراض القربة دوسهم فانتنوا على أعقابهم نحو جيشهم  
الأصلي ليتأخروا السير معه في اليوم الثالث من طريق السهل وكان  
محمد بن إبراهيم من بعيد ينتظار مقرب حتى رآهم وقد وصلوا في  
في ترابهم إلى شبرا وكان الألبي كلها ابتعد من شاطئ النيل  
لعبت به القواريس وساوره الليل فلما وصل إلى قطرة مدفوعة  
على أحد الجسور وقف مع أمراءه ودمشق يصره مدينة القلعة  
وبمكن بكه طويلا .

ولقد زاد به الحال حتى إن القريين اليه لم يجرؤوا على الخروج

منه ومواجهته لما كان في أقدسهم من وجهه .

وفي عصر يوم ٢١ ذوالقعدة ١٢٢٩ لله الموافق ٣٠ يناير ١٨٠٧  
خرج الأتقي بك لفرصة محتطيا بجوانده ومحف به حرس من  
الشاة ، رأى في مزرعة فتح عربية جالا نحوها وتلقا فغضب  
من هذا النظر وأتبعه نحو الحراس وكانوا من عربان جيشه قتل  
أربعة منهم رميا بالرصاص ملما بالسيف وكان أحد الأربعة زعيم  
ليقة فمأ عاد إلى جيشه أحدته الآخرة لم تلتصق انضمامه  
وتشتتت وقام بشا كثير أظهر فيه مقداره عظيم من الصفراء  
والهم واجتمع البكوات من أمراء بيته حوله فبين خلقا لم في  
حضرته شاهين بك قائد الطلبة فقبل هدايته وسمعه يقول له  
بصوت خافت : « إني أعهد إليك يا شاهين بأمر افترائك بأسمهم  
نحت وما يذكهم وأقدمهم إليك ليحلوا محلي في مودتك فكونوا  
جميعا على حذر ومنحذين وأوصيكم بدفن جثث في البهنا مدينة  
الشهداء ، وكان الليل قد أرغى سفوله فطال على محمد الأتقي في  
آلام شديدة وأخذ الدم يرتشح من مسده ثم لم تلبث جثته بعد  
أن فقط النفس الأخير أن سفر لونها لظن في بادئ الامر أن  
موته كان مؤامرة سرية ولكن تبين بعد انه كان بالمبيعة يوما  
طلب محمد الأتقي على أمره وذهب بجما من الحقيقة سوى تبادل

الطبع عليه ما به تعلم وهو في حشرة للوت بالكلبات الآتية.  
 و لقد تم القضاء وأصبحت مصر مهد على ،

وبعد غسل الحنة قلت الى تمها في تخمروان وقبل تشييع  
 الجثث كان القساء يأتين ليلكا والعريل والتدب حول صبرا لانه  
 كان في حياته قد اعتاد من القثبات الجيلات فيحطط بأهلين  
 وورد البابات الى أهلين وكانت عادته ان يخرج عليها وهو في  
 البحيرة ان يروح في كل يوم جمعة متاعا عربية جملة . وكانت له  
 هبات كثيرة منها انه كان يجعل وتجعل ويترج على مثال لا يلق  
 بالرجال المشاهمة الأبطال وكان شديد الشغف بالاهتمام بالذبح لا يفر  
 عن زيادة عدد حواره السود والبيض وأرقاه من الهالك حتى  
 بلغ عدد من ملكته بينه منهم ألف مملوك وأربعين كاشفا وكان  
 يشيد القصور الفخمة والقبالي الحقة وأحد هذا القصور هو القصر  
 سكنه تياحا كلر تواد الجيش الفرنسي بالارمكية ( حيث لوتل  
 شهره الآن ) وكان في سياحاته ورحلاته يتنقل معه أجزاء كتك  
 من المشب اذا ركبت صار غرفة كبيرة ذات أربع واجهات في  
 كل واجهة منها نافذة ويصعد اليه ثلاث درجات وكان ملا بشيء  
 من علم الفلك وبأكثر منه من السحر الأبيض وكان ملعرا في  
 الأبناء يستقبل الحوادث مستندا في ذلك على ما فيها من الارتباط

وعلى ما يستتج منها . فانه لما وصل الى مصر عاندا من الجهد  
البرطانية عطروها بالقيم الزمهر لم يترك منه شي ارتسدت  
فراصد وقال لرفاقه . « أرى مصائب كثيرة على وشك ان تنزل  
بنا وسأضطر ان مفارقتكم أرسين يوما » ولقد تحققت هذه  
الكثرة بشطريها . وإن لنا أن نسمي هذه الحجة بما نشاء كبريائنا  
ان نسميه « ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي ان الفعل  
البشرى لا يسه الا الامتنان بالمعزة نجاء ما يوق القدر به  
من الموارث البينة في الشاب على الصاعدة والبراف

وكان بقي بك على حجة طين من الاخلاق العامة لاذ كان  
بصيرا بالامور نشيطا في العمل . ومع هجرة القاصح في التثبون  
الادارية كان بلا شك جنديا بين البطولة وكان كرميا الى حد  
الافراط في السرف لاذ كان يكره السلوة وللمأكلة وما رأى  
قط صلوا ولا بما كمال بل كان يدمع ما يطلب منه نفسه بلا  
بحث ولا تدقيق وكان شموفا بالدم والاستفادة به فكان لهذا  
السبب يجرى ذوى القهر والطبعي لقضاء الوقت في محلاتهم .  
والخلاصة ان حياته كانت تكتفئ في ثلاثة مقاصد لم يترك من  
حبها ولتشتت بها أسعد وهي : النساء والكتب والأسلحة  
يحب محمد الألفي الى مراد بك صغيرا بألف أودب من

الجميع ولها مسمى بالآلهي . ولقد ترقى كتمانك لك للبرديسي الى  
أسس الوظائف وتال الخطوة بعد استاذة مراد بك وحارب  
الفرسيين في واحة الأهرام ثم انسحب الى الصعيد مع  
ساعات الثوب محمدًا عبدًا مساعدة لاشك في أهميتها بأنها  
استطقت من ميدان الكناس في الاستتار بالحكم في مصر  
الطبعين الوحيدين القديرين على منزلة فيه . وكان محمد على  
يتمس الراحة والثوم في ميوانه القريب من الجيزة حينما وصل  
أحد مرابى المتأذى يشتره بوفاء الآلهي وما استقر هذا الثبأ في  
سمه حتى أمر بشهر بجائرة حصة أكياس . ولم يبق من زعماء  
المالك أمامه سوى اربعين ملك إلا أن طوره في السن لم يكن  
ليجبل له أملاً في القور بقوته ولا رغبة في العودة الى ميدان  
الفضال ، ومع أن شامه كان من قبل متصراً على إمداد الشبان  
من الوعاء بمسانحه وخبرته . وكانت أمانه تصرفه من جهة أخرى  
الى امر واحد وهو قضاء الديانة القالية من مرء في ظلال الراحة  
بين الأهل والأقرب غير انه كان لا يزال يوجد قائد آخر من  
المالك ألا وهو شاعين بك . لمدى القى كانت تزعم منذ قد  
الامارة على بيت الآلهي قوة مؤلفة من ٨٠٠ مملوك من القربان  
كامل البدن و ٨٠٠ من المشاة الأتراك والحويين وعشرة مدافع

وكان يصحبه حيث سار قطمان من لاشية مؤلفة من ستة آلاف  
 رجل وأربعين ألف رأس من الغنم . ومن كان مثله في هذا الحشد  
 العظيم من الخود والأتباع والمؤن قدبر على دفع قتلات لشديدة  
 ومقاومة الحلات العنيفة . ولكنه لم يكن ملأ كحصه بالقتون  
 العسكرية ولا قدبرا على التزام عسكري ملازمة لنظام والطاعة  
 ورعاية الجدة والواجب . وكان لا ينفى يوم إلا ومر به بعض  
 الجنود لينضموا إلى عسكري التوالى والزم من هذا الاشتقاق  
 كان جلعين لا يكف من تكرار الجملة الآتية لن حوله . « قد  
 تولى أنتى بك وسيرف أجاؤه كيف ينصرفون له ويحكمون  
 السيف في دغلب اعدائه » . وقد رأى محمد على الفرصة سانحة  
 لسل سيطه فأمر الدلاة بالتجهز للقتال وجعل من جيوش عابدين  
 بك وعمر بك جيشا واحدا وشحن . « غارب بالامتعة والمؤن  
 ولكنه فوجى . أثناء ذلك بمرض أوجب التعلق على حياته حتى  
 تهاقت للشائع على عيادته ثم تحسنت صحته بالتدريج إلى أن أبلى  
 وكان الطبيب السير يوزلوى بإجله . وفي القيروان الأولين من  
 قلعه اشتغل برتب المالية واطل إدارة شؤون الولاية إلى  
 كينياء بطبر لوطر . وفي ذوالحجة المرافق ١٨ فبراير تحرك  
 في جيش مؤلف من ٣٠٠٠ رجل و ٣٠٠٠ مفرس وخصم ستة



دوارق مسلحة لحية القوارب الخاصة للمؤر والدخائر  
وعلم شاهين بك بهذه التحيزات فبأنه أمرها وقل إلى جميع  
سليان بك بضواحي النيا وكان الزوال قد تمكن من سيطرة الفرنسيين  
السككوتين بحراسة هذا المعسكر إلى حربه فالتفتوا معه على ادخله في  
ألف من حرساته إلى معسكر الهالك وميام وقد دخلوه فاعدوا  
بصريون بالسيف من اندكروم من الهالك وميتوا على القارب  
سهم بالمطابقة الشديدة حتى مدت خسارتهم ٣٠٠ رجل مع جميع  
المدافع وأعلنت هذه المطابقة لأهل القاهرة باطلاق المدافع من  
القلعة وكانت الاخبار تتواتر في الايام السابعة بما لا يرتاح له أحد  
من شيوخ ناز الحرب بين الدولة العلية وبريطانيا العظمى ومملكة  
السفير الانجليزي صداف القصور ولعكن وكلاء فجهلوا  
السياسيين بالاسكندرية ودمياط ورشيد بقوا في مراكزهم  
فلم يستجروا من ذلك ان اسطولاً أوروبياً سوف يصل إلى القنطر  
للمصري فأخذت الحكومة الأعبة لثقائه بشيخ الخديوات  
الأكثروا من غيرها ترموا القنطر وتخصين القنطرة ولدت  
الجنود يمشطرون وموله لقتاله

## الباب السادس

### الحركة الانكليزية في مصر

١٨٠٢

في الساعة السابعة من صبيحة ٧ محرم ١٢٢٢ الموافق ١٧ مارس ١٨٠٢ وصلت الى الاسكندرية فرقة انكليزية مؤلفة من ٢٥ سفينة تحبث أسيرالها (لويس) بلانما الى القناصلهم لين يكسأكم القنر بسأله احتلاله لحاجته من غارة جديدة عزم القرضيون على القيام بها قريبا . و من مساء ذلك اليوم نزل الى البحر في مريوط ١٥٠٠ جندي انكليزي جلبوا من (سيته) بقيادة الجنرال (فرز) وفي اليوم التالي زحف هذا الجيش حتى بلغ الى المدينة فسكر تحت أسوارها . وكان حين يكسأكمها اللزمت اللذ كورد استهله الانكباز اليهم بالاصفر الركان قاباح لهم الحصول فيها فاستولوا عليها في ٢١ مارس وكانت مدينة الاسكندرية مؤلفة من ٣٠٠ جندي اعتبرهم الانجليز لسرى حرب وأرسلوهم الي مائطه مستقلين أما أميين الخائن فقد حرم من بالحسنى ممن

انتفروا دمه بشي محس درلهم مملودات وطلب السيو درويش  
 محس قسمل فرما خلال الخابرات التي دارت بين الانجليز  
 والذين آتوا بإلحة السفر له اني ملاه لسكيلا بنق أسيرا في أيدي  
 البرطانيين فرخص ملك ثنية العسر الذي يمكن ان يسيء به الى  
 السياسة الانجليزية اذا اطلق من كل قيد عند التية على ان  
 لا يكثر هذا الرضى وكان بالاسكندرية على وجه العاداة  
 ١٥ محرم فرسيا مسلمين بالتدارات فيمد ان منطروا حراس  
 أحد ابواب المدينة الى قنصه تهديدا بالسلاح انطلقوا منه قاصدين  
 الى رشيد

وفي ٢٧ مارس أوامر القائد الانجليزي. لجبرال (واكوب) الى  
 أحد ضباطه بالروح في جيش مؤلف من ٢٠٠٠ جندي على ثمر  
 رشيد واحتلاله ليستطيع بذلك امداد الجيش بما يلزمه من التزوي  
 تقرب لقاد القدر ٥٠٠ منه منها حتى اوشكت المجاعة تفتش  
 أطفالها في الجنود.

وفي ٢٩ مارس احتل الجيش رشيد بلا مقاومة وغرره لأماني  
 على انه قد أصبح للتصرف في شؤونها والتحكم في أمرها وكانت  
 الجنود قد أعيابها المراقبين وأمنها نصب السير على الرمال  
 المتحركة لما كانوا يصلون الى المدينة حتى انتفروا في طرقاتها

وتجروا من سلاهم ليتسروا الراحة بالجلوس أو النوم في اعصابها  
وتوقع على ذلك حاكم كثير هذا الامر فلكي يمت الشعاع في رجليه  
ويرأسهم من الطمع في النجاة نقل السجين والقوارب الراسية على  
سواحل رشيد الى الضفة المقابلة لها من النهر ثم استندى عساكره  
من أثراك واورزود ، وكثروا متعززين في منازل الؤوسم الاختباء  
فيها منذ أول النهار فأومهم بنشأتها وسطوحها وبأفلاكها ثم سار  
بشرقة صغيرة يروى الطرفات لم تمض لحظة حتى سمعت طلقات  
البنادق في كل مكان مصوبة نحو الانجليز التائبين فدا استيقظوا  
من مناسهم كان أول مهم القرار لابلون على نهي يوسف الجنرال  
وأكوب على الارض معاً برصاصين ولو أن الاتراك لم يقصروا  
عنهم كلها في تلك اليوم على قطع رؤوس القتل ولعنوا أثر الفارس  
منهم لما نجا منهم أحد او وصل الى الاسكندرية لينقل الى القائد العام  
بحر الكلاية واصيرت أودطة المشاة للبريطانيين بحسائر فادحة  
وكان من بين ضابطي القين كتلوا به جرو الفرسيين مثل (دوتو)  
(دي لايت) و (دي سومرستور) و (دولفيل) و (و سان  
جوز) و (لومر) وخسر الانجليز فيها عدد الرجال مئتين متبادا  
ومدح هاون وألمسة وليمه فاحر كان تفصل الجبل في رشيد  
قد أعدوا احتفاء بضباط أركان الحرب كعظم بها عساكر الحامية

الطائرة متدفقة وسر من الانجليز ١٢ سيقوا الى القاهرة في القلوب وشحت منهم رؤوس تسعين من رملاتهم القتلى ووصت عند وصولها بأطراف الحراب وليف بها في الشوارع للآلة بيدان الازبكية على صدين متآزرين

وتكان محمد على لا يزال يضيق الخناق على البابك في الوجه القليل فاستول على اسبوطه مركة فامسك بالقرب من (متقيان) قل بها ثلاثة أمراء وأربعة كنان وخمسة عشر فارساً ووصلت اليه في الاثناء فصاد على الحصان فاعبروه بما شرع به الجيش الانجليزى من فتح البلاد غار البابك من فوره في الصلح على أن يخل مطالبهم جميعاً بشرط التخليص منه على حد غلوة الانجليز من مصر والترح أن يكوب توقيع هذه الماعدة بالقاهرة في حضرة الشيوخ والقو حاقية وأعيان البلاد فخدم البابك على القصة اليسرى حتى بلغوا الجيرة وتقدم البابا على الصفة التي محاذيا لهم فلما كان منهل من المواقف ١٠ أفريل وصل البابا الى القلعة في منتصف الساعة الثانية عشرة وما اعتشر غير وصوله اليها حتى اعتد السكان ودب في حشودهم الحاس وطلبوا الى القلاء والشيوخ التوسط لهم فيه فيمروهم لمخارطة عند الانجليز فخطبوه في هذا الشأن فقال :

— أرى أشكر لاهل القنطرة الكرماء هذه النسيبة العنق  
وأكرى عندي من السأكركم تشجيان العدد الكليل بالانكصار  
وحسبهم وكفى ما يقدمونه من الاموال والاعانات  
على أن عمدا عليا لم يلبث أن استخدمهم في تحصين المدينة  
ورم الاسوار ونمى الاستحكامات التي كان قد شادها الفرنسيون  
واخالها من قلعة (كامير) الى بولاق ثم بنى حصين جديرا بالمناقع  
الصخرة لوقاية القنطرة المرمية أكثر من غيرها لمجاهات العدو  
وتصببت بطرقات المناقع على وجه الماء بواسطة جسر أظنه من  
صنق القهر من قلوب أمراء فيه عمدا وثبتت في مكانها بقوائم  
خشب عمودت في الحاج. وكان السير درويشي بعد المسلمين على إعداد  
وسائل المطاع بصانعه النافذة ويشاوركم في انجازها على أوفى وجه  
لصد هجمات الغديرين وكان يرفق الباشا في جولاته الاستطلاعية  
ويستلمهم هم الرؤساء والزعماء الذين هم مرام ورميهم الأكبر  
السيد عمر مكرم كيف يستنبطون الحية وواطون النمرة القوطية  
في القفوس ويثبون الجرأة والاندام في القلوب وجعلت الحيوش  
كلها تحت قيادة كبحيا بك فلما أمرت بالتأهب للقتال فجه منها  
١٥٠٠ راجل و ١٥٠٠ فارس جنوب متوقف حيث اقتسموا شطرين  
بمر اعداهما القهر ثم استأقما السير اعداهما على إحدى القنطرتين

والثاني على الأخرى

وكان القائد العام مرتزو يتلقى شوقا إلى الأخذ بتأديتي  
 وشيد فأقعد إليها حمة ثانية بقيادة الجنرال ( ستور ) مؤلفة من  
 ١٠٠٠ جندي وممثلة بستة مدافع ومدفعي هاون وحاصرها  
 حصارا شديداً وعلى بطنى التنايل عليها فلما كان اليوم الثالث  
 عشر من هذا الحصار لاح لناظرين على مسافة سبعة أو ثمانية  
 كيلو مترات جيش حسن باشا بالقرب من قرية ( الحاد ) التي  
 كان للجير ( هوجلند ) على رأس حاميةها وما أخذ هذا الجيش  
 يدنو منها حتى هجمت فصيلة من مشاهد ومرسانه على تلك الحامية  
 التي كانت مؤلفة من طواير من بومطة ( دول ) الحرمانية قصد  
 أخذ هذه الطواير المهاجرين والتمنى أنهم وأمن في مطاوعتهم  
 إيماناً كان شراً عليه ووبالاً لأنه كان قد ابتعد كثيراً عن معسكره  
 صان حسن باشا لمسايقته وتشديد الخناق عليه كوكبة من  
 الفرسان تلت عشرين وأسرت حمة عشر من رجاله

وكان كبحاً يلكى برينال مترودا بين الزحف على وشيد  
 أو الاشتراك في الهجوم على حاد فلما شهد رؤوس العشرة  
 قبلاً أنجليزياً رأى الذين فصل الأصنام إلى حسن باشا ليشد  
 أزره ويشاطره مجد الاتصاف فلما جن الليل انحار النهار ولم

تطلع الشمس حتى كان جيشه قد انضم إلى جيش حسن باشا  
وكان للجير فوجسند قد طلب الأمداد من الجير إلى ستيوارت  
فأمر هذا الكولونيل مكلود بالذهاب إلى هذه النقطة في طلبورن  
من الأورطة الثامنة والسبعين الأفرسية وثلاثة طواير من  
الأورطة الثامنة والثلاثين الإنجليزية. فلما سكنت الساعة  
الحادية من صبيحة ٢٢ أبريل ورأى ذلك الضابط أن قوات  
الاعداء تتحرك نحوهم خشي التميز عن مساوئهم فتقدم من  
مركزه. إلا أن فرسان الأتراك انقضوا على ميمنة لشبنا من  
الانضمام اليه، على أن هذا الانضمام كان متوقفاً لانقسام جنود  
تلك الميمنة إلى ثلاث فرق متباعدة بعضها من بعض فأن تلك  
جنود الذين كان يتقدم الجير (مور) في الطليعة تلاشوا عن  
أعرجهم ووقع حروبهم خاصة من وجهة أخرى في أيدي الأتراك.  
أما الكولونيل مكلود الذي كان يشغل القلب فقد أمد من ثلاثة  
إيفوس الذين كانوا تحت قيادته فبادرته فطرت الأتراك إلى الاعتناء  
بالأكام والروابي الخفية. غير أن المشاة الألبانيين مجلوا بالهجوم  
على الضابط البريطاني في الوقت الذي كان على وشك الانضمام  
ليه إلى الجير فوجسند وكان الكولونيل مكلود قد قتل جرحه  
من تحت فسقط ميتهم الجمجمة فتولى الكتابي (حاكي) القيادة



مكة ورنب حيثه الصغير الذي كانت تحصد باطنه البدو شيئا  
 خشباً حيث طاور حلول ان يخرق به السافة التي كانت يتعرون  
 الجنود الاحتياطية وهي بقدر ريس المدفع مرتين متاكلا بالحواب  
 ولكن الأتراك أبدوا بسيرتهم بتأذي الألبانيين بحيث انس  
 الكائن ما كي لما أدرك المؤخرة نظر حولهم يجد من عساكره  
 سوى سبعة فقط وكان للبحر فوج مستعدة نظم الطواير الألمانية  
 الحية التي عدانية بقيادتها على هيئة قلعة في لوس غير مهيأة  
 تحيط بها كتبان الرمل ونرت فلما هاجمه الأتراك قاوم مقاومة  
 عظيمة كل فيها صف عساكره جيش من النجاة ولما آل التقسيم  
 وبلغ غير الكلاية الى الجزائر استوارت وكان لا بأس من  
 نفسه القنطرة على الصحاح عدواً يظن حاسة لا يتلاءم على التفوق  
 في العدد وقته بالنجاح فأخلف مدافعه الكبيرة وأحرق ما بقي  
 منه من الذخائر والامعة ثم أمر في الساعة العاشرة بالانسحاب  
 العام واكتفى من شاهد الأتراك والألبانيين ذلك انطلقوا مع  
 ٤٠٠٠ من العربان والقلاحيين بطاردون الجيش البريطاني على أن  
 هذا الجيش كان من آن الى آن يدافع عن حصه بلندفع الرشاش  
 فأكرم الثرائم المملوكة له بالعودة الى حدة الحاد حيث معسكر  
 السكيبا الذي لم يلبث ان جرد تسماس جنوده لمطاردة الأنجليز

وكان الجبل استهوار عند بلع الى بحيرة يادكو في الوقت الذي  
 لاحت له فيه الحدود الطارئة قرب جبهته ثلاث مرات للقتال  
 عند الاتراك ثم استأنف السير لئلا يدون أن يثبته أحد . فلما  
 وصل الى البر غير ازل جنوده في السفن وسافر الى الاسكندرية  
 أما أسرى الانجليز فقد أقي بهم في القوارب مكبلين  
 وأرسلوا الى القاهرة وكانت أعظم مصابا يبرح ثلثة ولم  
 يسفروا اناء سفرهم بهلاج مالد لم يكن القوس اقي انهم طبعهم  
 ثم إلا ريانة آلاهم . وكان التسب والمطاجة قد اعتفا عوام وذاد  
 في آلاهم لشدة الحررة واصابة اكثرهم بالحيات وبعد ان  
 قصروا حسة أيام في هذه الحالة ساروا من بولاق الى القاهرة  
 حتى متى لا يقتلون خدمهم إلا بناء عظيم وكانوا في كل لحظة  
 يأتون شيكا من الامواتات الجبر ليقيموا بها ودم لويجهز طبعهم  
 تقصا من ألم العطش والجوع . وقد أركبوا الباجرن بالرة عن  
 السير على الجبر وحلوا رذوس القتل بأطراف الزمان ودخل هذا  
 الوكب الحزن القاهرة ظهر يوم ٢٠ صفر الموافق ٢٩ ابريل وكان  
 الاعداء عاسة قد تسلوا من كل صبح وحذب ودفنوا مترجين  
 متلاحين في الطرقات لصا مر أماتهم الأسرى أغلوا يلقونهم  
 بصنوف القناسم القامضة وبلونوناً يبعهم ما كان يبل من دماهم

على الطريق . وكان النظر ينظر القتل وقت الكيد ووجوب  
الأسف وى ميدان الارضية مر الأسرى بين صفين من جانحين  
الناس كانوا يحصلون بأطراف رماحهم وذؤوس القتل وقتلة وشيد  
ظما وصعدوا الى القلعة وصعدوا في غرف وطبة لغير ملائمة للصحة  
واسمى عندهم قلعا بهم لا يفلتون عن ١٦٦ عدد

والقد عرفوا بها بعد ساعة تخالف على خط مستقيم معلومهم  
السابقة . فان عمدا عليا لما جيل عليه من الكرم والشفقة أراد  
ان يرضى عليهم ما أسأهم من ليرة للساكر وثباته الاهين  
من بأسر الجرحى وأجابه الى مطالبهم وحقق أمنائهم وجعل  
لكل من اليهم مرور والبحر فوجلبت مكنيا لآلاته بالقلعة  
ملائمة لمكانه ومقامه . وحصل بعض المرضى على الأذن لهم  
بالإقامة في القاهرة عند بعض الفرنسيين الذين أكرموا متواضع  
وأحاطهم بصروف العناية والرعاية واعتم قصصا بالبحث عن  
الجرحى والأقوية اللازمة لئلاهم وأخذ من عند الأوروبيين  
والمستشفيات القدموم والقياب لسكرتهم وكان يطلو عليهم  
كل يوم متفقا أحمر الدم وكتب القائد العام الجنرال فرزد الى  
الإيضا بومبيه بأبناء جلده خيرا وأرسل مع هذه الترقية  
آلات للجراحة وكانت القاهرة في ذلك الوقت خالية منها وأسر

انصراف الانجليزى بأن يدفع كل تحويل يسجه الصباط لاختداء  
 أنفسهم من الأسر . ولعل عطشه هذا على جنوده سيضعف أمام  
 التلويح مشرقة التي نشأت من اغلامه و تدبير خطط القتال  
 وكان أحد البكباشية الالبانيين أسر صابطا انجليزيا فأصبح  
 بحكم الماداة العسكرية مملوكا له وكان البكباشى يشدد عليه المراقبة  
 وحضائه فكيف لا يفلت من يده طامع اللطوك خرج هذا المركز  
 الخمس التجاء بحيلة أحكم تدبيرها فقد قال يوما للمولاء إن معي  
 مفتحة بألف لوش إساقى تبيح له لبعضها من القنصل الفرنسي  
 فأخذ الألبانى هذه الورقة الثابتة ودفع مع الأسير مملوكا الى  
 الرالى ورجاه منه التوسط لديه حتى يدفع القيمة فظاير محمد على بشما  
 للوسير درويش فى الأمر فأجابه بأن المفتحة مزورة وإن الشاهد  
 أراد بها التماس من ورقة الأسر وقل الاستبعاد فتأثر الرالى  
 لهذه الحكاية والتقى الأسير على من عنده وأعطى رقيقته

وكانت أعمال القنصاع بالخاصة وضواحيها لا تزال مستورة  
 لمقر خندق واسع حيق حول الحصون وأحيطت هذه بالأسوار  
 وحفر خندق آخر حول الاستحكامات وجعل متصلا بالنهر  
 ليسهل عليه جرد الماء اليه عند سويس الحاجة وكانت الاهال  
 يخرجون سببا لمقر الأرض وتقل الاسباب ومقدم الرالى

من آن الى آخر وجمت الخيل احتياطا ودمت أسوار ديشيد  
 وقلعة جوليان . ولم يفكر فريرز بعد أن مره من القتل والياس  
 ما مره بسبب الكلائين اللتين نزلتا بمنوته جدا كما في حمل  
 تدبير القتال ، مكشفا بتحصين الاسكندرية التي كان الهر  
 يحميها من جهة واليه الذي طلى على الارض طب كسر جسر  
 بحجة مروجط وفصل بين القنر وأراس القنر للصري من  
 جهة أخرى

وكان المالك الذي أرسل اليهم البجر (مست) قتل  
 جنرال انجلترا في اليوم الرابع لوصول الحجة الانجليزية الى القنر  
 الاسكندري رسلا يطهرون إيمانهم على قتال محمد على بشاي  
 في مقابل تسليم زمام الحكم على مصر للحكومة الوحيدة التي  
 يستند الانجليز عليها في تحقيق آمالهم . لهذا لم يكند الانجليز  
 يستولون على الاسكندرية حتى أرسلوا اليهم ذلك القتل على  
 يد مستخدم الذي نصحه بالصور الى دمنهور وودعهم فيها ذكر  
 من الوجود تمزجهم ببعض كبير على وشك الوصول من لشجرا  
 وذكرهم في الآن نفسه باليهود التي قطبها محمد بك الأتقي على  
 نفسه ولكن المالك لم يساهرا الى إجابة هذه المطالب  
 وكان محمد بك للشرخ وكثير من صحبوا أمراته لانيهون كيف

استطاع الأتراك دفع الأوربيين وقهرهم على التوجه لتقديم ولديهم  
 كانوا يرددون أن عمداً يد المساعدة إليهم ولكنهم لم يستطيعوا  
 ذلك لما شجر بينهم من الشقاق الذي يتولد منه توحيد الأكراد  
 الحرة في المارك للتنظية أمثال ما تقدم أنهم كانوا يخشون  
 بأس محمد علي باشا الذي ما تحك منذ صالطهم عن وصيهم يوسف  
 الأصدقاء والمخاض ودهرتهم إلى الاقتراب من القاهرة وسكانيتهم  
 بواسطة الشائخ يهتفهم بيوهم السلية التي أوجبت لهم احترام  
 مواطنيهم فظنوا يرضون إليه الكشوف لتقديم معروض احترامهم  
 وخالص ولائهم وصدق نزوعهم إلى التوثام والاتفاق

ولست فعل القزاق بين رعايا القياك بعد ذلك واضطرب  
 حيلهم فخرقوا أيدي صبا عديب فريق منهم إلى بني سويح  
 وعرض إلى الصيد والصيد فلما رأى محمد علي باشا أنه لا مخرج له  
 من الحكم بتخاذله وأهم لزوما الجبال حباله وأن ولادة قتال  
 والقوة بحسب ما من الدلاء تمرر القوت احترام الزحف بنفسه  
 قتال الأنجليز بدمهور فارس في السفن متدبر هائلة من السفن  
 والذائع ثم تحرك بجيشه فذكر بالباب حيث احتج عليه . ١٠٠٠ رجل  
 و ١٠٠٠ فارس وعقد الطبول أوغلو وعمر بك وعابدين بك على قيادة  
 فرق هذا الجيش تحت إمرة البلية ، ولكنه ما كاد يتم هذه التعدادات

حتى جاءه أحد ضباط أركان حرب الجزائر فرزق يحصل رسالة  
تتضمن اقتراحاً بمقد اتفاق بينهما أساسه الخلاص الاسكندرية  
لان الحكومة الانجليزية أمرته بمناورة القطر المصري على الحدود  
وكانت هذه الحكومة لادمة من التوقيع على معاهدة (تليت)  
فأصبحت في حاجة بذلك الى حشد القسم الأوق من جيوشها  
في جبهة متخيلة لتستغل اليأس لليهود البريطانيين بمظاهر الاحتفاء  
والشكرم وقال له إنه كان على وشك الزحف على دمشق  
وسينترك اليها صلاته ما واقعاً بحث في الاقتراح التقدم اليه  
من قائد الجنود الانجليزية ثم أتاب محمد علي عنه في الولاية محمد  
أغا لاط بدلا من طبرز أو غلور و محمد آغا لاط هذا هو القديس الحق  
ابراهيم بكري أبناء الوالي الى الاسكندرية ليصع نفسه وعنايته  
نظان بلشا على الرعاء بالمعهد لثني قطعه ابوء على نفسه

وفي هذه المدينة التي بالجزائر ( شربروك ) المنسوب  
المساومات من قبل الجزائر فرزق فأذا بهذا يشترط في الخلاص  
الاسكندرية تسليم الاسرى اليه ، فوضي لبلشا بهذا الشرط من  
غير تردد وأعدى الجزائر شربروك كركا من السعد وحاولاً  
كرها كما اعدى الى من سمن الضباط سيرة قيمة ثم أمر بتحميل  
جميع الاسرى من القاهرة الى رشيد ١٠ وفي ١١ وجب للوالق ١٤

سحبهم إلى الاسطول الإنجليزي من المياه القديمة وحملوا القوارب  
من دمهور في أنفي وجبل وأملوا القربى طول الليل . وفي الصباح  
نصب حياض بمواضع بحيرة المدينة حيث أقبل الكوثر أميرال  
( خالول ) وكان هذا القائد البحري الذي استلم قيادة الاسطول  
منذ تولى الأميرال لويس ماطي المدينة واحتفظ بجيشه لتدفع في  
أنجلترا بعد أن وصلها في برميل مملوء شراب الروم ينتظرونه في  
زورق . ثم استأجف محمد علي سيرة حيثما إلى الاسكندرية لموصل  
ليها في ١٥ سبتمبر وكان مترياً أصورها طيور أو فلول . واغضم محمد  
علي مرمة وجروء . ذلك المنظر المبهمة بتوطيد شركته فيه لأنه  
لمنع موقع حرب في مصر بل هو إليها الحربي الوحيد وما استغفر  
به التمام فيه حتى وفد عليه القناصل والقواد والشيوخ والعيان  
لتبجار السلام عليه وتفرغ لتنظيم القراسة ( دار المناعة ) حيث  
كانت تصنع أدوات المدفعية وراجع سجلات الجوارك وأوفد إلى  
القاهرة مصطفى أغا الكوثرى لأخبار اليونان بالسحاب الجنود  
الانجليزية وأرسل الباب العالي إلى محمد علي باشا على أثر هذا  
الجللاء خلا من السور وسيدا مرصداً شاموا رخاء جلالة السلطان  
عنه وتهنئته له بنوزه الباهر وخلا أخرى وهذا برسم كل من  
حسن باشا وملاحر باشا وعابدين بك وممر بك وصالح كوش



على أن أهل مكهاة وأجلها وأعظمها ولسا في مصر محمد علي هي  
التي حظي بها يوم ٢٣ رجب الموافق ٢٦ سبتمبر ١٨٠٧ إذ سمع  
المدافع تنجي عوده ابنه إبراهيم على القاهرة بعد أن طلى دسارها  
في يد الحكومة الثبائية

ولقد للنسبة تواجد فاصل فرسا والمسا والتبرخ والمطاه  
والايمان لوداع محمد علي بلدا الذي تمرك حيثه غيب ذلك في  
الساعة الخامسة من صبيحة ٧ جمادى الثاني الموافق ١٦ أغسطس  
قلنداً إلى دمنهور

أما الأسطول البريطاني الذي كان يوم جاء إلى الاسكندرية  
ظاهرة عليه علامات الاحتضار مصر والاستهانة بالمرسين فقد  
انصرف رافعا لواء الخرى والحبل ولعلما كان القنصل البريطاني  
يتهدد محمد علي بقرب وصول هذا الأسطول القوي فكان  
يكتفي في الجواب عليه بقوله « لست أحتشأ أحد » ولك أن تخبر  
الأوروبيين من لمرك بأنني في انتظار مات القدم قوي الحاش  
وحت حصل السؤا من أي هرقين أبدي الشجاعة  
والانكدام والجواب عليه أن الميوس البريطاني أقام هليل القاطع  
على شجاعة ولكن سوء تدبير رؤسائه عرصة مرتين القتل  
والحرقة على يد فرقة واحدة من جيش غير مستظم وإن الانجليز

ملكوا الاسكندرية زمناً فلم يصادروا خلال احتلالهم المملوكات  
الحليفة والشؤون القومية ولهذا لم تنطلق السنة الاهلبي من عدم  
بشتم أولس وظلت تمارة السليبي حلقطة حريتها لا يمارسها  
أحد وان انهجرا حولت فيها حوكه ساكسة الاحتلال الفرنسي  
ومعارضته لمحتل مثل الناس نتيجة كالتى حصل الفرنسيون  
عليها ولكن قتل مشروعيها القى رامت ه إيصال التاميز بالفتح  
عن طريق القيل أظهر تملأ غرباً وشرقاً حقوق سلاصنا على سلاح  
غيرنا وجعل الحركة الصنيرة التي قام الانجليز بها جديدة بأن نسي  
بعد الرواية التي منها الفرنسيون بالنصل للمنطق



## البلد السابع الواقع الأهلية الأخيرة

١٨١٦ ١٨١٦

كسب الترميز والفلاحون من المنصور الى السوق بالمحلات  
التدائية كما ذكروا ولم يصل الى الاسكندرية مد قطع الدماء  
التي تملأ به الصهاريج فلما شئت الواردات ونقصت في الاوقاف  
طعم ماء الآطراف استقامت حامية هذا النهر وسميت باستيائها حامية  
القاهرة فالتفت بها وبنات الاباويون منهم بالمحاصرة في التمر  
والخيار والحيث الى حد أنهم كانوا يطردون السكان من منازلهم  
ويحفظون النساء من الطرقات وانتهت ابناء هذه الحوادث الى  
عم القلعة فغادر الاسكندرية في ١٥ شعبان الموافق ١٨ أكتوبر  
شعباً طريق البر - وعند القصد أولاً الى رشيد بصحبه حسن باشا  
ومضى شباط الجيش وفرواده حيث أقام بمع ساعات أمرى  
خلالها بإنشاء سياج المدينة ثم سافر عمراً وكانت الرياح مواتقة  
صاروا لاجت سراً سهلاً سريعاً فلما وصلت الى واديان حيث

عاشقة فقتلها ثم يأبه محمد علي باشا لهذا الحادث بل يحبط تحمسه  
لقبات والجلد وصاح بالثوبية ان يمتسوا باتخاذ رجل حاشيته ذبوع  
ثم ألقى نفسه في النيل فوصل الى الضفة الأخرى سباحة .  
وحدث بعد وصوله الى القاهرة ثأان ضر حاله وكما به فاعتبر هذا  
الحادث مع حادث الفتحة فألا سبنا نظير منه وتوقع بسبه  
الحوادث المكثرة

وفي ٢٦ شبان للرواق ١٥ أكتوبر وصل الى القاهرة فدخل  
داره التي بالأركنية فقامت عليها الشيوخ والأعيان السلام عليه  
وتبشته بتيجة الخلا إلا لهم شكوا اليه حيث الألبانيين والفران  
ولم يستصروا إلقاء حبيهم على التناوب فخطر الى هدم الشكوى  
بين السطع وشدد على الوكلاء بحسب النظام الأمن في مداومة  
التيقظ وتسيير السير قبل هار وآل على نمة القيام بهذه المهمة  
فكان يفتقر أحياء المدينة على اختلاطها وانفق انه كان مارا ذات  
مساء انام نسوة برقص في الطريق وحولهن بعض البطاركة  
ينسلون بالنظر اليهن فبلغ من وقاحتهم أن حيدته دق الساجات  
وقا شديدا فأجاب بعض الحرس مسمين وتوبيهن الى ما يجب من  
الاحترام والتنظيم لول الأمر . وكان بعض الجند يشتمون برأى  
الحرس من سطح أخذ المنازل فلباس سكنت الرصاصات إذعانا

لأمر الحراس ساء هؤلاء أن يقتل عليهم فأطلق أحدهم حيارى  
ثلاثين قتل بها جواد أحد الصباط فأكاد الخيال يرى هذا القتل  
حتى أمر بأحراق كبيت بمن فيه ولكن كبير أولئك النساكر  
وإنما منه ملتصا الطر واستدرا عن رجله لئلا ما أتوه من ذمير القتل  
إنما هو لأهم فقدوا الصواب بما شربوه من السكرات صفا منهم  
ساحبا أمره بأحراقهم

وكان عشرة آلاف جندى أى الجيش كله تقريباً موجوداً  
بالخاصة والحق والقدس يسريون بينهم سرعان النار في الحميم  
فما كان الخنافس من توفير طلب الاتانيون أن يدفع اليهم مؤخر  
مرتبهم فأبى فوقفوا صفوا أمام السراى وأطلقوا الرصاص عليها  
فأمر الخيال بأن لا يقابل عملهم بالمثل فأنصرفوا وحيد انصرافهم  
تقدم الخيالة وحملوا منهم ظهر محمد على بعدد القوة بالقوة قتل  
أربعة من الهاجوى وجرح سبعة أو ثمانية وتراجع لياقون ولكن  
تأهبوا للأخذ بدار اغواتهم وشاع في المدينة هذا الخبر فأطلق  
لتجار الاسواق والحوانيت وساد الرعب والانزعاج لليل كله  
وفي اليوم الثاني أحسن محمد على بأنه يقصه وسائل الدفاع  
في سرايه فانتقل إلى القلعة بخزائمه تحت مرافقة اليكاهلقرسيين  
بقيادة محمد الله وبروتم ليرسل غلزانده إلى السراى للهجرة

لاحصل ما فيها من الآكاث والرياش فوجدنا قد نهيت وجرودت  
من موجوداتها ولقد استمر الطرج ثمانية أيام بدون أن يشترك  
فيه أحد من الأهل وحدث خلافا للعادة أن أمك الشيوخ  
والسقاء من الاعتقال برؤية هلال رمضان وكان يوافق أول  
يوهرياته ما لم يلق من الكرم وحول خلف أنوار الانكشاف  
ورجال الضبط لصد الحلال من وراء الحكة كسرية ولم يوافق  
أول الرب والطوائف موكبهم للشاة إذا ما بالصيام وذهب  
الشيوخ إلى التوال مرورا وتكلموا مع في صوف الترهات  
للتأخرة الجند حتى يكفروا عن عيهم وكانت تبلغ ٢٠٠ كيس  
فاتفق معهم على أن يحمل للجلد نصف هذا المبلغ ولزباب الطرف  
واللاك النصف الآخر

ولما توصلت شوكة محمد على باشا التي خضعها هذه الحركة  
التورية عند التية على التخلص من متدري الفتنة لاحتاحتها في  
الاستقبال وكان من اكبر زعماء الثوار ألباني اسمه رجب آغا وهو  
من تولوا قيادة الشاة في جيش ألقى بك فأمر الرالى بنبيه  
وانفذه بجارحة القطر فمضى الأمر فقام محمد على بحسن آغا القيص  
عليه ثقبه وكان رجب آغا يسكن احد الاحياء الباصرة بالقرب  
من باب المرق فاعلم به النافون والتدرون من كل مكان

وناعب لغلوسة حصار منظم فرباً منزه بشكل المصون ودن  
الامداد الكبيرة في الطريق واستند اليها ما جئرس به فلما وصل  
حسن بلشاً أقام مترساً تجاه مدرسه في نفس الطريق ولكن  
يمكن من التقدم الى الأمام قرب المنازل الفاصلة بينهما وأتم  
هذا الفصل مفروفاً بالنهب والسلب لأن الجندى كان في ذلك  
الزمن لا يظاً مكاناً إلا ويختص بخبر ما يجتوبه . وفي اليوم الرابع  
توسط صالح فرح وممر بك لا تحاذر جب من الخطر الذي يهدد  
حياته فذهب به الى بولاق واركب السيفه الى ديباط

وكانت أسباب هذا الحياج مرتبطة بمحادث مما يؤدى اليه  
الاختلاط والاتيك عادة في كثير من الاحوال فانه لما كان اليافذا  
بالاسكندرية ظهر في بها الفصل ورجل اتحل المشيخة والولاة فالتف  
حوله كما يقع غالباً في مثل هذه الاحوال فريق كبير من السذج  
وهنوكى ودعوا اليه وجعلوا طريقته وصلات بهم اليه فحسروا  
حرفها انطام والمصولون لأيوه آلاف الوردون من كل صقع  
لأنهم يركت الشيخ وكانوا جميعاً في عود شديد لأسر أسباب  
للبيشة من سلام وشرب لخطر له أن يولى تنذيرهم والاتفاق  
عليهم ليحوز رسام فاصرف بمرض القرمض والعداوت على أهل  
الانظم زاماً أنه لا يمتق لأحد غيره أخذ حصة من محصه لاسم

وان عليهم منذ الآن فصاعداً الامساك من اعطاء شيء ما  
 لأهل القلعة الذين يجهلون الاموال وينهبون الحاصل . وبعد  
 جاء هذا التمريض بما اراده الله من الكذاب فان الساكن الذي  
 ليظن بهم جاية الاموال خرجوا من الاهل بالخشوة والافس  
 ولم ينجوا شيئاً . وحل للشيخ نجاحه في دعوته على توسيع دائرة عمله  
 ودعا الى كتاب الاحزاب حركه وتوارثت الانباء عليه باستمداد  
 أهل القاهرة لشايعته في طريقته فانطلق اليها مملا النفس بالاماني  
 الكبار ودخلها بتفهمه الطويل والبراهن ونمقن طرف رأسه  
 فزادتوا الاشادات وبحف به مائة وستون من الصعب والانصار  
 وفي أحنائهم عقود الخرز اللون وسار في موكبه هذا الى مسجد  
 الحسين وهو الوحيد من مساجد القاهرة التي يباح للنساء  
 الزيارة فيه يوم السبت فتوجه حلة القرقعات ( القرقعات ) من  
 رجال الحمى الى دار السيد عمر مكرم وأخذوا يقرضون  
 بأسرطهم مرمية ترمي الآذان ثم ملأوا الى المسجد وكان كيخيا  
 الزاوي قائماً مقامه في الحكم يومئذ ثيابه فأمر بأحصال للشيخ  
 سليمان وهو ذلك الثاني . فلما أبلغ الأمر الى شيوخ المسجد أوجوا  
 أن يكون القبض عليه في حرمه فأمر كيخيا على طلبه وشرح  
 أموره يهدمون منزلاً بجأ اليه حلة من أولئك الأنصار وحرمه



بمعهم الرجل على طلب الثمنا بالباس فكان حريرا بأوى إليه طرح  
أسوار القلعة على مقربة من الأمام الشاهي فسل بصحبته ولكنها  
لم تنفذ من أيدي اهلوان الكيخيا إذ قرضوا عليه وجاهدوا به إليه  
ولما مثل أمامه لم تنس غفناه بكلفة فربحه على كدبه ولسان مذهبه  
وبيع فله ثم قال له إنه لو كان عاللا رغبنا لفعل العودة الى  
نهره ووزلول الزراعة ليمش بما يكسبه من كده وعرق جبينه  
وعنه نائب الوالي سد ذلك بالرفق وحسنه الى حد أنه أمر له  
بقارب السفر الى بده وأوقفه بحرس من المساكر ليوصوه الى  
نهره وغطوه من الارض ما يكفيه ليعيش عيشة راضية  
غير انهم ألقوا الشيخ وأصحابه في القبر فمروا إلا واحدا  
مهم جيد للفرقة بالسباحة فاصبح فيلق سلك الى احدى القسطين  
ثم أدكن الى القرار

وحدث من هذا القبيل ان جاءت امرأة تدعى السحر  
والأخذ مع الحب الى مسجد وقالت إن المعصية التي عليها  
لا يسمع صوته إلا في الظلام كأنه آمن من باطن الارض وأنه بعد بده  
الى من شاء بلشها وأنه إذا مدحا كانت كأنها بارزة من جدار الخ  
مفرجة من الخزجيات . ولقد نحدث بقول الكثيرين حتى  
اعتقدوا بها ومهم جراحة من الاوتود ثم حضرت الى القاهرة

فأعدت تختري الطرقات وأكبة فرسا ومن أعجب السجبان الناس  
 كانوا يشقون لما سافروا ألوانا يبلالا لما لو تقدروا الكراماتها وعشى  
 لباسا أن تكون هذه المرأة آلة يد أعداده يعملون صعد في  
 الخفاء بالتأثير في عقول العامة وانقادوا قبلهم فاعلم ان يكشف  
 القناع عن الحقيقة فاستدعى أربعة من مهرة اليهودية ووجد  
 بشرة أكياس من القصب اذا جاءوه بالساعة للزحمة فطلب  
 عندهم حب المال على الخوف من الدابة فاستقصوا من غورم خبرها  
 ونصروا أثرها حتى اعتصموا إليها في بيت لباس آتيا رئيس السبي  
 في يوم غد من الصدوقين ثم جللها لها قدسوا القبط عليها غضب  
 هؤلاء وعصروا بأغراس اليهودية الأربعة من الفلز عائلين ان البيت  
 لينقص اذا است ايديهم للخدمة هذه المرأة الصالحة وكان قتلهم  
 في سعيهم باعنا على انتشار سمعة الساعرة وإقبال الناس عليها من كل  
 الجهات ورأى الرمال أن استغنى أمرها يستغنى الوسائل القاصرة  
 لاقتله ضررها فطلب إليه لباس آتيا وقال له إنه مشتاق لرؤية  
 مائسة المرأة ليحجب مع الجمهور بها فدخلها لباس آتيا إلى ميدان  
 الأريكية قبل القروب وكان لباسا فيه بالقرب من سالية  
 يدعى التارجية تحت شجرة حمير. فلما أتممت المرأة نموه ورجا  
 منها ان تظنه على ما يقوله الجنى ثم ذكر لها انه يحترم الجنى ويرود

تخليها فكانت لمرأة ببيت ابن عمدة الجبل لا تيسر إلا للليل  
والن ليلتي التي تواليه انصرف منه ساعة لي نلقاه المسحبي  
ولا بد من انتظاره حتى يعود فسلأها الرائي وهل يتأخر طويلا  
فأجابته كلاما لم ين تأخر

دارت هذه المصادفة على مسمع جم لمعير من محبي النوروف  
على حقائق الأشياء وكان محمد بن يميل العربية كما كانت عديته  
لا تعرف التركية فكان لسيد برزاري طيبيه الطامس الترجيم  
بينها لأجاده القسرين بدرجة واحدة

عاد الباشا الى سرايه بحف به الآغوات والبكباشية الذين  
كانوا يمتون أنفسهم بمشاهدة معجزاتهم فجلسوا في المنطرة وسعد  
محمد بن الن الحرم حيث تناول بعض الطعام فلما حلت الظلام  
ووصلت الساعة نزل وبيها أمامه وكانت قبل دخوله انه  
قامت بعض نجلها للسرية على مثال أوجب وعنة الماضون  
فلما وقع عليها نظر محمد بن سألها عن الجني هل زاد من الشدة  
المسحبي فأجابت نعم فأمر بأحشاء الانور وكان اسم الجني الشيخ  
على فنادته باسمه وسأله أسئلة فأجاب بصوت أجوف يخيل  
للسامع انه صادر من بعيد . فاستأذنه الباشا في أم يده تجرأ به  
لأبي الشيخ متجنباً إلا انه رضى في آخر الأمر تجاه الطامس ومد

إليه دواحه فأمسك لؤلؤها وصاح باعشار التردد فأذا بالذراع  
ذراع المرأة نفسها وأدرك أسفاً من يكلمون يطوبهم وهي خاسية  
قد يصح للناس عليها انكسعت الخيبة وعادت المرأة خرج مركزها  
سألت الصبح عنها وأخذت تصيح على شدتها « دسيني » يا امرأة  
عليها مسكينة ، وكان الباشا على وشك ان يصطحب عنها ويطلق  
سراحها ولكن بعض الحاضرين غاظهم تخديره ، وقالوا إنه نهجم  
على كرامة الأولياء والمصلحين ويرموا بكلمات الكفر والزنديق  
وما أشبهها فلما رأى الباشا اجتماعهم مناصح بهم قائلاً :

— إنكم لأغبياء وجهلاء ، أو تحبون أن نخدعوا أنفسكم  
بمزج جهلاء وأنصدموا جهلاء وأكاذيبها ، إنكم إذا لا يستطيع أحد  
أن يضحكم بكلمة هؤلاء الأدمياء ، خذوا هذه المرأة واقتروها  
حالا في بحر النيل

فأسمع الحاضرون هذا الأمر الصلوم حتى ازدوا استهياه  
وتلهفوا فأحسنت الباشا عزة الكبرياء وطلق ثم وقف في مكان  
أشرف منه عليهم وقال :

— ماذا تريدون ؟ أريدون ان متشردة كهذه تسخر منكم الى  
النهاية . لقد وردت ان يكون النيل قبراً لها فهي نازلة فيه ولا  
بد ان تنزله فإذا كان النيل الذي تدعيه يستطيع امدادها بماء

عليه ما يند إمرائها إلى وجه الماء فإذا لم يستطع فلا تكون حكاية  
الجنى إلا أكسوبة فاضحة ولعبة مائعة وفي هذه الحالة يجب أن  
تغالب المرأة بقوة من يبرأ على نفس الأمة وحدها  
سورت المرأة في جمع حشيد من الناس إلى شاطئ "ليل  
لنهي جزاء ما رمت من باطل ونفقت من كاذب وكثروا أثناء سيرهم  
خلفها يتحدثون في سرية هذا الحكيم ويصفونه بالنظم وغالى بعضهم  
عوصف الحكيم عليها بالشبيبة فلما وصل الجند إلى الجافة  
التي أتوها فيه ثم انتظروا وانتظروا طويلا ظم يدها الجنى  
إلى وجه الماء.

ومما لا ريب فيه أن الحكيم كان صامدا جدا ولكن كانت  
يسوعه من جهة السياسة أن المرأة التي تستطيع بكسرها ودهشها  
أن تجمع حولها تلك الثمر من الأعران القديرة على استدراجهم  
م وأنظلم إلى ارتكاب الأعمال الفاضلة فكان من الواجب على  
الوالى من باب الاحتياط أن يظهر لإدولته بكل ما من شأنه  
افساد أدهان العامة وسوقهم إلى ارتكاب الشرورات

وبعد أن قضى القضاة البرم على عاتق الحكيم  
الشريطين لم يبق ما يشغل حاكمه سوى تطهير البلاد من كل  
أثر للثيافة وجعل إساية هذا الغرض نصب عينه وأخذ يبدل

في سبيله وسائط الجبله تاوره والثمنه تاوره أخرى صكان من كنانج  
فكان ان تقرب منه بعض المالكه وسهم شاهين بك الذي أحب  
الباشا أن يتوجه اليه ويكسب ثمنه ظهر الخرس والموسيقى والسير  
في موكبهم يوم حضر من مصر القديمة الى القلعة وأعد له في قصر  
طوسون باشا ولحمة طعم ثوانسه أثنى كركي من السمور وأهداء  
الحلبل السمومة والشيلان قنكشجيرية والخناجر الرصعة بالمان  
والجوارى القانتات بمجانين وكان ذلك كله في مقابل هدية اعدلها  
هو في مؤلفه من عشرين جارية سوداء وأربعة آتافات وثلاثين  
جولوا وثمانى لقطار من السكر والبن اشترك فيها مع ابراهيم  
بك ومحمد بك للتفريح وأجاز الباشا لشاهين بك الائمة بالخيزه  
واحتلاك عشر من القرى حولها مع عظيم القبول برته وثلاثين  
غربة من القهسا، فتوارد من بعده السلام على الباشا وتقبل  
أطراف ثوبه تعظيما له جميع الكوكنات من بيت شاهين بك وم  
لحيان ومراد واحد وحسين صاندوا من حضرته عمالين بالهدايا  
الثمينه . وكان سليمان بك اليواب وأرضه من الكشاش واليهب  
نهرهم من المالكه قد شمر موشة المسكر فتواروا تبارا الى  
قصر الرائل وسلموا بانفسهم اليه وأوفد ابراهيم بك بنه مرزوقا  
ليبوب عنه في أدله هذا الواجب قتله محمد علي بكنا ولاية

برجا وذكرنا بما تقدم ان الباشا كان كثير القصر والاسباب من  
 الدلاء فها اسماء ستاة منهم من بين اسماء المساكين الذين يحق  
 لهم تقاضي الرزقات ووجههم من سور جامع قائم الكردى  
 وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٠٢ وصل من الاسكندرية البقية فاصبحي  
 وعلى يده فرمى بالباشا ولاية مصر الى محمد على من السنة التالية  
 وقد قدر لها ان ابنة ابراهيم بك فسلرت الاحوال على أحسن  
 منوال. وكانت كذلك حينما ظهر من بين المماليك زعيم اسمه يس  
 بك كان قد تقلد كسوفية اليوم من القرديسى وأخذ يحارب اخلاء  
 مصر الوسطى فأقاما طلباتنا من مناسى القاهرة بالطاردة العنيفة  
 على يد الابانيين وعرب المخرطبات وواله يس بك نفسه  
 الى شرق المفتح. واتخذ المماليك الذين كان يس بك يستدى عليهم  
 بالسلب والتهب والقتل لغوونه وانضموا في ذلك الى جند الباشا  
 وما زلوا به حتى ضيقوا عليه الخلق فلما بنى من كل سنة ومعه  
 تشارل من اللثاء وهى آخر الللاء التى اعتصم بها، الى غلظت احواله  
 الاولى وجرى به ان القاهرة ثم أرسل منها الى دياطلى ١٨ فبراير  
 سنة ١٨ بجزيرة قبرص

وكانت قبائل البربان مشتقة أيضا بعضها على بعض ودلوت  
 يسادى القتال القليلة المسادى وقبيلة يجمع آخر جهنم من البحيرة

بيور عن قبيلة أولاد علي المنصورة إلى العاصمة كشمسان حماة قبلها  
 فامر صاحبكم بتأديب القبيلة النابذة وصددها إلى الصحراء  
 وانصرفت عنها مرتين نصرنا ميئنا . وشاعت في القاهرة اثناء  
 ذلك أنباء الثورة التي انضمت إلى جلوس السلطان محمود على عرش  
 تركيا فلم يحفل محمد علي بهذا الحادث الخطير . وإنما لم يكن  
 الصلاة باسم السلطان الجديد غير مفيدة . أمره من يريد الصلاة  
 باسم السلطان القديم . وهو سليم الثالث للقب بسبب الإصلاح  
 ولم تنته وفاة هذا السلطان من الحيرة على تحقيق امراته الخاصة  
 بالتجديد في مصر ، فاحتفل بفتح كبر من الأعمال التي ستجد  
 ذكرها على مر الأدهار . وكانت الحوادث والتفت التي تصدى  
 لقمها مسابقة لتطر الحكومة عن مباشرة الإصلاحات التي  
 لا تستدعي سرعة الانتهاء . أما الآن وقد تفرق بقية أعداء محمد  
 على أطراف الصعيد فلم يبق له إلا أن يتولى إصلاحها وقد كان  
 في مقدمة إصلاحاته ترميمه بيوت مصر القديمة الواقعة بين النهر  
 والقناة والقناة بحجر منقوش الذي كان يستعمل مقدارا عظيما من  
 الماء فيحصل منه في قرح صباط وعطاء ينشأ عن ذلك حرمان  
 أغلب الأرض الزراعية من الري والثالث بالمدن الأسبعية لأرواء  
 السطاح من إنشاء السيل وحفره الصهاريج لإدخال الماء بالحقائق التي



يقل فيها وإسماعيل الأديرة والبطارية للأشطة الجديدة المأولة  
وحدث أن كاشفا اسمه عمر بك كان على ظهره وكان  
مستبدا ظروما قبض على أحد تجارها الأتقياء وفرس عليه  
مبينا مظلما ليطلق سراحه فمريم للسكين إلا أن باع ما بينك  
لأداء المطلوب ولكن غنه لم ينف به فالتقاء في غيابة جب مهن  
حتى مات وطلب أهله تسليم حقه اليهم فكان جواب عمر لم أنه  
لا يفرط في الزجل حيا ولأمننا إلا إذا حل ابنه من السجن عنه  
أو يزدى ما كان مطلوباً من أبيه فلما حصل تصدد على هذا التبا  
سخط على عمر بك وحاصروا أملاكه وحاصروا

وحدث أيضاً في ٢٢ جمادى الثاني ١٢٢٢ للموافق ١٦ أغسطس  
سنة ١٨٠٨ أن اختفى قليل فجأة بدلا من اطراده في الارتفاع  
كلما أثروا في هذا الحيز فتوجس الناس خيفة وتوهموا القحط  
والهجرة وما لبث أن اختفى القمح من الأسواق ولجأ المتأدبون  
أمناف المطوب وازرعج الشعب واستعدت وفوائد الشيوخ على  
محمد علي فلم يردوا تفريج الأزمة منتقدا إلا تصرع إلى القدرة  
الزبانية في صلاة الاستسقاء أن يرفع قليل أن القصاب المرافق  
لدراسة فاحص الرجال والنساء والأطفال لهذا الفرس في مسجد  
عمر و حتى نفس بهم داخلا وحاربا وأعلم السيد عمر بكرم تهب

الامر ان تلك الصلاة التي حصرها بها هذا العهد والطائفة الالمانية  
 المسلمين من عرب وترك جميع من كانوا بالقبصرة من الملاحين  
 والريانة والبطرقة الالباط والبروتانت والارمن والقسوسة  
 وسهرتي « الارض المقدسة » اللاتين واليونان الاليطاليين  
 لتشر المذهب المسيحي والقسوس المولونغا الخ ، فكان مظهر هذا  
 الاحتفال جليلا مهيأ اذ تامل فيه جميع الناس على اختلاف  
 الامم والطبقات والمذاهب والكنائس والتفوا في مكان واحد الا  
 وهو اول مسجد بني للاسلام في مصر وان للشيخ الذي ان يدفع  
 بهذا الدعاء يسمع به على ملا من الناس كل من ينهم المسلمين  
 بالتصحب وعدم التسلمح . ولقد صادف هذا الدعاء قولاً من  
 الذات الالهية فانفجر الكرب وتبدد المزق اذ لم تطلع الشمس  
 اليوم التالي لهذه الصلاة حتى لو تقع النهر الى السوى الذي يحيط  
 منه وفي ٢٢ من الشهر قطع سد الخليج وجرت المياه فيه باحتفال  
 عظيم

وبعد ذلك يومين سافر باشا الى دمياط مرشيد  
 فلاسكتورية لاستجتماع الباشاوات التي تعاونه على وضع أسلوب  
 جديد لجباية الاموال وقد أحب ان يستعمل فيه رجال الماين  
 المهابين فأوفد الى الاسكندرية عليه مهران امين اخذهم لتسليمهم

مناوير وفرة من الأرز والبن والسكر والافنته الجديدة النسيجة  
على سبيل الهدية

ولما عاد محمد على الى القاهرة أنس من الشيوخ ورؤساء الجدة  
اخرافا عنه وميلا الى معارضة قد تولد في نفوسهم أثناء غيبت  
القصيرة عن العاصمة وتبين له انه قد أصاب في حده فأمر صر  
بلك الارتدادى مانحل من منصبه وكان محمد على مضطرا الى اللال  
فأخذ ماؤه من مل الاوقاف مكثر اللقط بذلك بين العلماء واكل  
الأمر بهم الى تعطيل العروس وشوا الى أنس الجمهور روح للتدبر  
والشرد وعلوا من قبيب الاشرار التوء طلق الأمر فضع للشايخ  
اليومواستكنهم عرسا طلبوا من الباشا فيه إهداء املاك الأوقاف  
من الثرائب وآلوا على انفسهم الألية ان يظفروا متعدين لصيانة  
حقولهم وامنازاتهم وندموا الى ديوان احدى وذهب بعض الرعيف  
عليها الى السراى وعانوا الرالى على فعله فجاؤهم على عنايتهم بقوله  
« هل أنا الذى يستفيد وحده من الصرية أألم تكونوا انتم الذين  
يظهرون كاهل الأمة بأثقل الأعباء ويكيدونها الصالحاء أأنتم  
معتز الحاضرين هيا سب شقاء الأمة وآلامها لأمكم مع تغيير  
الحكومة لكم باعلاء املاككم من الصرية ما برعتم تقاسونها  
من الفلاحين وهى لا تقل يقتضى ما يندى من السندات من

ألقى كيس ولسوف أخلص هذه السندات وأبيع من الاملاك  
 اللينة فيها ما يتجاسر اسماء على حيازة الفخرائب للفتنة . وقد سبق  
 لي أن أفتوتكم منذ أقل من شهر بأن ساعة العدل آتية لأرب  
 فيها . وأخبركم الآن بأنني متى نظرت في مستعدانكم وجميعكم  
 فزدت إلهاماً لم تؤيده الله بآيات الصحيحة منها . انكم اليوم  
 تسفون الهالكين بالساجد وتكلمون من وإلى مصر بلهجة تكاد  
 تكون لغة الأمر وهي لغة باطلة تستدعي المصالح والآراء  
 ولا أحب أن تتكرر مرة أخرى . وإذا كان بعض الهاتين الذين  
 يتزينون بأرواثكم قد توليتم أن يحركوا الفتنة ويهيجوها على  
 فتكروا على علم بأن أمثال هذه الخزعبلات لن تحرك من ساكنات  
 فمن يريد منكم الفتنة والمصيان أن يرفع نواصها فليكن يسيف  
 قسبي حلق من يستغل بهذا اللواء ،

وجاءت الكتابة من المصدر الأعظم بطلب لئال السنوي  
 قاهر محمد علي بوضع بيان ما أفتق على مصر فرفض السيد عمر  
 مكرم المتبرع عليه فاستدعاه فوالى يسأله عن سب امتناعه فأجاب  
 بأنه لا يقابل إلا في بيت السادات فصاح محمد علي : « ما هذا ، أو  
 يريد ذلك ليرحل أن أترك دجواني لأقابلة في دار أحد الأفراد ،  
 ثم أرسل في طلبه مرتين فسكان السيد عمر مكرم في شكل

منها بأن القديس اليه ممياً نفسه بأن يزل الى عنده ذلك الذي  
أصعبه يده الى كرسي الولاية فلم يسع محمد علي باشا إلا هذا  
الامر ان لا ين ألس للشيخ الساعات كسوة قديس الانوار  
بمصور القامى والشيخ في حديقة سراى ابنة ابراهيم بك بطرف  
ميدان الازبكية وأمر في الآن نفسه من السيد عمر مكرم  
قال شاهد عيان . « ووافق الشيخ وجم غدير من الاميان السيد  
عمر مكرم الى دمياط لمواساتهم ولكنهم كانوا جميعا على رأى واحد  
في استرجان خطه مع الولى »

وكان للشرط على الأمراء والهايك أن يؤثروا في متايل  
الادامى التي تتدول لهم عنها مالا وأرادت من التمتع كل سنة  
والسكنهم لم يرعوا هذا الشرط صخ للخدمة التي أمرت منهم في  
يناير ١٨٠٨ الى ٩ سبتمبر ١٨٠٩ وكان الالبابيون والقلالة قد  
اختفوا في نى صوب على لطاية تتأخر من نتائجهم واستلامها ليل  
ان يرحلوا هذه البلدة فاستاء الولى من مردم وبست يجوز، منه  
حصله من القطار غير الأفرنج ثم تحرك في القى ورجل مستصحبها  
معه وليد ابراهيم بك وطوس بك وأركان حربها بلغ الى  
القلالة والاذنود هذا التبا سقى فلما الى السكينة ولم ينس أحد  
منهم بكلمة

ولما رأى المالك ان الجيش ليس مدمم مؤلف من ٦٠  
مقاتل وأن وجود الشا يقترب منه سبب ضعف فوته الى حشرة  
أصلها تولا ممرح شديد وسافروا سوء العاقبة وتردوا الفلوجة في  
الصلح والاتفاق على أمر فخلق الفرقان على أن يدع المالك على  
البري ويقيموا القاهرة . وقد وى بعضهم بصددها قاموا بالقاهرة  
وأنبهم محمد على لدى مردته اليها وى ٦٠ أكثر ونطع من كرك  
السمود وأجرى عليهم الأوزاق ومن تلك ٦٠ أعطى محمد بك  
النفوخ ايراد حرك بولاق بومباي لزمه أى ٦٠ كس  
أما ابراهيم بك وزملاؤه فلم يطمئنا اليها على انكسروا  
ببدايته القديا وكانوا يتقدمون على من نحو القاهرة ويكفون  
المرمان استطاع الطريق لهم وى منتصف يونيو ١٨١٠ اشق  
شاهين بك على حرب الارنؤود وحتم كل مملكة تحت يده من  
منام ورواق موصلا الانضمام مع اتباعه الى اسوانه الذين اختلروا  
و حاسة ممالك الامير مراد بك . وكان التوال يمشى في شبرا  
فرقن لشاة القرمسان ولما اتصل به بأ هذا الحادث فلكي يضى  
ذاتيه جعل بالمندوان دلا القضاء المهابور للحجة بخيامه ثم انجه  
نحو كراسة قطع الطريق على المرمون الذى تحركوا ليتنصروا الى  
للمالك وأمر بنهب إحدى القبائل على سبيل الجزير والعبدة ثم عاد

إلى الجيزة فالتاهرة وكان الأمراء وقتئذ في دهشور وقد انصرفوا  
لهم مسكرا في سبيلها الرمية بالقرب من اربعة الفرية وعزروا  
جانبه بمرابن لفتادى الذين ساقهم اليه الأسفل في التنبه وتلقى  
الوالي من مرابن أولاد علي طلب الانضمام اليه منهم فأدوا له  
خدما جليلة تكافأهم عليها بتوزيع ٨٠ كشييرا و١٥٠ سمورا و ١٥٠  
كبداس لذلك عن رؤسائهم ثم سير على الضفة اليمنى فرقة من  
البلش وعن النيل فرقة أخرى لتستولي في الصعيد على المزارع  
المهمة وكان حسن باشا قائد الفرقة الأولى يرجو مباغتتهم ليلا فتم  
له مآرجاه بعض القنى، إذ قتل أحد الكشاش وبعض الفرسان  
وبعث برؤوسهم إلى القاهرة فتم بوزر منظرها في عروس الأهلى  
الأثر الذى أحده فيها منظر حش الأرتزود التى كان ينفذها تبار  
النيل في الشمال على أثر معركة ليلة ١٤ يوليو التى أودت للهالك  
بها الاعداء بأدوم منهم

ونجم عن فشل الارتزود في هذه المعركة ان ثبت للملاحون  
على الامتناع عن دفع « الميرى » ولكن الوالى ربح من جهة  
السياسة وبما عوس عليه هذه الخسارة فان اربعة من البكرات  
وسنة عشر كاشفا وبخرو مائى فارس من مسكر جاهين بك  
اضموا اليه فحسم ٢٠٠ كويس وجاء اليه من الشام بعد فلكها أيام

نحو القين من الدلاء ومن طريق ديباط نحو سبابة من الارثود  
ويهدى ثمانية ستودك ماكتنا من وصف الحبث كرك يتلخص بين  
فتقول إن الدلاء وم جميعا من الاكراد القرحان تحت سلاح  
الواحد منهم السيف وطعنجان وكانوا يحملون على رؤوسهم قلسوة  
اسطوانية من الحديد الاسود ارتقاها عشرة ابهامات وهي لاحقة  
لها واقفا باستلها شريط من التيل على شكل الاتوية أما الارثود  
فقد وصفهم الكاتب (دي شولزول) بانهم يصيبو الرياح تهبو  
عليهم علامات الكبرياء والافقة وانهم يحسمون بين التقيضين  
صاروهم لأن يكونوا الموسما وتطاع طريق وصلوهم أيضا لأن  
يكونوا أبطالا مملين . وكان شوارم (الباسم الرسمى) الماعلف  
للشنولة بالشرائط الكثيرة للزحرفة بالالوان المختلفة ثم الياس  
الواسع والصدورية المكلفة بمناجح امدن واللاسسل والرشونات  
القضبة الكبيرة وطروش آخر كانوا اذا ناموا أراحوهم جملهم  
وله قول محمد على بلشايادة الجيش بنفسه قتي ٢٠ جمادى  
الثاني الموافق ٢٨ يوليو تحرك به الى جى سوف وسهالى ملقا  
وكان للبابك قد انسحب الى قنطرة اللاهون ووضعا في معان  
القتال على مذاب الحر اليوسفي فتمكن الباشا من سد  
الى مايلي قنطرة واستولى هذا النصر على أعظم القويوم القصور



بجيرة القوية ثم انصهر في شواء البهائم مطهرهم كائناً على  
مقربة من البومون وأظهر الحصان في هذه الحركة بسالة عظيمة  
وثباتاً لا مثيل له ورجع الفضل في القود إلى القيام الحسن على  
الدفع والتنسيقات الحديثة التي أدخلها على أساليب القتال . وقد  
أخرج خبر هذا القود في بلاغ قصير منه كما يأتي :

٢٩ من الشهر الحرام سنة ١٢٠٠ هـ في ٢٦ رجب ١٢٠٠ الهجري  
٢٩ أغسطس ١٨٩٠

في ذكر استعلاء قوى البحري والبري عسكراً عسكراً عسكراً  
منزلة هذه الحلة وكان أبداً القوي إرهابك من تقدمت الحكومة مراداً  
فأكدت على ذلك الأول من غزو القوي أبداً في الحلة في الحلة في  
حتى وقد تجاوزت هذه القوى والحق من حيثها من غير عسكراً  
بالحسين فاستدعى إلى سقوط وسقوط وبهذه وجد القتال من سقوط وسقوط  
من كونه من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها  
من القتال ومن الحلة الأول أما إرهابك وسقوطك فالحق في ذلك  
من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها  
من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها من حيثها

وكانت القصة التي حارب إليها بها عسكراً واستلواها  
القصة القاصية فإن إرهابك وعثمان بك عسكراً واستلواها  
إلى ما وراء الشلالات أما الدوا الاعظم من الأبرار فقد قدسوا  
إليه فروس طاعة والخضوع وجاء شاعر بك ليترف بسطة  
ودلايته ضربة بالهدايا القوية والأتم الجريفة وخمسة من  
لسكانه بالقرب من مدائن الأريكية . أما الأمراء والفرسان

الذين لا يحولوا بأطراف الصيد عند أنوار من القبايح والقنايح و  
 قناص السطر حاكمها احدى اهل سرق قصبية قوية من الحدود  
 الاراك لتأديهم والذين دنوا من القاهرة منهم لم يبدلوا قط عن  
 فكرة الاخلال بالنظام ونشر اعلام الفتنة فلما أسس الرأى  
 منهم هذه الفكرة الشريرة فقد اتت على تشكيلهم وإلادهم  
 عن آخرهم

و في خلال ذلك خاطبت الدولة العلية محمد عليا ثلاث مرات  
 تدعوه الى الزحف على الوهاية لما ارتكبوه من صنوف للبيث  
 في بلاد العرب وتخريبهم بلاد البحار والاماكن المقدسة وأكثر  
 الباب العالي من الأخطاح حينما شجر (في أكتوبر ١٨٦٠) لظلال  
 بينه وحكومة مصر بشأن الصراف الجركية للفروضة على  
 البضائع الثمانية فان محمد عليا لم يبايا باحتجاجات الباب العالي  
 عليها في هذا الموضوع لأمراره على التماس من السيادة الثمانية  
 واستشفت حكومتنا بريس ولوندره خليفة نيانه من خلال  
 مدلكه البضائع الثمانية كالبضائع الأجنبية سواء غرضنا بسبب  
 الحروب التي شب صراها وقتلها بأعزاء أوروبا ولحاحها الى مخالفة  
 الباب العالي شد أرو مصر ومعاونتها على نيل متناها وأن تصحح  
 في له تطلبا شبيهة بحكومات الجزائر ونونس ومراكش

وطرابلس . ولا كان محمد على يتشا لا يمكنه محاربة السلطان من غير حشد وسد من الدول الأجنبية فقد اعتزم محاربة الوهابيين وكانت حكومة الاسكندرية لا ترى من مصلحتها اظهار حقها عليه فتأملت ما بينهما من الخلاف ولم تظهر استيائها من اطراحه التسلل بشرائطها عليه في أسوأ كتيبة . وانتقلت من طور التماس الى طور التسامح والكرم فانتقلت اليه رئيس الطيخان ليلسعدية من السلطان خنجراً وسيفاً مرمعين ويوسف الباشوية ابنه الأصغر طوس بك . ومع هذه الرعاية السلطانية لم يبق لصر مجال للاعتداد على أساليب التوصل أو التسوف . وإذا كان محمد على قد استقبل حديقته يوسف بك في القاهرة بعد عزله من ولاية دمشق وتقيه لامتناعه عن محاربة الوهابية بناء على أساليب وجيزة أمداً فان ذلك لم يمنه من التذكر في حشد جنود الحملة تحت نية العرب وتغول طوس بك الذي دعى الى الباشوية ليوادها . ودعى أكابر القصر وأعيانه والسأكرا الى حضور تشرعات السلام على القائد الشاب الذي تقرر إنجاسه يوم الجمعة التالى بروية التخليد وطواف طرقات المدينة به في مركب جليل ومن دحرا دحرة خاصة الى شهود هذا الاحتفال الهائل للتيهون بالقاهرة فليس كل منهم أغر ما بعده من الخلل ولتتلى أكرم

ما يملك من الخيل وتلقا أمضى ما عده من السلاح للاشتراك في  
هذا الاحتفال العظم

لما كانت الساعة الثانية على الاصطلاح العربي من صبيحة  
يوم ٥ صفر ١٢٣٦ الموافق ١ مارس ١٨٨١ عهد المدهون  
جميعا إلى القلعة وفي مقدمتهم شاعين بك واتباعه . وكان الرجال  
يستقبل البكرات للمالبك جميعا بمظاهر الأعظام والتكريم  
وملاحمتهم بمحاذات حصة من الزمن تقدم إليهم فيها القهوة ثم  
ينصرفون من حضرة ويصرف الضيف يذاتا بانصرامهم للانتظام  
في سلك سوكب الاحتفال أما اللوكب فتكون مرتبا على الوضع  
الآتي . في المقدمة فرقة المدافع بقيادة أوردون على ثم الرجال وآلها  
الانكشارية المنسب فالوجهانية فالأفندية المصرية والالبايون  
تحت قيادة صالح نوح فالالمالك وفي مقدمتهم سدياب بك  
البواب عائشة والفرسان وأرباب المناصب . وانبج اللوكب جميعا  
تحرك السير نحو ميدان الزينة من طريق معراج متقود في  
الصدر فاحتار المدافع والأفندية والوجهانية والأفندية إلى  
الغرب فعدلت أمر صالح نوح بإغلاق الباب الحديد الحكيك  
الذي اجتاز هؤلاء ثم عرب طاقته بالمراد وأمر صاحب  
الالبانين بتسليق المسعود على حافة ذلك الطريق وأخذ

مرا كرم لا ملاقى النار وتحصنت المؤخرة أيضاً للاشتراك مع  
 المقدمة في الصرب فلما وصل الهالك الى الباب ووجدوه مطا  
 أدركوا الحيلة وحلوا المشقة ليصعدوا الى فرجة الوسطى من  
 القلعة واسكنهم لم يمكنهم ذلك لاختطام الخيول واحتكاكها  
 بالمضيق للنفور وأخذهم بضرب البدن والقرايين من خلفهم  
 وصرب السكروا القنبر بالأعلى أيضاً فلما طر الأمرأ ماحل  
 بهم سقط في أيديهم والتجكروا وسقطوا في غدير من الدم ونزع  
 بعضهم مائل عليهم من القراوى والقياب الضيقة بعد أن نزحوا  
 من جياهم وشهدوا بأيديهم سيوفهم تخليق بخمرة الخلق والقيظ  
 وفلكهم جوارى الرأس فكموا يتسبون «مروما للقتال فلا يجدون  
 من يلى تقاسم بل وجدوا وإلا من الرصاص يطل عليهم من أعلى  
 الأسوار الحائقة بالطريق والناحلات القريبة وأغصم من الخلف  
 وصرح شلعي بك مقوب الجسم بالرصاص قطعت رأسه  
 وأصرع بها الى الدشا لأخذ البقيش طيا ووصل سلمان بك  
 القلوب لا يكاد يكون عليه شيء من القباب الى باب الحرم وصاح  
 « فى مرض الحرم » والنادة ان من استجد بالحرم فى الشرق  
 يجده لما بعدته الاستجداد من التأثير فى النفس ولكن كيف يكون  
 لتجدة جلال وقد أصبحت محاربا نعمة هنا مقايح تقاض فيها

الأرواح بل كيف يحلب السميت وتعدت طعت رؤوس المستبين  
وسحبت جثثهم على الأرض بالحبل وسلبت ثيابهم ووصل نحو  
ثمانية من المراكب في فرارهم إلى مكان كان يقب به طوسن بلشا  
وسألاء التجنة ولكنه كان كأيه قسوة أو أخذ قسوة إذ لم يكن  
لاستبجاءهم وصارت القلعة في ذلك اليوم ميداناً للقتل والدمار  
حتى أن الباصرة كانت لا تقع إلا على جثث الأمرء وقد  
اختلطت برم الحبل وحدث سواها والقياب للزفة والاسلطة  
المكسورة وأقيمت أسلاب القتل بعد ذلك إلى البترة فهاجوا  
عليها تهاجت الكلاب المسحورة على الجيف (١)

ونذكر بالنسبة إلى الكتاب القصص لكندر دودس  
لشر من رحله بمصر كتاباً لا ندرى لماذا أسماه (خمسة عشر  
يوماً في سيناء) وما ورد فيه أن خمسة عشر فارساً من المراكب  
ألقوا بأنفسهم من حلقى قلواتهم ودولابهم وأن اثنين منهم نهضوا  
من سقطتهم واتبعوا فقروا من العتبة راكضين وزعم ذلك  
لكتاب الطائر الميت أنه رأى أحدا الاثنين ولما على أورشليم

(١) وقد الحربي على ذلك ج ٤ ص ٤١٢ - ي ١ : « وقد عرفت  
التسليم في مثل المصيفة يريد بالمصيفة الفراء المراكب - وقد برسموا أحداً وأخيراً  
كانت جثثهم ومسيروا بهم وليس والجميع حيداً من أولاد الناس وأهل البلد  
الذين أتوا فرحهم لشد الكوكب وهو يدعون ويسمونهن ومعهن من حول أن تسد  
جنداً ولا مسكناً وأمر بقتل الكوكب من أيديهم فلم يبقوا لفرح ولا غداً ولا مسكناً

ولما ناز من الكتاب بها كتبه ولكننا لا نستطيع التسليم بما  
رواه تحت تأثير الخلق والقرص الذين جعلوا يذكر استعمال  
المدافع الحاصدة والمدافع المتأخرة في حادثة لم تسمع فيها سوى  
قار البنادق هذا فضلا عن انه حمل زمن الحادثة سنة ١٨١٨ هـ  
حيث أنها حدثت سنة ١٨١٩ م. وما لا يفكر الكتاب ادعاءه كثرة  
عدد الهالك الذين ألقوا بأغصم من حائل وان اكيد منهم  
استطاعوا صد هجومها من سفطتها القرار الى الشام حيث أمنت  
الى أحدها ولاية إحدى مداته . فان هذا الزعم من عقرباته  
وأوصافه الروائية وليس من الحقيقة في شيء . والحقيقة التي  
لا ريب فيها أن ١٧٠ مملوكا دخلوا القلعة الاشغاك في الاحتفال  
بتقليد طوسن بأشأ السر عسكرية فلم ينج منهم سوى واحد  
بدليل ما كتبه جريدة (اللويدور ايجسيان) بالعدد ٢٦ من  
السنة الثانية حيث قالت .

« ولم ينج من الهالك سوى واحد هو أمين لك أخ ألقى  
بك لانه تحمل عبية في عمل عام فلم يدرك الا لاصف الأخير  
من الموكب فلما سمع صرير الباب وهو يفلق وهو البنادق حاد  
بجواده الى داخل القلعة وأكثأ يبحث عن معذ لم يجد امامه إلا  
أسوارا في ارتفاع جدران منها فاطلق بجواده الى قنطرة ثم قرب

عليها واستعز الجواد عروب به في المداورة التي تحت قدميه فتهشم  
أعضاء الجواد وتفتق من غروره أما فارسه الزطل فستقط عن سرجه  
ولم يصبه إلا نعام بسيط لم يلبث أن لاقى منه فركس من هناك  
حتى وصل إلى القيم الشراية حيث لا ذبا أحد عرابها فاذنه وبعد  
أن قام عنده فلما علمه في بعض من تملعه إلى الشام . . . وهيا  
بتناك القاس هناك من الروايات أن الأتلاء خرجوا أمين بك  
أثناء سفره في الصحراء وأسأوا مملكته وأن بعض القربان  
مروا به فرأوا بجلكه ودالجوه ثم أوصوه إلى صديقه وإلى مكان  
وأكد لنا رجل من قوى الفضل والمضى وهو السيوي (دي غولابل)  
أن أمين بك ملازم على قيد الحياة وأنه أقام في طرابلس الشام  
زمتا ثم شغل في خدمة السلطان منصب قبطان باشا وأنه ما برح  
قائما به وقد سميت الجهة التي وثب منها في القلعة نقطة المبارك  
ولم يقصد محمد علي باشا أن يتناول تديره صدد الامراء  
للصربية المالك القردسيين ولذا عاتبهم على حضورهم حينما قدموا  
إليه من غير أن يدهورهم بالذات وأمر كيخيا بك بأن يحجزهم في  
غرفة محمد بك ناظر العرب ولم يكشف محمد علي بذلك لئلا يرسوى  
أرصة من عامة أعدائه ولم كيخيا بك والسلطان سليمان آغا  
وحسن باشا وسالط لورج ولم يكن محمد علي يتقدم ساعة المداومة



كما قال بعضهم بتدبير الترجيلة ، في مكان لا تصل اليه عين حد  
وانما يرى من ماله كل شيء. والحقيقة انه كان جالساً في سور القروان  
الكبير المثل على صحن التشرينات وهو لا يؤدي الى سطح  
ما . وكان البصر لا يتركه وان الاضطراب كان سائداً على  
جميع حركاته لما كان يمشي من قدام الساكن في الظل بجمل عند  
خسوفه الأندلس بوجهه عليه إمامته وإنما جاء من القطر القصرى  
وذكر الذين شهدوه حينما سمعت الطلقات الأولى ان وجهه  
تقلص قلصاً شديداً وأن هذا التغير سمع عن اضطراب في  
حاله النفسية حمله يسلم في هذه الآونة بأحتمل حصول حركة  
بين الارزود والمالك وجوز فتل الأول في تدبيرهم  
صد الآخرين بل لعل ذلك التقلص كان الحركة المفردة لأسف  
أخذ يحز ضميره لأنه لم يحصل ميدان القتال حكماً فضلاً عنه  
وبين أعدائه. وظل اليأس ملازماً المست المنصع من الألم  
ومنا مديداً الى أن دامت طيبة الجوى (مدرسى) وعلامات  
السود والارتياح بالية على وجهه وصاح . لقد انتهت المسألة  
على خير مايراد وان هذا اليوم ليوم عيد لسوكم ، غم محبوب  
محمد على من هذه البشرية بل نظر الى الطيب بقسوة وسرعة  
ولمست الى شفتيه انسامة الاسنهر والاحتقان ثم طلب

عليلا من الماء لشره

وبينا كانت المدحمة والزة رجلا بداخل القلعة كان سكان  
القاهرة أجمعين صفوا على جوانب القطرقات ينتظرون مرور  
الوكب الحليل وكانوا يحدون أفراجا وفرادى يصبحون مبهات  
الفرح والاستبشار ثم تمون مستطمين طليعة مستشرقين لها  
لم تكن إلا برهة حتى ظهرت صفوف اللذات والنعوات ومرت  
بدم الرجالية والآلهانية ثم لا أحد ، غامر الشك  
الضوم لحد الانقطاع الفجائي وتجمهر الناس عرا وحققوا  
بأولون الامر ويستكشفون السر وعلت اللاشعات يسهم الى  
حالت السماء ثم أخصموا على أساليب الاستنتاج في استقصاء  
الحقيقة فلم يسمع أحد سوى الطلقات التي كانت تحتك في  
القلعة بجانب الأرواح ، ومضى زمن وهمي هذه الحال فما بحاجة  
من ملازم ركاب القالبك وسواس ليهم في المراكب يربون  
على وجوههم مغطى بعين طاهرة على وجوههم علام الوجيل  
والانزعاج وصاح منهم ما نوح فقال : لقد قتل جلعين بك ، فما  
استقر هذا الصباح في الامجاع حتى ألحقت للتلزل والحواشي  
واصراف الناس غلت للبيادر والطرقات من الوقف الناس  
الذين توايدوا اليها من كل صوب لمشاهدة الاحتفال ولم تلبث

الديانة التي كانت مدد دقاتي آفة بالناس خرج عليهم لوائح  
الفرح والسرور أن صارت قلعا بقسا وصحراء مقفرة ثم لم تعص  
دقاتي حتى تعذقت بمسوح الساكر خاضعوا على يدو الهالك  
ورموا أعتاق من كانوا فيها من الرجال وحردوا النساء من نياحين  
مذابحهن على ما كنّ يدينه من إشار الهالك عليهم وهتفوا  
أمراسهن وسلبوا حلين وكان يندى احداهن أساور من ذهب  
فيها جسد تركي يأخذ الأساور بلا عناء وظلت القاهرة  
يومين كانت فيها كأنها بلدة استولى عليها العدو صوة وأبوح  
تقوس سكلها وأمراسهم وأموالهم أما الأسلاب والشهبوات التي  
أخذها العدو من بيوت الهالك فلا يمكن حصرها لا سبها وأنهم  
بعد أن آثروا الأمانة بالقاهرة وركبوا الرحلة أثمروا سائرهم بما  
يجب المقام فيها من الرضا والقادر ولم ينج حيرتهم عما أسلمهم  
لقد كان الجود يصلحهم بثل ما عاينهم به حتى بلغ عدد الليوت  
التي دمرت ونهت أكثر من خمسمائة بيت

وإن البصر يرتد حائراً إذا نظر ما وقع بمصر من غرائب  
العذاب وإن الفكر ليعجز إذا بحث في أسبابه ولو أن الباشا لم  
يأمر في اليوم التالي للدمية بإغلاق سبل القضاة والبرائيم  
بعد حدهاء الصير وأصل الهداء واقطع في علاجهم الرب

فقد نزل في اليوم التالي للديبحة من القلعة في مبدع من الحرس  
وجلس خلال الأعياء الكبيرة وتنفذ ما يحسن الحنة وأنب  
رؤسهم وعزوم التمزير الشديد لأسم انكبروا القاطع فكانوا  
فيها الخوة لرؤوسهم وقد بقي في جوكه صد باب زوجه رحلا  
منفريا شكاً له اعتداه الجند على يده وتحريرهم إليه وقال إنه لم  
يكن من الأساء ولا من المالبك حقق الشكوى فلما ظهرت له  
مضها أمر برى ذبني الترك والملاح للذين وجدتهما في دار الشك  
وبعث الشيخ وفوداً ليفاءوا بمحمداً عباً في طريقه ويحتوه  
بظرفه فأجابهم بأنه سيدعهم بمصطفاهم ليعتق القهال منهم وقد  
ذهب فعلاً إلى دار الشيخ عبد الله الترداوي وأبث عنده ساعة  
ثم خرج عائداً إلى القلعة

ومنذ اليوم التالي جعل طوس بالشامه توطيد وحام الأمن  
وقرار النظام في صباه وأذن الكيخيا مع هذا يعترض بعض  
الغور على من لا يس أحد يسوء إلا إذا كان مملوكاً الخنثى أو بني  
مجهولاً وأن من يؤذي به إليه من المالبك رمى عنه شياً كان أو  
شيئاً بريئاً أو مديناً ومن آتاه المظ بالآفلات من هذه المجرمة  
فرأى إلى الشام متسكراً بلباس الخلافة وإما إلى الرحمة القبل  
منفريا بزمى النساء

وصدرت الأوامر إلى كشاف الأقاليم بالأخذ على من  
يمضونه من الهالك متعريقين أو عتيبين فاضموا هذه القرعة  
ليدرجوا بين القصودين بهذا الأمر كل من أرادوا التطلع من  
أثناء البلاد للملوك أو للناظرين لهم وأرسلت الأكياس بمودة  
برئوس القتل إلى قاشا الذي أمر بأن يرسل إلى الأستانة ما  
يكون منها وأمر بك أو رجم

أما البشت فقد حفرت لها الحفرات الصلبة بيدان القلعة وحيء  
من الصعيد باربعة وسين مملوكا على قيد الحياة فلما بين الليل بعد  
فيهم ذلك حكم على ضوء الشاعل وألقيت حشمتهم في النهر وحرمت  
وذهبهم على باب دويله الذي شق تحت طومان باي آخر مملوك  
الهالك الجراكسة قل ذلك للمهد بظلمة عام أما أهل القتل  
وأقاربهم من النساء فلم يتسوا مع ما يرسلهم من المصائب الاذن  
لهم بأداء الفروض المقررة للموتى إلا والله سرور لك فلما  
انقضت تسليم حشمتها معها فاحتوا منها طويلا مدة يومين حتى غشوا  
عليها ودفنت بالاحتفال اللائق في مدفن الأسرة ونسعت أبنى  
الهالك من قباشا الجوارات التي تبيع لها الاحتفال والبعض من  
المرتبات ومع ابنائهن ينسلي الرب الادارية العسكرية ولهم  
برهم بك وعثمان بك معي وانعمهم اليها بالسر عنهم فكان

جواب الزال عليه اسداده الامر الى مصطفى بك بطاردتهم الى  
ماوراء نغمة زبرج وخسر الزالك عدداً ليس بالقليل من دجلهم  
في اسوان وذلك أنهم أحسوا في أنفسهم المجرقة عدم وتناد  
الحيل والوسايل من أيديهم فتركوا بها عيولهم وعبيدكم ورايلها  
الى الثوبة من طريق الصحراء لينشوا بها في راحة وسكون أو  
لينتجوا فرسة جديدة لزعزعة أو كاذن حكومة أو كل عرض  
من القروش

وعناكة لا يصح لنا من الجبر بها قبل ان نختم هذا الباب  
ليس في وسعنا التدرج من ذكر للمدح والمجاور الى توبيخها  
واطراد من يشارونها . كلا بل اننا نود لو استطعنا أن نسر من  
صفحات حكم محمد علي سيرة المهزلة التي ألمت بالآب يخص  
أمر القلاء والسكن التبرج ولف بلو صايد يتأعب بالحكم حكماً ليس  
لقوة في العالم ان نفقه . غلباً عند عدل التاريخ أو أمراء

أما للمسنو الظن الذين يتوسون جلال الكوارث وعظماها  
بمقتضاها يذهب في سبيلها من الأرواح فأولئك يأسفون بعض  
الأسف على إقصاء أمر الزالك الى مثل ما أفضى اليه من القضاء  
عليهم لاسم كانوا يقول أولئك المختارون انشجع فرسان الدام  
كله لم تنكروا في غضبي من القمل لا قرار له . وزعمون على

هذا القول بياناً لهذا التكرس وصفهم حاشية الامراء الجراكسة بأنها مد ان كانت في ذلك العهد عنوان النظام والاساس الاخلاق القاطنة أصبحت مبعثاً للمديان والفتنة والشقاق والردائل الخزية ثم لا يلبث أولئك الرعايون اذا أسلست رملات عليهم ليزدغلوا بك غيام الزايل في عهد الأول فيطعنوك على ما كلف بها من مظاهر الحسد السكري يعرف المرء عند أقدامهم طول الليل ممكبي بمناقض التناجر وغيره بك بعد ذلك الغيام منها في العهد الثاني ليطعنوك على البأس الحثيث والحياة النفسية وقد نفسيهما المصنف من جراء الاخلال الى الخدمة والعكوف على الملازم والاعمال البطالة ونقض الوقت في شهود وليس التورى وسماع لغناء المورم . ونسأل ان يسأل هنا عن هذا الاقراط الخزيات والتفريخ في التواحيات أينسحق مرتكبيها مهما كانت آثارها السيئة في الامراء والجماعات تلك الشقية البائسة الى أقصى مبلغ في الشدة والصرامة وأن يسأل ايضا عن الاستعداد القوي الذي كان يميز مختلفه في ذلك العهد التصرف في توقيع العقاب ولما كان من أعزب العلاج ان يكون الموت القهري دواء المصنف والمرال أعلا بحس ترك الرخص الى ان يموت برصه ويزول بخناه غرغ . قد وردت في التاريخ أمثلة من الوسائل الصارمة التي

تحتها كبار الملوك والمعلماء ، غالب بطرس الأكبر وهو ملك  
 النصارى القوي للدولة السكوتية أنى جماعة (الاستيرلر) في  
 مذمة أشد هؤلاء وقطاعة من منبجة الهالك لأنه تلك ينحو  
 الألقين منهم شتقا ومرب وقلب وعرض جثهم في الطرقات  
 ووأت القساء ، ومع ماقى هذه البرغم من شاعة وعظامة فقد  
 القصر (موتير) على رسلها بالقسوة والصرامة وفي عهد السلطان  
 محمود ذبح بصفة آلاف من الانكشارية بلا رحمة ولا شفقة ولم  
 يكونوا مع هذا أحببا بل كانوا كالأسيرين في الروسيا  
 وللهالك في مصر من أبناء الشعب الثاقبين بالقطع من الوطن .  
 أما نحن فنجدوب على ما تقدم بأن الأمثال لا تنبر ، فقد أسند  
 الى محمد على باشا أنه قال يوما : « على الأعقاب الخالقة الحكم بأي  
 الخادئين أحوج الى التسوية والتبرير ، حادث ابنة الهالك أم  
 حدثت قبل الحدود داجين » . وهذه القنوق يبرزها السد للعلقي  
 ولا لظن ان مثلها يخطر ببال رجل نصير وصين كالباشا . اذا ما  
 الصلة بين الحظ الذي يقبه فرد من الناس والذي يقبه ألف  
 وخمسة نفس خصوصا وأن ذلك الأمير الفردى لم يفتاج  
 بمكره في جلال السكون السائد على حطة كان الشطر ان تكون  
 منسما للسرور ، دمع أنه قيل أن يساق الى ساحة الأعدام كان





صلاة الأستاذ في جامع الحرم



عد حركم أمام الصلة طفقوا بهذا الحكم صفة . والرجع صدينا أن  
التي قاله للشا في المقلوبة بين مذهبين كان بمثابة ما ذكر له  
عن صودة ولشها في الصور البارح (عوراس عربيه) بأنه قال :  
« في استطاعة هذا الصور أن يحمل لصورته هذه ذبلا بصوره  
التيك بمالك برنايت في مرسلها »

والأمر الذي نحن منه على يقين أنه والى مصر للعروب  
بالاعتدال والشمس وشرف المرافف لم يلجأ إلى تنفيذ تدبيره  
الخطير إلا بعد استبان الثغر وطول الروية وتولد من البحث والتقصص  
حتى إذا تجلت له ضرورته لصالح الأمة التي أخذ يده وماسها  
لم يسه الا القيام به ولكن رقة شعورنا نحن مشر الأوربيين  
نعمل على الاحتياط طبيا في نظر السياسة الشرقية لأن هذه  
السياسة اعتادت ان تولى في سفك الدماء أمرا لا يجاز عليه لذا  
كان قننه لجمهور مؤكدا . ولا يرب عينا أننا في للتعلق  
للمصلحة التي يبنى فيها أننا في الوضع الأكثر ملاءمة للحكم  
حكما صحيحا على ما يقع في منطقة أخرى من الحوادث التي  
مصدرها شهادات النفس ومطامعها . ونقول ذلك الفيلسوف  
الخطي أن البادى الحسة والغيرة تختلف باختلاف الشعوب  
والانام التي يسكنونها وفي استطاعتنا ان نبي استدلائنا

للتفكر على المشرق البشرية فأذا صلتا فأبالا غلبت أي نسوع  
 في ثلاث كلمات الخطاة التي سلكتها الناسا حيال الممالك  
 إن أوامر مريحة كانت قد وردت إليه من الديوان السلطاني  
 بالتصاء على الممالك مصلحاً أنه كان على وشك التدخل في  
 حرب طويلة من ضرورتها توجيه الجيش حركته إلى السراجل  
 البعيدة وهو ما يحمل بالطبع قوى المقامد الكثيرة والطناسع  
 الكبيرة على مآثر الفتن الداخلية لتخفيف أمانهم وهو في هذا  
 وذلك فقد كان الوالي يجه امران : عبادة مستنيل مصر من  
 حيث الطوارئ مع مواعيد لؤكان سلطته واحاطت المساعي البديهة  
 صده والمساكن الدرة لتتكامل به والتفكر في ضمانة الأمن له  
 ولا سره وامدقائه والسبق إلى الفتك بصدوه قبل أن يفتك به  
 ومن الحقائق التي لا يجحدونها إلا الكابرون أن المؤامرات صده  
 كانت تدبر بترتيب محكم وكان لا بد لمديرها في يوم من الأيام  
 أن يستكوا دمه ويستلموا بأيديهم المخصصة به وبداء المصريين  
 الأبرياء زمام الحكم عليهم . ولقد كان على رأس هؤلاء المتآمرين  
 حسن بك اليهودي الذي كان يفتخر بأنه قتل في بسمة أسابع  
 أكثر من خمسمائة حاكم وم في طريقهم إلى الجبلز . وهذا القديلان  
 فاضدان على وجود المتآمرين وتخاذلهم عند يد التنفيذ نياتهم للعبث

الأول لهم حاولوا أنشاء سفرة الزيل الى السويس اغتطفه من  
بين حراسه فقتلوا والثاني انه كان يحاول بضاحية مصر فأطلق  
أحدهم رسالة عليه بنية قتله فاصابت مسابغا كان يسير بالقرب  
منه ولذا كاتراهم للبادئين بالشر ويجب ان تدور المائرة على  
رؤوسهم لتبيح عليهم ولأن من يزور الرمح بمحمد الموصف ، كما  
يقولون ، فهم إذا مستخفون لما حل بهم من العقوبة

ولقد رأى القنصل الأول (بوتارت) من قبل ان الانشاء على  
دولهم واجب تحقيقا لسعادة مصر ومعاها بليلها وتوطيدا للعاشم  
السلام والنظام فيها . وقال للسيد (ديلاتورت) المفاوض لجنة  
مصر التي ألتها بوتارت قبل ونزع كارتة الهالك بأيدى ومعه هذا  
سبعث عن شعور صادق بمقتبل الحوادث ، ان بقائه الهالك صغير  
دوية لقطع سلسلة الاضطرابات ولتقف الجرائم التي لا نهاية  
في مصر لها . وقد جاءت الحوادث ، مصدقة لقوله فانه اذا كانت  
الحرب الأهلية قد انتهت في سنة ١٨١١ فان الحرب في الخارج  
قد أهدت القوى الظاهرة وأبقت الدم الثالثة وكانت يتبعها  
نحررا لتقدم مصر وديني أحمر لها

## الباب الثامن

### الوعاية والوعايب

١٤١١هـ - ١٤١٢هـ

ولدت في الحجاز مناكر سد الحزن أنارت شموس المديح  
بحر وتركيا وفارس وجزيرة العرب - نلت لن الدين الاسلامي  
فرض على كل مسلم حج البيت الحرام ولو مرة واحدة في العمر  
إذا استطاع إليه سبيلا . ووجه الاستطاعة أن لا يكون فقيرا أو  
بمريض . وفي مذهب أبي حنيفة ما يبيح للمسلم الاستغناء من  
الحج إذا اتفق على من يحج بدلا عنه . والمباح يتواردون على  
الحجاز كل عام من جميع النعم وتكر غراظهم فيسرو عددهم فانضموا  
لغيرهم من المباح إليهم ومن كان من هؤلاء في يسر ومن أخذ  
المدايا برسم المسجد الحرام وجرت القاعة بالبرسل للسلطان  
ووالى مصر مرة من الثلاث في كل سنة ، فيقوم الحفل بالكسوة  
وبالحدايا فاصدا إلى الحجاز بحراسة شرذمة من الجند ورافق  
المباح والتجار الحبل مدججين بالسلاح وبأحد بمفرده أحد

يكونت مصر لذا كان مصريا أو والى الشام اذا حكن شاميا.  
وكانت النفس تشتت السواحل لحاية النقل على البحر. وكان القنوية  
الاثراك يحمل سوادهم فلاحه فكانت مراكب الصيد تجرأ على  
ضبط تلك النفس وتأسر ربايدها ونهب مشحونها من الأثنية  
والبن والمطارة وكانت الأكل في الطريق تحببها حاميات صغيرة  
من الجند ثم دمرت وسدت فلم تعد قائمة لشيء. وكانت نملع  
المرأة بالأشقياء الى حد مطالبة الناس بحرية عن الأتقى لو أداء  
مبلغ من المال أو مقدور مسير من الأثنية والياب في مقابل  
السباح لهم بحرية الطريق. فاذا لقوا امرأة لا يذت الفريخان في  
يلتصحا في معركة كثيرا ما تنجلى عن غير اللطافة الواردة من القنطرة  
أو دمشق لو بدادوا حرمانها بذلك من أداء القرض الذي من  
أجله جاءت الى هذا المكان

على أن الحرمين الشريفين ذلها كثيرا ما كانا يفركان في  
نظم الطامعين أثرا طائلا أفعى الى استدراك الأيدي اليهما  
بالسب والنهب ، فأنف مكة المكرمة وهي بيعة الاسلام  
والدبنة للشرعة وهي مبعط الملاحة كانتا تحتريان الخلفات القوية  
وخائس أذرة رجمة التيبة فكان لا مفر من الخوسلو عليها العادون  
وسبت بها العائشون . ولقد لو تكبوا هذا الأثم فلا إذ دمروا

أمرحة الكعجين من آكل بيت النبوة في العراق والطائف  
والدنية وهدموا القباب وكانت القبة الكبرى التي فوق المريح  
النبوى على وشك أن تتناولها الماول بالهدم نولا حيا الزعيم  
المجترى، على احترام لرتكيب هذه الجريمة عدل عنها واقتصر  
للمتلون الأتقياء على انتزاع الزينة والزخارف ولف ملديا  
الوزعة من جميع الانحاء منه وعاد التي الى ذلك العهد كالأولى  
والقناديل والتسعدقات المنصورة من الذهب الخالص وحولوها  
الى سبائك وكذا صفائح الذهب التي كفتت به المحدثون  
والأخشاب وحمالة لوح من النحاس مصقعة بالذهب وحشرون  
سيفا كرمصا بالجلود وعقدار جسم من السجايد الطبرانية  
والاصهباء والازمردية والفلزات الكبرية بحجم بيضة الحمام  
للطقة فوق المريح الثريخ واللروقة باسم الكوكب الذي  
كل ذلك سلوه بلا خوف وباعوه علنا فاشترى الثريخ غالب  
منها ما لا يقل ثمنه عن مائة ألف قرش وجل المفسدون ما لم يبع  
فانقسموه بينهم بالقرب من كربلاء بعد أن حسبوا حسابا  
وهنا محل السؤال هل حب السلب والتهب هو الذي أخرج  
وحده أولئك المفسدين بالخراب والتدمير ؟ إنهم كانوا وم  
يخرجون ويهدمون لا يكفون من تولم . « ان الله يفتقر ان





يهدم هذه الشاةقة ويجرد لها مما تحويه ولا يضر لها بها  
ولا لمن دخرها ، ثم إنهم كانوا يقولون على سبيل تقرير البدأ أن  
حبراً واحداً يوضع شاةة على مير اليت يخرج من الصريح المخرج  
وأن القبر من غير دخرة حيرته بها وهو ما يؤخده أنه أن  
ذلك لسطور وثقت السرة تسترل نحتها شعورا وبها تذكيبه  
حرارة للشاةة للدين والتمسب له والدعوة الى حقيقته المبردة  
ومن م اوائك الاشقاء الذين تطموا القبل بين حدة والقبرة  
وبين البحر الاخر والخليج القارسي الجواب على ذلك في الأسطر  
الآتية بعد

في القرن الأخير من اليلاد ظهر بجزيرة العرب شيخ اسمه  
محمد بن عبد الوهاب يذهب مذهب في الاسلام يعني بأن يكون  
الايان مؤبداً بالسيف وأن ترجع العقائد والمعاملات الى مراحاتها  
الأول بلا نقد ولا اهام ولم يقتصر الشيخ على ذلك بل ذهب  
الى نهد الاحاديث النبوية والقول بأنه لا كتب من الكتب  
المعزة ألقم بالوحى الألهى على لسان جبريل وأن لقوة الله تشمل  
لكون بأسره ولا لقوة فيه إلا لقوته تعالى وأن عمداً لم يكن إلا  
بشرا عرف بالخير والخدمة اليه وأنه كوسى وعيسى من المسمون  
عند الله ، وإن الاعتقاد بالآئمة والمرجع اليهم وسيرة عالم



وهذه الخدائهم وتلافئهم تجمع إلى الشدة والصرامة الجلال والاحتشام . قالوا يورث لبسوا إذا بالسة للأسلام إلا كالبروتستانت بالنسبة للمسيحية من جهة العقيدة وكالبروتانت الانجليز الذين يدعون مذهب للتشدد والمصلاية في الأخلاق من جهة الفضائل . وأما يؤخذ عليهم أنهم قالوا لا يتسامحون مع اضدادهم في المذهب لأنهم لا يبرعهم وأربع من إيدائهم وما ملهم بالنصب والتشدد كما عيروا القرصة لذلك فقد كانوا يتحدون على المباح ويسطون لسانه ويرضون دماغهم وسعد أن يشبوا السفينة يلقون بنوتها في البحر ثم يمسكون كالو كانوا عائد من مصاد لؤلؤ أو نمرس بحسب لبث دعوتهم ونوعهم بين الناس موقف الوعظ أو الصلاة حمد الله على ما أؤلاهم من نسبة الفتنة والفساد من لدن القبيح والفساد . وكان إذا عارضهم أحد أو وقف في سبيل نشر دعوتهم أو أنكر خطيئهم في غارتهم دفعه بلا رحمة . ولولا تمسكهم بالشرف في الرقاب لما استطاعوا نشر عقيدتهم

فوجعهم القاء . عند على القصور والأضرحة لاجلها من الأسماء العبد . من أنكر في يوم من الأسماء مع ذلك . ذلك التاميم والحمد لله عليهم بالانتماء لخطبة التي لا تفرق القلوب من الشك واللبس والظلمة فبأنه لا يقدرك الله الله . وسلك القوم على وجه ذلك والمؤمنون ملكا وسعدوا وقلائد . وأما على الأسماء وكثير وجود الأسماء وما لهذا عرض القوم إلى المزمع من القتل والاعدام والاستطرد والاضلال على وجه الأسماء من الخطب بالوجه والى وسلك القوم على وجه القصور من القصور والى . وشرك ذلك يكون هؤلاء . منكون وأما أنه من يتحركه لاسي الأسماء

أو أقر القصر في قتلوت فبيدا قبرها هناك مثالا من الدعوة  
التي كانوا يبدون بها جيرانهم إلى مناصهم (سعى لاسي) .

بسم الله الرحمن الرحيم من جد القائل أن عليا أو عليا بن عبد الله القائل  
أن الاسلام هو الأديان كلها لله وغيره الله عبد لله . هذا العلم المصطفى . . . الكافر  
والحق يقولون الحكم عليكم والآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو صاحب  
الذكر الموصوفين من الله في ذلك الصبح اليكم بالحق في الأيمان والاسلام . وقد جاء  
العلم جوهري من الاسلام . من حكمكم لواء الاسلام عليكم . لا ياتوا قاتلا بركة  
السلام والهداية ليعتدوا من عرض الدنيا . وحقوا الله وصلى الله وسلم . فيكم  
بجسد حديد من الجلود فبيد على مراكبه الله ومن سواك وهذا ما لم يكن من سواك  
نطق من الصلابة البيا بواحدة جرد . ما بينك . ولا يتعدى . لا بعد ما وصل  
اليكم أن تاتوا في هذا القصر الذي وجد آخر مرة . دعوا ثم قال في هذا الصبح  
تكون بلوا . وبما كنتم سواك والسلام على من سمع الحق .

فإذا بقي البلاغ الأول والحق يليه بلا إجابة نصت الوعاويون  
بلا لهما فكانا كيدا جلوده . أنا على فتح باب المصنوعة التي لا والي من  
شرها إذا كبير الوعاويين أخبر جندهم وقتل بأنه لم يبق مجال  
للمناصع وأطلق لهم حرية النهب والقتل وإذا كانت ثمة وسيلة  
واحدة لاقتداء الحياة وصيانة شيء من المال من دفع مال الزكاة  
إلى جهنة معينين لهذا القدر ياترونه في كل سنة . بالبلاد الخالصة  
للرحاية وجبايتها بسيرة رأس واحد من الممنوع من كل أرضين  
رأساً وفرض واقف عن كل غصة جمال وما يبدل ثمانية مراكبات  
من كل رأس من الخيل ويجب على دفع الزكاة الأقراري عهد  
يؤخذ عليه بأنه قد تحول من عقيدته الأولى ويحرم به بأنه كان

الى وقت تحولها في غير طريق لطاوى دين القسود التي تصمم دقات  
آيات وأجنداته إنما تحوى خيرة قوم كانوا على صلال ومصاد وقال  
( نبيير ) الذي دلو بلاد الاسلام ووصفها في سنة ١٧٧٣ . « منذ  
ومن قريب عام في إقليم العرب مذهب جديد سينقلب هذه  
البلاد رأساً على عقب » وكان نظر نبيير ثانياً عاماً على الوهابيين  
بدأوا بأحضان ست وعشرين قبيلة كبيرة من القبائل العربية التي  
تتجمع نجد في كل عرعر ثم تنزل بالولايات لميلورة فالبصرة على  
حكايا وشعوبها بالفتح والسرور فلم يلبثوا أن استولوا بهذه  
الوسيلة على الحجاز واليمن ثم أخذوا يتهددون ولايتي دمشق  
وفندك وكان العالم الاسلامي حينئذ بحالة يرثى اليها من  
الضعف والافتقار فلم يسع ملأه التي فتحت ابواب حدودها  
تأسد بها من القومى لأولئك الأدياء الأشداء إلا أن  
ساحت مستعرجة عاتلة اعلان الحرب على أولئك البتدعة  
وهذه الحرب هي التي قام محمد علي وابناه ابراهيم وطوسن فيها  
على عاقام « ( حورفردوا ) و ( تنكرط ) و ( رنو ) في الحروب  
الصلبية

وكانت مصر أوفى للواقع لا ابتداء الحرب منه استخلاصا  
المرمين الشرعيين من أيدي الوهابيين وكان هؤلاء يستوردون

منها حاجاتهم للبشيعة من طريق البحر الى تنرى حدة ودمع  
وهناك اعتبارات مهمة حلت لقلب الدال عقب انقضائه مساعدة  
(بخارست) على الاستعداد بالباشا في فتح الرومانيين، منها انه كان  
أهمى ولقاء الدولة والتقدم بمراعاة الذاتية على إغاثتهم ضد عدم  
وكان السلطان سليم الاول لما حرم لزاليك لشر آكة وتخل آخر  
ملوكهم أسعى اسمه في خطبة الجمعة «سلم المزمين لشر فحين»  
وتسى السلاطين من بعده كذلك ثم تقب بالكتاب الملائم فكان  
من المروءين على سلطان آل عثمان بهذا الوصف ان يكون أول  
ما يتم به فتح أعداء الدين والنضال على بدعهم -

وكان من اختصاصه بالطلع الثغر في أسود الدين إلا أن  
سياسة كانت لا تتخلو من أثر الخوف والتهيب من انتفاضة  
محمد علي ونساء قومه وتقوده عام محسوسا موجيا للخطر، فكانت  
في ذلك الوقت تسمى بأن تزج في حرب مخوفة بالصربان  
والأوعار مع أولئك الثوار الخراج للبدعيين وفيما تخشى  
نزعته الاستقلالية لتصف قومه وتشرق أموره وتعمل سلطانها  
عليه بذلك مؤكدا

بشر محمد علي بنفسه تتخذ التدبير الحاربة الرومانيين ورأى  
أن هذه الحاربة تستلزم إنشاء عوامة لثقل الجنود والخيوة

والزور في البحر الأحمر وكانت الرسائل متواصلة متواصلة فتدب إليها مدع  
 أنه كان من ثروة الأداة وشدة الدارسة بحيث يستطيع التخط على  
 ما يترننه من الثقبان فقد جلب في زمن يسير من موانئ بلاد  
 الترك الاحتباب والحبال والحديد وكل ما يستلزمه بناء السفن  
 ولما تم توصيل أجزائها نقلها إلى السويس على الجمال ولكن كثيراً  
 ما يستدعي نقل القطعة الواحدة القنبلة جانباً أو أروحة جهال تقف  
 على صف واحد، فلا تحرو إذا تقن الككب منها نعت حبها  
 الفضيل وقد توضح ذلك خذارك عزائبه من قبل بالاستعانة من  
 تلك الطوائف بمرابن الصحراء إذ استخدم عشرة آلاف منهم  
 لنقلها حتى يتمكن بذلك من تركيب ثمانية عشرة سبعة في مدة  
 شهرين يخصص بحمول كل منها من مائة إلى مائتين وخمسين  
 طناً بمرحلة الف عامل كان من بينهم لروام والفرنج وحمل القوافل  
 بالتصغير مستودعات للصوب والسويس مستودعات غيرها  
 للسهولة وأمنان القماء وبشر بنفسه تشوب هذه التجهيزات  
 وبعدها تم عادي السويس إلى القاهرة في ثمانية عشرة ساعة  
 بين القوافل السريعة السير لا يفسر لها احتياز هذه المسافة في  
 أقل من ثلاثة أيام ويجز من كان معه عن إخراجها إلا واحد منهم  
 مات هجينة من نحره فأودعه القباضا حتى وصل إلى السويس

وكان قد تمرد تحديد يوم ٥ صفر للموافق أول طوس الثرية  
طوس بنشا نيابة الخلة فأجل حراً الموعد الذي يوم ٨ ربيع الأول  
لموافق ٢ أبريل الذي انقضى كله في إطلاق الدافع (الشدت)  
وعزف الموسيقى . وكان طوس بنشا في موكب لتنفيذ خطة  
القيادة تسبقه القواب الطهية يملك بأعضائها التزويقات كقيادة  
وبقية حرسه وكان محمد علي وحسن بنشا وأحمد الساجد تصرح .  
وفي الأسبوع التالي قصد الزوال إلى الإسكندرية وفيها مع  
اللاتجيز أربعين ألف أردب من القمح ولبعض في - زء على أحد  
للتأنيح من تيبة أولاد علي وفرص عليها مرزعة مبلتا بسيما من  
القال وبعد مرزونه إلى القاهرة في ٢٥ مايو مرض علي المياسير من  
أهلها أن يقدموا إليه إما مثلاً وإما خمسة قرش واحد من لزوم  
الحرف والمصالح حيثما يرسم الخلة

وفي ٢١ شعبان للموافق ٣ سبتمبر زل في اليمن تحت نظر  
القائما ومباشرة ٦٠٠٠ عسكرياً بعضهم من الأوتود ومهم هذا  
الحرب فأعلنت قائمة تنفر ربع . أما فرسان القرك والبراب  
وعندم الثاني فقد تحركوا إلى بر ٢ يوم ١٩ شوال للموافق نوفمبر  
وكان طوس بنشا في الجيش البري تبته فخلقة عطية نحل الله  
واللزن والقيام والأمنة وكانت سه لانتجاور عاتذ السادة



مشرة إلا أنه رحل في حروب الملك على تروته وشدة بأسه .  
 وقد عم إليها أحد أمهات الخوارج الذي أسكنه لقب يورثه وتويع  
 بالسيد محمد طهروك وهو أكبر تيجار القاهرة وأغنام يمس أعمال  
 الخطة ومنها الاتفاق مع المرابان التنازلين على شواطئ البحر وأخذ  
 منه شيوعاً من الداعب الأريفة لوعظ الناس وحضهم على الطاع  
 عن حرمة الحرمين الشريفين والقنود من السلطان والوالي

أما الوهابيون فقد جمع زعيمهم سعود اليماني الساسل  
 والسياسي الملك خمسة عشر الفا من القاتلة بقيادة ابنه عبد الله  
 وعثمان للمبايعة وعهد إلى الشريف غالب بالطاع عن جنة وبيع  
 وكان بين الشريف وولي مصر اتصافت سرية رام الأول بها  
 الانتقام من الوهابيين لقتلهم عليه وإحسانهم إليه فكان أول حبه  
 حينما وصل الأسطول الانجليز بمجنوده من ينبع . وكانت حاميتها  
 من الوهابيين لا تزيد على ٣٠٠ رجل قتل بعضهم وأسروا الآخرون  
 واستولت الخطة المصرية منوة عليها ووصل طوسن باشا بعد  
 ذلك بخياله لأجهر على بنية الوهابيين وأثم عبدا الاستيلاء  
 وعزوه لأنه كان يكمل الحصة سلباً أميراً للسفن ومستودعاً  
 حزيناً للذون والشارع ويشر بأجاس المأمول . وقد سقطت بيد  
 الأمير قريظان بعد ذلك مشعنه فوزة على السير في يناير ١٨١٢

الى المدينة ولما أوصل بمقدور منيرة عرسهم ووصل الى بدر التي  
نظفها التحليل والشجار الطيور والنور التي بالوهابيين للمرة  
الأولى فاسطرم في معركة دامت ساعتين الى التفتقر تاركين ٦  
خيلا واحفين النضري في صياحهم بأنهم كغار ومشركون  
لم يثبت طوس. لن انجده نحو الممرات التي لحا فيها العدو  
وتحصن بها وكان بين الضمور الصلابة التسمية دوما مضيق لا  
يريد مرصه على ٤٠ متراً وبلغ طوله مسيرة ساعة ونصف . وكان  
الوهابيون في مشرن الي مقاتلي قيادة عبد الله وهم على ابي  
سود فسودوا خلق الضيق بأعدائهم وذلكا كين من الحمر صا  
وأى طوس ذلك محس ونحضر الهجوم وهاجهم بالمثل حتى  
سدم الى منتصف الطريق ولكن شروسة كثيفة من الوهابيين  
وصلت من نجد فانتشرت بأعالي الروابي الصغيرة الحافة بجاني  
الصيق فاسطرم الى التفتقر في ماء وشدة ونظما حصن المؤخرة  
على الجبال وغاص بنفسه بصوف الوهابيين لا يصعبه من رجاها  
سوى فارسين قاتلا لسأكراء ودموعه منهمكتس عينيه ه نأما منكم  
من يقتدى بخانداه فكان لا يجاوبه احد على ندائه الطامس حتى  
خيل له ان نوحا من الخيل والاختلاط قد استولى عليهم جميعا  
فتركوا الجبل واليهات والدماع وعلى ما كان معهم من درهم

وعطمت النكبة حتى انه لم ينسر لواء الجيش الذي كان مؤلفاً من ١٠٠ مقاتل لن يجمعوا في بضعة اسابيع من غزوة الشنتفة سوى ثلاثة آلاف جندي . وكان عدد من قتل منه ١٠٠٠ عسكري وأصل الباقون الطريق في ظلام الليل فاتوا جميعاً ثياباً وعطشاً وجوعاً وقتلوا سيوف الزهاديين الذين انتشروا المطاردتهم ولو أنهم أدخلوا مواسمهم لانتفاء أثر تلك الضلوع ومطاردتها لما بقي منها من ينسب الى محمد علي هذا اللص الأليم . وكثيراً ما كان هذا الزوال يمتدح على صاكره اذا نهي الى الصيد من يخلون معهم من القتال ويتكلمون على الأخطاب على الإطلاق بما أساءهم من دغائر دوى الراتب وانقص كبراهم عن الجبل لتعصيرهم في أداء الواجب فكان في مقدمة هؤلاء قائد من أكبر تولد ألا وهو صالح لوج

اعتقد الزهاديون ان المصريين لن يقوموا ان سقطتهم هذه صادوا الى يديهم تاركين بقعة المدينة حامية منهم وبالضائق جماعة من أهل الجهة لمراستها وعاد طوسن الى ينبع فاعلم بنقصها وانصاع من حوفاً من مشايخ القبائل بقوة السيف تارة وقوة المال أخرى وتلقى من والده على أثر ذلك التخصائل الأولى من الجهة الجديدة فلما كان شهر أكتوبر ١٢١٣ أنشأ

نفسه القادرة على أخذ المدينة وكان الوهابيون عاكفين على أنفسهم  
في مثل اتصاراتهم السابقة . وكانت قبائل بني صبح وبني سالم  
ومثلهم من قبائل حرب وحديده والعرمان الذين في الطريق  
التي يمر بها نجد أنفسهم في حضرة طوس باشا أن يكونوا  
دائما أعداء أعدائه فنقل طوس مسكره إلى عذر واجتاز بلا  
عناء معائتي سفراء وواصل السير حتى بلغ إلى أسوار المدينة  
وكان يحميا جيش من الوهابيين وأسوارها الرقيقة ولها الحصينة  
وكان فيها من الزن ما يكفي لمقاومة الحصن طويلا ولم يكن مع  
العشرين لفتح الثغرات في الأسوار سوى دافع اليدان الخفيفة  
فضلا عن الرماحين بها كانوا لا يجسرون على السبل يأملا جديا  
نشيطا خشية أن يتصدع بسببها الحرم النبوي . على أن طوس باشا  
كثيرا ما يجد الوهابيين قال منهم كثيرا القسوة الخروج من المدينة  
وقد لجأ إلى بيت الألبان لفسف الأسوار وبحث إلى المكان  
الذي يوجب ملاصقتهم الساكن وحلهم القباب المأثورة لكيلا  
يسمى الصاكر سوء إذا استطاعوا تمييزهم عن الجنود للدفعين  
وي اليوم قتلى قال الوهابيون يؤذون فرجة صلاة الظهر إذا  
يجزء من الأسوار قد اقتضى ودخل المهاجرون المدينة من ثغراته  
وانتشروا بأرجائها فقتلوا هربا من الحامية ولجأ الفريق الآخر

الى القلعة واسطر هؤلاء التسليم في نهاية الأمر لا تقطاع للدد  
 عنهم وانتشار الجماعة بينهم فأذن لهم الظاهرون بأخذ ما لهم من  
 الأسلحة والتماع عند مبارحتهم للدينة وقاتلوا في أكراسهم الى  
 حد أنهم أضلوا من الجلال ما يكون لقتل الرضى والجرى وعى  
 أحمد بن بارت (أو بوزارة الخازن داو كاسية الجبرى) بجمع ألب  
 رأس من قتلوا بالدينة وشاهد به ابرجا على الطريق الموصل للدينيح  
 وكان أهل هذا النفر قد ملوا الحصار لاستمراره ٧٥ يوما فتلقوا  
 المصريين كما يتلقى الكروب منقده من الكروب واعتم بطوس  
 بأشياء البلاد التي فيها فصرف في تدبير أمورها كل هناك وأعاد  
 الأمن بها الى نصابه واقتلوا لحكومتها ولها حازما وانظم فيها  
 الجنود وأمر بالاستمرار على استطلاع العدو ووسع خبيثة من  
 الحقد في الحناكية ثم سار الى موكبة بجيش من المشاة وعرج على  
 جندة فاستقبل بها استقبال الظاهر والعمل التتريف بمقدمه ثم  
 جعل القلعة بركة

وكان محمد على قد استكشف في الاثناء مؤامرة سيده أحمد  
 بحكم الاعداء في سديرها وم جماعة من دمه الاوتوود منهم  
 أحمد آنا لا ط وسليمان آنا لا ط وصالح نرج . وكان عدده في  
 السويس مئتمرا لتنظيم المدد للجيش المصري في ملاذهم ببقائه

رسالة تدمر، الى التتبعين بالآونة . وكانت حجر الاسفيل، على  
الديانة قد وصل اليه في ١٨١٢ فبعد التشرن منه وقد عليه  
نصارى يحملون مفاتيح قلعتها فبادروا برسالة الى الآستانة . وفي ٩  
وصبر وصلت الأنباء باحتلال جدة ومكة فأرسل القناصل الى  
الآستانة قاصداً بحمل هذه القسري وأطلقت المدافع وأقيمت  
المحلات والاعمال في انحاء مصر وتركيا فرحاً بختلاس الحرمين  
التشريحي من أيدي الخوارج

وتلا وصول التشرن غالب الى مكة قيام محركاتها بطرد  
الوهابيين منها فلما زحف طوسن باشا عليها وجد أبراسا مفتوحة  
ولم يظهر للمصايف وهو مهبط للتشرن غالب ميلا لمساعدة  
التصريح بل استعان بالقرسان الخفيفة على زيادة التتبعين ومنافين  
حامية الطابع أثناء صيف سنة ١٨١٢ وصول طوسن باشا في يناير  
١٨١٣ على ملاحقته وأخذ منه مصطفى بكه الذي كان قد وصل  
من مصر في غرة من الدلالة وطلب التشرن غالب الاشتراك في  
هذه الحملة والملاوة عنها لما كان بينه والمصايف قربة من المداوة  
لمحاوثة خطه من الامارة والحلول معه فلما اترب طوسن باشا  
من الطائف فرأى المصايف منها فتركها كل ما فيها من ذخيرة ومؤن  
واحتصم بمكان على مسيرة أربع ساعات أو خمس في صحراء أنشأ

بها نفسه قلعة في إحدى بقاعها بلحية طعرت هذا الترحم ورفقة  
كبيرة من الجند وأطلقت النيران عليه فخرج الضابطون ليلًا في  
ثلاثين من رحله مشككين واحترق بهم مئود اعدائه فأصابته  
لرسة صاعدة صرعتها فركض على قدميه يصيح شباب من الغربان  
ولكنه قبض عليه في الصباح بالحرب من قرية حنية وحبس به  
الى الشريف غالب وسلم من حدة به الكفاة للوجود بها وهي  
..... عرض وام. وأرسل للصابي الى القاهرة اسيراً فاستقبله  
كخيال الوالي استقبالاً حسناً ثم أرسله الى الآستانة حيث قطعت  
رقت عصب وصوته اليها أيام . وكان غيابة الصابى لقصوته  
وشدة طبعه أكبر صير الوهابيين الذين لولاه لما استطاعوا فتح  
الحرمين الشريفين

أرسل محمد علي الى الآستانة سماعيل ثالث أبنائه حاملاً اليها  
الشرى بالاسيلاء على الطائف وهو سوق مكا ومستورد حاجتها  
وعاد منها معها عليه بناشورة ذات القميص وسلم السلطان لهوجيه  
سبعاً وخمسة وثلاث رشاش مرسمة بلباس وكرك حمود وجملة  
شيلان كشميرية مبدية الى محمد علي وحده بهدائها الى الشريف  
غالب وكرك سمور وريشة ماس برسم طوسن باشا وكان محمد  
علي أندى يدأ وأكثر بدلا إذ أهدى الى السلطان ..... محبوب

( ٩٠٠ ) مرثك ( و ٥٠٠ مرد بن ( ١٧٥ قطاراً ) و ٢٠ قطار  
سكر مكر و ١٠٠ قطار سكر من مكر المكر ( أى  
للمكر أربع مرات ) و ١٠ إقاع صبي مملوكة بالرياح المختلفة  
للتأدية و ١٠ من كرام الخيل نصفها بلاسروج والنصف الآخر  
بسروج مخلاة بالقرنول والورجان وبالات كثيرة من أغر الأفتة  
الهندية وكية واحدة من الاطوار الزكية

وينا كان للليكان يتبدلان للعداء والتعب القمصة كان  
سعود يأمر فيصلا بمهاجمة الحلة المصرية قبل هذا مشاة في الواح  
المدينة وفرساته في حلق الحبال بحيث يشك من معاداة  
العدو والاتحاد على فصاته في كل آن . وكانت هذه الحلة الحرية  
بحكمة التدبير فقول طوس باشا أن يمرتاب ويبدعها على  
مدبرها بأن حشد حدوده جميعاً فاشق عنه القرملي والقرنول  
يفرغوا القطع المواصلات بين الطائف وترويه على مسافة ٥٠ ميلا  
منها . ضا كانت أوائل نوفمبر ١٨١٢ أنشد مصطفى بك قوة  
مصرية الى هذا النوع الثقيل بالاتصال بين الوهابيين في نجد  
والبحرين في اليمن . وكانت تحمي هذا النوع الأسلولو والمخادق  
وتسترها حابة تحق كبيرة تمتد على مسافة ثمانية كلم مرثك . وكانت  
القيادة العامة لجيش سعود هناك فلم تن ماء في صد القوة



المصرية التي انكبها الشعب وحث السير وكانت تنود الهاجيين  
امرأتهم اشهرت بالبطولة اسمها عالية ارملة شيخ بنية مسيح  
قرر مصطفى بك استئذان الخروج في اليوم التالي فأبأن  
له الضباط خطر هذا القمل لما يعلمونه من قوة اللون والقنار  
على أثر استنقاذ معظمتها أثمد الطريق في مراكب منيعة ضد ايدي  
هزية التي طردت في الجبال ومع عن الساكر أنفسهم كانوا  
يأبون القتال ضد عالية لا تخاف زناها ساحرة سمعت الزهايين  
بمساعدها وتوحيدهم بمصرها وحقيقة الواقع ان هذه العجود  
كانت تبت الخاس في هوس القنائل بلها وهو صدق صلاحها  
ومصدق نظرها وبطولها غير المألوفة في بيت جديا فلما أكر  
للصريون الانسحاب تأخير الخوف ألح أعدائهم في مطاردتهم  
والكثيرين عليهم حتى صموا أمتهم وغيابهم ومقاتلتهم ونشأ عن  
ذلك ان سبعة رجل من الأتليين قتلوا أثناء الانسحاب منهم من  
الجهود التي ينلها القرمسان في تلك الاسقام الجبلية لعدو الهاجيين  
عن للصريين ولم يبق الزهايون من ملاحقة هذا الجيش إلا  
على مسيرة يار من القعاقب ولحق مصطفى بك بطوس باشا  
في مكة وهو في سوا حال ولم يكن حفظ الجيش المصري في الجانب  
الأخر من الجبل أسد منه في هذا الجانب في حامية الحامية

كانت قد سالت بنسبها الى السوء الذي رجع من مورده على المدينة  
 جيش مؤلف من ٢٠٠ رجل وبعدها شعر الخندق حسب الانذار بهذا  
 الوجهين تحريره اياهم على أخذ المراكز الصلبة والتمركز في الساحة  
 الذين يقصدون الى مكة وجدة ونشأ من شدة الخطر في الحجاز  
 ورداءة الماء والله القضاء وشدة التعب والحصاء أن حصر الصربون  
 في هذه الحوادث ٨٠٠٠ جندي و ٢٥٠٠ دابة و ٥٠٠٠٠ كيس من  
 القمح وكان ملو من ماشا قد جعل في الخطر للفرصة لداعية الأعداء  
 فصالح من الجند لمطابقة العربان عند ميسر الحاجة كلها بدت  
 من ناعيتهم زجة ال كثر أو المطيعة أو التمتعوا هذه النقطة غير  
 ان هذه الامتصاصات الجزئية لم تكن الا كالحلوة للشطب يسكن  
 الألم زمانا ولكنه لا يستأصل الداء وقد ظهر الخوف في هذه  
 الحوادث حشرة حير فأدرك أول وحدة ان دفع الاعطاش للقبلة  
 يستدعي الاستعانة بوسائل القتال أشد تأجيرا وحصلا من حاجتها  
 فإرسل من القاهرة على الفور ٥٠٠ جندي وملا كثيرا ونياجا  
 وفخائر الى بورس بوسطة القوافل ثم الى جدة في السفن  
 وكان ملو من في هذا التمر مصدر له الأمر بان يجمع في المدينة  
 جميع قواته العسكرية ولطفه دأثير نتيجة هذه الحرب في موافق  
 الباب لئلا يباله من دعي أو غضب وشدة رغبته في تأييد قروقه

الذي طامعا تنازعت الشهوات وحامت حوله المطامع بجهد  
يكسبه بجهد الشان أواد ان يجمع الى حسن سمته كفتاتدها  
الاحتفاظ بحصة الناس واحترامهم له ووقاية مصر من ميث  
المنور بأبواب الخلافة الأرتزود فقد كنية على القهاب بنسبه الى  
مياوين القتال في الوقائع التي ستشعب عنه وأولئك الاعداء  
لباسين

عهد محمد علي بتقاييد الحكم في الوجه القليل الى ابنه ابراهيم  
باشا وفي البحري الى حسين بك ثم أبحر من السويس في سفين  
من رجال حاشيته وأتقى من مشاهه ينما كان اما فارس وثمانية  
آلاف رجل عمدة بالاشتغال يتقدمون طريق البحر . فلما وصل الى  
جدة في ٣٠ شعبان ١٢٢٨ الموافق ٢٨ أغسطس ١٨١٣ حياه في  
السفينة الشرف غالب مصحوبا بطوسن باشا فدخل المدينة على  
مدى الدائع ونزل بقصر بناء ابنه بسيف البحر وفي أكتوبر  
عقد الى مكة فزاد الحرم واستقبل في قصر أعداء له الشرف  
ونوره الأعيان فألبسهم الخلع من السمور . وحامل محمد علي مدنة  
إقامته على أداء الفروم وأوزم عساكره بأدائها في أوقاتها . وكان  
يصل الاوقات في موايدها بالحرم للكي ويدفع الاموال  
للكبيرة لتربيه وزخرفته ودفع أجور القاطنين على خدمته

وكان يسهر حتى الساعة الثالثة بعد نصف الليل باحثاً في آيات  
القرآن مستوصفاً علمهم معانيها مع النساء الذين كان يصرم  
بعضهمونهم هداياهم وكان يظهر فيها هذا ما تقدم التفتيش الشديد  
بمكشرة النساء والمصالحين

وكان الشريف غالب يقابل مرتين في الأسبوع جزاً تراوشتتاً ثم  
قل ريلوته شيئاً شيئاً مستصعباً معه في كل ريلوة تضع مئات من  
رجاله ثم انقطعت اليلوات بلرة فلم يندرتوجه اليه وسبب هذا  
الجلد ان حلاقاً قار بينهما نازراً على جوارك جده، على ان هذا لم  
يكن إلا سبياً ناتواً فلن تعالها كان قد مات به لياها توريد مبلغ  
جسيم من المال على مشايخ العرب المجهودين حاشا لم على تقديم  
الجمال وأن يستعمل في ذلك ماله من السطوة والنفوذ، ولكنه  
لم يصب هذا الامر ولم يمن له النهاية المنتظرة لا لأنه كان يرأياً بما  
فيه والعرب من تقديم الرابطة وإنما ليندفع ويخون ذلك الذي كان  
يظن بالولا، له والانحياز اليه وقد اتصل بمحمد علي سر سلطة  
الدبرة نحوه ففكر في رسائلها ودفع شرعاً عنه ومن  
أمراته فذهب الى الشريف غالب مرتين أخداً عليه رفق إقناعه  
الوفاء بوعده ولم يكن منه أكثر من مشرتن ساطعاً كلاً بذلك  
ان لا يتعد الشريف حاشية أكثر منهم عدداً لا راد اليه هذه

الزينة ولم يكن الشريف غالب قد أهل الاحتياط لولاية نفسه لما داخله من الشك والريبة فكان يلقى على نفسه دأره ولا يخرج منها إلا في أيام الجمعة لأداء صلاتها في الحرم حيث لا يستطيع أحد أن يسهه سوء . وكان غالب يسكن بسبع الجبل عصراً وثيق الأركان وجميع البديان يتصل بقلة حصينة تحمي المدينة بواسطة حق تحتها ومنها من الصهاريج المملوءة بطلب والمؤن الوفيرة والقدائر الكثيرة والمدايح (ومعدها ثمانية) والحاجبة (ومعدها رجلان) . ما يكفي الدفاع عند الحاجة . وكان للساكنين من أهل اليمن والعهد للسلع . هذا فضلاً عن أن زملاء الشريف في مكة ولخدمة وأصدقاءه من القيد وجوده في الطائف وحده كانوا على قدم الاستعداد لتأييده وشدأرره في حالة الحصار وكان تستطيعه الاعتماد على مؤازرة ألف وحماسة رجل في مكة وحدها لما رأى محمد على نفسه في هذا الوقت جألاً إلى ذكائه في استنهاط حيلة الفلاس منه فأقع غالباً بأمر يدعو طروس إلى الحضور لأداء فريضة الحج قبل وصول التوافل تلبية الزحام فخرج طروس بجدة . حتى مساء ٦ الحجة الموافق أول ديسمبر دخل مكة فكاشفه أهوه البجة وصوله بانواء نحو الشريف ثم أمر طروس في الحال مئة عسكري فحرضوا في الحبيرات المظلة على صحن دار

طوسن . وكان الأديب الرعي يقصى بأن يخرج ليتلقى هدى الزائر  
 واتخاذ العمل بهذا الأديب بعد مواجهة بالعداء ، فلما كان صباح  
 اليوم التالي رجع الشرف ولده في قصر قليل ليقدم فروض نهاكه  
 إلى طوسن باشا وتوخي الطغور في الكور لكيلا يتوهم الوقت  
 كعيب الكلاية له بعد أن قضاها في القهوجى فاشاد طوسن إلى الحاضرين  
 بالانصراف فدخل حراس غالب إلى صحن القادر وليث يتفاوض مع  
 زائرهم نحو عشر دقائق أسر يسدعا باستنار شراب مرطب لثيها  
 وكان هذا الأمر إشارة متفق عليها لقيام بعمل معين . وفي  
 الشرف بعد قضاها في الشراب بالانصراف وورز له عابدين بك أحد  
 كبار الاوتزود من الحيرة المجاورة فاستمرسه ودعا إلى تسليم  
 جنبيته وأعطته بأنه صار في أسره فلم يبد غالب مقاومة ما واعتذر  
 طوسن بأن ما يعله منه إنما هو بأمر شاهان وإن ليس هناك  
 ما يفتشاه على حياته لأن والده سيتوسط له لدى الباب العالي وأنه  
 لن يصيبه مكروه فلما سمع الشرف هذا القول تقدم نحو القاعة  
 وأمر رجلاه الذين نصحن القادر بالانصراف إلى منزلهم قائلا لهم أن  
 ليس هناك ما يبيت على لحرف بشأنه وانطلق أحد أتباعه ليخبر  
 بالحادث أولاده وصيغته الذين كانوا مستنصحين بالتمسك بأهلهما فندما  
 إذا مستألفه الحاجة ثم ذهب أولعهم اقتدى بهر دلو الباشا ليطلع

التعريف غالباً من طرف الوال على الخط المهابوي القاسي باعتقاده  
وارساله الى الاستاذة عليه التعريف بنوه بنت الله هو الحكم  
البدل وأنه لاذ كان وجل منه قضي حياته كلها في تأييد عرش  
السلطان والاخلاص له فإنه لن يخشى الوالوف أمام هذا العرش  
ونله على ما وعد به من حسن الباطنة كتب الى ابنائه بمحسبهم  
على التسكون والسلم والاقرار قلنا بالطاعة . ولقد صدوا اليه  
يوماً فنياً ثم بالطريق اذا بناهدين بلك مقبلاً قبض عليهم جميعاً  
وسجهم . وفي اليوم التالي استولى السكر على حمة غالب ولاد  
بعض حاميتها بالعربانت المهابوي والقسم البعض الآخر الى  
الرهائيس . وبث الوال القيود والحراس في جميع الشافذ ليجنوا  
النساء من القرار حينة ان يظن ممن شئت الى الخارج وتبط  
بالقاضي وأحد سباط الوال وبعض الكتبة حصر أملاكه وآمنه  
وأمنته وحوامره ، فباثروا هذا العمل ولكنهم لم يمتدوا على  
النظران التي تواتر على الألسنة أنه يكثر فيها أمواله الجسيمة التي  
جما التاء قبضه على زعم الأمور أي في ممد ثمانية وعشرين عاماً  
يخذه وحشيه وابتزازه أموال الناس بغير الحق وقرمه الضراب  
للقادحة عليهم وجبايته الترامات مضاعفة من الجرائم الصغيرة  
والخضرات التي لا تقابل بغير الأعضاء أو الفسور . والراجح أن سفينة

من السفن الكثيرة التي يسيرها باسمه في الخليج الفارسي تملك  
أو في شطر من هذا المال ال لهند الشرقية أو بومباي التي يرتبط بها  
بروابط التجارة والمعاملات منذ زمن قديم أما ما سطر هذه  
ووقع تحت الحصر فقد بلغ ٩٦٠٠٠ محبوب ينطق و٢٦٠٠٠٠ ريال  
ومقدارا والفرا من الجواهر والبن والاقشة والبضائع المختلفة  
الاصناف والاشكال ولقد حلت هذه الموجودات على مشرف  
الغواب بحرينية مرفقة من الدلاء تحت قيادة مصطفى بك فأنقلت  
من ذلك قطعة كبيرة ألحقت سمنها في المال ال القاهرة . وكان  
انتم من القصور ومن رجع هذا القائد ال مصر معاقبة على خلافه  
في قتال المرأة جالية ولأنه حيا كلف باعلا دار الشرف غائب  
من أهله وفراجه ونخدمه استعمل معهم الشدة والنفقة . وكان من  
بين النساء اللاتي اخرجن مائتا امرأة من صنف الحبشيات أما  
زوجته فقد عاشت ال دار والدها السيد محمد تقي الانراني  
وقد بنت محمد علي ال بيته من يمزجهم على ما تزل بهم من العصاب  
ويذهب بأه ذب لم قرنيات السوية ليمشوا بها ثم دخلوا  
لشرف غائب حفا وهو يحيى بن سرور أخيه . وكان يحيى رجلا  
جليل لقدام عظيم الاعتبار ولكن محمد علي لم يخلصه بهذا المنصب  
الا لأنه كان مدد من طوئل يتأصب محمد العدا . وقد ذنب له



### سأشاهرا عشرى كيميا

ولم يلبث الشرب غالب أن أرسل مخفورا الى جدة . ولم  
يؤخذ له بان يأخذ معه شيئا من المتاع فلم يكن يحمل الا الثياب  
التي كان يلبسها ساعة مض عليه . ويظهر ان المراس للركاب  
يخفونه أراياوا تخفيف أعبائها عنه فليسه نطاله ودالة شطرنج  
جاء بها الترجية الوقت في القرب مع أحد غصبا . وكان قد  
استصحب من هؤلاء الرجال . اذا صبح ان نسيم كذلك . إلى  
عشر غصبا وأخذ الشرب غالب يروي أثناء الطريق على كسج  
أطا كبر الدلالة أنه في ليلة القمض عليه ألح ابنته عليه في  
هدم الخروج لانها رأته متلبسا بلباسه الثمر له . وبقي الشرب  
ومن معه بجدة بضعة أيام ثم سافروا في سفينة الى القصير فوصلوا  
يوم ٤ ديسمبر ١٨١٣ الى القاهرة وكان نساءه قد وصلن إليها من  
قول عن طريق السويس فلبته الداع بطقاتها واستقبله كيميا بك  
الوالى والسيد محمد الخرونى بمظاهر الترحيل والتكريم . وقد  
دعاهما الشرب يوما الى تناول الطعام على مائدة فقال لها في حديثه  
« كنت متفقا أن محمد عليا سيد مصرى مثل هذه الكيفية  
ولكننى لم يحضر قط يبالى أنه سيهمل بها الى هذا الحد . وكان  
الوالى قد جليل غالبا بالوى . هى بدى . من الشدة والشف

ثم تلبث عليه طرفة الكرم والمعروف فأمر كيخياه بأن يرعى له  
 الشأن حتى تمكن أحد ابنائه من القبول متشكرا على ما من طوقان  
 التي أدرك فيها إلى السيد محمد المروفي فوضع كيخياه بك عليه  
 الرقباء وشهدوا للراية على أيها أخيه وبذكر عن مبداه بن سرور  
 أحد أبناء عم الشريف غالب وكان مسجونا عنك ثم جرى به إلى  
 القاهرة أنه حاول القبول كذلك على أثر وصوله إليها على أن يحدا  
 عليها لم يبادل الشريف وأبناء هذه السادة إلا في هاترة الموقوف  
 الخيرية له بمقتضى فرمان السلطان الذي ترك له حرية التصرف  
 في الشريف إما بأبنائه فاحصا على أزمة الحكم في مكة وإما بإبنائه  
 عنها وقد أتت نظرة من نظرائه إلى محنة السابقة في خدمة  
 الاسلام والسلفين فالتفت من السلطان للخروج عنه فورد عليه  
 بالحباز على يد أحد القبايجية الأمر برود الاملاك التي صودرت اليه  
 ولم يبق محمد على بالغا عند هذا الحد بل ولقاء من ماله التماس  
 بخصماته كس ونحوه له الاقامة ببلادك فاستقر الشريف غالب  
 إليها مع أحد أبناء لوفاة الثاني في منفاه بالاسكندرية ولم يبق  
 الشريف غالب وأعضاء أسرته بالبلاد الاجبية أكثر من لربع  
 سنوات بسبب اختلال التعليم والحنين إلى الوطن والحزن على  
 ما لحق من الجلاء والسكرامة فلما هذه السراسل أُنقذت صحت

وحفرت له من تحت دمه القبر الذي أهل ترابه عليه طاعون سنة ١٨١٦

وكان لما عرف الخدي أحد كتبة الأسر ان في القبر ان مملوك  
يدين لطيفا فأهداه الى محمد علي باشا فأكرمه بالمال وأقام عليه  
الخبرات والتمتع وعهد اليه بفتح خرقة ثم اختاره لمرافقة ابراهيم  
باشا في سفره الى الاسكندرية حيث بطلت به مهمة تقديم مفااتيح  
مكة والديرة الى السلطان فأنتم عليه هذا بالباشوية ذات القديين  
فالتفتح كبرياء وصلوا وانتصحت في وجهه أبواب الطامع فلما عاد  
الى مصر أودع على الملا أبا براهيم محمد علي واستأجر اليه بعض  
الساكنين بما كان ينفذه من قضاء وجعل دواء ملحقا لخدمته  
بمما كروب علنا في شؤون السياسة غلبت حوله الشهوات  
وتطابقت الآراء على انه طامع الى السيادة والحكم في البلاد  
والظهر ان شيئا كان قد عمل له استغاوة قال له فيها انه سيرى  
الى أعلى الناس فلما ذهب كحيا بك ثواني على حقيقة الحال  
أمر به ان الشيوخ فاقترق في الليل وسبق لطيف الى الجبل فمرى منظره  
لم يكن هذا الحادث وأشباعه كل ما اعتم به محمد علي أثناء  
وجوده بمكة فاقدمت كثير من جهوده في مصالحة أهل المجاز  
ولم يأتهم اليه بترويح القصور والفلل وتخفيض الرسوم الحكومية

التي فرضها غالب على الرواديات وإنشاء العرائب والكسوس  
الأخرى التي أبهط هذا الشريف ظهور الأهلين بها ومعالجة كل  
من يتعدى عليهم بالظلم والأهانة والنظر بين الإنصاف بها  
يقدم إليه من الشكاوى وبالجملة فقد أخذ بناصر العرب وشده  
أزدم قتلت بالدمويج أسباب الشكاوى والتفسر واستد رولق  
المعدل ولم يختصر على ما تقدم من جلال الأعمال بل اعظم بعمل  
تمرجدة السنودج الأكبر لثغائر الجيش ومؤنودت الوسائل  
السكرية بفتحها إلى الداخل على أحسن حال واستأجر من إمام  
مستطع حشرين سفينة لمدة سنة ورتب العربان الموحكول إليهم  
حفظ الأمن في الطريق الرواب الشهيرة وأقام الحمايات  
السكرية في الجهات الأكثر تعرضا من غيرها لخطر الداهية ثم  
سير إليه طوسا في ٥٠٠ راجل و ١٠٠٠ فارس وستة مدافع  
إلى ترواح التي أصبحت قاعدة لأحراوات القندو منذ اليوم الذي  
ترامى السمود الزحاي فيه أو يعدل عن الرحل إلى المدينة وعلم  
الروال نفسه من مكانا قارسا العميلة ليجهل فيها فرقة احتياطية  
من الفرسان فقصده طوس إلى الطائف حيث ألتأ المخازن  
والسنودجات طمحين ثم إلى كلاج قراة وصل إليها بعد عتاه شديد  
بسبب ماقيه من عنت شيخ العربان ودايلهم للسمي الشريف

واجب على هذا الرجل لم يلبث أن انشق على الصريين وعاد  
للتسلم في سهل (يسل) في حشد حشيد من الوهايين . وكانت  
الفرق من وصوله إلى تراه قد خدعت من آخرها فاضطر إلى  
تنفيذ ما كره بخاف الخلل ثم عقد مجلساً من رؤساء حشده  
تخرو فيه الاحجام عن الهجوم والارتداد إلى الطائف فرفع  
طوسن الطصار ليلها الوهايون في مطاردته وحسواته  
مدعين ولكنه لم يلبث أن استردها بعد أن قتل حسين وحلوا  
منهم فأرسل من الطائف فيها بعد إلى والده تقيراً بالاسباب التي  
استدعت ارتداده . وكان محمد على يشعر بما هناك من الحاجة إلى  
تسكين الطوائف واستقر في القسم فطالب قواد الجيش بما بقي :  
« تحفظت في المبدأ أن الأخير لا يضي أن يعزى إليكم بل إلى  
الفرق الذين سلاهم حقوقي . وليس عندي ما يخلص على لشكك  
في بساتنكم وحسن سلوككم الذي استحق من عزيال التناء  
والواجب عليكم أن لا تتركوا لباس سبيل إلى أفئدتكم فإن الحرب  
أدوار فيوما نجي . بالنصر وروماً بعده . واعلم أن قواد المومنين  
اضطركم إلى الأوبة إلى الطائف وسيبقى الطائف جزاء غياحه  
وكان عربان اليمن يلوثون المراسن العسكرية الضيقة  
ويؤفونها فرأى محمد على تاديبهم وزجرهم في رسم خطة جديدة

يجرى بها الأنظار من مكان إلى مكان عهد إلى والى جدة بقيادة  
٢٠٠٠ رجل و ١٠٠ فارس وجهر اسطولا من السفن الخفيفة  
لحق القناتر ضد منوشات هلبة وحملت الخوذة قرب نغمة  
يدون ان يسلك دم واستولت عليها في ١٤ مارس ١٨١٤ وكان  
يحفظها عدد خمس سنوات ( طاني ) شيخ عرب السير المعروفين  
في حنوب مكة شعبة البأس والتأنيب الوهابيين فلما وصل  
سأ هذا المروء إلى محمد علي باشا كتب إلى والى جدة جصين  
الوضع ووضع سارية فيه واستثنى الزحف، ولكن حدث في  
طربت غطقة ذهبت منها هذه الاحتياطات كلها هذه متروا  
فكان ان هذه غطقة تنقصها مياه الشرب ويحلب أهلها لإزالة  
لما اتهم القبية من مكان على مسيرة ثلاث ساعات منها، فكان  
من الواجب إقامة الاستعدادات حول أهل هذا المكان مع تأمين  
الطريق الذي إليها والقدرة بخفض من الأبراج أو الطرقات . ولم  
يدرك والى جدة أهمية هذا الاحتياط فالتصير على تخصيص ١٥٠  
ألبانيا لحراسها استطاعوا منع قطعان الانعام عن ورودها  
ولكنهم لم يستطيعوا رد الإمداء منها حينما داهمها  
وقضى المصريون خبراً في غطقة من غير حراك فلما كانت  
أوائل مايو لجأهم جيش من الوهابيين مؤلف من ٨٠٠٠ مقاتل

قيادة على قلوبهم حراس الآبر حتى المساء وبسالة وثبات ثم  
 السحوا الى دحل الأسوار ثم يحدوا حاكهم لانه أثر على القبله  
 في هذا المأرق المخرج والمعرض فيه للأسطر الملهكة النجاة يفسه  
 في سعية ناولا بجيشه كالقطيع فلا راج وكان المخرج من مشاة  
 وفرسان ورؤساء وعروضين قد روعهم مرار قائم فاقضوا على  
 القضاة الرئيسية وترجعوا على دكرها الناس النجاة والذين سهم  
 نمر عليهم القول فيها وحسبوا لا يبرون السباحة فقد فتك  
 القوايون هم ومن لم يمت مصولهم للنبوة معت عرفا أو محمد  
 السبع أيضا حيا اندكهم أو تلك الأعداء وهم في القطيرة أو على  
 الاغشاب فاهم ما الرأيه حتى أصوم من آخرهم ومبيرا ما  
 القبر بدمائهم وقد هم القوايون في هذه الحادثة ١٠٠٠ مصان  
 وعددا عظيما من الجلال وقد راوا من الداهية والاصح المالكين  
 نحو في نفس قد مات أكثرهم جوعا وعطشا اثنا المائتين ومما  
 يروى من سفل نفس ذلك الحاكم وحسب طبعه أنه كان لا يفسل  
 يديه إلا جهاء الغضب يدا كان النمطان يتلفون على نظرة منه  
 ولهمون كانهت السكلاب ٠ ومثل هذه المهمة كان محمد على حشا  
 لا يترك من نكبتها من غير ضربة ولهذا يرجع ان تكون مشرفة  
 على من أسندت اليه كما كان لا يحرم من المكافأة مستحقها ولقد

كأنما أتى عثر من الجنود قصوا لينة الهجوم في الدفاع من  
البلدة فأحس ما يكافأه الأبطال المحضون

ومما خاضع الصاب وزاد في الأوصاف أن الأبراس  
الزينة كاطي للقطعة والدوسنقاريا والايديويديا وغيرها من  
الأعداء التي يرجع سبب انتشارها إلى غساد الماء والهواء أن  
الغمران أخذوا يمتنون في الأرض الفساد فغطوا الطرقات على  
السابلة ودهوا القوافل فلم تستطع أحد من القحاة أن يجد ولا  
الآب منها ما لم يكن عليها العدد الكبير من الدافئين  
والنهي الأمر بالوهابيين إلى حصر الجنود المصرية بمكة وما  
على ضاحيتها إلى مسافة بضعة فراسخ منها

وكانت حالة الجيش في الحجاز تبعث على القنوط ولا تدع  
جبالاً للأمل، غير أن محمد علي كان ماضي السرعة لا يزال  
الحواشي ولا تذهب بسيرة الكولونيل فقد بحث يستعجز كحياء  
بالتقاهر لرسائل المدد التي طيه قبله وهو ٧٠٠ مقاتل و ٧٠٠  
كبش وعهد إلى التبرع بحمي بمئة فيا وراء الجبال وأرسل معه  
ملايخصي عده من رؤوس الأعداء والجمال واستدراج في الآن  
نصه إلى الاستغلال برأيه القبايل التي لم تخضع له بعد وعامل  
الأسرى بالكرم والتسامح فأطلق سراحهم بروحون وشجون



بحسب مشاهيرهم على ان يحتضروا الوقوع في مثل ما أوجب اعتقادهم  
وحالف عريان حديق وتقيف وبن سعد وعتيبة وكلها من القبائل  
العشيرة بين مكة ولطائف ثم قصد الى الطائف لالتماع عيناها  
الحسن وهراتها التي والدا تؤكد الروايع معهم . ولقد حضر  
لقائه لثيف من مشائخهم في نحو خمسين من رجالهم فأهدوهم ما  
لا مطلق منه من الثياب والثور وأجرى عليهم من الاوراق  
والزيت ما يصلح صب مرتب الحدي الغصري وكان يصي  
الى اعتراضاتهم ويحتمل اعتقادهم الفحاشى من حديث الى حديث  
يصير وعشيرة جذت ليه أذنهم . وجاء يوما رجل من عشيرة  
فصادمته تناول لحته يده مقتبعا وقال : كئت عبرت  
مذهبي الأول وهو الدم الصحيح مستسكا بمذهب الرومان  
المالوج البتبع والآن اعتنق مذهب محمد على ، فأجابه اللسان :  
ه انى أود ان نقي مبتدعات البقيين في ابتدائك ، وحسبك  
الشرح والبع الذي ذكرناه اسم الى الرومان قد عين على أثر  
انضمامه شيئا لمشايع الحبار ولكنه انتفض عليهم وعاد الى موالاته  
الوالي الذي فله قيادة الرمان للوالين له يستفيد بجماعه ونموه  
بين القبائل العربية . وورد في الاثناء بيا من الاهمية والظنيرة  
بحيث ترتب عليه تغيير محسوس في ما بينة القتال وخطه وتأنجه

ألا هو وفاة سعود بالمصرية عاصمة بلاده في الثالثة والعشرين من  
 صفر يوم ٨ جمادى الأول ١٢٣٩ الموافق ١٨١٤ وكان مبروفاً  
 باليسالة والمسة والسكرم ثلاثون خلقه جده فق ابنه الأكبر  
 علي وعلة الوهابيين

وكانت الجنود المصرية موزعة ونقطة في الجبل كان على ١٠٠٠  
 راسل في الطائف بقيادة محمد علي باشا و ٣٠٠ بين المدينة ونع  
 بقيادة طوسن باشا و ٢٠ ألبان في مكة بقيادة ابراهيم آغا مهردل  
 الرائي و ١٥ من البرابن بقيادة يحيى و ٤٠٠ في المدينة بقيادة  
 ديوان القدي و ١٠٠ في نبع و ٢٠٠ في جدة و ١٠٠٠ في كلاخ بقيادة  
 حسن باشا وكان قد وصل حديثا من مصر و ٤ من الدلاغو ١٢  
 من الأتتود بقيادة هادين ملك أسى حسن باشا وكان قد وصل  
 منه من مصر بحرا واشترك معه في حفظ النقطة الامامية الواقعة  
 على مسيرة أربعة أيام من جنوب الطائف نحو لارضى زهران حيث  
 يقم بخروج شيخ حران عامد وهو أكبر المداين للمصريين  
 وهذا أصبح الجيش للمصرى للوائف من ٣٥٠٠ جندي مشتت في  
 جميع الاراضي ولا يوجد منه بالقطر المصرى نفسه سوى ١٥٠٠  
 فقط وكان للعرض الذى يرمى اليه يتهدد تلك القوة ونشرها في  
 كل مكان ايهام الاعداء بكثره الساكر للمصرية وأنهم لا قبل لهم

بهم على أن الجيش الحقيقي للزحف من ١٠٠ عسكرى يمره ١٠  
 من القربى كان تكافياً إذا حصنان الزلزال منه القربى من الحريرين  
 وإدخال البلاد المجاورة لها في الطاعة ولكنه لم يكن كذلك إذا  
 كان القصد منه لهر الوهابيين وكان من أهم ما أسر بالآخرى كانت  
 الحرية وأقام في طريقها الثغبات التي الجبال اللازمة لتفعل فاته منذ  
 التمدد في عاربة الوهابيين تقن من هذه الطيريات ... هراً من  
 على أن هذا لم يحسم بالزواي من استشارة ... جل من حرمان (حرب)  
 لتقل التضايق بين هذه والطائف . وكان ينتظر أن يصل إليها  
 عدد عظيم بواسطة القوافل الواردة من سنار ودمشق . وكانت  
 إبراهيم باشا قد حصل من جهة أخرى على مقدار منها بواسطة  
 قبائل صحراء ليبيا لنقل أسير الحج المصري إلى الجبل وكانت  
 حاكمة لطائف لا مؤن متدها فكيفوا كلها وصلت القوافل بشيء  
 من التلال وزعمه على الجبلود بدون ادخال شيء في الخازن وكان  
 الجندي في القفط الامامية كحسب كماله وزهران لا يستطيع طعن  
 القسح الذي وزع عليه فحسبان يضمن ما يكتفيه من يومياً بين  
 حبرين ثم ينضجه في الرماد وفي هذا الوقت شرع حرمان اليمن  
 لسوء الحظ يرالون القسحات على المصريين فسير محمد على اليهم  
 في اقليم زهران جيشاً بقيادة عابدين بك الذي استولى عليه بعد

قال يوسيف وطرد منه السكان واضل فيه الأسرى . وكان  
الرومى الفاسل بين اليمن والحجاز الاعلى كثير الطمرات فكانت  
فيه القواكه والأصطب وغابات اللوز وحيون الماء الصمد القنى  
فكانت هذه الزبيا فى مثل تلك الظروف كالكثر الكثر ولكن  
الزجيم الأومودى بنى الاستعمار والفساد فى أرض لا يقبل استعادها  
طولا من أرضين مملكتاه ليتنى وبال انحرص عليه اتقى وصر  
كل ماخاله ملائعا لير الحوض للظمة . وبالجملة فانه بسوء تديره  
وحصر نظره فى القواكب حفر حفرة عميقة فى المكان الذى كان  
يجب ان يستمر بالنسبة لحاكة كأرض الماء بالنسبة لى اسرائيل  
وقد انظر على أثر هذا التخرب الى بث لرسالة بكل مكان فى  
قلب اللؤلؤ والأخذية فكانت النتيجة أن دعمه العموى قسمة  
التي لم يس بالنسبة الاستحكامات حولها ولا بوضع الحراس عليها  
استخدامه بأن الصحراء التي بشغريه إنها بدلت من حالها بحال  
مشكون حصنا متينا . ويان ذلك ان بحروبا اتقى برباه صباح  
ذات يوم على المسكر المصرى وحاول طلسي أن يقطع بجيشه  
للوقت من ٣٠٠ وهادى خط التواملات بين مشاة عابدين بك  
والقرسان إلا ان هؤلاء اغتزلوا عتوف العدو لاندالك اغتزلهم  
والانحام اليهم وتمكن المشاة من صد الهجمات واستولوا على

(منسجمة) فلم يمت هذا القتل في عهد الرعايين ولم يهتم من عزيتهم صادوا في حشد أعظم من الأول لحاول عابدين بك الناس طريق بين المهاجرين للعلاص من حصرهم إلا ان يهروجا قائم بحركات حرية أراد بها تغير ما يفسره فاستدبره بذلك الى الحزن حيث نصب السكائن والبراكها وصل المصريون الى هذا المكان أصورا من السابق طار حامية انتهت بها تلك المدة. أما الرعايون وكان قائم في أشط قائد قبائلي الماسر فقد قاموا مقاومة قبائلي وأسباب الأوتود شي من الخيل والاختلاط فتركوا دحائر وعيائهم ومدامهم وحى حبيب بك رئيس القلاية السليم فصار الجيش بذلك من الثلاثي فان عدد القتلى بلغ ٨٠٠ من المشاة و٨٠٠ من الفرسان والقتلى يهروج أثر المنسجيين يومين متتاليين يليقها طعنا الى بدنة (لية) وكفى عابدين بك الامداد من الطائف وكلاص والسكن فربما من عساكره اشقوا عليه ادوا وان من المجازفة التي لا تائدة منها بالحياة بقاؤهم بأنفسهم في التهلكة وانصرفوا حامدين الى الطائف أما الاعمال الحربية التي تولاها الوالي نفسه فقد ظهر منها برادو النجاح إذ عادت القنلات التجارية سماع مع مواني الخليج البري الى سابق عهدها وتوفد عليه القنصل من الشرف حرد

ابو سباز وانام صعاء ووجه الى ابنه طوس باشا ١٠٠٠ من  
البرمان الذين كان ابراهيم باشا قد استجلبهم في ابيية وعهد الى  
بشيتهم مهمة الاستطلاع والمجهرم في جهات متعددة . وكانت  
للعسكر فارس منهم جولد اسيل وجل يحمل مؤونة وذخيرة  
وخدمة وطبختان . وكان الأعداء يتشكون بأس هؤلاء البرمان  
لبسائهم وعصم بأساليب حرمهم ولكنهم اذا خرجوا القتل  
لا يودون من الا بأكاليب الانتصار . ولقد أوفوا مرة شرق  
ترابة متخلين عربان الناحية أدلاء لهم ضمنوا من الوهايين  
... هو أس من الضأن

ولما انتهى بمروح وحالي أثر عايدى بك لم يصدحها منه  
سوى اسول الطائف فغنيا عليها الحصار وغيب على طوس  
باشا ان يصيبه من جراء الحصار أذى سيرت سرايا الطليبات اليها  
لاستقناها . ورأى محمد على بن الأفضل له الاقتياد لا كانت  
يوجه اليه وجدانه الأجرى فجل بمارحة حدة تحتلها جرادا  
وكان مقبلا ها واطلق في طريق الطائف لا يصح غير عشرين  
جنديا فلما وصل الى قمة جبل ( غراج ) استكشف مسكر العدو  
ووقف على سر تدابير الحربية . وكيفية ذلك ان حراسه قبضوا  
على وحلي يشتمل بالميد والقنص فسأله الولي عن مواع

المحاصرين وقد يرأى أنهم قاصصته مرارته في جوارحه فأنصحه بهدية  
 تحية آتت الهد عليه أن لا يغشى ما كان يدها إلا في صباح  
 القدر وإن يوصل إلى حاكم الطائف وريقة كنت برسه فعا أنتم  
 الرجل اطلق سراحه وكان الليل قد رضى - فله فغشى محمد على  
 ودخس الغشاك ثم لم - ولم يغش حمل الرسالة في بيته إذ قام بها  
 عهد له على أحسن ما يرم . وكانت الرسالة تحتوي الكلمات  
 الآتية . « إلى الآن يجبل حرايع بهم أن » ، فطر طوسن بانسا  
 سرورا بتلاوة هذ السطر وأمر بالطلاق للدافع أمر به عن سرورده  
 ثم انتطى جواردا وسار برجاله نحو السكان الذي كان والله موجود  
 به فها سمع الزهايون دوى المدافع ورأوا منظر الجلود وهي  
 خارجة من الدبسة عتقدوا صدق ما ابلتهم الزهايان إياه من أن  
 القوا على وشك الوصول في طليعة جيش حرم لاستنقاذ الطائف  
 وحلقوا الزورح بين تاري فمجلر بالانصباب الذي كان الأشا سكلها  
 حرك سيرته صمك وفل إته تنب على القمو بدون أن يطلق  
 بنلفة ولا مدصا أو مجرد ربما . والقرو محمد على وإته مدد  
 ذلك إلى مكة جبهة وسرعا كل ضابطهما في بحرين الطائيات  
 العسكرية بالبلاد المحاربة

وكان ابن مدين شيخ عربان حرب قد قصد إلى الدبسة

لثابة ديوان القندي في أسر ما عاقبه بالهبط وحرمت بهما معاونة  
 قاه ديوان القندي في خلاطه ببرازات ثم على القنصر والصلب. وكان  
 الشيخ عظيم الجرأة والفتحة فقال له : « لزم الصمت لأن هذا  
 السيف ( ثم ضرب على سبحة يده ) هو الذي فتح للمصريين  
 أبواب الحرم » . خلق ديوان القندي وأسر في الحبال بشدة وثقله  
 وحبسته هرجعت معه كتب كثيرة تبدل على نواظه مع الوهابيين  
 فاستند عليها في التخلص منه بأعدائه إياه يده في املق السجن  
 ولا اذمل بضائه وعمرانه نأته قطعوا الطريق على القوافل  
 وتبعوا على مراكز الجلود العسيرة فلما أيقن محمد على فداحة  
 خطرهم وسوء مبيتهم عقد اقية على قضاة تقيّة الوقوع في  
 القحط بانتخام الزلود فأطلق الطوسن بشا حرية التصرف ثم  
 قصد الى بلبح حصل تسامحه السلية وسجابه السكرية على  
 عالم بكر يحصل عليه لو استعان بالأدوية واحمل والحماية  
 فارس والدمية على تمرير جابه وبغلاء كلمته قلقد استطاع أثناء  
 وجوده في بلبح وبذر أن يستعمل اليه شيوخ العراق ويستخرجهم  
 الى محالطته والأأس به وأعدام القديا الثانية من السور  
 والشيلان للكنتميرة. وأكده في تضريرجانه لم انه ينبر قسه  
 ضيقا عند قبائل العراق لا يحصوا لهم. وبعد أن وعد بقتاب السيء



ومكافأة المحسن سار بجنته فاصدا الضائق وقال إن كل ما يشتهيه  
منهم تسليمها إليه . وهكذا عاينها عاينهم من البربان آتوا على  
أنفسهم أن لا يفتزلوا عن شير منها . فلما لاح لهم طوسن بأشأ  
وجنوده أطلقوا الرصاص عليه . فلم يأت بهم بل لغت بقتل غيابه  
إلى قم جبل الصفراء ويديده . ونصبا فيها وكاما عما خرجا خلق  
الوادي فتشاد في كل منها طاية ودم طاية ثالثة بدخل أسوار  
القرية وجعل بها نصبة من للشاة وستودنا لدخان ومن عاين  
المصادقات أن نوى ديوان القدي تحت عبا تيجرعة ومشاق  
الحرب في الوقت القدي كانت صيحات المتجبن عليه من العرب  
تطالب برأسه فأبلغ الأمير طوسن إلى البربان فيه مدعيا أنه  
أمر بقتله لأنه قتل شيخهم فقامت لهم بالقرح موقين بصحة  
هذا القول وتم الصلح بذلك فضمن للروء لسرايا الجيوش المصرية  
ونجراتها واشترق طوسن الجبل فملا فمسل المدينة في أكثر  
١٨٦٤ تنبه قلعة موققة من الف جبل محلة بالوون للاهلي وترك  
في حناكية يجهول المدينة خاصة فرسانه ليخرجوا صباح كل يوم  
في طلب الوهابيين وملاوشهم بالأداس الواقعة شمال المدينة  
وكان موسم الحج قريبا فوصل من الحاج في وجر نحو  
٨٠٠٠٠ منهم مرضى كبير من هؤلاء الآسنة وأميالها . وكانت

روحة محمد على الأول، وهي التي غصها بحطونه، وأسكنها القلعة  
 قد وصلت إلى مصر في أربعمائة سنة ١٨٠٤ آتية من الروم على مع  
 ابتيها وإسماها تلك المذكور من إهانتها. وكان إبراهيم وطوس  
 قد حضرا إلى مصر قبل أمها في ٢ سبتمبر ١٨٠٥ فلما وردت  
 الأنجليز بقرب وصولها ذهبا إلى شبرا لاستقبالها وحيتها مدافع  
 القلاع عند وصولها ودأبتها إلى القاهرة ٥٠٠ سيدة وأكبات الأمير  
 وفي مقدمتهن أربعة مائة بك ولد ازلاوت أداء غريضة الحج  
 لذلك العام فوصلت إلى جدة سنة ١٨١٤ وحملت إلى مكة في حرة  
 مقفلة بحرها اثنتان من جبال، غليل وقتلت امتنها إلى مصكة على  
 حسيانة جبل فكانت هذه الأمتة من الجلال والفضيلة بحيث  
 تليق بالترك وبعب عيونها في سهل عرفت فكان أعظم وأجمل  
 ما نصب في هذا المكان من الصوارين . وضربت بالقرب منها  
 اثنتا عشرة حربة لتزول صاحباتها وكان يحيط بهذه الصوارين  
 سياج من قماش الكتان محيطه ٨٠٠ خطوة وقف الأغوات  
 يباب هذا السياج على اسمهم للزركشة الجلية. أما الرجال من  
 حاشيتها فقد نصبوا غياهم حول هذا السياج من خارج وكان  
 نقش الصوارين وطرزها وتنوع ألوانها مما يحلر القتل في  
 تصويره وسجى الدان من وصفه . ومول محمد علي على قضاء

من رعاة الخيل فأحرم بشالين كبيرين من الكشيش الأيمن ثم  
 استطى جواد وهو مكتشف الرأس يسرى بين الصفا والرونة وكان  
 أحد كبار الجند يظله وقتئذ بظلة ومرح الأملون بخفانة الحبل  
 المصري وما أحاط به من مظاهر الأبهة والبهلال وأصعوا بحس  
 منظر جود الحرس . وفاق مائة مصباح كبير في دوى من  
 الاوشاد الـ « مريح عجمه وأندأ أمام صيوانه حورس كبيرين  
 يستقى المباح الماس بها ما شاءوا وصف التي عشر مدعاً لا حلاق  
 الثار وطلق حشيتين لائمين من القرن سلماً أخذ المباح ثلاثمائة  
 قرش والتي عشر جملاً . وقد رآه سليمان باشا والي دمشق في  
 مركب جميل سارت فيه الجلود باللانس الزر مسكشة بالذهب  
 ولهب وحشية من اللؤلؤ وكانا على الجياد الصافيات وسفوف  
 مدفعا على الحصن وأيديهم للفتايع وأدى إليه غاضى مكة وكبار  
 تهملوها ووجوه المباح من جميع الأنظار فروض العظم  
 والاحلال وتشرى رؤساء الحند وكبار اللواد بهم بدء . وكانت  
 قائمة حجاج مصر مؤلفة بعضها من رجال الجيش وبعضها من  
 الصالح القناعة له مطلق الزوال منهم معاصرة الغيول والجمال هبغ  
 ما توافر صده من الجمال وحدها ١٢٠٠ رأس وأراد بهدماً لصادره  
 القيمة خمسة الفقة

ولما حشد جميع قواده بين مكة والطائف وتقدم غارات  
 الصحيرة والنيمة والملائم وعين للراكرز واقتطعت لاقامة الجسد  
 ورتب مدغيبته المؤلفة من اثني عشر مدعيا أذاع في الناس عزمه  
 على قيادة الجيوش فأيقن المساكين بالظفر ولكن بقي هذا  
 الاعتقاد مستورا في القلوب حتى من ولدى غاطسة يحمل من  
 بذور الطيخ طافوا به شوارع مكة وسكنها في موك عظيم  
 متادين بأن هذه البذور ستبدر في موضع بلدة رابح بعد تدبيرها  
 ولا ريب في أن الاستيلاء على هذه البلدة كان من العسوية بحيث  
 دعت الحاجة إلى اتخاذ هذه الوسائل فحدث عليه والفرغ منه  
 ونجس في طريق جدة على ثلاثة عشر من العريض تهمة الارتباط  
 في الخفاء بالوهابيين فرميت أعضائهم على مرأى جمهور عظيم من  
 الناس . ولما انتهت التهمة وجهزت لمدات الحرية سير محمد علي  
 بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨١٥ السرايا من المساكين الأرتودو بمساعدة  
 حرسنا للاقتضاخ على جناحي المدد ومؤخره طلبا لخطبة  
 مرسومة وتأمب محمد علي بعد ذلك بقسمة أيام للاصحاب اليه في  
 ١٧٠٠ قرس فأذن بالأعمال الواردة تنفيذ وصول جيش من الوهابيين  
 إلى قلعة متصيا بحر جدة ومن أهل هذا القصر بذلك فآذمروا  
 وتروغروا لئلا يله في منذ شهر واستحالة الحصول عليه لولا

انقطعت للامارات مع مكة وماعف العرب والحزن أن لم تفتح  
 اسوار اللواد التنفائية نسبة الثلث لمرء خيوع تلك الاعشار  
 فانطمرت الحكومة الى القمم على الصهاريج للانقطاع بياها عند  
 الحاجة وأزمت الأهلين بالاستثناء من الآبار السبعة من النهر  
 بناية كبير مقرات ولكن القربان للنهرين بالاستطلاع وضمر  
 تلك القزع جدا لأن الرعايين الذين ظل في بادى الأسر لهم  
 في كثرة من القصد لم يكونوا إلا شرفة صغيرة جدا من جنود  
 طامي نزلت على مقربة من قلعة والها ليست من القوة بحيث  
 تسرع ذلك القصر ووردت على محمد بن باشا عيب ذلك أيام  
 القهار قيد بساعة بمخرج للقلعة عربان قبيلة ( ناصر ) بارشكف  
 القطارح في خضم من قتل ونهب وتخرب بالرحم من قطع  
 الاوتارود من بلدة ( بحجة ) عاصمتهم قطع الامانة والياس  
 ونفى الى الوالى أن ترأى تتوارد عليها الامدادات فلا تقطع  
 عراى من الحكمة التمسيل بالرحم فلما كان يوم ٢٨ محرم ١٢٥٠  
 الموافق ١ يناير ١٨١٥ خرج مكة الى كلاس وكان ينتظره بها حسن  
 باشا وعبدى بك وطيرز أومو ومحمد بك وبنو نابت القلعة  
 والشرع والصح ومعه من المؤن كفاية شهرين لوجه القرب  
 واجما عند وصوله الى حبيبة لأمدادها وكان الرعايون يسبقون

عليها المصريون من جنس في جيش من القرامطة لي تسلل وكان العدو قد استولى عليها وقد اتخذ القرامطون معسكرهم بسفوح الجبال المفضية الى السهل المتأخرة للطلاب وكانت عندم حيث صكروا آثار ذات مياه غزيرة جيدة لثلاث العديين فقد كانوا مضطرين الى حلب مياههم من كلالح محقة على الجنوب وكان عدد القرامطين في الجنوب لا يتجاوز ٢٥٠٠٠ رجل مسلحين بالسيوف والخطرات و٩٠٠٠ هجاء أما القرامطون فكانوا قليل العدد لأن مناورات طوس بنا حول المدينة عرقلت حركاتهم وأصابهم بالقتل ولم يكن مع هذا جيش العظيم مدفع واحد وقد انضم اليه الأساطيل المشهورون بالساعة من زعماء شمال اليمن والسهل الجنوبي الشرقي وكان القرامطين في اليه يتوجه شديدة من الى فضلة فحرموا انظار محمد على من المعسكر الأساسي وقد تمكنوا بهذه الخدمة من اكتساب الوقت لئلا يأتيه بسل و حياز الميدان لللائم لأناليهم في القتال وقد اعتصموا بأعلى جبالهم لا تبدو منهم حركة إلا لمنع المصريين من نصب بطراتهم في السهل . وقد ولعت بين القرامطين مناورات كثيرة ظهر خلالها ما ان نجاحه لا يكون موهوبا ولا موفقا به . لا إذ أعمل الحيلة على استخراج العدو من الجبال التي اعتصم بدورها وانتع على من يرويه فيها

فأرسل ليلاني طالب المندس كلاخ وصحب مداعبه في الواحش  
للثلاثة وأرصد القيس من الارزود على أحد جناحيه فلما كان  
بجر قيوم قتالي أمر بالقتال فقدم القوا كل منهم بجيشه حتى بقوا  
بناء على التمديات الصادرة اليهم الى منتصف رمي للطبقة  
واطلقت المدافع هذا القباي الحبل ثم انتقوا بجاء على الأتقاب  
منظلم من مخرج الظل والقتل في صفوفهم فاعتقد الرهايين  
انهم ولرا منهزمين ورأوا امرسة سائحة لظفوفهم والقضاء عليهم  
والقص على محمد علي خمسة مطر حين بهذا الاندفاع وهذا التهور  
ومابا شيعهم سعود الزهاني سائحة حضرة الوفاة حيث سألهم  
أن يمددوه على اتقاء القتال في سيط الارض لتعوق اعدائهم  
عليهم فيه وفاة خبرتهم بأمره فتأذروا مواليهم الحصينة البعيدة  
الرام وانطلقوا في السهل يقتسمون أثر للمصرين فلما رأى اليشا  
مباح حيله فحاشا لفرق الأسول وان الزهايين قد ابتعدوا عن  
مستصمهم ابتعادا يكفل تشكيل حيله بفوز باهر أمر رساته بعد  
أن دهم ترتيبا هكذا بتحويل وجهرهم الى الجهة التي الصرخوا  
منها وأن يقابلوا الأعداء وجها لوجه وما شرعوا بتنفيذ هذه  
الحركة حتى لاحظ لهم بشارت الفوز. وقد اشترك محمد علي باشا  
في الحركة فأرصى يده أحد الزهايين وكان للشاة الصريوت

يقومون في الوقت نفسه بحركة التفاف حول الوهايين لحصرهم ومنهم من القسرت الى الجبال . وكان الشريف راجع عند طرد من قبيلة حجة بعد أن أمدع بالرجال واللؤن والنفار وانتشر مرياته في الولدي الذي كان لا بد للوهايين من اختياره أثناء انسحابهم فأوقع الغلال في سمومهم وكان راجع محتلياً فرساً من كرائم الجبل ويده رمح لحبل على القمل وحده حلة شديدة وألوان في الخلق لم يقف إلا بالقرب من خيمة جمعت الى حردة الصحابة جالاً للتريب وحس التسيق فترجل وغرس أسنانيا في الأرض رده ثم وقف يصد عن عيه ببيعة جهود المهاجرين ولثت كدك حتى أدركه محمد علي فاقطعه من هذا الموقف الطرج ثم سأل بعد أن أشار الى الخيمة لمن هذا البيت ؟ فأجيب هو ليعزل بن سعود فقال الولي ذلك لو تقول الآن أنه لك لاله . وقد دعه الاثنان فوحدا به أتقى قرش واب . وأرسل راجع فرقا من غرساته لطردة الهاريين فانضم اليه التريفت الحيلابون لا لمدادة بينهم والوهايين بل لالتباس ما يسمون به الرمي وقد تمكروا من حصر ١٥٠٠ وعانى ضرت انقائهم جيماً واستطاع ابن شبلان منهم ان يفتق له طريقاً بين سفوح الصاريين في شدة من امراهه بمسجزة . وغفل مخروج وهو أشد زحماً القمل



حلباً ونهروا الذين من القباط المصريين وقتل جواده من تحتهم  
فتمكن من الاتساع بين القريتين المصريين بعد أن لمعهم  
بالقوة أحدهم على القبول من جولته امتطاء وفرّ به أما طاعى فلم  
يستطع أن يبرد من المركبة في قدر قليل من رجائه إلا بعد هول  
ومشقة وأخيراً ما كان الرهايون يطلبون الأمان أو الصلح ،  
ولهذا أومى الزوال رحاله شاميههم والمصحح منهم نفاذ انفسهم  
ويلع عدد الذين أسروا منهم ثلاثمائة أما التناثم فتناولت مقدراً  
عظيماً من الخبز واللبان وكان مقرراً منح ستة دنانير لكل  
جندى من المصريين بمضى برأس العدو فاجتمع بهذه الطريقة  
..... رأس وعثر في الجبال على جماعة من أهل النصارى وقد شد  
وتاقهم لأنهم كانوا ليلة رحيلهم للقتال أغمسوا زوجاتهم بالطلاق  
لأن لا يزلوا ظهورهم ثلاثاً عداء فلما عدت منهم النصارى ورأوا أنهم  
إذا رجعوا قامت هذه الخبيث شددوا وتفاق بينهم البغض حتى  
يأتى العدو بما أحدهم أسرى

ولقد بسى محمد على مع عساكره الليرة في كلاح فإذا كانت  
عينه قد صحت لحظة فإن منه لم تم إذ لم تقض أربعة أيام غيب  
ذلك حتى وصل إل أسوار ترابنة فالتصّب بها فعمل بلا مقاومة  
ولم لم يجد السكان من يدفع عنهم ويصونهم طلبوا الأمان وتقدموا

مروى الطاعن وقد اتخذها قبائلاً بعد هذا اليوم مسكراً عاداً له  
 وحاول المصرون نهب بعض المساكن ودمروها وانتهى بالفساد  
 الجليلات فكبح محمد على جماهم وأوقفهم عند عدم وألزمهم رعاية  
 الأديب ثم صرف همه إلى تعزيز الشرف بحج بقوة من الجنود  
 تحت قيادة عوطة وكان الشرف يزحف برا على قنطرة في  
 عرباته بينما كانت القناطر والمؤن تصدر إليه بحراً من ثمر جندة  
 وعند حلول الشتاء جاء ما أبداه العدو من قسوة عن غطى موافقه  
 الجنوبية على قنطرة إليه فيها بقي الروح والزهة في قلوبهم رجاء  
 لحمل ما جمعه في كلاج من المؤن والقناطر على ١١٠٠٠ رجل وهي  
 الحمل التي أصبحت ملك يمينه منذ صاعف عديد دوابه بما أحرزه  
 من النصر على أنه رأى قبل أن يغادر أن غدير حمزة كبشاً أهل  
 القديسة كما أجبر به أهل القاهرة والآستانة وكانت الرسالة التي ضمنها  
 هذا الخبر بطريق ٧ صفر سنة ١٢٣٠ ولقد فرشت المساجد الكبرى  
 بالمدينة وهي تضمن شرح لقرآن ومطلب الدعاء له في الحرم  
 للفقير أمام المصريح الشريف بتحقيق آلهة والقنوز على أعدائه  
 وتطوير الجواز من أدوار الخوازيج بالتمتع عليهم أميين  
 واشترى محمد على بمهنة كادس من بادي الأسر، أراسي  
 عراقي (أكتب) متعباً نحو الجنوب فاصداً (روية) وكان ابن

كستان شيخهم قد أقام حسنا سجرا فافتتحت أبوابه للمصريين  
 الذين واصلوا السير أربعة أيام حتى وصلوا إلى أرض (يشه) لبي  
 سالم وم نية ابن شهبان وكان بها حصن شامعا سمود الرعاني  
 وكان فرسان محمد على مسكرين في نقطة بالحروب ذات أشجار  
 حردقة وتعمل بسقة ومنهم مشاة من الأرثوذكس بقيادة حسن باشا  
 فأقاموا خمسة عشر يوما هناك الجبهة التي يشترها عرمان التتلي  
 منقطع بين الشرق والغرب وكان الفرمان بنور دوت  
 ضارعين إلى محمد على أن يصدرهم على سمود لأنه لو تصكب في  
 حزم صنوف الجرائم وأهبط عرائضهم داعية السكك ، فافتم  
 الرمال هذه القرعة لئلا من خصه بزيادة عدد المراتين له من  
 خصومه لغزل من ولائم الأمير الرعاني في الخامس من مثله  
 ووردت إليه الأخبار هناك بأن طامبا محدة في تبة التند قتله  
 رجاء القنطرة ، قتلى الرمال أنه سيوفر عليه عاء الطريق بنهاية  
 إليه . وقد تحرك ملا بحيث متبها نحو القنطرة قتله قتال عاكرا  
 من الجرح والشلل حالا بوصف لأن أهل القتال كان روحهم  
 منظر المنود الضالعة بهجرون مساكهم حادين معهم ما يملكون  
 من ملحية وأغذية .

ولما بلغ الجنود إلى آخر مرحلة من هذه الرحلة الكثافة

وكانوا قد استنفدوا في الطريق وانهم لم يجدوا امامهم ما يسدون به  
الرمق سوى طيور الجبال التي تنوء تحت اقبالها فتصرف على  
الجبالك . ولما سمع محمد على جنوده هذا الضحك شاركوا في هذا  
القتناء . وأراد ان يسفل عليهم شره الليل ليل الخبر فزاد حروب  
كل منهم لرشا واحدا ، ولهموا أياما استراحوا خلالها من غناء  
القتل والارتحال وأعادوا في ميا دسهم شجعة جبل (ضمران) الى  
الشيخ حسن السنان مع المشرق والاميرالمت الى أولها  
أسرته السلطان سليم الأول قبل ثلاثة قرون بحصر الامارة فيها  
وقد شق مائة حواري في يوم واحد فخلق السأكرك ووجسوا  
خيفة ولكن عثم لم تخط قلبك لاستعلم بان تراجعهم الى  
انطلق خطوة واحدة يغني حيا الى هلاكهم نزل محمد على وسائر  
قواد جيشه عن دوابهم وساروا في مقدمة جيوشهم واحدا فكان  
ذلك مشجعا للمشاة على مواصلة السير بعد انشراط ومنام الناسا  
بنمية عظيمة إذا فتمت ايمن لهم أرواها وكفى بطلع الأكرام  
عليها للماخي الذي كان من أوثق أركان الوعايين ثم تركهم لشمسا  
المنور من الوالي فأنطه لربة تبعه عن الطائف بشرق كبلو مقرا  
وتنذر على الساصكر للصريقين إمرار مداهم خلال التملب  
الصغرية التي تعمي قبائل السير لها وصلوا الى أراضهم

بعد أن ملأوا صفوف الشان في ذلك وكان قد مضى خمسة عشر يوماً على ارتحالهم من يشة فهاجوا قصر (الطور) للشيد على داية عالية ويستعد البايون أنه أضع من القلاب الجو. وكان لطامي في هذا المكان ١٠٠٠٠ مقاتل فبرزوا وهو في مقدمتهم حاكاً لهم على القتال في آيات حماسة فلما كانت اليوم الثاني نصب المحاصرون مدافعهم في لقطع الملائكة فألزموا القوايين الأبطال واحتل المصريون القصر بعد جلاءهم فوجدوا به صنواً لأعداد لها من الخنازير والمؤن والأدوية ومن بينها للباع التي عسرها للمصريون فنهضت في العام السابق وعضة آلام من البنادق الجديدة ذات الأنايب النارية القديفة بعد أن عين محمد علي (ابن مدي) شيخاً على قبائل السيرة بهذه السواحل من الخلق الصخرية للقبائل وأنه منها إلى الفيلة التي كانت الأموات والأحلاف الكثيرة قد وردت من جبهة إليها

وسبق إلى المسكر العام في الآن نفسه اتزان من حكايات الأسرى أحدها طامي الذي لا بد للفرجة بأحد الاتصاف فسلمه إلى المصريين وبخروج الذي أسر في زهران إذ دعمته فصيلتان مسرعات فوقع منها بين مارن. وجعل محمد علي الأسرى في غيبتين مجاورتين غيبته وإذلاً حادث طامياً واسطف عليه

لأنه مع طموحه في الفس وبيداس عليه كان متشد العبدن شديده  
 الشأس ثبت البطان في مسابه أما بمخروج فقد كان محمد على يظم  
 عليه تديبه حدود القيدن وبيا وجهه من الرساكن فن ذلك قوله :  
 ه لقد عبرت بنفسك صلاية الرهايين ومجيت مودم فأولى بك  
 لن سكنت عاكلا ان تورد الى مصر ولن تشرب من ماء النيل ه  
 وقد انتهز بمخروج في الليل لحظة من حراسه قد بداه الى جنوبة  
 ( الحمر ) وقطع بها دكانه ثم لاد بالمرار والسكة لم يلبث أن لبس  
 عليه بعد مقاومة وصال جرح فيها رجلا وقتل اثنين آخرين  
 فاستدعاه الوالي اليه وسأله ه أي حق تقتل عساكرى فاجاب :  
 ه ما دمت مطلق القيدن فأني أعمل ما تشويه عسى يقتل الباشا  
 ه كما قتلت عساكرى سقتل أنت أيضا ه وفلا قد كل بمخروج  
 وأرسل رأسه الى القاهرة ومنها الى الآستانة ثم تلاه حاكمي ياف  
 لوسل أيضا الى الناصح وفي الأجرة منها قطعت رأسه  
 وكانت محاصرة المصريين ما ذكرهم الأخيرة ١٨٠٠ هسكروا  
 على و ٢٠٠٠ جرس فيها عدا للرمن وكان عديم عظيم وكان القصب  
 قد أتمك نوى السأكز مرجع منهم الى جدة حيث انزفوا بالنفس  
 والقطاثر عائدین الى مصر وإنما استثنى منهم بضع مئاة من  
 الألبانيين بقيادة حسن باشا - وفي ٢١ مارس ١٨١٥ عاد محمد على

الى مكة فضمها أيضا بعد انتماعها حسن ملك ولاية هذه المدينة  
وحسين ملك قيادة القربان والشريف راجع حامية تربة وبيت  
ثم فسد الى المدينة فبلغ اليها في ١٥ ابريل وكان في فترة لا تزيد عن  
٤ دجبا وكان طعابه اليها لمرتين أحدهما الخوف على الاسرار  
في شمال الحجاز والثاني رسالة قبر النبي عليه السلام  
وكان عبد الله بن سعود جاثا في القسم برجر الحيلولة بين  
طوسن ملكا والمدينة فلما وصلت اليه الانباء بغير الرأى بها ذكرها  
من وقته حتى أن يصبو للدرعية سوء صدد من هجرها اليها وانهم  
بصياتها . فبول طوسن على التماس اليه لمقاتلته فيها . وبعد عودة  
لنوال من حروبه مكلا بالفر تحرك طوسن في ١٥ مارس  
وجمع كتيّف من الفرمان للولاية وأخذ منه ثلاثة مدافع لهجم أولا  
على عربان ( حطين ) في شردمة من رحلة صمم منهم ٥٠٠ رجل  
استخدمها في قتل الأتراك ونعمز أهل تربة ( شانه ) للقلعة  
لحاصرهم وبعد يومين ألقوا السلاح من أيديهم ولم يبق عبد الله  
خلال هذه الحوادث ما يحب عليه باعتبار كونه أمير أمة وعالم  
حيث فبرر الى عربان نجد بدوا وحضر الإستيلاء منهم ثم تبعه  
الى القسم بمشورده نصب عيونه على مقربة من ( شانه ) على مسيرة  
خمس ساعات من مسكر طوسن وكان الجيشان يريان كلاهما

الى أخذ بلدة (الرس) المتصلة بالمدينة يمنة وبالدومية يسرة تحت  
كلهما السير إليها فحرد طوس من نصب السنين بالوصول قبل  
حصنه إليها وأسديلاه في جنح الظلام عليها فقدم الشانخ اليه  
مقرين بطاعته فأتبعهم على مدايا الثينة وألبسهم الحرلوى السمور  
وأوصاهم بحمل الصلاة يوم الجمعة باسم السلطان . ولم يجد عهد  
للله فجهاد هذا الفشل سوى الضجور على قاعة تحمل الأتوالد من  
المدينة ويرى رباب حراسها ورأى طوس بلشأن أن لا ... حل  
والا ..... وأس من الفهم التي للبرلمان الحائزين ستأني على ملق  
ضواحي الرس من المراعي الخضراء والكلا وأن هذه المدينة  
تنقسمها للوؤن ملود بانتماء الوسائل الوافية من الجبابة . ولكن  
يجمع الوهابيين من البلاد هذه الجهة عدم بعض التلاحق والأسوار  
ثم ذهب الى حية (الشبيبة) فاحتل مد القدي سمور ورجاله  
لواصي عربان (عرة) البعيدة عنها مأوية حراسه واستمرت  
الثلوثات عشرين يوما بين البرلمان الحائزين للنقط الاصلية من  
الجيشين وكادت آخر سلوثة منها تضي الى معركة عامة أو  
واقعة حاسمة يحتل الظاهر فيها الأرض المتنازع عليها  
وحدث أن اشتعلت الحفرة اشتدادا جعل أشعتها كسها  
قارية ترشق الأبدان وتلذذ لها السب ولما حل بالجفود من



الذهب الزخرف بها الى الاسلام . وأخذ تصديق الخلق على معسكر طوس يستند حيناً طيباً وأقواله تنقص تنقصاً محسوساً فانظر ان يضل عنه الى الرس ويرسل مبعه الى الملائكة بالبكيرة . بعض فصول من جده لقوائيه منها بما يسه التلوة . أما أهل البكيرة فتقرا طلي اتياع الاقوات منهم بالرماس . فلما نفي هذا الخبر الى طوس باشا حتى عفا شديداً وعرض عليهم حاكماً من طرفه بعد أن هدم أسوارهم وحامل بمثل ذلك اعالي ( شلقة ) فإنه بعد ان حاصرها أربعة أيام وكل ٢٠٠ من المحصورين هدم منازلهم وشقت شملهم لظهور له أنهم يأمرؤا مع أهل الرس على التلوة بحاميتهم للمصرية

كان طوس باشا في ضيق عرج وكرب شديد لانتطاع الأتباع من مصر وحقه القتل والأقوات والأموال هذه لضع مرتبات الجنود وضعت قوته من جهة أخرى بالمراد بالمولايين لاستيائهم من روية الوعايين بشؤونهم في كل وقت بالسلب والقتل حتى أنهم كانوا يصفونهم في حديثهم بالكلاب وعدم الكفرة والمشركية بدون أن يتأروا لانقسام من ذلك الاعتداء القاضح ، مع أنه كان يمد عن المدينة بقر ١٠٠ فرسخ محيط به الأعداء من كل جانب . وكان احد ألقا غزوة لده قد استطاع

في نعمة من الوهابين معاصرة للتربية في مدة مؤلف من ٦٠٠  
وجل و ٢٠٠ جل عملة بالاهرات والمخاطر وأدوات الدافع  
وكان عبد الله يرى من حاجته أنه إذا أسقطه للتأويل على  
الفتنة بالحديث المصري كذا فإن النتيجة ستبقى بالنسبة له بسيطة  
على كل حال نذكر عرض ونحفظ له هذه الأمانة لما ونحن نحمد  
على إزاء هذه الكارثة سأكتب بل كان لا بد له من إزال موانعه  
بجهد وسكنا . وكان عبد الله لا يجهل ما عليه مصر من الرخاء  
وسعة الثروة ومن في قدرة عمده على هذه الوسائل الثرية الاكتفاء  
من القبائل المولوية مع إكمال التقص في جيشه وسد الخلل التي  
تصدت بها أركانه بها التمت وإن مصائب الطروب وكوارثها  
ستنسب لهذه الأسباب على الجبال سوانت عديدة مدينة بلا  
ثمرة منها ترتجى وإن الكثيرين من امره يفرحون بداء الصبح  
الساعة التي ينح لهم فيها النروح عن طاعته . رأى احتفاظا  
بجودة القبائل ونمسا بمخالفهم التحول على طلب الصلح فأخذه  
ضلا من عمده على بواسطة وقد قرر أن ينفذه للمصر فوقف يلب  
طوسن باشا ملتسا المنح عنه وبهوله في حداد رعابا السلطان  
ورعاية أولاده والهاء له في محطة الجمة وتلقى طوسن من هذا  
الوفد هدية جليلة من كرائم الغليل والخبز فأكرمه بتقديم القهوه

عليه وعرض عليه شروطا لقبول الصلح منها القبول من يدعة  
للذهب الرومانى والتسديد بتسديد أوامر السلطان وتوجه موفقه  
الى الأستانة اذا طلب ذلك منه وتسليم معانيج خاصته والاقصاع  
في القلعة على لقب شيخ البلد وورد الثعالب التي سلبت من  
الحجرة النبوية وحماية المواصلات الصحاح والنجية لوالى المدينة  
قبل الرومانيون باسم زعيمهم هذه الشروط على شديها وبط  
معايط من الجيش المصرى الذهاب الى عجم البدو لتلاوتها عليه  
وقد تولى فيه مظاهر التنظيم والتكريم والتصديق الحاد والمخاف  
لتسديده وبالحقيق من الجليح ان يراهم هذه الشروط وبما نظروا  
على ماورد فيها من اليهود ولقد وقع الامير الرومانى متريبا  
يزي الاحتمال احناء بالندوب المصرى وتوغيرا لحرمة قدم  
للندوب اليه سيفا وقل له ان هذا السيف هو الضمانة لخصوصك  
وسيكون لك سادا اذا انت وعت بيمينك وقدة ان أمت  
عاطقت أوامر السلطان والنطق المأخوذ بين الناس دعلان الصلح  
وفي مساء ذلك اليوم ذهب الرومانيون باللون والاعلاف الى  
معسكر طروس ولكي ينعو الرئيس الرومانى كل دية وأمانته  
وحفظه لهذه طلب ان تكون امان هذه الاشياء من حاميته  
وما اشهدت البدو بصريته عن البلاد حتى عجز الرومانى

حكما لتقسيم والارض سلافا لما أخذ على نفسه من العهد وأمر  
تحتته بكل مشايخ السلاطين وحرص التنازل المولية من ليربان  
بعضها على بعض وحسن المدائن الكبرى في بجد . فلما عاد  
طوسن إلى الدندنة به كتابة إلى ماق هذا السلك من الخلاف  
الوحد وتفض العهد والخير بالعدة وإن ذلك كله دما أنصى إلى  
حرب البلاد علاهود تقوم لها فائمة فلبأ إلى ماأولف عاتنه من  
لتورسل والدمراة فمنا طوسن به مكدتفا بانذاره بأنه إذا عد  
إلى الخوس يمينه وتقص عهد غانه سيعصب عليه جام نصبه  
ووجوده مولود الفلكة هو وأعضاء أسرته ثم اخذ إلى الزحائن  
من دجانه ماخرجوا إلى ياتهم به ان أفلسوا بككة زسا بفامت  
الوحد من أهلهم ليقدموا إليه فروض الشكر على هذه الأرمجة  
وفي أولغريونيو ١٨١٥ قتل طوسن واجعا إلى المدينة  
لالتباس الراحة من عتاء تلك الحرب الطويلة فلم يندبها والده  
الباشا لأن سليم كانا والي ينبع كان منذ ١٨ مايو قد غلب الأمر منه  
بجبر سلطة القسر ليل . في اليوم التالي وصل عهد على إلى  
جدة وأكبها المصعب يصعبه قليل من الحرس وتزل في السعينة  
وسار بها على القصور آسرا الزمان بأن لايشنط السواحل كالعادة مع  
عليه بأن الماء للدمر فيها لا يفي بحاجة ركابها مدة السفر بل أمره

بان يوحنا في البحر على شط مستقيم وصلت به الى القصير ومنها  
لم يبعد من الدواب ما يصلح للركوب سوى الخيل فاستطاع حاربا  
منها وهكنا قبل حراسه واختاروا الصحراء جميعا على منوتها  
ثم اطلع من هناكهم في غارب يوم وصل الى القاهرة في ١٩ يناير  
١٨١٥ ومنها تولد البطيخ والأعنان والقاصص والحمول يستخرج  
سلاسة للزينة والنفور على القهايين . وترجع هذه للزينة  
التيجالية الى اسب ثلاثة اولها ظهور شأن نابليون ثانيا في أوروبا  
وثانيا وجود مؤامرة بحصر قلب الحكومة وثالثها تخوف أهل  
الاسكندرية من حركات الاسطول الثماني الذي اخذ يتجهل  
بعد خروجه من بحر مرمرة في بحر الأدخيل

والذي طوس ناشأ شهر رمضان المقدسة ومنها سمع  
الاشاعات المتوارة بفرع فتنة حسنة بالقاهرة وأن عمدا  
عيا لثلاثة الجنود الذين عاثوا فيها فسادا واسابوا في دورها  
وقصروها للهب والسلب ويدهى ان هذه الالباء واشباعها اذا  
تداولتها الآلثة أحدثت في النصوص أثر يجعل مركز الجيوش  
الموجودة بالحجاز محفوزا بالأخطار فترأى طوس ناشأ ان يرق  
البلاد وجامعة هذه النامية بالاستعصام من والى جبهة عن حقيقة  
الأخبار وامره بان يذكر في إجابته أن قاصدا سينوم وشيكا

لى المدينة حاملا رسالة بشرح الواقع . وقد وصل هذا القاصد  
صلا وفراغت رسالته فى جمع من الناس وفيها ما يثبت على الاطلاق  
والاستبصار قاصر . مطلق المدافع إيدانا عليك . ومؤدى الرسالة  
أن السكون لا يزال شاملا لمصر ونفسه . فاقترأ عليها أجهت  
وكان مع هذه الرسالة رسالة أخرى تحيد حقيقة الواقع ويؤخذ  
منها أن فتنة قست فيها على أثر دخول النظام الجديد فى الجيش  
وهو مستحكم عليه بما به الكفاية . وعلى كل حال فقد جازت  
حياة طوس باشا على الناس والاعمال فاندشأ أوصل إلى نقطة  
قريبة من جميع فرق جيشه للاتصال منها إلى مصر وقصد  
هو إلى هذا الغزو وأخبر منه إلى مصر فوصل فى ١ من ذى الحجة  
١٩٣٠ الموافق ٢ نوفمبر سنة ١٩١٥ إلى بركة الملاح وحصلان فى  
استقباله بها الكبار من رجال حاشية الوالى وفواد اخنوخ وأعيان  
القاهرة وما استتب له اللعام فيها حتى برحها إلى الاسكندرية  
وكان والده معها . فى ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٥ فراره ووالده  
وعناك حظي لأول مرة بمشاهدة عباس بك ابنه الذى ورثه  
أثناء تقيمه بالمعارج وكان يبلغ من العمر عامين وقد استصحبه فى  
حروته إلى القاهرة كما استصحبه والده الشا فى سفره من القاهرة  
إلى الاسكندرية

وقبل هذه الحوادث بثلاثة أسابيع رجع من مصر الى نجد  
 وقد عهد الله بن سعود الذي كان قد حضر لتصديق من محمد علي  
 باشا على الاتفاق الذي أبرمه معه طرس باشا وقد زودنا الى هذا  
 الوقت قبل بمرور رسائل الى عبد الله بأخذ عليه فيها سيره بين الاهالي  
 بالنظم والجود وقلة الخجاج للسلين من غير الحق وعارته أهل  
 الحرمين الشريفين وعنده في حق المضرة السلطانية ونبيه  
 الطيرة النبوية ودمعه الى رد السموات وتسلم أمير المدينة تمام  
 بملحة الدعوية عاصمة الروهابيين . وأسأف الى ما تقدم قوله انما لا  
 يتدخل في الختم له اعاذه من تقديم الحساب الى الديوان  
 السلطاني من تصرفاته السابقة . فأجاب الأمير الروهابي بأن  
 الثعالب الملوثة لم يبق عنده شيء منها ليرفع البيع أو الانقسام  
 عليها ثم تحصل من السفر الى الآستانة فلما اطلع محمد علي باشا على  
 هذه الابانة وكان قد سئم مظل الروهابي ومنتواه أخذ يرغض  
 الهدايا التي كانت ترد نياحا اليه من عنده وأنقذه بأنه سيسير اليه  
 في القريب العاجل جيشا يجرؤا لاجهم معى الشفقة والرحمة . ومما  
 ذكره في انذاره هذا بالنص . « سيصل الى بطركم ولدا العزيز  
 ابراهيم فينزل به الملاك والخراب ويرى أعناقكم بسيفه ولا يدع  
 في حاضرتم حبرا على حجر ووجهه يحكم الى انتاب جلالة

السلطان « الخ وسنرى بما يأتي كيف استطاع ابراهيم تنفيذ  
إنذار أبيه بحزمه وكيف حقق هو القصد ما العرب عنه هذا  
بالقول

وبعد من أقوال شيخ عربان أوس وهو ممن شهدوا  
هذه الحوادث واليلى ورووها على الناس من محمد بن سعود وانضم  
سلسلة الروايات بمؤسس ملههم والمرك الأول لهذه الحرب  
التي استمرته حتى الى جوارحه في القرب سنة ١٨١٤ ترقا الى عشر  
وقفا حقه في الزراعة والحكم على الروايات منهم اكبرهم عبدالله  
عند ذكره الآن طرقا من أحوال هذا الزعم التي سيجهز ابراهيم  
للإحتكاك به في الحرب المقبلة

كان عبد الله اذا انتهى من طعام الاشياء اجتمع اليه أعصاء  
أسرته في حلقة كبيرة فيشرح لهم الاحداث النبوة لأنه كان  
خاليا في العلوم الشرعية متفوقا بها على أبناء عصره وكان العرب  
يفضون للنبل بفضافته وقوة حجة ودافع برهانه في المناظرات  
والثلاثيات . وكان كأبيه جهوى القسوت في سلامة ورقة حتى  
ان السامع له وهو يكلم يشرب بكلماته وقد وصلت الى اماكن  
عليه . وكان مع براته وسمة طبعه شديد التواضع حتى كان اذا  
ناقش خصمه فأخذه وأقره التي ثم استأنف مسترسلان يانه



وشرحه غم ذلك بقوله : « والله أعلم » وكان يؤيد بيح له في مبدئه  
 الجفوس أثناء الطمام بحوالي الطلة . يأخذ حصص من اللحم والأور  
 ويوليه القنظر في شؤون الأمة لمساعدته على القيام بأمورها وكان  
 بالجله الوحيد من اخوته الذي جوجه أبوه إليه للزوال بالاستشارة  
 فيها هو دائر من اللقاوصات أو اللقائفات لا مثيل له منده بأصله  
 للرأى ومدى القنظر حتى لقد خصص له ١٠٠ طوم في حين انه  
 لم يخصص لكل من ابنائه الآخرين أكثر من ١٠ طوماً وكان  
 جميل الطلعة خلقاً الهيا كفيصل أصغر اخوته وهو الذي اشتهر  
 في القديعة بوسامة فروجه وجمال الطلعة وبانه أجمل قدياتها طاماً  
 بلغ الخلم زوجته من ابنة شيخ ليلة ( القرب ) ونحو أكرامه ٢٠٠  
 نعودا ٢٥ رأس من النعم وهياً لحرمها طاماً لأهل القديعية  
 ولشرباء ثلاثة أيام تياماً . وكان يملك اثنين من حمرات الخيل  
 تملك التسمير والكلاء في مراتبها أو البرسم في مراتبها أما  
 القلول من حجة فكان لا يخص له عد كما كان لا يعرف عدد  
 السود من عبيده . وكان سمود بكرة الامتياز على الناس بالتياب  
 لو لم يفس قط سوى القيامة والقبض والسكوية وهي ثياب  
 الأحرار من متوسطي الحال . وكان لا يأذن لاحد ما ان يشفي  
 والنفا بإحلاله . وكان التسمير كالليل يشي مجلسه فيسلم عليه

بلسه وبصافه بيده يوسع الناس من لن يلقوه لو يكتوه عند  
 نعامهم له خبر « بابا عباد الله » وكانوا يجمين على اسلحه معجزات  
 كثيرة الى وب هذه النفس العالبة والنفس الكرمية كما كانوا  
 يقولون عن ولده عباد الله انه قلابوع الملقب بهذه القمصاني  
 والنمائن لما عرف عنه من اسله لراى ومواب الحكم . وكان  
 سمود كت النجبة والشاريع فكفى لهذا السبب أنى التلويح  
 واشهر منذ نمرة أظلماء بالبالة لأنه وهو فى الثانية عشرة من  
 عمره أتى بفضه فى معركة كان الخطر فيها من قاب عوسين أو  
 أدى غم جبا به وكان لا يتجاوز حرمه من من المعانة لما قد  
 الاعارة اكتمى عند شوب القتال بالزام للؤخرة للاشراف على  
 الحركات والأمر بتوجيهها على ما يرى فيه الضماعة اقتحاح والتموز .  
 وقد روت حواوش كثيرة وشواهد تمل كلها على بسالة ابراهيم  
 واندائه وكان من الفترة البدنية والشجاعة بحيث اذا ضرب الجمل  
 الضويع بضربة واحدة من سيفه شطره . وفيما أظلمه من  
 ضروب البسالة فى حروبه مع البكوات للتراكية والفتاة اثر  
 المربان المصوم بالمسيد ماضو مضرب الامثال والعدوة لا يطل  
 وكان مع عدة بأسه كرم النفس رديم القلب وهو الذى توسط  
 فى تاخير انفاذ الاعداء فى آوى كرم شيخ ابيبة ( طر حوتة ) رجاء



پیرا نظم پڑھنا اور ہدف کی تعلیم دینا



ان يصر السطان عنه

وقد أهد عبد الله بن سعود القرعني حيا نرا انذار محمد  
على انشا بمن النظر في الأمر وتأمل في عواقبه وقبيل التسل  
باللأمر يقول على أن يجمع اليه شيوخ القبائل وأنابر الزعماء في  
الانام لاخذ آرائهم دما للسثولية التي تترتب عليه تجاههم فيما  
لو دارت الدائرة على الوهابيين وبعد أن استترحت من موافقتهم  
على وجوب محاربة للمصريين خاطب مرابط القبائل حيا في  
الاستعداد لها ونظم خطابه اليهم بقوله : « وانا نحن محارب  
للدفاع عن مدينتنا والقدود عن حياض وطننا ومن الأمم  
والشعوب الكبيدة للفرقة بوحداية الله نلحرب الكفرة  
والشركين ونلحاصر يد الله يؤتيه من يشاء »

وأخذ آتمة المساجيد يحطبون في الناس حثا على الجهاد حتى  
أضرموا في نفوسهم نار الحمية والسيارة على الدين والوطن  
وبدكروهم مما يقتظر المجاهدين من الثواب والتعظيم من  
التضام والمذاب وابع الأمراء الوهابيون كل ما ملكت أيديهم  
لرفع ثقلات الحرب وسد ضرورتها فالتدى الناس بهم إذ قاموا  
نومة رجل واحد وتلقوا السلاح وتنادوا بالقدرة الى الكفاح  
وانطلق عبد الله يمدد للدفاع ويقتد وسائله إذ نصب المدافع في

المقاتل والحميون حول عاصيته والفرن التي على طريق المدينة  
ومروا للوائح الحصينة بآزاد والدخائر ونهى إلى سلطات القسسية  
القولاء للشقة في أسانهم ومسبق ولائهم وأحل العلماء عظيم  
وطلب من الزعماء والشائخ أداء بين الطامة والاحلاس بين  
يديه وحشد ثلاثين ألف مقاتل حمل عنهم للدفاع عن الدعوة  
والآخرين لقتال متخفين أو لقطع خط الرجعة على الاعداء  
فلما تمكن هذه الاحتياطات والاستعدادات صير ذات مال إذا ما  
من جيش أو جمع من جيوش وجموع الوهابيين إلا وقد نهض  
للنود من حى الوطن المقدس وكيف لا والأمر الوهابي كل  
شديد الحرم على مكافأة الثمانين علم بر حنبلى «نار في الحرب  
للطامة بالجملة والاحلاس إلا ولد أحول له السطاه فوق ما هو  
مرتب له من الرواتب والمصروفات

وكان عبدالله بن سعود يتخذ هذه التدابير بحكمة وثأن  
ويستعين في تنفيذها بسياسة صريحة ماهرة لا يجرأ غير الذين  
اعتادوا معط الحقوق والنفس من كرامة دوى الفضل أنكر الحاجة  
للشريعة التي ترى إليها ولما اجتمعت إلى عبدالله بن سعود تلك  
الجموع الحشيدة أخذ يتعهد حملها ويستثير نشاطها بمصيح  
هزارته وتجاوبت الاسماء في انحاء آسيا حركتها بسيرة هذه

للهمة العسائية والحركة المأركة الذود من حيا من الله والوطن  
والسكن ما يسترب منه ويقف الله باهتأله من يتحصن الزعيم  
الوهابي مع هذه القزعة الشريعة الى الجبل السالفة بمحاولة شراء  
دعة أميري الحرمين لئلا وقد كيدته شدة على أن نجد أنجب الخير  
للسلطان وله وأنها مع احزابها القوي للظهور تتعهد بحمايتها من  
الاشقياء وأن الثرمان بعد من أولهم أبناء سعود عند عدم قد  
أعطوا الثواب على أنفسهم أن يراعوا المصدق والأديب وأنه لن  
يتوان في دفع العدو والكوس الى من يستندم الباشا وأن  
تضارى أسلحة أن يكون هو ذلك وأتباعه من وعيد المصممين  
الذين لا يبرحهم مانع عن الاضطرار على الظهور وأنه في النهاية  
يتمسك الله مما ساعد ويدأل الله أن يبارك في عمر محمد على  
باشا ويقتل منه أمهات الماسلات

وحمل كل مصر من طرف الوهابي فعاد يحملون هذه  
الرسالة وكان الغرض الصحيح من حصول التوفيق على التجهيزات  
المشروع فيها قتاله ولكن محمداً علياً لم يكن من تجوز عليهم  
هذه الخدمة على أنه استقلهم كما لو لم يكن مر دم التحس  
ومعنى في التنازع والتجود منهم الى حد ما سبل عليهم الهمة  
التي جاءوا في الخليفة من أجلها حيث هم يتفقدون المسكرات

والكنكات وغلزون سددت الحرب قبل أن يبرروا عن رغبهم في ذلك ولم يهرم بالطبع مشهوده من وفرة للسددات وكثرة الجنود فانصرخوا عجب ووثبوا فقبض ودهم وغلوا ككتك حتى اذا كان ميعاد سفرهم قال لهم محمد علي : دعائكم عند حصنكم المدن وحشدكم الجند وتأهبهم للقتال وهو ما أنا موافق به فاعصوا مولايكم يا بني اعزوه كل الحذر والودعه الى اتخاذ الطبقة لنفسه لاني سأرسل اليه الامير ابراهيم الذي سيترك به ويحزبه النضاب الصدم وسيكون حيط عامستكم ثلاثي والفتاء وغائمة سكتها أن يوتي بهم الى هنا إما اسرى وإما قتل على انه اذا حاسب عبدالله فبه وحشا على الطاعة وحفظ اليهود واحترام الأيمان فان هذا أولى به وإلا أخضعت جنودى بقوة السيف وانه لحدير به الاسراع بالجنود ليسترد شره الفتيح وحصون بلادهم من الخراب وأعراس الحرم من الخشك والدمع والنفوس البرية من الللال واني لمعه ما يريد من الوقت القوي فلا تسبوا هذا الوقت عيالا يبعد واعطوا نبي طريق العبر والآباء في الانتقام ولكن ذلك ليس بدافع له ولا يمنع من أن يكون شديداً

وكتب محمد علي رسالة الى ابن سعود في هذا المعنى وأخرى الى اللسان يدهم الى الطاعة لابراهيم بلقا قاتلاً أن وصوله إليهم



تقريب وداعيا ينادي الى مدلوله بأداء ما يحتاج من المؤن ووسائل  
التقليل . فلما وصل القاصدان الى نجد أمرهما عبد الله أن لا يروحا  
لأحد يسر ما اتهمت فيه مبعثها ثم تناولا رسالتين الموجهتين  
إحدهما إليه والاخرى الى العربان فرسما ثم لغت رسالة من عنده  
بدلا منها صورتها بصورة وليس فيها شيء يقطع مما ذكره الوالي  
في رسالته للمرتبة من التأيب الشديد . وانذا ترك شيئا من هذا  
فقد وجهه الى أحزابه وانصاره دون كما جعل المطاعين التي  
احتواها موجهة الى النفقة الوهابية لاني ملوم من الطلبة  
الباسية وواد عليها عبارات الدح في تمسه واحتجاجا شديدا  
على ارتكابه المرائم التي تلوث بالمار كل وهاى لا يعدل من  
الذهب الذي رتبك به . وبلغت به الجراءة بعد ذلك ان تلاهده  
الرسالة للنفقة في مجلس حليل بالكبار والأعيان فكان جواب  
أعوانه جواب من تحركات في موسم مواسل الاعيادات  
الدينية التي يجلسون عليها على منبرهم ويردوايون لستاصحها  
بإدائه فقالوا له اذا اعتمد محمد على في العالم على ابنه قائما  
بمستودع على مولى الوهابيين وهو الله جل شانه . واستأنف  
بعد فة العمل بعد ذلك على إقامة المصون والاستحكامات وتنفذ  
الاعمال لهذا الغرض وللإستيناف من غرفة المحاضر والمؤن

وكتابة الجيوش المنتهدة والاحلام الزمراء والزؤساء وتعيين  
الفرق الخمسة لقطع خط الرجعة على العدو أو مهاجمة القوافل  
أو الترحل للأعداء في مكان مرورهم

وفي أوائل سنة ١٨١٦ بث الزعيم الوهابي رسالة في انشاء  
المجاهد يستصرخ تشبوهه على اراعيهم بانها وكانت هيروا كاتريوس  
لا تفتح خلال الثانية الأشهر الثانية الا على الجبال محلة الاتصال  
من العقين والفلل ومهاجرات ابلش فاصدة القوس والسفن  
صاعدة النيل الى قنا مشحونة بالمدافع والقرب والقيساط والفتنة  
وعين ثور له طلة عيوناً صاعداً كرم بين مصر القديمة وطرد  
ونزل لشاة منهم وعدوم الثمان في القوارب والسفن تحت إمرة  
البكباشية قادم وبها مصطفى واسماعيل انا وسار حسن كاشف  
الى بلاد القرب رأى في حياطة فارس من الملوكة على ان ينظر  
في بيع وصول الأمير اراعيهم . واشتبه في الشرب راجع انه  
بدن المسائل لصالح الوهابيين فأورسل تحت الحفظ الى القاهرة  
في سجنه ١٨١٦ ولكن محمداً عبداً تأسكه رادته فأجرى له السقاء  
واخذ على النعم وطلب الشرب أرفقه ان يراقب ابراهيم  
الى القدينة ليؤثر في القاتل يعمده الشخص والدرج في سلك  
الحيش للعري كثير من الامرنج وم على الاربع أول من

وطاً أوصى بحمد من الأجانب تذكر منهم (جيسير) الصابط  
الفرسي الذي أمنت به على صفى النبل يوسف حوادث  
سنة ١٨١٥ بأوروبا وكان ملازم دكتور ابراهيم باشا و (انطون  
اسكونو) طبيبته و (الندى جاتيل) و (تودسكيي)  
(اسوشيو) الجراحين الصبديين. وقد عهدت لى بعضهم مهمة  
استاذ الرعى والجرحى. وفي ١٠ شوال ١٢٣١ الموافق ٥ شهر  
١٨١٦ ودع ابراهيم باشا أمره ورجال الحكومة والنظام لحاطت  
والله برأته عنداً من الطواغيت سألته ان لا يتزعج إلا فى الحجرة  
التيوة هدية الى الفرج الشريف من طرفها مرعداً بقوله بهذا  
الكلو وبأن لا يخص شعر رأسه الا به انصاؤه على العدو عملاً  
بوصيتها ثم نزل مع أتباعه فى القنجات ساحل معر القديمة  
فأعلنت به نحر الجنوب

ففى ابراهيم ثلاثة أهم فى النيل سيما بلغ الى موردة الحمار  
بالمنطقة اليسرى وكان بينها واسيوط جسر يؤدى بالسائر الى  
هذا الجسر من غير عدا كبير والأهمية موقع هذه المدينة وكثرة  
سكانها البالغ عددهم ١٥٠٠ نسمة ولانها ملتقى القوافل الآتية  
من القبة والسودان، ولانها نطاق تجارتها وورعها وراكبها  
ونحوها ونظامها وكثافتها ونظمتها وبيتها كانت حاضرة الصعيد كله

وكان على سفنها من أشجار الشمس والتين والرمان والتين والجلجيد  
والقنابر المظلمة المنفردة في الجبال لائحة مراسيم الجنائز على الترقى  
اليوم الوحيدة وتصرع الزهاد الصادة على عهد المسيحية يعرفه ابراهيم  
بأنه مذكور كان واليا على الصعيد فاختار من أهل هذه الجهة بصفته  
التمتع العام لحربس الحلة على الرعايين الذين رأى فيهم الصلاحية  
للخدمة في مسكره وهم جميعهم ويحيثه إلى قناوهي للخدمة الزائدة  
على الضفة اليمنى والشهيرة بأيتها الصلصالية وفيها دهر الوسائل  
التصدير الأمتة والهباءات ففرغ مشحون القوارب منها وحمل  
به ستة آلاف رجل جميعا من مريان لينة العبادة عسارت إلى  
التصدير وقطع لثاء هذه الضفة سيراً على الانضمام وزاد  
ابراهيم باشا في قناضريين شيوخين معروفين وتصدق فيها  
على القنراء ثم سار على هجين ليذكر جيوشه فشيخه الأعفون  
بصفيق الاستعسان وهنالك الحمد والثناء ورأى في سيره أسراب  
الأوز البري والطيور تصيح بصيحاتها للثورة فقتل بها حيراً  
ولم يتم بالتصير إلا ما كفي من الزمن لتحن السفن بالرجل  
والوزن والهباءات الدافع والذخائر وتحركت هذه السفن في أول  
الحصنة الموافق ١١ سبتمبر فاصدة الأقطار الجبلية  
وما ترك سواحل مصر حتى مر بجوز جبل الجبل المحفورة

بكتبان الرمل ومغور الرجلان التي تكسب لكاء من بيد أولي  
 لوس نوح وفي هذه الجبهة مكان يستند ربابة السفن وملاحوها  
 أنها مسكونة شياطين خاضتها إيماء السفن وكانوا يضنون شرها  
 بشر الذين عليها كلما قاموا لتناول طعامهم وهذا الاعتقاد شائع  
 عند جميع الناس في تلك الجهات . فلما مرت السفن للفتة بالبحر  
 ومهابتها نجاة تلك الحرد لم يبقاً ابراهيم باشا بتلك الحرفة وانما  
 أرسل كنية ولقية من القبط والسفن والبرء ماء على طاعة قديعة  
 مربية هناك ، الى القبط الموكول اليها حراسة لمر الشيخ حسن  
 وفي هذه القبة وقطعها وفي د القبة للرفق ٣٠ ستمبر ألفت  
 السفن مراسيها في مياه بنبع قوت مع كبار ضباطه سرائي الحاكم  
 وجعل معسكره خارج اسوارها . وقد أحسن الاختيار لان  
 مددها من الحدود الغربية ليجد لايزد على مسيرة اربع ليال لأنها  
 ذات أبراج وطيدة ومواصلات سهلة مع القاهرة والاسكندرية  
 ومنها تستمد كل ما يلزمها من الحاجيات الهندائية وغيرها . على  
 انها منذ افتتاحها للصرب في حرم ١٨١١ صارت المستودع  
 العام لجهاتهم العسكرية هذا فضلا عن ان هناك دراما من الماء  
 تشقها من وسطها وأن عمق نفاذ فيها يكفي لرسو السفن الضخمة  
 ودوابها من الامواج وما لم يستحسنه منها وتأدى به كل

القاضى انتشار القباب فيها انتشاراً مروماً مزخماً فأله يدام السمن  
 للقبلة اسراً كهيئة وقيم بها وبلازمها في كل مكان قصدت إليه  
 وهذه المأوى فيه مصخرة لأهل البلد أيضاً لأنه حينما ساروا  
 وأبنا حراً يحف بهم كما يحف الحرس والبلند بالأمره وإذا  
 حلوا إلى الطعام ينتشر على مواثدكم وتسلط في الأحياء وإذا  
 صدوا عنهم بالارواح والمقبات ما في أقل من طرفة البحر إلى  
 حيث كان ولقد قيل منه صبر ابراهيم لا سيما وقد انصاف عدله  
 إلى ما لا يحصى من اللرب في السموات الأربع التي كثر فيها  
 عند لوقى وكفى الأراس سبب القتال على أنه قد خفت  
 منجره من فض الشئ بأنكيا به على البحث في أحوال أهل جميع  
 واعتناهم بإحلالهم وعادتهم وإعدادهم إلى ما يوافق نجاح مقصده  
 مما هو مفضل عليه من الحروب النيفة . فكان أول عمله إنشاء  
 مقامه لمنع عرصة الجيوش عرضاً مستديراً وتياحه لحسن  
 منظرهم وسهولة حركاتهم وكان له تأثير في قوس الأعداء فإنه لم  
 تحس أيام عليه حتى أقبلت على المدينة وهرد القهرى المجاورة  
 والقبائل المتحالفة يندسبون إليه فرق ما طله منهم من وسائل القتل  
 التي ما كانت تنوقر حتى محل بالقيام في جيشه إلى المدينة وكان  
 قد تقدمه في قوة من حرسه فرسل إليها في ٢٠ القعدة للرافق

٦ أكتوبر ١٨١٦

ويأتى هذه الرحلة انه بعد ان اجتاز الخليج المتدوسط بين  
أوغل في سهل فسيح كانت تنبت فيه عبا وهناك شجيرات تدعى  
بنى ومن عبا نزلت للطريق. ومر بعد ذلك بالشارع لمع تلقى  
أهلهما للثقة فلا يخفى وطأة القيظ وما رآه سائر اخي وصل  
الي (بركة) فلي جمع واجتاز كشدان الرمل للتحركة التي بأوى  
اليها طير الرخم وهناك فة تشب الي على بن أبي طالب لأنه  
وهم طيها في واحدة بنو وهذا للسكن على مسير يومين من  
الشارع وهو ساعة من بين وهو ملقى حجاب مصر والقشام في  
فعاهم معاً الي مكة. ولف ارميم باشا على تلك الزينة يتأمل في  
مواهب الجيشين المتحاربين جيش قرش على السفوح الجنوبية  
وجيش محمد على السيل وعلى المرتعات القريبة ووعى حاشاً أمام  
أضحية للصداية الثلاثة عشر الذين قتلوا عند أول مدسة بين  
الجيشين ثم أمام أحلال القبايل التي هدمها الوهايون ودار بدفقت  
مسجد الزامة التي أعطت الي في المكان الذي بين هذا المسجد  
عليه ورج إبراهيم باشا بداراً فاحترأ أودية مريضة متربة فيها  
بعت القنا والحشائش القمطرة التي اشتهرت مكة بها ومر بقرية  
(حفيد) وصد في سحر. (ثنية واسط) متقدماً نحو البيوت

والتيابيع التي تروى ميلها حدائق (الواسط) ثم مر على صبي  
 نخل يشهدان إلى الصفراء وهي سوق النخائل المجاورة وحل مسيرة  
 أربع ساعات من (الغار الحمراء) ثم (الجديدة) مقر قبائل بني حرب  
 الذين طالما دفع لهم الحجاج الأموال تأمينا لطرقتهم ، وبلغ إبراهيم  
 غضب احتياله هذه القديسة إلى بذلة (الكيف) فوادي (مدك)  
 حيث زلوا قبور الشهداء من الصفاة وصعد بعد ذلك في منحدر  
 (القرص) و(السلة) ثم ذهب عابثا إلى صفاق وادي التيقن  
 التي يضرع فيها شذا كنباتات المطرية واسترق هذا السيل الذي  
 يترسم به شعراء العرب صار حتى لم يبق بينه وبين السكان الذي  
 يقصد إليه إلا ثلاثة أرباع الساعة والأرض في هذا الطريق هي  
 من دون الأراضى الموصلة إلى المدينة قطعا كثيرة الخزون لا  
 يبت بها بختلاها من حولها شيلا وجنوبا وشرقا حيث يكثر  
 النخل وتجد حقول الشمر والخضرة إلى مدى بعيد تنحطها فيه  
 مساكن للزارعين والبيوت الطوية التي تصعد لتتقدم تبدل الهواء  
 لتقبل إبراهيم باشا بطلقات القنادل وحياء عند وصوله آتيا  
 الحرم ومنه تملون من الحرس ووجد السلام عليه مؤلف من القاضي  
 والسادات والشرعة والشيوخ ثم دخل باب القاهرة وهو أكبر  
 الأبواب وأحسنها بناء وأن يكن من الخشب كثيفة الأبواب



واجتاز الاسوار المكتبة التي تحتوي حصة ولوردين برباً ومحيط  
 بها حديق من محل القديسين وقلعة بنية فوق الصخر تسع ٥٠٠  
 من القنطرة وفيها ثمر ماؤها صالح للشرب وعرف حديقة مسقوفة  
 لا تؤثر فيها القنطرة . واجتاز ( سوق العنبرية ) ثم ( الكاخ ) الذي  
 تحف عنده القنطرة وفيه السلوانيت الصغيرة ليح السلع على  
 الخيلاتها وكان مروه بهذا المكان بين صفوف متراصة متلاحة  
 من الثمران والمحلة وعجل القديسين أن سطوح القنطرات توشك  
 لن تنوء من ثمرها من للتجريب . وتحف نظر ابراهيم على بيت  
 قديم بمحمد أثناء مروه أكثر مما تحف على القنطرة الجبلية ذات  
 الأحراس للرماية التي يلقى للامسان النوم بجوارها في القنطرة  
 وحارة العنبرية ذات الطرقات الواسعة المستقيمة البهجة بالبلط  
 الكبير . وواصل السير الى الامام على خط مستقيم مرجه أمامه  
 الحرم الذي الذي كانت تلوح له منذ قصد الى قبة الرسمية كالمالقة  
 تملوها أكرمة مذهبة فوقها هلال مذهب تقام بما هو مفروض  
 على كل مسلم في العالم أن يؤديه من شعائر العبادة وكان رجال حرسه  
 قبل وصولهم قد نظفوا ونمساوا وتصمموا بالوان العطرة وأحبال  
 ابراهيم تنظر في جهة من الحرم بها مأذنة كان يلال المبشر يدعو  
 المؤمنين منها الى الصلاة ثم صعد في المخرج المؤدى الى الباب المسمى

الآن باب السلام وذكر اليهودى انه كان يسمى قبل باب  
مرولن فشهد حوازيه ملكسوة بللرر وقوشه البارز فو ليجار قدومه  
النجى حنة مبلطة بلرغام الجليل ثم سار متحرك الشفتين بالأدعية  
والصلوات في طريق فرقت بالمصر وحفت به أعمدة من الحجر  
متصلة الأسطوانات بالأرض متجاها نحو الزوينة مركب أربع  
ركبات على سجدات صوف في الصف الأول من الحايض المزائى  
للجدار الجنوبي وعلى مقربة من الامام الذى لا يدو منه أسماء  
الصلوة إلا التكبار والتطية وبعد أن قرأ السورتين الثالثة بعد  
الثانية والثانية عشرة بعد الثالثة من القرآن للشريف تقدم بثلاثة  
وسكون نحو الشباك الحديدى الأخضر الذى يليه الممرج النبوى  
هو لقب أمامة باسطاً يديه مسلماً قوله : السلام عليك يا محمد  
السلام عليك يا رسول الله ثم علق يذكر أسماء الرسول ومد أن  
عصى بضع دلائل في التأمل ترابجع ان الحلف ثلاث خطوات  
ودرك أربع ركعات أخرى ثم تقدم نحو الشباك الأيسر الذى  
يرى منه ممرج أبى بكر الصديق ثم الى الثالث من الشباك أيضاً  
تجاه ممرج سيدنا عمر بن الخطاب وقرأ امام الممرجين ما ينصر  
من الآيات والقصص ومن ثم الى قبر محلل بثمان أسود مشقول  
هو القبر الذى يسمى فيه وفات فاطمة الزهراء ولكن يدعى

فبصر لي أنها دعت خروح المدينة على سد نصف كيلو متر من  
 (بب الحقة) وسدأت على أربع ركعت وهما أمام القنطرة  
 الجنوبية التي كتب عليها ( لا اله الا الله الحق المبين ) مدخل  
 المكان المخصص للبهنونات ورؤساء القوافل المخرج فأداه أمام  
 نابوت مصعب بالفة فتوسل بالتي دائماً الى الله أن يشتت شمل  
 الأعداء ويجعل بينهم مباداة لم ولن الأنوارات فخر ما عتدم من  
 القبلان للكثيرة والحياب للحريرة وأساطرا فالتدعيم وليس  
 رئيسهم وهو شيخ الحرم دة - موكنتا وتلج بحبيبة مرسعة  
 بلس ووضع على رأسه القلوق ثم وقف وسط القراشين وبأيديهم  
 المعنى القويح بأسفا كدبه طلاء لي الله ان بكلاً اراهم باشا  
 كبر أبته محمد على موسى مائة وأن يلهه الحكمة والصواب في  
 تخريق شمل أعداء الدين وأعد له وتأيد الشرح ومصرف الكتاب  
 الكريم . وتلاه اراهم مشا فطلب من الله تعالى ان تشد أروءه  
 ويلقى ساعده للطلش بأعداء الدين وتخريق شملهم وتشيت  
 جمعهم وأقسم أن لا يدخل القسيف في غمده الا اذا فنت بهم  
 وأنهم وأن يفتق اذا ما كالت حروبه بالمرء جميع ملككت يعبه  
 من الأرقاء يماوسودا وأن لا يشرب ما في حيا غراً أو  
 شرا كمره القراكن وان يدبح ثلاثة آلاف كبش على جبل عرفات

ثم مد يده مرمع على الصريح الذي لفه الخميني القديس ملتزم بالله  
 إليه لهذا الغرض

وخلل في الحرم طويلاً مصلياً وداعياً ومتأملاً في التسبيح  
 الكبيرة التي تولد كل مساء إلى جاني النهر وأمام الخراب وهي  
 من التسبيح التي بحث قائد بك بعضها عن الاستكثارية وبث  
 سليمان بن سليم البعض الآخر من الاستكثارية البلية. وكان اربعهم  
 كثير القيل والقليل فإنه لم يترك أحداً من الجالسين في الحرم  
 إلا وأتى في منديته شيئاً من اللال وصل مثل هذا مع النساء  
 اللاتي يجلسن بالقرب من شباك السيدة فاطمة والآفة والمؤدين  
 وللزودون والآخوات حراس الحرم. لهذا تطايشت الآفة  
 بالثناء على الزائر الجليل وما من قنبر أو مسكين في خارج الحرم  
 إلا وعثر بفسط من تلك المهرجات وأطلق لسانه بصالح المهرجات  
 وما انتهى من الزودون عاد إلى داره حتى لا يورط نفسه بما تلو به  
 إذ أمر بتحرير أوراق النسخ لأوامره جميعاً بشرط استمراره على  
 مراقبته مدة الحرب كلها ولا يتركوه ومحمد الذي جاهد الطراقي  
 كان قد اعتقه ما معه فكسرها وأخرجها فيها سرمد أن قام بالفروض  
 دوني بالوجود والتدور على هذا المثال والرفيع في ضاحية القريفة  
 وهي مقبرتها وأأس الطريق المؤدى إلى نجد ودعا وصل أمام

لهود كل البيت القبرى ونسبهم ابراهيم بن هني وبني دانه  
 وخالاه وقاطنة بكت أسد أم علي بن أبي طالب والعباس بن  
 عبد المطلب ثم الأمام مالك بن أنس وعثمان بن عفان والحسن  
 ابن علي الذي رأسه مدعون في القاهرة وقبور الشهداء الذين نزلهم  
 بهذا المكان في عهد يزيد بن معاوية خولج القمام سنة ٦٢ للهجرة  
 ودعا ابراهيم بلشا لكل منهم انعام قبره بدعاه لصير نم برج مكة  
 بعد ذلك من شالها لموصل الى جبل (أسد) الذي انتصر النبي محمد  
 فيه بمحيشه الصغير على قريش واستشهد فيه عزيمتهم كتي وخسة  
 وسبون من الصحابة . ولما اجتاز المكان الذي ينصب الحاج  
 السويرون فيه موسم وبه الآثار التي يستقون الله منها على عند  
 الاطلاق التي ليس محمد بجوارها النوع قبل القبول في ميدان القتال  
 ثم استند الى حبر فرب منها مدققات قرأ انماها سودة القاشحة  
 ولما خلف السير الى الشرق في طريق وهو حتى وصل الى مسجد  
 صغير بالقرب من مبرج ماء يوجد في صحته قبر سيدنا حمزة  
 وهود من الشهداء منه من الصحابة فابهل ابراهيم الى الله  
 تسأل أن يث في نفوس رجاله الايمان والبسالة وقرأ سورة  
 الاخلاص مكررا اربع مرات

وعلى مرمى اليدقة من هذا المكان دكم بعض ركبات فوق

اطلال فيه هدمت وكانت تدل على الموقع الذي أقيم عند فيه  
 أثناء القتال بحجر ظن أصحابه انه سوف يسميه ولم يكن في الأمر  
 سوى أن كسر بعض أسنانه ولا إبراهيم بعد ذلك على عبور الأنبي  
 عشر صحابيا الذين ماتوا في الواقعة ما يفسر من آي القرآن الكريم  
 وحطوا سطوات على متحدر جبل أحد فاذا به أمام المكان الذي  
 انتهت تلك الواقعة فيه بنصرة الذين وسمعت فيها الصخرة  
 الثلاث مع الأحياء يوم الدين وما يروح ينتقل من زلزلة موضع  
 التي زلزلة موضع حتى طلع ال (لها) من سهول وعلمية يضاء  
 تحف بها حدائق ذات فواكه واعتاب وتناهت مناظر النباتات  
 الناضرة والأشجار للثيرة حتى يستعان هذه المقام أرادت أن  
 لا تقع العين منها إلا على ما يجر في نفسه ذكرى مصر ذات  
 الزارع الراسمة والأشجار الباسقة وكانت مما استرعى نظره  
 مصلاة على بن أبي طالب تنصوع من حولها الأرواح الزكية  
 والمجد الذي وضع التي أساسه يده ووزر ما غلبت على حاجر التي  
 عليها من مكة ولم يرحه بشارة ال انه بما يحسن البقاء فيه فالبئر  
 للبروفة بالبن الزرقاء. وبالجملة لم ير إبراهيم وبنية أو نية أو غير  
 إلا ورأي أن الوهابيين قد عبروا به إخلافا ومصدما ذلك لأن  
 مذهبهم يقول بملوكي الملائكة امام الله وسكر كل أولئك ولو



محمد علي باق، پسران اوغلا، قاضي، آغا، پسران ايلک، و همسران  
و پسران ايلک، پسران اوغلا، قاضي، آغا، پسران ايلک، و همسران





بنوا من الزلاية والكراسة الى الشوجة القصوى، وكان يدعي  
ان يحرم القزوين والنفوس في القفار، وتل ما يخلق بالقرى، وكان  
في مقدمة ما تناولوه يد التدمير فيود الاولاد والصالحين التي  
لا تخلو منها قرية الى تمام لم في كل سنة حملات الزلاية يشترك  
فيها الاهلون سواء بالاكهار او اطفالا

وكان محتملا بل ومتروضا أن يحول فساد النظام في الجيش  
وجعل السأكري بما يترتب على الطاعة من استقامة الاحوال ان  
لا يبقى للمجرمون الذين دنسوا تلك الاماكن القنصة عذابا ما .  
لقد كان ضمن الجيش المصري فريق من الارترود لا يفتخرون  
مضى الطاعة وأحسن عهد على ما ينهم عن وجودهم من القصد  
لجعل بتطير البلاد منهم فكيف لا يسرى فسادهم الى الجرم وأدرك  
ابراهيم باشا ذلك يوم أمر بتوزيع العقوبات على فريق من المجرمين  
بعضهم بالضرب والبعض بالاعدام فاستمع أولئك السأكري عن  
تنفيذها مع مطاقتها للعدل . ولقد قددت بجانف بقائده بطيعة  
أهلها مبادرة أهل المدينة بالانحياز الى جانبه كما انصار سكين يبيع من  
قبل حينما طلعت عليهم دونتته ولقد استار أهل الجبلات القروية  
تخلوا في تلك الأرجاء بالقيام في وجه الوعايين دافعا عن مزارعهم  
بحماس تستدعيه مخالفتهم لإمام في مدحهم ومرتفعهم لأهم من أهل

السة ظاهراً ومن الشيعة بائناً فانهم ابراهيم عند القرعة  
لنوطيد مركز على الجوار صيانة الحدود القائمة بين الفريقين من  
شر القارات الوعائية والسماح لطجاج الشام بالردز آتين ١٠ وى  
١٢ الحجة ١٠ فى اليوم الرابع من عيد الاصح كشف ابراهيم  
باشا آغا حراس الحرم رغبته فى قضاء الليلة طولها ١١ حطيرة  
المسجد فأضلت أبوابه عليه فى الساعة الثالثة بعد التروب ثم برحه  
بعد التجر بساعة فأوكا المدينة لادراك معسكره.

أما الأوربيون الذين اندرجوا فى سلك أرسكانى حرب  
ابراهيم باشا فقد انطروا الى القضاء فى بلنج كما بنى خارج  
اسوارها قبل أربع سنوات أثناء حملة القسبة اليونانيون الكاثوليك  
وغيرهم من المسيحيين الذين كانوا فى خدمة الجيش خلفه لأن لقي  
محمد اكرم وحول مدبرته على كل دى مدعب مالم يكن من السفين.  
وهذا التحريم سار على مكا أيضا حتى انه من الزامح فى انتقاد  
القوم أن غير السلم لا يلبث اذا اطلع عليها من عيد ان يصاب  
بالنفس أو إذا اجتاز باباً من أبوابها ان يموت خلفه مالم يلهم الله  
بالخروج من دية لاختناق الاسلام فانه عندئذ يوتى للنس أو  
الموت . والأرض التى تحيط بالمدينة فى دائرة طولها ١٢ ميلا  
وتكسيتها الجبال جنوباً وشمالاً تمتد من الحرم فلا يدر فيها دم

التي الذي يحاول وثاقها خديه أو دمعه ويريد الثمر والبدون  
 بها ولا يسأذي أو عذب شيء. حاتم الأشجار والأطيار  
 ولقد حدث في جمادى الثاني عام ٦٥١ الهجرة أن زلزلت الأرض  
 زلزلة فتهدمت البيوت وسقطت الأسوار والتلع من جوف  
 الأرض لحب شديد يثل مدينة تنح أسوارها ومنازلها نحو  
 الشمال وحطت مع تحول لونه إلى الأحمر التي تارفت واللازوردية تارة  
 أخرى دوى الرعد وانتشاع ظلمات الليل حتى صار نهارا ساطعا  
 بل استطاع ما يكون إذا تكبدت الشمس السماء وظلت الغمامة  
 خمسة أيام فاستطاع عبوي من تيه أن يكتب مائة على ضوء  
 ذلك الذهب وهو سائر في الصحراء على مسافة ثمانين فرسفا ويحبل  
 الناس أن القبانة قد قامت وأنهم المحشورون إذ جاء في حديث  
 نبوي وصف علامات الساعة بأنها تكون إذا ظهر في المجاز صوم  
 يضى أعناق الجبال وكان حرم ذلك الذهب أربعة فراسخ أي اثني  
 عشر ميلا في طول استكثر من فرسخ وموك ثلاثة أمثاله. وقد  
 تصفحوت الصخور وأخليت السكبان والآكام. ولا كان التي  
 قد حرم أكل شجرة ما في حدود الحرم فلم يتناول لسان ذلك  
 الذهب الأشجار الواقعة في هذه الحدود وكان أهل المدينة  
 يمشرون ورسول للبعين إليها سبابا كبيرا ورزءا تغطي

عائته فقد راعى لليهود الذين في جيش ابراهيم ذلك التحريم  
والاحترام مد وقفوا على حقيقته

ولما أحرك ابراهيم جنوده نقل للمسكر الى أسد من  
موقعه يستريح كيلا يترأى الى لربة (السويداء) بين ينبع  
وجدة وأخذها مستردعا وفيها الموتى والقتلى ثم سار منها الى  
الحناكية القنات هي لم تكن هناك حاجة لبقائها بها وحصنات  
السويداء عند استولى المصريون عليها قبل سنوات قليلة بدون  
أن يفسدوا طرة دم لأن شيوخ العربان الذين خدمهم عبدالله  
بحيثة وقاتله أو أن يوافوا ابراهيم بلشاعا عليه منهم من الجبل  
والذين بل دواله ظهورهم مديون وأخذوا يمشون في البلاد  
ورتكبون القناديل قطع الثوليات وسلب القنات القنات من  
ينبع الى مكة والمدية . وكان مما يتحتم في بداية حملة عسكرية  
كذلك مع سربان عدوى القنوة الإربية بين الناس بالبلاد  
القنوة والقنوة لم يبادر ابراهيم بلشاعا بالخذ أنهي رجل من  
النساء والقنات لحماية أو تلك النساء وكانوا قد استمعوا للنداء  
على أثر عصم بصرى الجيوش لقاتلهم

وعلى مسيرة يومين من المسكر للمصرى ظهر عربات  
عظرا الجسامهم وميولهم بزت مزج به مسحوق أسود ووضعوا

على جباههم طلساً جديدة وشعروا رؤوسهم يسير من الجسد  
 تبيط من تحتها شعورهم السوداء على أكتافهم وعلموا في طلكهم  
 فحيرة الخراطوش والجببية والسيف الذي يلزمهم حتى إذا  
 أزلوا شرب القهوة وايقضوا على (الكلاج) أي الكتلة ذات  
 القبض الخشن والرأس الحديدى والقطاعة وهي رمح خفيف  
 قصير على الطرف الأخرى عند ما أخذ السكان بقدرتين تلتمت  
 منها أشرطة قماش أحمر مصغور وكان يسير في الصفوف الأولى  
 من جيش العدو لللايس وم فرسان يلبسون المروج أو القباير  
 وكان مع كل منهم مائزته من الماء والنفاء ويتبع هؤلاء الفرسان  
 أو الخيالة، (الركوب) أي السأكر المحاربة وكانوا يحدون إليهم  
 حثاً لما على السير بمعنى الدماء إلى الله أن يصوبها من الأخطار  
 ويخوى نواحيها حتى تكون في صلاحها كفتيان القلس -  
 وكانت هذه النوايا كلها سمعت صوت الدماء لزدلوت نشاطاً  
 وحمية وتحطرت تحتها السير إلى الأسام وكانت نداء الطريقين  
 وعن على ظهور الجبال يصحن المنطقة بالرحى وسجن المقيمين  
 ويخبرون الخبر في زمن سنير من الطريق بوقته بالتفصيل أما  
 المؤخرة فكانت يتألف منها الفرسان وم الشاة مسلمين، الطبيلت  
 الكبيرة وبأيديهم الموق كل حرفة تملر حائرها ١٨ إيماناً وهي

منعدة من جو الجانوس للقوى صفايح الطيف وما ابعروا  
 بالمو حتى صاعوا صيحات حادة وخبروا الطول وتنوا بالاشيد  
 القساكر التي من أشهرها (الخنو) وفيه ما سناء وأبها الموت  
 لرض لمصك منا: أبها الموت صبرا حتى تلتهم لدم للسفوك: +  
 الخ. وكان الشاة يظنون شوقا القتال في القعدة فاحصروا اليها  
 وبعد أن أحصوا المراتع الثلاثة لم يبق صفوف الفرسان بدأوا  
 يلبثون سلاحهم على الاسجار الباردة للأجادة في إصابة للرسي  
 وانسلخت منهم فصيلة طيارة لتقتل بسوبا فصيلة الفرو فانطلقت  
 تناوش المصريين واشتد القتال منفا بعد ذلك فاشتبهت فيه فرق  
 المصريين على اختلافها وهي وليس القتال وما لجأ القرب بعده  
 الى القرا جاعلين أطراف الأسم من خلفهم، ويهيون بها  
 الظافرين للفتنة لا تكادهم وظلوا في الدجور نصف ساعة فوجدوا  
 الزمان منتظرين على المعبر في أحد الأودية منه إحدى التفت  
 الثلاث التي اتفق على الاتعداد اليها في حالة الاسحاب او المزعجة  
 وحينما رأى السوء الحارين مرتدين لم يتبينهم بزخارف القرح  
 والأنساج كعادتهم - اما المصريون فاذالوا بالهزمين ملاحقة  
 حتى بانوا الى دورم حيث تفرغوا الذهب والتدمير ودعا من  
 الزمن مادوا من بعده الى المسكر بقطمان الأفتام وجم غنير

من النساء والأطفال، ولكن إبراهيم بنينا لم يثبت أوزده هؤلاء  
على أهلكهم، ولم يجرأ القريظان بعد هذه الحركة النجيمة على استئناف  
القتال ولا على الهب والسلب فجاءوا يسترحمون القائد المصري  
ويخضعون للسكاف التي يفرضها عليهم بها بلغت

ومد أن مكي ١٥ يوماً على الجنود في السيرة استأنفوا  
السيرة في الطريق المؤدى إلى القسيم وهو غرب من غرب التي  
سميت منذ ظهور الإسلام بالمدينة فقط إسماعلوا بحملاتها وبياناً  
لأهميتها وعلمت قدرها، وكان القرب في الأندلس يسعون بالمدينة  
كثيراً من اللدائن التي يميون إليها ومؤثراتها على غيرها ولا تزال  
نسى حتى الآن بهذا الاسم مثل (مدينة كل) و (مدينة  
دروسكو) و (مدينة سيدونيا) وكما كان تدمر المصريين يسعون  
طيلة وهي الآنصر الآن (طباكي) أي المدينة الرومانيون يسعون  
رومي (أورس) أي المدينة ورومان الدولة الأخيرة يسعون  
القسطنطينية (بوليس) أي المدينة

ووصول الجيش إلى المدينة لاحت الفرصة للمساكن أن  
يضرعوا إلى الله بطلب التأييد لهم في حرمة التي اختاره الثمرة  
وبنه نعم إن زلزلة هذا الحرم لم تكن من القروض الإلهية المحنة  
كالخمس إلى بيت الله الحرام ولكنها من الأعمال المحبوبة لآلائها

على النوع والفنوى قال محمد أديب في كتابه (دليل الحاج)  
 إن الصلاة في الحرم الذي أفضل منها في باقي الأماكن للقدسة  
 ولهذا السبب ترى عوامل الحج تفضي بالقرب من المرمى  
 النبوي أربعة أيام أو خمسة في ذهابها إلى مكة أو في عودتها منها.  
 وبما من مسلم صادق الإيمان من رجال الجيش إلا وعظمت عن ظهر  
 قلب الأرمين حديثاً التي تدل على عظمتها وشفاعة النبي وتشفعه  
 من دار الجحيم. وامتاز الظفرة بالإخلاص في التمسك خصوصاً والى  
 في المدينة عبر الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي التي  
 يمسكون به م والذاكرة من أهل السودان وأقام إبراهيم بكندية  
 أسبوعين كاملين اتهد بعدها إلى الحناكية ١٠٠ فارس من طلابه  
 ليحتلوا سدان درهما الزهايون قبل المهاجم داخل نجد.  
 وكان المصرون في حلقهم الأولى قد حصنوها تحصيناً جيداً  
 وفي أول ديسمبر شرع في إنشاء استحكامات وقلاع بهذا  
 القواضي للتلأم للإجراءات الحربية لأحفراته هذا خطها من  
 أشجار القخل وبعض المستنقعات وميون لهذه المذب التي تروى  
 ما حولها من الأراسى الطمعية لها حسن إبراهيم بهذا هذا  
 للسكان لثت ينظر فيه ورود الامدادات من القريسان والمدافع  
 وهي الامدادات التي أخذ والده يمت بها تباطاً لتصل عن النصارى



التي يعمى التدبير العسكري يجعلها على حراسة القنط الحظية احتفاظاً بخط الاتصال . وكان الزعيم الوهابي قد عند القبة على الخيط من المدن والزياج القنول على يد حلفائه من القرامط ولكن كانت تدمر على هؤلاء علامات الامتنان والتقدير والاحياء من اهتمام مدغية صواميلج سرورها من قبل فتناً من ترودم هذا شفاق جاء فقام شيخ قبيلة حرب على أثره الى الباشا لمناقشته معاومته . وقبيلة حرب على سرورقة يسالتها في القتال ومع انها أقل قرا وأضعف شوكة من قبيلة هبزة إلا انها منتشرة بالأمنى الواقعة بين القسيم والمدينة ومكة فيما عدا الجزء الصغير الذي تشغله عائل مطير وحطيم . وهي لما هبت للقتال اضع من رجالها أربعمائة ألف مقاتل وكان القيمة منهم قليلين جنوبي المدينة ولكنهم يسطرون عادة الشطر الأكبر من شياهم حتى ينفذ ان تجد شياهم غير مسلح بمدفة . وكانوا القرونهم التي يكتفيا لهم مرور القنول مصر والشام بأرضهم يملكون متاع الجواز القنالي ولم يسبق لهم ان يمتحوا من هذا المكان لغيرهم قبل غارة الوهابيين عليهم وشغورهم لسلطونهم مد أن خضع لحسا عائل الصغراء جميعاً وسع مساحة أراضهم لحدود الأمنى قبيلة حينة التي استألفا طرس ولشا الى محالته في سنة ١٨١٢ فقد كانوا يرفضون حكمل

ما يقترحه هذا الأمير عليهم حتى اليوم التي حدثت فيه مذبحة  
الرس . وكان غاتم يني نفسه حينما تقدم لخدمة ابراهيم باشا  
باعتداده الأرامي حتى اجبر على تركها للدولة الثمانية . واستقل  
ابراهيم بهادله كثيرين من الميرلن أصحاب الجلاء والنفوذ لأنه  
كان يرى الفرصة ملائمة للأبطال في البلاد وتدريبها كرم  
على الحياة فيها فتمرك يوم ٢٧ ديسمبر في جيش مؤلف من ١٥٠  
فارس مزودين بالثون لمدة عشرة أيام وانضم اليهم غاتم في ٥٠٠ من  
الفرسان الذين استجلبهم في الطريق وسار في الطليعة جماعة من  
نجد القرية كأولاء وجواسيس قد دخلت هذه القوة نجدا في ٢٧  
يناير ١٨٢٧ عند مشان مضية وحرمان متلف انتهى بسروز الهوز .  
ولم يتجاوز عددهم فقتلوا في الطريق عشرين وجلا فوصل الجيش  
الى طلوخ التي وصل اليه في ذلك اليوم كاملا تريبا وصحبه ٨  
جمل و ١٠٠٠ رأس من الضأن ومقدار كبير من البهائم  
وبعد بعض الموانع الرعايين لهذه الجازفة واستمر في  
أفعالهم بعد ان طردوا بالفرسان المصريين السجز عن تكبد  
الشلل وانتقل على المعاصب أنهم جديرون بالدح والاعجاب  
ولم يلبث متابعهم بعد أن حسموا لهما كنزها عر لها أن ساروا  
الى قيادة الجيش للفلوطة فاشتراط ابراهيم باشا عليهم التمسك

بحوريد وسائل النقل كلها مستالمة قلبها وانضم فرقه فوجدوا  
عنده لمرض الفرنسيين والاشارة عليهم فقاموا املهم بأول طريقت  
السكينة وطلاق المدافع والصرع بالصلاح ومن دلائل  
بنايه ولطف سياسته أنه جعل القرعة الواحدة تقوم أمامهم  
بشروط متنوعة في أدوار معالومة فكان يبدو لرائي أنها فرق  
يخسر عند هذه الأدوار وانها مدة تمام الألام بأحوال الحرب  
وفي ١٩ يناير ١٨٦٧ تلقى ابراهيم باشا من القاهرة نبأ إتمام  
السلطان عليه بالباشوية ذات الثلاثة الأذنان هي بطرية التي تخوفا  
حق حمل ثلاث خصلات من شعر الخيل لا يستطيع فأومضت  
للخدمة الفرد من عائلتها لهنك فبعد ان تلقى منهم الثاني عاد  
معه الى القبة حيث أبيت الافراح وسلم الزينات إذ تأ  
بذلك وأبسه المنى شارة الترقية وبعد هذا الاحتفال التقى ربح  
مكاته في البيوت والتي هيته في العروس عاد الى مصره .  
وكانت قد طرأت فيه حواشي استعدت تسهيل الأوبة خلافا  
بحكمت وقوة ارادته إذ ظهر ان بين الجيش جماعة تبنت في خضم  
نهضة التجسس فكان الأعدام صبيهم ونوارت لشامت بالقطعاع  
الصلوات السيسية بين روسيا والباب العالي لجزع الجود  
وأقنوا أن مركزهم في الجيش أصبح غير ثابت فأخذوا يطالبون

عزيتهم وتدارك ابراهيم الفتق قبل استهارة مدح لهم حقوهم  
 وكانت حرارة الشمس المحرقة هاراً ووعوية الجور الشديدة ليلاً  
 وقلّة اللابس ونذرة الماء الصالح للشرسوا الحرمان من ملاذ الحياة  
 وتشقى الحيات والهمسطاريا بشكل وبأني مما جعل الماسكر  
 على التفر وحرد القزينة ومنية الرجة وكان الرضى والصايون  
 يرسلون تباعا الى الخافضكية وكان الاطباء بالرغم مما أبدوه من  
 الفسة والكشاح لا يستطيعون استئصال شأفة هذه الاموال القتالة  
 فكثرت عدد الوفيات وأنتهر لياشائزله هذه الكوارث جلا  
 وحبراصيبين وكان عد وصل اليه مؤخر اثلاثة مدافع اثتان  
 علوان وواحد من طراز المليون يظهر أنها مما تركه الفرنسيون  
 قبل جلائهم عن مصر فقد شوهد مكتوبا على مؤخراتها ( حسب  
 في دار صناعة باريس سنة ٦ من الجمهورية حرية وسلاوة ) وكان  
 منها ما تكل من المدفوعين . ولكن الظروف التي أصبح  
 الجيش عاصيا بها كانت تستدعي حكمة السأكرا لاكثر المدافع  
 لسد الخس الخالفت بالرص والقوت . وقد سأل ابراهيم والده  
 ان يرانيه بأنهي مفاك وبأشر هذه معاهدات جديت مع الفرنسيين  
 وألزم الاسماء لينح سران المدوي في مسكره بذاك الامر ان  
 يحصل السلاح وجعل الفرنسيين حبشا واحدا وحكمان

عدد الأولين ١٢٠٠ والآخري ١٥٠ فلما كان يوم ٥ ربيع الثاني ١٢٣٢ الذي كان ٢٢ فبراير ١٨١٧ دُفِنَ على الراس عاصيا الثانية على أختها مدامية عبر أن توالى هطول الأمطار حال دون وصول جيشها إليها ، وقد أوغل في الصحراء ، في الموعد الذي ضربه قترابح به خلاص من المؤن ومكتفيا بأكل الفسج من غير ملص لسد لرمق على أنه تمكن من إخصاع قتلى كثيرة في الطريق وأخذ أسرى عديدين ونظم مقدوا الراس الجبل وكان الجيش بحاجة إلى الراحة فقرر البقاء ملازمة الحناكية حتى الطرب ولما كان مضطورا على الشهامة وحس الجبر فاته لم يدع وسيلة إلا اتخدتها لوقاية الجلود من شر الأمراض ونوغير الراحة والرفعية لهم فأمر بإنشاء بيوت كبيرة من الخشب لينضوا بالانتباه إليها شر الاختلافات الجوية وما من يد ملية إلا واشتركت في الحمام هذا العمل حتى يد الأمير نفسه . واستغرق التجار عدة الأيام شهرين وقد ظهرت فرائضها حالا إذ زالت الأمراض وقلت الآلام بالقتال لشده

أما جده الله بن سعود الذي كان للفرنون له يبرصون به بالشرج على أمر ملوح في خروهم من لزوع عقب خروج الباشا من زين القتال على النحو السابق فقد أمر بتأجيل مو التقتال قبل

وصول المدد من مصر ونعى هذا الخبر الى ابراهيم باشا عيب القتال  
من غيرة ليعرق استئصال الأعداء وانضمام القبائل اليهم يستميل  
اليه القبائل للترعة بمحدود الصغر، بحجة الحيلاء، ويملأوا الحيلاء  
في الحقيقة وانما هو التريص والامريت للانضمام الى الفريق  
الثالث . وقد كان القور في تلك المأرك للفرسان المصريين  
كما كان لها في المأرك السابقة اذ كانت أكثر من ١٠٠ مقاتل  
من العدو ومقت. ٢٠٠ رجل ومقدار اسلحة كثيرة . وحسبان م  
ابراهيم باشا ان يستعين بظواهر القوية في حرب استعصفت  
سعة القداسة . فاسارع بالتحارب الى المدينة ليحمد الله فيها على  
ما أولاه وجيوشه من التوفيق الفظير ، ولأنهم هذا الواجب عاد  
من المدينة في ٢٠ أبريل . ومما جذب الى ولائهم الفرنج الأوائل  
الفرعانيين اكرامه مشوى حاتم شيخ ليلة حرب وغيره من  
الشيوخ ووعده ايام يهدم مريض الجزية أو الشكاف عليهم وان  
يدفع لهم لمن ما يوردونه اليه بنير مما كسبه ، مع قتله القتل  
بالشاشة وسعة الصدور والسفاد . ولقد بلغه أن عبد الله بن سعود  
ينهب القبائل التي تأتي للتوجه الى الرس ويرحب في ٢٠٠٠  
مقاتل لهاجة للمصريين ويدعو جميع رعاياه الى شد أزره عالم  
وسلاحهم ويجمع الفريقين غرض عليهم القتال من استبدال انفسهم

من حرم مدة ٤٠ يوما في مقابل عشرة قروش وافية، وبأن يبيع  
الأجالات مهما نصرت مذهبها وتشرع القبح انقصت مدة  
خدمتهم في الخدمة وهي اثني عشر شهرا، ولا يبي من هذه الخدمة  
الغزب ولا الترويح ولا زب الفاكهة ملوثة مرة لا يخل من الخدمة  
عشرة ولا يتجاوز الستين، وأما بقول بخاتبة حشد هذا الجيش  
فليس في بيتنا احصاء المتطعين في ذلك الجيش بل المتطوعين  
عنه، ويقدم الى الحارب الفقير من بيت المال الفاكهة والسلاح  
وغيره التي يها من خدمه وان ما يقدمه بيت المال للجميع بلا  
استثناء القبلود والرحاس ومعدات القتال، وأما فرد من يتقاضى  
الفارس مرتبا شهريا وعلف جواده وان لا يغطي مرتب تظ لا  
للشاة ولا الركوب (راكبي المحي) وان تكون ذخيرة القناصل  
وأدواته قرة من وأخرى تحتوي ١٠ رطل دقيق و ١ رطل  
تمر و ٢٠ رطل زبد ونخلوة حطة أو شعير للجواد أو الجمل،  
ويجهز كل مقاتل بمؤنة تكفيه خمسين يوما على نفقته وسلاح  
مؤلف من حجر وسيف وجيرة على نفقته ويندقة بشرط اذا  
كان من للشاة والأفرسح وما يمتنع، وفي مقابل ما أعطي من  
ذلك يكون له الحق في القبة التي ينسبها من الأعداء بعد أن  
يؤدى المحي منها الى بيت المال. أما الأمراء فيعد في ساروا

تقدمهم الاعلام والقيادى ويصعبهم كائنات ونام للربط  
 وحجم الشكالات والتأوعات واجتمعا على سبيل القسمة في  
 نقطة معانة لانحاء القمدولكي اناسلر في أثوم واسلوا  
 الرحف الحثيث للاقتماض عليه . وكانت عليهم شرفة  
 مؤلفة من أربعين طرسا تقدم غبة وعشرون منهم الجليش  
 الأسلى حتى ابتعدوا عنه بمسافة ١٠ كيلومترا سوى لجة الارتحال  
 القتال جهزت كل أسرد من أسر الجنود لرجلها طلماس الشعر  
 الحمر في السمن لسوس القطود وطلماس آخر من الشعر المجنون  
 بالطين والفضج على حرارة الرماد بعد قطعه قطعاً مستديرة  
 كالخيز الطعم للساء سوفا لردوه الوهابى حفر الآبار اذا شع لاء  
 طاذلم قامت الآبار بالاء الصالح تربت ألبان التوق وأسكى لم  
 الجلال اذا طمت الأظنة بأن يدبح منها الأضعف فالضعيف وان  
 يحصل كل جل من هذه الجلال وجليش من الشاة حتى اذا شب  
 ضرام القتال يكون الجنود من القوة والاقتماض بحيث يقتدرون  
 على تحكيدها

وصل الروهايون على هذا الترتيب الى احدى الآبار  
 وكلاوا عشرة آلاف قصبوا خيلهم ورسوت الشعر السوداء  
 وجعلوا اسراقى زعيمهم في الوسط درعت الاتقال من اللاني



وأحاطة الحصنة للقتل وتشترت راية الأمير فوق سريره وذهب  
 القرماني حول الخيم على شكل الدائرة واسقط حراس القصر  
 وم القرفة الوحيدة المتاخمة من الجيش الزهاني للزوجة من ٣٠٠  
 عربي يشترط في قبولهم أن يكونوا ممن امتاروا بصل جليل  
 ومن العادة أن يسطر لخصم منهم ما يحتاجه سنو من القمح  
 والذرة والتمر مع جواد كرم بما عليه من القس أي الحبوب  
 التي لا تستخدم من الزمان ولا تصل فيه السيوف . وما من رافة  
 اشتركوا فيها لوصل وهو لأدائه إلا وكان التوفيق قائم فيه  
 وبعد ما دعا الأمير إلى الاحتفاظ بهم احتفاظ المرء بأخس  
 ما عنده وانخاضه إمام بهذا احتياطيا القتال لأرسل منه  
 إلا فصائل قليلة لتعزير القطع الضيقة . وكان الجيش الزهاني قد  
 عبر مراكز الحرم والقريص الأمامية وادناها بكلمة دمر الليل  
 ولمرر أن لا يخطئها غيرها في الليل إلا بعد أربع وعشرين ساعة  
 وحمل على مسافة أربعة كيلومترات منه . وكان محمدا على رجال هذه  
 المراكز أن لا ينسروا إلا في النهار وأن لا يتجاوزوا الحراسة . لا خسر  
 مرات فقط والذين انتهى نوبهم مرحون السكر لأداء مرسومهم  
 الحربية حيث شاموا وكان مرسوم نهما يأترون الصلاة بعده  
 وفيما بين غروب الشمس وشروقها كان المسافر يتلون

الفرق أن أوفيساريون يذكر الحوادث الماضية وكان أكثر حديث  
 به الله اعتباه بحدوث المستقبل فقد انتهى إليه أن الباشا  
 أخذ في ١٦ أبريل جيشا بقيادة أرون على مؤلفا من ١٠٠٠ رجل  
 و ٤٠٠ فارس ومدفع واحد وشرفهم من البدو لاحتلال (القهرة)  
 فاستولوا عليها فقرر عددهم أن يحرق عليها لطرده البدو منها وسعى  
 في جهة إلى أبعد من ذلك حيث حزم ضرورة الانقضاء على  
 المدينة في ٣٠٠٠ مقاتل ودمي اعتلى عليها جيما وحضر إبراهيم  
 باشا في الحامية بنقل بين الحرب بينا يزحف فيصل أخو عبد الله  
 ابن سعود على مكة وجدة وجميع قطع خطوط الاتصالات دونه  
 وسلب من يصادفه في الطريق من القوافل . وهذا التصميم يفل  
 على ما كان عند الوعاى من الخرافة والمخوف وقد تظاهرا عرانه على  
 أنجاح المشروع فاشتغل فريق بصناعة البارود وفريق بتكرير  
 ترسانة البرنس المستخرج من الجبال، وقد الأمير الثمة على مطاية  
 لتقصر في عمله مدفع ثمانية فمئة للرء الأولى وبالطرد والفرل  
 في حالة البرد ومن يحالف الرؤساء بالبلد ومن يولى الأعداء ياربس  
 الحق وأثارت الثقة بالنجاح لحاس وتشجاعة في النفوس  
 وبما لا شك به أن مدعية إبراهيم باشا كانت أقوى من  
 مدعية الوهابيين وإن عساكره كانوا أجود سلاحا ولكن

عبد الله كان يرجع القوز مع ذلك لئلا يكره لثولهم في العدد مع  
أنه كان لا يعلم بوجود شعب على وجه الأرض غير العرب  
متنوعا في الحرب بالرمح والسيوف حتى كان كثيرا ما يقول :  
« اللبوى لموسى والهمجى لموسى » وكان إبراهيم باشا  
مستندا فيما عدا ما ذكر من تنوعه القوي في القتال على ما كان  
متظفرا وترويه من التناقض والتناقض في دولة حديث العهد بالوجود  
كقوله الخمايين وعلى ما يتناول الاخلاق والمصالح المتناضعة من  
البلادية للشاكية بادية الد والجزر فيها وعلى غيب سكل تنود  
الحجاز ومده من اتطاع السبل على الحجاج والتوافل الذين هم  
مصدور ثروتها وعلى بقاء الأهلين من بطون سرا بفائدة السنية  
الأولى غير أن هناك محلا السؤال هل ما مضى من الوقت كان  
كفيا لاستكناهم حقيقة الموانع العسكرية في تلك الأجزاء  
وتدرب جيوشه على القتال في أرض كأوسها وجو كوها واعتاد  
أسلوب القتال ومبادئه لللاتين له . ولقد اطمأن انه استولى على  
جميع المدن والقرى الواقعة على سواحل البحر الأحمر ألا يوجد  
ان يلزم الوهابيون الراحة والسكرت وشا تنح لهم فرصة  
للاستيلاء على الموانع المذكورة ، ثم من يستطيع ان يطمع في أرض  
غير مهيأة لا يقدر التبرم ان يبعث فيها بفرس ذرة أو شعير

وقصة اليد من التمر كما يعيشون م ولا يمكن لنير جيلاد م  
يعيش بنوى هذا التمر ونضج الحشائش الطويلة أو لجمال غير  
جمالهم ان تقتصر في عدتها على القناد والموسح وفي رباها لا  
يخالو دحلا من الماء في اليوم ١ وهذه الفروض والتخمينات كانت  
تكواد على حامل الزعيم الرومانى اتاد رحته على للهوية فيقبلها على  
وجرحها وربها ييزان الزوية والتبصر

وفي طر ٢ مايو أطلقت الننادق ودميت النبال عدل خلفه على  
دو اللهاجين ثم لمت في سوء الشمس الزماح تمحركها سواهد  
الرومانىين للتحصين وسمع من بعيد صليل السيوف ورونها على  
الحرق . فاهى إلا فترة من الزمن حتى شوهت لشاحهم القنعة  
مختلطة بعضها بعض في تدفقهم نحو المسكر المصرى مترين  
بأنشيد القتال راحصين رفض الحرب . وكان النظر القسطنطين على  
تلك الكائنات التي يكاد يتصق حدها انظما مؤودة ونحوها  
ولد حلت في مناطقها المتناثر كاني للاعتقاد بأنها اشباح عجائر  
أفان من هم قادا لوست النظر نعه من جهة أخرى الى  
الأجسام النصلية للتشبيطة ذات الأساطين القوية والعبون التي  
لتدح شرراً والشمور السوداء والوجه الذي تلوح عليه لوانح  
الحلس ، وعند حلت السيوف الطويلة وضعت يديها على مفاضها

ومرحت الأروبة على الأكثاف أهدت لها كأحسام أبطال  
 القبول الأندمين كلام وثيق الأركان ممتع التفاصيل . تلك كانت  
 صفة عاكر ابراهيم باشا الذين شرع الوهابيون بهاجمهم  
 بدون ان يرسموا لانفسهم خطة أو يشتدوا أهة . وغاية مقبلوه  
 أنهم أخذوا يلتصقون الحلة التي يبيع لهم ان يحتشدوا بها بدون  
 ان يتعدوا اليها حتى كثرنا واضطام منفسهم خطاوا ثم حاولوا  
 الحلة على المصريين فأمر أوزون على بأطلاق البنادق شدة وما  
 زال بهم حتى أترهم القرا ثم اتجروا دحعا على عجلاتهم فوضع  
 رجالنا في الاتيك وظلال . وشعر عبد الله بخرج موقفه فتقدم  
 بعريق من عرساته نحو مسكر المصريين . وكان للفتح يوزر  
 جانب مشاهم الخديين بالبنادق فأمر الوهابي دجلا بأن يعز حوا  
 انفسهم أوصافهم عرسات المصريين فرصة اضطرامهم وترددهم  
 وهم يقومون هذه الحركة للاختصاص على صفوفهم المختة . وكان  
 حقله عبد الله قد ولوا الادبار فأبرز الأمير أمير هجائه وانصبة  
 من الغرب المهددين بحد واليمن مقابل أجرة قدرها مسقط رؤس  
 والحية شهيد هذا الرب التذاني من القزير والذين . إلا انه صتا  
 حاول الظفر بمراوده بل راد أنه أنه تلك القوة التي طالما حفظ  
 بها شعراوت الطرآية الخطيرة ولم يبق أمامه نصيلة حياته من

انظر سوى اقتفاء أثر الملاحين ولقد اشتد المرح به ورجاله  
فأحس إلا لحظة حتى سمعت التكبير (الله أكبر) التي تلاها  
الاستيلاء سرعاً قبل القرار على حدث ٢٠٠ قبل انقضاء تقيّة الملاح  
الذي يلوث زملاءه الأحياء لئلا يقيموا بهذا الرقيب وأسر  
المصريون ٢٠٠ أسير بينهم بعض القرب عبد الله وجملة أرائك من  
المدنيين الذين في خدمته وتشموا عدداً وافراً من الجبال والارز  
والشمير وذخائر الحرب أما خسارتهم فلم ترد على ١٢٠ قبلاً  
و ١٦٠ جريحاً وكان القتال بينهم والروهايين بسية ولحد من  
أوتلك وعشرة من هؤلاء.

وبما كان إبراهيم عالماً على خط المناكبة طيلاً لأولمر  
ولقد رثا نواحيه الامدادات أرسل فيصل شيخ تقيّة مطير وهو  
الذي قتل ربيع الروهايين أخاه بخير اليك بأهله وصل المصريون  
إلى القاهرة انضم إليهم وحالفهم على إبادة الروهايين وقتل زعيمهم  
انتقاماً منه على قتله أخاه فنهض إبراهيم لهذا التبا وسارح يوم ٣٠  
أفريل إلى النكسك لمين للاجتماع بعبد وسه ١٠٠ فارس ومشاة  
وأكيون على الحصن وثلاثة آلاف رجل تحمل الذخائر الكافية لمدة  
شهرين ٢ مايو جاء تيبيل المساء فأسد ثم تلاه من الجند ما خبروه  
جما بأنهم لم الروهايين في طوائف السائفة فأنهم على القامد الأول

لقدى جل البشرى مائة رطل من الخفاء وكسوة كاملة ورأى ابراهيم  
بعد ذلك ان يحث السير بولياس مخدر الاعداء ومناجأتهم لتفقد  
لجيش خلاص بحره من جنبيه فصار وصل الى القنطرة المقصودة  
تهال الجند مرعوا واطلقوا النافق إيدانا بسرورهم ونزل في حيفا  
أوزون على وعتاء عو وغانما شيخ عربان حرب يسألها والد  
حرج جواد هذا الشيخ أثناء المركة وأصيب أحدهم بطنه دمع  
وبعد استراحة بصح ساعات تفقد ابراهيم المسكر فأمر بحمل  
الأسرى السودانيين عذما في الجيش . ولا رأى الروحاني ان  
الهاجرة قد دارت عليه بقل طمعا عن الخوف على الجواز وجمع  
فعله في ساحة عتيبة ثم أرسل الى فارس مائتي رجل مدها ودعائر  
كثيرة وقصر حخته على إعداد وسائل الدفاع عن عاصمته ومن  
قولايت الوسطى من مملكته

أما ابراهيم باشا فقد فكر بحق في الاستعانة بالزبا التي  
نجحت من اتصاره فاستقدم حامية المناكية كلها ماعدا الرومين  
وجلا منها وكتب الى المدينة في طلب المؤن والذخائر الحربية  
والى مكة يستقدم القربان الذين وصلوا حديثا اليها من مصر  
لأمدده وترأس أثناء ذلك على الحملة التي جردت لمطاردة  
القبائل الناعية فاجتاز أوامر الجبال ثم حاربهم كثير من الجبال

واللأشنة هروجه على قروا جهته وكان القتب قد أثبتت الهرياني  
وغيره لم يفتقد إحصاء شهر في الخامس الزاوية التفردي من القصب  
والقطن، وقد وصلت في خلاله حامية إحصائية ولا ١٢٠٠ فاروس  
التي برحت مكة

وفي أول يوليو عائد إبراهيم باشا المهرة في ١٠٠٠ راجل  
و ١٢٠ فارس من الريان وكانت تحت قد اعتلت حشيرة لما  
تكتبد من القتب ولم يكن فيه من نفسه ظرم القربان ستة  
أيلم وصلا ولكن ذلك لم يقصد به من القتل لأنه أمر أوزون  
على بالتقدم في جيش مؤلف من ٢٠٠٠ عسكري وصلاح ثلاثة  
مدافع ، وما كاد يتأهل الشعاع حتى نهض قسبر في أمره

وكانت القصة طويلا حجة الأعداء والوهاد والتجود فكان  
لا يتقدم قليلا إلا بعد أنحاز القضاير لأتية القضاة وسكان للاد  
فلما جدا برية الشلوب منه ، بعد بقل القند ونحمل للقارب في  
استكشافه، فطنا وأما حتى ان الجمل والمجن حرمت شرب الماء  
لقدت مرارا ان تحت ٢٢ ساعة بدون ان يتخل شعاعها به وبر  
ليصل برعدا فالتق باراهيم ووالده غزن ووفرة ودواب القتل  
كثيرة وانضم اليه بحيث صار هو ورجله جردا من الحيلة العصرية  
وما قبل للعدايا التي وجبها اليها اليه إلا بعد ان قبل منها مشايخ



الفرمان بين المدينة والقديم وقد حشد ١٠٠ رجل و ٢٠٠ فارس  
بعد تحصيده الشدائد في المصانع فباتت بقواته البقاء على ولاه  
للمصريين وكان غروزة يفتد الى ما يلي تلك البلاد بالخطر لقرابته من  
الزعيم الوهابي وحسن سمته في عهد الواسطي فاستمال الكثيرين  
من الشيوخ الى مؤنورته والاعتداء به

وكان منظر بلدة شامة وقد اكتنفها الأشجار بشعراتها  
جزيرة الخيرات متوافرة التيم خصا دة الجيش لمصري منها  
وجدها صرا بقاء لأن في كور القنادين من أهلها على حلى  
السلاح أخذوا الصرور الرمن البعيدة بحيرة التي حشر يوحنا من  
البلدية . أما التنبوخ والنساء والأطفال فقد مروا الى (التفراف)  
وسمهم مملوكت أيمانهم من اللشبة والتابع وكان النعب  
والأبناء قد لا كثيرا من الماكر فألقوا أسبوعا في هذه  
الواحة ثم تحركوا نحو تلك البلدة وقدمهم اليها في ١٠٠ فارس  
للاستطلاع فقتل رجلين وجرح خمسة وفي اليوم التالي بدأ  
المصارو وضع مدافع في الأماكن المناسبة وحكف على ضرب  
البلدية بها ستة أيام ولكن شاء القدر أن القنايل لم تلحق  
بجانيها خردا ما حتى السور المحيط بها لأن القنايل على المدفع  
لم يكونوا من البارعين في عملهم فكانت قنايلهم تنجبر على أن

تم سيرها في حطبا للنحن فلما وقف القادسا على الحقيقة أمر  
رجله في الساعة الثانية من الليل بالحيلة وتسلق الأسوار وأطلق  
منفعا إنذارا بذلك للشاة مركفت القضاة لاستطلاع السكان  
وسمع المحصورين من مبارحته وحدهم أوزون على هو والدلاء  
والثائرة من جنوده المدعو بأن لفت ظره نحو جهة غير التي كان  
ينبغي أن تصرف إليها إذ قام بهجوم فاذاب عليها إلا أن الاعلى  
استرشدوا بدوى للدافع الصرية فوقفوا على الأسوار وظلوا  
أربع ساعات يصدون المهاجمين برماحهم وبناصيرهم والمضيق  
الذين كانوا عديم . وكان النساء والفتوح يحرقون الدافعين  
من وراء الأسوار على القبات والاستبانة ويطلقون البوم  
ويضربون مبداء القتال بسيف القمل الجاني للطل بالصف.  
ولقد أبدى الفريقان من ضروب الصالة ما يفيض بالسبب وانتهى  
بالصين الأمر إلى الرضى بأبغلف القتال لما أساهم فيه من  
التمساة القادة التي بنت ١٠٠ رجل بين قتيل وجريح ولم تكن  
شاة القمو تنقص من هذا القدر فزاد برهم جيشه ١٠٠  
جندي تحت قيادة البكباى بلور على وفرد استضاف للمجروح  
عند طلوع القمر وكان قد أمر بقطع القمل الكبير لبقية حصونا  
مضرة بأرتفاع بضعة أمتار إذ قد بداه أن قتل الهبة السابعة

يرجع الى تلك المرتفعات التي تمكن اليهود من ضبط موى  
الدافع عبر أن الهندس لم يقيم مراده فلما بدلا من ان  
يحتيط بتلك الاشجار كالقطة تطمها فطما صجرة ورتبها اكلها  
بدلا من أن يدمها بطولها لتسهل ماسيوضع من القرب خلفها  
وع ان حمل تلك القطع على الترتيب السابق كان لا يكفل نتائجها  
ولهذا السبب لم يتعدى إطلاق الدافع حتى شأ من تراجعها  
الى الخلف ، وهو مالا بد من حصوله كلما صريت ، سقوط تلك  
الأخشاب من مكانها - وشجع هذا الحادث المصريون فتمكنوا  
من صد المراكز الامامية وانحصروا على الدافع ولكنهم بدلا  
من ان يسدوا تقويها بالسليبر ليجعلوها غير صالحة للاستعمال  
أخذوا يدوسونها بالاقدم - وكان يلور على أثناء القتال في طليعة  
رجاله فأصيب بجرح بالغ وجنبا وأي المصريون ماحل هم هوا  
ثلاثة ألقام فلم تص بللار لثيقط الحامية الرومانية ودعت حيل  
للمصريين للاستيلاء على الموقع هباء ولم يبق لهم من وسيلة  
يعتمدون عليها سوى الهجوم عنوة فقاموا به ولكنه كالمجربين  
السابقين لم يجر غير الخيبة والفشل  
وكان موصى ابراهيم حرجا لأن ثلاثة آلاف من رجاله  
هلكوا امام الرمن وتعددت ذخائره وتبددت الجاهة بقية جيشه

ولم يبق له أمل في حزن ولا مدد، وقد أصبح في الصحراء على بعد  
 حقيق من مصادر الحياة. وكان مسكر عذابه بن سرور يبع  
 عتبه (وروده) فأخذ أخوه فيصل يكتر من الاستطلاع حول  
 الراس فلم يجد ما يحول دون لعداها ونمرزها ولو أن قائد أهل  
 من إبراهيم وصانته وترثا في عمله وأكثر تروعا منه وحزنا أمام  
 الحوادث إذا قتلت له ظهر الفين ترك ميدان القتال بالسوا قلب  
 إلى الجبل غورا ولو سكن الكثرة التي نزلت به وبجيشه زادته  
 أصروا على إرادته ونصحا بتعبه مشيته ومضايي حركته على  
 أن الكثرة لم تقب عند هذا الحد فقد تلوذ عليه أيضا عناصر  
 الطبيعة والصحراء معه مع السعد لأن الزواجر والرافف  
 جرت قوتها على وجه لم يكن مأثورا من قبل فبهت القربح للشدة  
 نسي القرب والرمح وتفرغ الضارب وعلبام وتلب الإنسان  
 والحيوان للشمس والحركة وسقط المرحى على الأرض بلا حراك  
 والاصطدام بلا قوة وحل اليأس من نحوس الجلود على الأمل  
 وبجأت الأمراض لتتور الأجسام وتصبها بأشد الآلام. أما  
 الوهابيون فقد أخذت فصائلهم تفرق في البلاد فتسلب الجبال  
 وتأسر قاداتها وحراسها ومع اشتداد تلك العواصف التي يشبه  
 عليها في طيبة لتكون فعل التشجيع المعنى في الإنسان فان



ابن القيم، محمل علی اعتراض الصدوق ویرود شهادت



إبراهيم كان لا يرقى ثاباً كالصغير الصلح لانه بينما كانت الاضطراب  
مختلفة به كان لا يفكر في غير الفتح والاتصال ولقد استعطي حوالده  
في يوم من هذه الأيام العصيبة وسار في ١٠٠٠ فارس فاقضى على  
شيخ العدو فزق شملها كل ممزق بسد ان غل وجرح ٣٠٠ منهم  
ومد مطع رؤوس الجرحى وعرضها مرغوة على التبايت أعلم  
الرس. ولما أراد بهذا لشطر الفتح للتأثير في نفوس المصورين  
بالقاء الروح فيها ولكنه بث بهذا العمل نشاطاً جديداً فيها  
لطلب الانتقام فاندفعوا خارج الأسوار واشتبكوا في معركة  
سالت الدماء فيها اندفاعاً

وكانت ظروف الأسوار الى هنا ملالة للزعيم الرومانى  
ومساعدة على تهديد كل طريق يفرقه لاقباله بجلاءه من خطر كان  
منها فاب تحرسين أو أثنى ولكنه بدلا من شروجه في هذا العمل  
الذى كان يكفي لا تجاحه بلجم بين الحمة وغوة الأرواح والبقاء  
انزوى في عاصيته مضجعا للصلصة العامة في سبيل نجاته ونجاتها  
من السقوط فاصحكا فرلده يقتضون فمار القتلى وحدم سد  
للعبرين ومكنيا من شؤون هذه الحرب بأيدى اثنين من  
مقرية المعاونة إبراهيم باشا في الصلح دحما الشيخ محمد الحنبلى  
والشيخ عبد العزيز بن محمد ومد طالبه مشرطين في مقابلته ورفع

المعاصر حالا . فكان جواب ابراهيم أن أئمة محمد بن مردان  
حاكم الرس يرحوب تسليم المدينة اليه مرد عليه هذا بقوله :  
« تعالى فلهما » فاستوف القتال بين الفريقين وتابع عبد الله  
مخبرات الصلح التي بدأ بها . وكان بهذه التسوية والأطالة فيها  
لأعطاء إخراج الوقت اللازم للاحتشاد . فطلب منه البشاش فطعم  
ففتحت الحرب ومأخر الرواتب للجنة وتقدم بها إلى جوناو وثلاثة  
الآف هجينة ومئونة الجيش لسنة أشهر وتسليم اثنين من أولاده  
وهنا عنده . وهي شروط طالحة ولكن عدلها ترجع إلى ما  
أنظره عبد الله من الدولة والاستكانة حتى ترك نفسه زمام الحق  
في فرض الشروط على ما يهواه والكلم بهجة العال لا اللطوب  
فلاحظ صالح بن الرشيد للتدوير الزحاني أن خصم الأمير  
المصري لم يكن فلاحا ولا من دعايا محمد علي وإنما هو أمير نجدة  
ومصاحبها وما كنها . وظهرت حلائع الشناعة من الطرفين فخررت  
أمر ما في الصلح للشهود

وكان سكان الرس قد شعروا انتظار وصول اللند اليم ولم  
تعد لهم حالة برؤية الطراب فتدبده إلى القيوت والوت يقيم  
السكان منذ ثلاثة عشر شهرا وسبعة عشر يوما مولوا وقد تولاهم  
اليأس ثم وحاكمهم على أن يطلبوا من ابراهيم عدة شرعية فم



الاتفاق بين الطرفين على أن يرفع الحصار وأن يدفع الحاكم  
بجيشه إلى حيث يشاء إلا أنه داسل الرس وأن لا يمر من على  
الأهالي مقاوم من التؤن والكل ومطالب الحرب واشترطوا على  
انقسام التوافقة على وضع حلبة مصرة في مدينتهم إذا وقعت  
عزيزة قود النصرين

بلغ عدد المصريين الذين دخلوا أو دخلوا حول أسوار الرس  
٢٠٠٠ على الأقل، ولكن إبراهيم كان جسوداً لا تصد العصابات  
من الوصول إلى غرضه فإنه دفع بمن بقي من جيشه فكلل  
الانحصار مقوداً بحركة - وصل إلى مدينة (الجبراء) ثم قسيت أن  
فتحت أبوابها للعودة بعد مقاومة صعبة فانساح المارود بها أحد  
عشر يوماً قدم السكان إليهم في خلالها ما زادهم من التدمير والتفجع  
وبجرحها من الحاجيات التي بأقد الباشا بدفع أنفاسها من سعة حتى  
تبقي شهرته التي اشتهر بها بالأمانة بين قبائل العرب مصونة  
بصوت بها التل ووالفق رحيم الوهابيين على انقلابية الرس ثم  
انتهى بحر (جورده) وكان قد نصب خيلته في صبرة ومضت على  
أفاده بها ثمان ساعات حيناً تمكن للمصريون من إقامة معسكرهم  
بها لأن مدعاً مؤلفاً من ٣٠٠ فارس بقيادة وشوان أقام كان قد  
وصل إليها بجهاز إبراهيم مداهمة القتال وكان ذلك لوقع وقبادة محمد

ابن حنبل وهو كلمة منظمة مشيئة على مساهمة فريخ من السود  
 فاست القلة بعد ضرب عظيم من الخلف مدة ستة أيام وفتحت  
 الخيول التي أخذتها القرب بالتجول مستودع البارود . وبعد  
 غلب الجند على حياتهم خلافا بالقران من غير أن ينتظروا عقد  
 التسليم الذي وضع الرؤساء عليه وبعد أن تمت لهم ابراهيم أنه كان من  
 الواجب عليهم الانسحاب إلى دوحته وشقته ثم اذن لهم بالاعتناء إلى  
 حيث يريدون بشرط ان لا يحملوا معهم سلاحا ولا مدفع ولا  
 مؤن ولا أمتعة وألزم الدجج بأحد أمرين إما بحرين الجيش  
 المصري بما يلزمه من المؤن والنفق وإما بدفع المال للآلزم لشراء  
 ذلك له . ونشأ عن الاستيلاء على عينة التي كان مما يريد بها  
 أهمية في نظر الطرفين المتعارين كونها في منتصف الطريق  
 بين البحرين أن اضطر الزعيم الوهابي إلى الاصحاب نحو لشراء  
 والاشتغال بتحصين الدرعية وبناء على الاتفاق للجمع مع أهالي  
 الرس وضمت بها حامية مصرية لدم من مقتضى هذا الاتفاق كما  
 ذكر سابقا ادخل هذه الحامية فيها بعد سقوط عينة

ولاشهد أهل التميم وهي مقاطعة عينة بالحاصلات آتية  
 بالسكان ماحل بميزة أقروا بالطاعة لابراهيم الذي باستيلائه  
 على هذه البلاد أصبح الطريق للوصول إلى حامية الوهابيين مفتوحا

أنهم ولكن لم يكن في هذا الطريق ما يمرض سيرة أو  
يحط متفردا سوى مقاطعة ( التوم ) وسلسلة صحارى أخلاصها  
يسقى وجهة من اللذ

وفي هذا المكان كان إبراهيم قد ترك الحدود التي هي  
التي ما بلغ إليه أخوه طوس في حمله لم رأى أن من المحسنة  
للإيمان في نجد الاحتفاظ بموقع حصين للاختصاص به ضد  
الغلبة فأمر بترميم قلعة عزيزة وقطع نحو ستة آلاف نخلة  
لصب بطارقات للدفاع عنها وحمل سياج لمسكن حصين  
ثم أرسل الرسل إلى مصر لشر بشرى القوز بين أهلها وكان  
مما ضد القبة عليه الانتظار ريثما تصل إليه الاسدادات واللز  
ليستأنف الأجراءات الحربية ، ولعسكره كان رجل جند وحمل  
فزعف من مروه على بورجه وظل يطلق القنايل عليها حتى هدم  
أسوارها واستولى على إحدى قلاعها ورسم اتفاق حامية القلعة  
من ٧٠٠ مقاتل

وكان (ميجلان ) حاكما هو القدي حاسره ( سيمون ) بن  
آرثر ( خمسة أشهر قتالوه مقاومة عنيفة وسد في سنة ١٧٨٠  
رجال ( الحسا ) نسبه وندت تم أحرق مبالغهم وأخذ غنائمهم  
والق الروم في ألقدة أعدائه قهزمهم وبدد شملهم حتى همزوا عن

أحد حث تلام حكي يمتلوا يفتها . فذلك البطل اليازل  
 صخرته ظروف القتال عند ابراهيم الى ارسال انه اليه ليكون  
 رها حده . مقابل حصوله على الأذن بالأمانة في المدينة حيث  
 واقته لليلة عقب وصوله اليها بليل . وعقب سقوط بوردة  
 دمريت ابراهيم وحسوها وتفرع اليها لتدير الأعدية وللؤن  
 من جهة وتبرز غزاة العسكرية من جهة أخرى لما كان استورها  
 من الضعب بسبب ترك فصائل منها في الرس وعشيرة وما  
 سيحورها منه عند مايرج بوردة ويترك بها فصيلة أخرى  
 توافيتها من البارزات . ولقد حكى في هذا الشأن  
 طالباً من اللد فأجابه الى علقه غزوا او تحرك هذا اللد مع  
 ثلثة عملة ملؤن والذخائر بقيادة كخيأ ابراهيم باشا . ولكن لم  
 يتسد هذا القائد من القاهرة بمسيرة يومين حتى ترك حلقه جأه  
 فاصدا الى الشام آخذاً معه لا ٢٠٠٠ كس من التتود التي عهد  
 اليه بتوصيلها الى ابراهيم باشا . وكان هذا اللبح صكل مايجع من  
 غرصة دمريت على أراضي القنطر المصري بمصها بنسبة سبعة  
 غروش عن الفدان الواحد من الأرض الجليظة والبعس بنسبة  
 ستة غروش من الأراضي للثوسطة برسم الاتان على الحقة .  
 وحدثت في بوردة حروث ليست أثل من تلك أهمية ولا تأثيراً

في الحالة النفسية للجنود للصرة

من تلك ان البكاشية كانوا اعدادا نادوا كلما قبعوا مرتبات جنودهم تقديم اعضاء منهم يتجاوز العدد الصحيح فراب ابراهيم من ذلك شيء في مبدأ الأمر ثم أودوا الاختياري فأغذء كلما عرض الجنود بحصى عدوم في نفسه وقدم تقدير دقيقا وشعر البكاشية شيء من ذلك فسقطوا في أيديهم . وكان الرض لصلوات والتدريبات الحربية لا يلائم طباعهم ولا يوافق أمزجة الساكر لما سيلوا عليه من الدعة والكسل فاتفق ذات يوم أن مل ابراهيم باننا مذابة مشأخ القبائل والقرى طول النهار فاستدعي بعض البلوفين بمحدث التلويح لمسارهم وتسرية الليل عن نفسه سابع طرفهم حينئذ هو كذلك اذ بعينه قد انشغلت الفار فيها والتمهتها قبل أن يستطيع أحد استنقاذ شيء مما كانت تحمله من الاعلاق والنفث النفسية وكانت دلائل سوء الحية في هذا الحادث محسوسة مدوسة اذ تبين ان مرتكبيه كانوا يدرون في الغلاء مذبذمن وسيف الضلاص من القنادر . فلما تقلوا امكيدتهم هذه ورأوا أنهم فشلوا فيها عمدوا الى مكيدة أخرى غيرها أنه يتنا كات الدرسان قائمة بالتدريبات الشارة في الطبيعة اذا رصامة التفرقت من ابراهيم والصبح ان مطلقها مغربي

مر بعد اطلاقها . على ان الاسدوات المنتظرة وصلت بعد ذلك بقليل مؤلفة من ٨٠٠ رجل ومنطوقين للعصار وجمال كثيرة ومزق وذخائر فاصبح الجيش المصري بها مؤلفا من ١٠٠٠ ألباني ومصري و ٥٠٠ مغربي تحت قيادة حسن كاشف ثم من عربان قبائل مطير وحرب وحي نخلد وعتيبة الذين كلهم متابعهم يقيمون في المعسكر المصري العام ويؤمنون بالاستطلاع للجيش المصري وحراسة القوافل الحامة للبيرة والمطرفة والدييرة . وكان مع هذا الجيش بها هذا الدافع المتقدمة التي عشر مدفعا وبسة آلاف من الخدم و ١٠٠٠ دابة للقتل . وكانت اقراء هذه الكائنات المختلفة تستمد عليها المؤن المدخرة شيئا فشيئا

وتد وصلت الى ابراهيم باشا آنها . تعلن اهتمام الوهابيين بتشديد الحصون والاستعدادات لقطع حول بلدة الشقرة فأمر فرسانه بالتقدم بحرها ثم قصد اليها بنفسه بدم يوم ١٨ صفر ١٢٣٣ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٨١٧ بعد أن مكث في بورطة شهرين كاشفين فبات الى أسوار ( المذب ) واستولى عليها واصبح من حاصلة الوهابيين بذلك على مسافة ٢٠٠ كيلومترا كلها جبال صخرية وفيها قلعة وقد وثب جيشه برسم الزحف عليها كايأتى . انمرسان في الطليعة والشاة والمدعية وهواب القتل في الوسط

والنارية في المؤخرة على مسافة صغيرة من وكانت الجيوش كلها  
تسير سيرا وثيقا ست ساعات فقط في كل ٢٤ ساعة لتتلافى  
مشاق الرحلة وتجنب النفقة. وكانت ترمى من أن إلى أن في تلك  
اليوم الواسعة نحلة واحدة أو كوخا صغيرا لبطون الرأؤون في  
وادي الأكمة واداعها فيشارعون مقدما على الاختصاص بنار  
الشجرة أو أودعها أو الله الذي يري أن يكون مجهودا لولكلهم  
كان يجيب رجالهم من وصلوا إذ يجنون الكوخ شاعر من  
السكان والتحل بلا نمر والأكل بلا ماء وكانت لا تقع الا نظار بعد  
ذلك إلا على صورة مجسمة من صور الخراب المحزن في على نتيجة  
من نتائج استبداد الأمير الوهابي وسلاطنه فإنه جمع عربان  
القبائل المرافية له حول (درسة) والدرعية فقلود عنها تحرب  
منزلهم وأنصف مزاولهم وكانت الشمس أثناء وحف الجيش  
في تلك الاصقاع ترسل إلى المياه أشعتها المحرقة لئلا يندام للاحقين  
تهوى في الخابدة الأرض أو تنمر في الزمالي للشركة وكان كلما  
عنت حاية إلى المسود من اكة أو جبل أو عصابة ركب الناس كمر  
الجلال كل اثنين جلا ولكن كان ابراهيم في مقدمة الجميع يسير على  
الدمية ليكون لهم مثلا أعلى في الصبر والحد والاعتدال  
ولما لاحظت له لشغراء نصب عيه على مسافة ١٦ كيلومترا

منها بين مرتين أدم أعادها له بالطاعة ثم وردت عليه الأبد  
 فأن من باشا والى مكة أدب حرب ليس تأديماً راجعاً لو  
 كانت شيخهم تثير على الاططار المجاورة من كن الى آن فطعن  
 بها الأذى وقتل ٣٠٠ من رجال الشريف حمود ابو مسبار . وفي  
 ٥ ربيع الأول سنة ١٢٣٣ الموافق ١٣ يناير سنة ١٨١٨ خرج  
 ابراهيم في ٨٠٠ فارس للاستطلاع حول لشقرة واغتبار الموقع  
 المناسب لأقامة معسكره فحدث بينه وبين حاليها مناوشات  
 خرج نسيها حتى عسكره فلما كان الليل عاد الى معسكره  
 واتخذ القراء بوجوب الاستعداد للرحيل فأخذوا ذلك منهم  
 بحيث انه لم تشرق شمس اليوم التالي حتى كان حينه المؤلف  
 من ٤٥٠٠ فارس ورجال و ٦٠٠ رجل يحمل بالون ولقد حار قد  
 استأنف السير . وما هو جدير بالذكر أن المنيعة بقيت في السير  
 على الزمالة عند شديد كبرهم وساروا على أحسن حال الى الموقع  
 الذي اختاره ابراهيم للقتال فتصهروا مدافعهم على مرتفع من الارض  
 ثم بدأوا بإطلاق القنابل منه وساعدتهم المشاة بإطلاق القنابل من  
 جنوب المدينة وشرقها واستمر القتال الى ليل ٨ ربيع الأول  
 الموافق ١٦ يناير سنة ١٨١٨ حيث أحدثت القنابل ثمة في أسوار  
 الحداثي الخيطة بالشقرة لحمل المصريون على التنازل الواقعة



طرح السور فقدم الزهاويون بنفس وسيلة ولكن الخلف  
 الحلف من رمى القتال كل كند ألقى الزوجة في نفوسهم  
 فانسحبوا الى داخل المدينة وبقيت غنائم الجيش للمصري في  
 هذه المرة ١٠٠ جريح و ٤٠ قتيلا وأسيرين ولكن لم يثبت  
 أن وردت عليه أعلام كثيرة مما خسره العدو وأطلق ١٦٨ قتيلا  
 وجزر الباشا بعد ذلك ضرب نطاقا من المطرود حول الواقع  
 الخلوجية وعهد بأعمال الحضر الى مسيحي وهو الصابط الفرنسي  
 ( غشير ) بالرغم من تدمير المساحك واحتجابات القواد  
 وامتنعتهم فشيئت جملة معائن وأطلقت القتال منها في الوقت  
 الذي كان مرسان الناصرة فيه قد عادوا من غزوة ضد القبايل  
 الناصرية فالتفتهم الواقعة من انداشية والجمال والأمنة . وفي مساء  
 ١٩ يناير اختار السكان والحامية الزهاوية وحلا من بينهم المفاوضة  
 مع القائد المصري فذهب هذا الرجل الى المسحكر العام  
 للمصريين وأوفدت الحامية نصف ذلك ساحتين فصلا لم يلق  
 الطرفان على شيء يحسن الموقف عليه استؤنف القتال واستمر  
 الى ٢٣ ربيع الأول الموافق ٢١ يناير وفي هذا اليوم سحب قائده  
 وعاهي المسحب الى اربلعم بلشا ومقاومته في أمر الصلح فوقع  
 الاتفاق على احمد بن يحيى صهر عبد الله بن سمرد وكان حاكم

الرمح فسلم إبراهيم اليه متديلاً أيّس إشارته للأمان وعلى أثر ذلك فتحت الأبواب في وقت الظهر وفي ١٤ ربيع الأول الموافق ٢٢ يناير التي رجال الحامية وعند دم ١٤٠٠ السلاح من أيديهم عملاً بشروط الاتفاق التي نصت المفاوضة اليه وأصرعوا إلى بلادهم بعد أن تعهدوا بأن لا يحملوا السلاح منذ الآن فصاعداً في وجه الجيوش المصرية . وتسلم إبراهيم ملاحقته البلدة من معدات الخياع وهي خمسة مدافع كان يديرها وجبل خائن من جيش طوسن باشا وأربعة المسكر وجميع الذخائر والأسلحة فلم يكن من إبراهيم إلا أن فرق الرماح والبلندق والبارود على القهائل للواليه له في نعمه وأوصل إلى والده بالتاهرة مقداراً كبيراً من الآذان وأخبره بالرحمة تريباً على الموهبة

ولقد كفى ما وجد في البلدة من القمح والشعير والأردن تحزن الجيش شهراً كاملاً وكان حصول الباشا عليها بطريق القهارة لا بطريق القمص . وهو مسك بتاتقن مسك عبدالقادر بن حمود التي أنشأ الحصون وحفر الخنادق دون أن يفتح أجر أهلاً أو يروم بطعام . وبلغت غسارة المحصورين من القتل في الأيام الستة التي ظلموا فيها ١٧٠ ومن الجرحى ١٤٠ منهم ٣٥ امرأة و١٢ طفلاً

أما خسارة المصريين من القتل والجرحى فلم تتجاوز ١٢٠  
 قتلا وجرحى ، وهذا بلا شك من بخس لئلا ذلك النوع للمسيح  
 القى هو مفتاح الحاصصة الوهابية . ومن مزايا الشقراء هذا  
 ما تقدم لها فاعلمنا العظيم القوسم وأنها قائمة في وسط سهل من  
 الأرض لا يبعد من المدينة بأكثر من ١١٢ كيلومترا وأنها خط  
 الاتصال بالجهات الغربية التي يمر منها الطريق بين الراس والمدونة  
 ثم ان سهل الطريق تحيط بها من جميع الجهات ولها تجارة رائجة  
 في اللثية والأصواف والجباجيد مع دمشق وبنغازي والبصرة  
 وفيها مساجد عديدة وشوارع مريضة تحف بها من الجبابرة  
 لتجار فلسفة نوع ما امتاز به رجالها من النشاط وصكرم للتوى  
 وسلاؤها من الجلال والنداف وطقسها من الاعتدال وأخلاق  
 أهلها من نخوة والسكون . والثوار هذه للزايما بهم نجد أنهم  
 يسمرون طويلا فقد رأى للمصريون بها امرأة في الساعة عشرة  
 بعد ثلاثة من ممرها لم تقعد شيئا من شعرها ولا من جودتها  
 وحسن طقتها وعلوية لقطها واسترقظهم مرتين في الثانية  
 عشرة من ممرها صبياء شعر الرأس حكا القناد الانكليزية وقد  
 وجمعا أن تكون فارسية الأصل من فلوس الثبالية وأن ألبدا  
 تركها في هذا المكان اسماء الحج

ذكر ابراهيم في الانحال الى الشراء ولكنه من قبل ان  
يرتفع اليها بالنساء سقطنى بأدوية الطيب (جنطيل) لبلاج  
٣٠٠ لا من عني وجرع الذين كان مضطرا الى تركهم . وعلب  
ايضاوه من الشراء عطل مطر عزير غرض الماء بيبه في  
الوادي فاضطر الى صب عبيه على سفح الجبل المأثور وأخلف  
الدهجز . امن التون ولكن الأرض لم تكند نجم وتصلح لمرد  
الدهجز حتى أمر الجيش بالانحلال فأثرت له بالطامة لوى  
كثيرة في الطريق . ومرتوى كثيرة شائرة من الدهككان  
لأن الزعيم الوهاى أمر بحصمهم وسوقهم مع مايلكون من  
قطبان الناشئة والاعتماد الى (الحسا) التي وجه كل عهد الى حشد  
أكثر مايتطيع من الجبل فيها وكانت دراسة في نصبها أسوار  
الحداث ومسيح الخقول المروسة الأشجار ومختلف النباتات في  
مدخل الصيق الذي يؤدي الى جبل الطوين على مسافة ١٠ كيلو مترا  
منه فالوتم للقبائل البدوية فلما وصلت خلائع الجيش للعري اليها  
تلقاها الأعوان بنار حديدة فتلوت في الساكر نائرة القصب  
والنيط فاقصروا على المدينة بنهيون ويسليون وضمحون البتات  
والنساء وبرمون اعناق الرجال حتى لوتوت الأرض في الشايل  
والطرق فجلسوا . ومن بني منهم على قيد الحياة أجيال له البقاء بين

هذه الاطلال المدارة بالقرب من دمة والد أو جثة أخ أو أشلاء زوج . وكان وال هذه القلعة وهو سعود بن عبد الله قد اعتصم هو ومن يثق بهم من رجاله في بناء صيغ تفل معه اليه اسلحته وخيوله ووضع ايام البناء مدعفين . فلما شهد ابراهيم ذلك أمر بأجناد المبحوم لآل إلى فيها وضع من الخيشي والانتقام ما يمكنه وصاعن الذين ما ربحوا يدافسون عن دومة شرط ان لا يحمّلوا سلاحا ولا يأخذوا أسنة ولا يشركوا في قتال أبدي من المصريين والوجود هؤلاء في دومة من لوازم البناء ما عوسوا به يستخذ من مؤوتهم لان الارض في هذا المكان كثيرة الطعيب والمخبرات بها ونجرة ومبها تنزود القوافل الداعية الى فارس ومكة فضلا من كتابتها لند حاجت سكانها الذين كان عديم لا يقل عن ٧٥ نسمة وسكان الدرعية الذين كان عديم غير الاطفال ١٢٠٠ نسمة واتفق ان هطلت الامطار وهبت الياض فصارت ابراهيم عن الرحيل فانه لم يبرح تلك الليلة الا يوم ١٤ جماد الاول الموافق ٢٢ مارس . وكان جيشه مؤلفا من ٥٥٠ فارس وراجل و ١٢ مدفعيا منها اثنان من القاون واثنان لهدف المتقابل السطية مرسل بهذا الجيش الكفيف الى (اللكه) القرية من الدرعية واصطبر في طلع شطر من هذا الطريق الى السلوك بين الجبال

والضائق الممرة. فلما كان اليوم الثمال خرج ابراهيم في  
 فارس وندفع واحد للاستطلاع فيلق في جركه الى استحكامات  
 القاصة الرهاية وحدثت مناوشات بين الفريقين انتهت من  
 كل بعض الناس منها. ثم عاد الأمير الى مسكوه بعد ان جسي  
 خاصة العدو وعرف ما يلحقه من الخنا من الكدابر في قتاله وفي ٢٩  
 جلد الاول للوافق ٩ أبريل ١٨١٨ أقام أمام المربع، فبدأ من  
 مرمى المدفعية منه، حصونه الامنية فبين الرهايون القنط التي  
 لوتأوا لها أوقف ما يكون لهم القتال وخرج جيش منهم مؤلف  
 من ٥٠٠٠ رجل بقيادة فيصل أخى عبدالله فناد على مرمى البندقية  
 من الاستحكامات المصرية استحكامات موازية لها فلما شهد  
 المصريون ذلك شادوا جملة مطلق وأخذوا الوسائط اللازمة  
 لأخراج العدو من القلاع والأكمام التي احتلها

أما القدية وهي نقطة اوتوكلا الرهايين ومركز حشدهم  
 وتحتهم وعاصمة إقليم نجد وقاعدة (البارض) فوائده في الجزء  
 الشرقي من بلاد العرب على مسافة ٥٠ كيلو متر من ينبع على  
 خط مستقيم في نهاية واد مشهور بالحصب بين جبلين يحتويان  
 عيوناً للقاء الغزيرة ويمر بها مسيل الهان الذي يصب طول السنة  
 إلا فصل الشتاء ويزوى على امتداد ٣٠ كيلو مترا حتى يصب

وكروم القنب وغلبت النخل وهناك مروج واسعة ترطها فطمان  
للثنية والأغنام فتسقى اللبن واللبن والقمح وتزهد بنية  
حاجيات للبشرة والحبوب اللازمة لمداء الطيور والحشرات  
الحاجة من الاراضي الأخرى لتجارة الخبز. أما للتجارة فرائحة  
زاهرة ومن أحسن صناعاتها صناعة المنظفات السوداء الطويلة  
لثالثة الاستعمال في الشرق أما موضع المدينة فمن جدا كان  
للمسلمين يعتقدون أنه من المراتب السبعة لا تلابوصل عربا إليها سوى  
خلق شقيق من خلق المبل وفيه الظفر كله على من يريد للمجرم  
أما من الجهات الباقية فتحصينا على مسافات بعيدة منها لتفود أي  
التيالي الرملة التي لأمه إليها على الأطلاق

ومما هو خلق بالتأمل ان البرية تتألف من خمس مدن  
صغيرة لكل مدينة منها أبواب وأسوار حامية تتخلها الحصون  
والأبراج فوق هذه الطرية كانت بها قلعة تحمي عن الطرية  
وعى النسبة المسندين الى القلعة وأكمة عالية يحوارها وكان مقام  
زعيم الرومانيين في عن الطرف الذي تفصله عن السهل قناة ماء  
للسيل أما عن القصرن فيستد بين الحدائق الغناء وقد هجره سكانه  
منذ بداية الحصار الى الأحياء الأخرى للأحياء بتأريها ومحيط  
هذه الأحياء اثني عشر كيلومترا، وهي دائرة كان من التلحور

حصرها بأقل من ٢٥٠٠٠ مقاتل أي بأربعة أضعاف جيش إبراهيم  
بالأشغال. فكان من أول ما انتهت إليه غمته حشد قراء حكاكها في  
خطّة واحدة للهجوم بها على حصن هناك متلوه أكمة مرتفعة.  
فلما كانت ليلة ١٢ أبريل ١٨١٨ نصب إبراهيم تحت حنج الظلام  
مدافع بطريين في الأمام حكن الثلاثة للقتال. وما لفر صبح  
١٤ أبريل حتى بدأت هذه المدافع تذف عسا وأسر البكباشية  
بمزيرها فقام الدلاة والابشاعلية بحراسة مضيق الليل  
وأخذ حسان وشوان آغا يمزز العريان للمصريين موافقهم على  
خط الحصار وأحدث القنابل ثمة في القلعة الساتية بالحصار  
فانقضّ روح من إبراهيم وفرّ حماة توكي جرحا ومضيق  
وكثيرا من الوقت وذاخر الحرب وأمنة الصاكر فطوردوا  
مطلوبة هينة حتى طغرا حداث الدبنة وأسر منهم كيميوت  
ولبت إبراهيم بذلك ينتظر ورود الأسدلات إليه ليحصن  
ختم راحة هذا الاستملاق الجديد

أما الزعيم الوهابي فم يدع وسيلة إلا اتخذها لبث المجلس  
في تنوير رجالة فكان يوزع عليهم الذهب والياب وسين ششائع  
الواقع للهمة وأخذ سنامه يكررون على السامع أنه لا ينبغي  
الاستعداد منذ الآن لصوت غير صوت الانتقام من عدو جي خطه



في قتالهم على تهب بعض وعدم الساجد وذبح الرجال وسي التسلل  
وحول الياسا بعد ان نصي الايام السابقة في مناوشة للقط  
الاممية على الاشتغال في ساعيت مرانته بالأعمال الجديدة . فن  
ذلك أنه شهد مدعين للاعداد وشما على آلة وكاف يحنى  
مرورهما فأمر وجاهه بأحدهما حصة على كل من أوزون على  
ورشان أنما حصة جانبية على الرومايين فتألموا بسف نحر  
نصف الساعة ثم تنهفروا الى المدينة للاختباء بها . وقد قتل في  
هذه المعركة سليم آغا حاكم دار ابراهيم وتأمّل فيصل بن سعود  
طويلا في عاقبة هذا التمرد الباهر فرأى ان استحكاماته أصبحت  
معرضة للخطر وإمداده من الطلوع متعذرا إلى لم يكن مستجيلا  
فالتصحب في قوته وحشده الى وسط البلداتن مستعجلا يرض  
الاستحكامات فيها . ومما صاعف نشاط المصريين ولوى وجاهم  
في النجاح وسول ١٥٠٠ جل اليهم محقة بالأرز والتبعر والمطيق  
بيت بها والى البصرة . واتصل بالباشا في الآن نفسه أن والده  
أرسل اليه فرقة من الخاوية ومدافع وأدوات للقتال وحمل فضلا  
عن أن للرضى والجرحى الذين تركهم يستشفى لشقراء كانوا  
قد أبلوا من أمراضهم فأتوا الى صفرهم ووصلت به هذا  
وذلك فوالق من المدينة وعينزة ومها ٥٠٠ رأس من الضأن وثى .

كثير من البغايا والتمنع والتشهير والسمن والبارود والقنايل  
 فلما شهد الجنود ذلك بدت عليهم آيات السرور والبشر  
 وراهم القواها يرون الخروج لهاجة مسكر وشوان آفا بالفتح  
 الأيسر فصدوا بمنف وحلفوا ان يهجم للمصريون عليهم للثابة  
 للثقل بل للثاق فاقاموا أسوارا وحفروا خنادق . ولقد ترهبهم  
 المصريون في محاسنهم لا يترضون لهم فأجابوا التحصين وكان كل  
 يوم يلقى بجمل دم للمصريين عززا غالبا ويمت على الصن به  
 لا ديدان الرض من مسم هذا فضلا من أنه كان مما يشق على قوس  
 المسكر لبقاء تحت السلاح ست ساعات في كل لوم وعشرين  
 ساعة لا ترض سوى دفع ماوشات لدمود ورد غلواته الحربية  
 القنبالية ولذا اتفق ان شيوخ القرى الذين يسمدون القنبالية  
 الأوامر والتعليقات من زعيمهم كانوا يفضلون الوقوف بخطتهم  
 ومؤنهم في مسكر ابراهيم ليسا بالأنكاس لللائحة لم كانت  
 الأمدوات المروضة الى الرعايين من الخيم الحسا كانت تصل  
 الى القنبالية بلا معارض من الخائب الآخر من القنبالية . وتساهل  
 المصريون في مرورهم لكانوا هم عليه من آلة السدد في تلك الجهة  
 وما لبثوا الى إزالة هذه الصورة بالهيلة التي ولحق لتديره هاند  
 بهد الحمار فأعكف (ويسير) بإنشاء معازل استطاع بواسطتها

تدمير البرج للطل على المدائن والبالور لاستعمالات (نسبية)  
 بالرم من يقط الرعايين لصد هذه القلوة تمكن المصريين  
 بما احدثوه من القلم في الحصون من زحزحتهم من مواقعهم وكانت  
 القلوة ملاقة للهجوم إلا ان الضباط ابرأ القيام به لفرار  
 الساكر ولتأنيهم عن الاقياد اليهم ولكن الساكر كلهم  
 إذ صاحوا بأعلى أصواتهم ان رؤسائهم في المنحرف من الميهم  
 لا م قلا سم ابراهيم ذلك غضب غضبا شديدا وترك ميمنة  
 للمسكر حاكما الى حينه وكشبالا والندبا احزن فزاده وعجل  
 ان يسل الرسالة الى القاصد وهو خلة احد آما تردعته مناسلا  
 اذا كان هذه أولفه أصلا السيل بتأثير حم مزيج ولكنها كانت  
 الحقيقة التي لا ريب فيها قد حدث بعد ظهر ١٦ شعبان  
 الموافق ٢١ يولييه ان القوايين الشبكوا مع المصريين في معركة  
 قتل وجرح فيها من هؤلاء ١٦٠ من بينهم ضباط استأثروا بالرسالة  
 والحظ قلا عادوا الى المسكر لائلاس الراحة من هذه  
 المعركة حيث دبح جنوية من التي يندعو عيوها في بلاد العرب  
 من غير ان تكون مصحوة بزروع القرب والرم لحدث أن  
 حلت فيها حكة معها جدوة كل من مرشد كان عسكري يصلح عليه  
 طامه فألقنها على حمة كبيرة منصوبة بين ريوين مالتين وفيها

مستودع القنائف و ٢٠٠٠ برميل بأرود و ٢٨٠٠ صندوق خرطوش  
 وقنابل مستديرة ومنطوية قلعا احترقت النخبة الفصل العليب  
 بالخنائر فانتجرت كلها واحترقت بسببها أكرام عائلة من الشخير  
 والتمسح وتنازع الاقتحار بالصلة من برميل الى برميل ومن  
 صندوق الى صندوق مدة عشر دقائق واتحلت الخيام على  
 ساكنيها أو احترقت وصارت سودا واحترقت الأقسام فصار  
 لها أسود وظلوت أشلاء اجسام أخر فتناثرت هنا وهناك  
 ونزوح الباقون على عهد الحياة وأصبح ابراهيم الذي كان لا يتجاوز  
 عمره حاشية الخامسة والشرين بلا مؤن ولا ذخيرة فوسط الصحراء  
 بعيدا من عازله ومستودعائه الأساسية بـ ١٠٠ كيلومتر وعاجزا  
 بين الزحف ايام وهو متفوق عليه في العدد اضلعا كثيرة وكل  
 ما بقي عنده من ذلك هو ما احتوته جباير المسافر وما نجى من  
 نكر الحريق وهو لا يريد على لا ١٠٠ حقة بله تقي كانت مع البطاريات  
 قارزة لكن شديدة والصلاب جلالا والفتن متفوقا الرقى . غير ان  
 ابراهيم تقي تلك التكتبات بالصبر والقيبات وسرعة البديهة وقوة  
 الاداعة ومضاء الزعزعة فكانه لم يشمر بومع الكسوة  
 وكان أوزون على يقوده فقط الامنية فيمث رجلا ليسأل  
 اباشا عن استطاع استخلاص شيء من الخنائر فكان جرحه

« لقد قدنا كل شيء إلا القسالة وسيوفنا فبالقسالة والسيوف  
 لمستطيع المحرم والانتصار أما الانتصار فقد زارت الأرض من  
 جرائهم وأحسن الناس به من بيد وسهم أهل الفرنجة وراهم بعد الله  
 استقصاء الخبر حيث نهاية أو عشرة من كشافة لمسقط الاعجاز  
 وتعرف سبب الرجة الملائكة وما يمكن أن يستفيد من الحوادث  
 فقدم المصريون إلى ولاء بعد عرك عيب على أن الزعم الفرعاني  
 وقف على الحقيقة فعدت جلوسا كان من مظاهر ما استقر الرأي  
 عليه به أن أخرج في اليوم الثالث ١٤٠٠ من جنوده فأيقن إبراهيم  
 بخرج موافقه بلنع في الحال إليه عساكره ووقف وسطهم آمرا  
 إليهم بأن يضربوا كل المصري باسم من السخائر وأن لا يطلق أحدا  
 رصاصة إلا في مواجهة الخصم بحيث لا تخطئ الرصاصة مرماها  
 وأنفذ كل منتهز بالاعدام لا محالة فلما أسفر الصبح انفتحت  
 قلاع مصر للاستكشاف والمحرم على العدو فاستنفذت  
 الطرادات ولم يبق أمام الرؤساء إلا أن يتبرأ بالهبة أمر الباشا  
 ووقف هذا على رتبة فيها ثلاثة مدافع وأرسل النباط إلى جميع  
 القنصل بأمر من السلك يترك العدو يتقدم نحوهم مراعاة الانتصار  
 في إطلاق الرصاص حتى إذا اقترب منهم كثيرا استفروا بالطلقات  
 وكان من عيوب الفرعانيين في الحرب أنهم لما خرجوا لقاء

أعدائهم قتلوا بحركات سرية ودبروا منهم في أقل من لح البصر  
بدلا من أن يجهلوا عدد بطرات قاترة ومثورة ليستزفوا بذلك  
ذخائرهم فيما ذنوا على المثال التقدم كقتلهم للدافع بحقوقها  
فقدتهم حمدا فزما واضطربهم إلى التتهجر

سأه عياله هذا القتل فزأى ملازمة الفلاح . ومن  
ابراهيم بحلة برحاه ومرضاة الذين كانت حلة أمراسهم شدة  
البرد في الليل وشدة الحرارة في النهار وكانت الأمراض  
الأكثر تخشا بينهم القنوسطاريا والرمه الصيدي وأسبب هو  
دائه بلقاء الأخير أيا لآن عناجه بأحوال صاكره حالا  
واستبالا كانت نمره عن لباس الراحة لضعه على أن الألام  
التيسية والجنابية التي نزلت بالجيش المصري لم تلبث أن زالت  
الكثير منها وحل محل شفاء الأبدان من الأسقام وشدة القرب  
من اليأس . وقد أرسل مساء يوم الانتصار الرسل إلى الشفراء  
وجريدة وعيزة ومسكنوا المدينة في طلب ما يتلاقى به ضرر ذلك  
الطائفة وفي الواقع فقد وصل إليه بعد خمسة وعشرين يوما من  
طلبه ٢٠٠ من دلاء حلية عيزة ومهم ما كان عمل بلودا  
ورساصا والنايل ونولودت عليه الترافل التي أوتحت من المدينة  
بذخائر من هذا القرب ومنفذين يلعبها ٦٠٠ عسكري تمكن

أبراهيم بهذه القوة الجديدة من اختراع القرى التي تعد للخدمة  
بالقوة على ما يؤخذ من تقريره بت به فيصل شيخ عربان مطير  
التي كانت مهمته إبعاد القبائل للمادة عن المعسكر المصري  
وفي ليلة ١٤ أغسطس خرج إلباشا في ألفى عسكري  
ومدعين فاستطلع الطريق مستترا بالظلام وبحر حالته ولكن  
البلية التي نشأت من جر للدفع وسير الجند وصوله تطويل تحت  
عليه وضعت أمره فذهب الوعايبون إلى مدافعهم يطلقونها فألقوا  
بالصواريخ خسارة لا يستهان بها وأراد عبد القادر اليوم التالي أن  
يقسم فرقة غياص حصه فأمر بالخروج لقوة خط المعسكر  
كلما شمر القتال أوج ساعدت تحت قوس معركة أهدى الفرغان  
فيها من البسالة يصدان عليه وانتهى بعد الوعايبين وشروعهم  
القتال في هذه المعركة يقتصر خط النار وعلى رؤوسهم ليعود  
الله يحفظها إلى المسافر للعائدين وذهب الطيب (جنيل)  
ليصف بطله الجرحى في خيمة البكباشي إسماعيل آغا فأصابته  
فجيلة فعبت وجهه فتولى يترها زميله (فوسكيني) وفي اليوم  
التالي عاد إبراهيم من غزوة بهد أن استولى على بلدة (خرقة)  
وتوكل بها حامية من جنده ومعه دودته إلى المعسكر زار  
الطبيب جنيل بدمه (فيسير) وأظهر له من آيات الشفاء

والإيالة ما جعله مطعنا على مستقبل حاله وتوارد وصول الأمداد وانضمامها إلى الجيش ومنها ١٠٠ من المشاة بإداة التكبيل (بشر) وفرقة فرسان تهبها عظماء المشاة والتمواب الحامية لقساظر الحرب وانتهى إلى علم الباشان والده سير إليه مدوا موفقا من... حراجل وفارس بقيادة خليل باشا حاكم الاسكندرية ولكن ابراهيم باشا كان يهودا على مجده ويرى في هذا المد انه حطية جيلة ودية لا يوجد ان يشاؤك في محاسنها أحد ، فلما انتهى إليه هذا الخبر حول على ملاحقة الوهابيين في مستصميم الأخير وإفنائهم عن آسرم قبل وصول الامدادات من مصر اليه ولما اكتشف حيث يزمه الاكبد على أخذ عاسة الأعداء في أقرب ما يمكن من الزمان

بدأت المدفعية بإطلاق القنابل وتبهم الشلة بصرب الرصاص من حيون المائل الامنية وكان فيصل أخو عبد الله يستكشف في طليعة فأردى برصاصة وعاد جواده واكتفى بحر الجيوش للولاية ووصل إليه إلى أخيه عبد الله فلقاه فرحا مستبشرا إذ ينح التمس اليه في الصبية الأكتية : « لك ان تفرح بأعد الله فقد عاد جواد أحيك من غير لانه صار في جوارده » لحمد الأمير الروحاني الإله سبحانه وتعالى والى عليه . واستقر ابراهيم باشا



جده إلى المبحوم بعد أن حشد تحت جناح الظلام والتي عليهم  
التخطيط وحالهم باتياها ولم يترك في الليل والمصور وعد  
القطارات إلا من يكفى منهم لحفظها وتقديم عليها وأمر بصدارة  
وفرسان الأيتامسية بالكوموراء جبل بالجبة التي ليسكن  
عند السالبة من التقدم نحو سبيل القات والمبحوم عليه وعهد إلى  
أودون على عرافة حركات العدو ونمائه . وحركات القنابل  
والقذائف من كل الأنواع تخرق الفضاء والصل بالوهابيين من  
حيوهم خبر المبحوم فاستمدوا له من جميع قطعهم ومراسكهم  
إلا أن أربعهم عهد إلى جسر حالي من مراكز العدو فتمكن  
بوسيطه من إيصال ٨٠٠ فارس إلى داخل الخنادق بدون أن  
يشعر بهم أحد فها استيقظ الوهابيون من سباتهم ودركوا أنهم  
مفاجأون لا محالة تركوا حصنا لحسم كان يحتوي ثلاثة مدافع  
فتمكن المصريون مدعاه من تضيق الخناق على (الحسيه)  
والإحاطة بالقصبة التي كان يقود الوهابيين فيها سعد بن عبد الله  
ابن سعود وكان مع هذا الأمير الشاب ١٥٠ مقاتلا ولديه مفدلو  
والحر من الدمام والقصيرة والعالم يكن منه من اللؤلؤ الثمينة  
الأكفأة يومين ثم بسطه الاستليم في اليوم الثالث حيث سلم  
الموضع وأسر . وتمثل الأيتامسية وجرحوا عددا عظيما من

الأعداد منهم ألحوب مبدائه كعبد بن القري صهر القى  
أصيب بنظيره قلة . وكانت خسائر الحامرين قليلة ولكنه كان  
لا يحنى يوم إلا وموت فيه عدد عظيم منهم لا متاعهم عن تكبد  
الصلبات الجراحية على أن ابراهيم كان نرياً من القومية بين  
المواقع لتصب مدافعه القى راد عددها تتقار مثمن من مدافع  
العدو وترى يذوق منها القذوفات على القومية قد تصحكت  
بالأعلى في (سبل) و (عسبة) وصريت منازل هذين الحين  
وعلى أصوات البكاء من النساء والأطفال لمنظر إلى التسليم  
بشرط أن لا يظلمها الأمير للصوى إلا إذا احتل في طريقه  
ولم يكن مثل الوعاين في هذه المعركة والمركب السابقة  
أحباب من الطولية للعارفة قلما تحت أقدامهم ، قلت سودا بن  
عبد الله والى (دولة) عالم الخروح منها واتصل خط الحصار  
تخلقه عصبة للفرسان لقائمة عمارة المرات والفتاين . وقد  
جاء به أمام ابراهيم باشا عرجته على غيبه في يمينه وإسلامه  
بجده القى ماعده عليه من الاحباب عن محاربة للصريف ثم  
أمر بإعدامه فرميت حقه ولم يبق أصحابه أقل انى  
ونظر مبدائه حوله فلم يجد من دجلة وحرسه انشاص  
لثلاث من ١٠٠ سوداى سوى قتر قليل . وكانت الطرفية قد

سالت الى المصريين وأخذت مبانى طريق فسقط تحت تأثير  
 للدافع غض عبيد الله قومه على المقاومة واستغفر عنهم واستقر  
 حينهم ففقدوا اثره الى الابد وقد نك من آخره ولم يبق فيه  
 حبر على حبر وضره ما أن يحتفظ ببقية الأسوار ليولوا تحتها  
 للشهادة من أبنائهم وعلا الصياح اشتد الصبح فلم يسح لإبراهيم  
 الوهابي الا ان يطرق برأسه الى الأرض من عزاء وعجلا وأجابهم  
 الى ما طلبوه من الرضا بحكم القضا عرج راية التسليم والامتثال  
 وطلب الكف عن القتال وفى ٨ القعدة الموافق ٩ سبتمبر  
 وصل رسول من طرف الوهابيين غلا دنا من المسكر صدر  
 الامر بإخلف الضرب عرف الرسول أمام إبراهيم مكسبا بالقبالة  
 من أميره وإخافه حتى القتلى وتبين موعد لقاء الأمير ومفاوضته  
 فأجاب الى لقيائه وبعد ساعت حضر عبيد الله فى مائتين من  
 حرسه وكان إبراهيم جالسا على صفة فى خيمته فالتقاء بمظهر  
 الرعية والورد وأراد عبيد الله أن يلطم يده فألقى وسحبها به تواضعا  
 واحتراما ثم أبطله الى خيمته ودخل الحديث بينهما حسنة إبراهيم  
 لم تزل مصر على المقاومة بينا الاعلون كانوا يحبون على عدم  
 قائلتها ويوحدون على التسليم والرضا بما جاء به القضا فأجاب  
 عبيد الله . قد انتهت الحرب الآن وكان ماهر كائن بقضاء الله

وقد رآه فقال إبراهيم لأبرار عندي الشيء الكثير من القبارود  
والبحار فطلب ملثمت وهم بما تستألف الصراخ فأجاب  
عبداه : لأريد شيئا من هذا وإنما أسأل رب بحملك للولي  
ولست أدنى الذي أذلي وإنما العدل والقر هو الله وعفت صوت  
الأمير وهو ينطق بهذه الكلمات وأهملت الصراخ من عينيه .  
عزاه إبراهيم بقوله إنه ما من عقل في العالم إلا وله نقص وسبب  
وان الكمال للخلق مستحيل على الإنسان فهو غير معصوم من  
نوازل القصد والتندر فقال عبداه : اني أسألك الصلح بإسدي  
أنتسحه : فأجاب إبراهيم . نعم والى جماعة الحكم في شروعه  
وأما هناك أمر لا تصرف لي فيه ألا وهو تناؤك في القومية فإن  
الأوامر الموجهة إلى من الوالي تقص بتوجيهك إلى مصر .  
فأطرق عبداه صبيحة وطلب لوجده إجابته النهائية في هذا الموضوع  
إلى القدر ثم انصرف بعد القهوة والتمتعين ورد إليه أنه سعد الذي  
كان أسيرا . وكانت المصريون قد استولوا على القومية ولا  
تزال متغلغلة الخارجية خارج ليعتبرهم غشى إبراهيم أن يتصر  
عبداه أولي يلود بالقرار على إحدى صحنه الخفيفة القسرية  
فأمر رساله بتشديد المراقبة عليه حتى لا يبدأ إلى أحد هذين  
الامرين وقد قولاه بسبب ذلك القتل غلظي إليه وأما على عذبه

ولكن الزعيم الوهابي كان رجلا سادفا شريفا اذا وعد وفى  
 قائمه حصر فى اليعاقب القسروى مختلفاء ابراهيم يثقل ما تقفاه به أسس  
 من البشاعة والايتس ثم سأله: بم جئت اليوم من قبة. فأجابه  
 أسألك الى مصر اذا ضمنت لى الصلاه. فقال ابراهيم اذا كنت لا  
 استطيع التصرف فى يولادة الزوال فالى لسألك من باب أولى  
 عنه فى لراودة السلطان، ولكنى اعتقد من ثقة أنها من كرم  
 النفس وسعة الصدور بحيث يأمر بالانكسار بعد وسلم بنفسه اليهما  
 فقال عبد الله: لى واتق بكرمك يا ابراهيم فأومىك بأولادى  
 والعرى وابناء وطنى غيرا وأطلب لهم السلامة جيماء قبل غنقى  
 عهد الله من ابراهيم مستبدل الامان الأيمن الذى يشير الى  
 الصلح وحاد لى طريق كرتجيز السفرهما أهم منه انه أقام بالمسكر  
 المصرى اياما كان كثيرا ما يرى الطوائف به ألتامعا الى مكان  
 العبادة العامة فيقع نظر ابراهيم عليه فيدهره الى تناول الطعام  
 منه مما لا له سامرة الصديق. ومثل هذا فعل (البرنس دولغال)  
 فى ستمبر سنة ١٨٥٩ حينما كان يراسى (جانى دى مالوا) فى مدينة  
 (پواتيه) اذ كان يقول له انه اذا طار عليه قاضي إلا دسمة من  
 خير وام وأخذ يحبه حصة التلويح ويطرى صفاء ويسليه بقوله  
 انه قد جلد سكر ما سكان مستظما وفى طريق البشر فله. وكان

كثيرا ما يجد من عيته فيدعو لغيره الى تناول الطعام على  
ماله حيث الاكلان الكثرة من شهي الطعام على بالغ في  
اكره الى حد انه كان ينفذ خلف كرسى هذا الاخير ليقيم اليه  
بمضروب اسنان الاطعمة فكيف اذا افترس واحتج قال انه لا يرى  
في نفسه الأهلية التي تبيح له الجلوس الى جانب شهي فاسل مثله  
وفي ١٤ القسمة للوالتق ١٥ ستير ودمع عبد الله بن سعود  
أسرته المزعجة وصدقاه ومن وافقوا عنه حتى اللحظة الأخيرة  
ثم ودمع نفسه للأيام بنظره والتمس مخاطر متطلبة يصعبه  
غزو دلاؤه وكاتب اسراره ودمع عبيد فليدا محموله الى غيمة  
ابراهيم فسلمه من رسائل يرسم آية محمد علي ثم أوكله للصحراء  
يخف به ١٠٠ جدي بقيادة رشوان آغا الذي أسر بمقاومة عبيد الله  
اذا تحفز للفرار وظل سائرا فاسترق أميراً تلك الأوجده التي تكن  
بمحكمها سيداً متصرفاً ونفى في هذا المنز الذي اجترأ فيه نهجا  
والحلاز والبحر الآخر شهرين تكلين . وفي ١٨ محرم ١٢٢٤  
للولتن ١٧ نوفمبر سنة ١٨١٨ وصل الى القاهرة على به الى شبرا  
ويعم الى القرائ قبل يده وشرب القهوة عنده فساءله محمد علي عن  
وأيه في المولدات والحروب التي أصبحت اليوم في حكم اللامني  
فاجاب عبد الله . ان تلك الحوادث كانت مقبلة في الأول قبل



عبداللہ بہ حضور فی خیر - ابراہیم





ان يعلم بها السلطان مسألة وما رأيتك في ابراهيم باشا وم نفس  
به محرو وما توك في خلفه عليه؟ أجاب إن ابراهيم صد ظم  
بالواجب عليه كافتا عن بالواجب علينا وقد أراد الله ذلك  
وتص به ولا راد لقضائه

وكان بين يدي عبد الله مستوفى مدير ظما ولحق نظر محمد علي  
عليه سألة منه فقال . إن عه الجوهرية القوحيدة القابلهن الجواهر  
التي أخذها محمد بن سعود والذي من المصريح القوي وكانت تحت  
يدي طول الطريق التي سلكتها من نجد الى هنا التي وعدت  
بردها وأسلمها الى السلطان ثم فتح المستوفى وهو مصنوع  
بالنحاس وأخرج منه ثلاث مصاحف رسمت بالجواهر والاحجار  
الكرمية ٣٠٠ ثلثة من اكبر اللآلئ . واقامها له وزمردة بدل  
بها شريط من الذهب قتال محمد علي . هذا حسن وليكني أمرى  
أن أشياء كثيرة غير هذه سلبت من المصريح القوي فأجاب . إن  
والذي أخذها حصة وهي ما أتدسه أما الباقي صبح بعضه وانقسم  
بعضه اشراق مكة والأمنوات ومشايخ البراءة عليهم م ان يفرورا  
أين أخفوا هذه البقية أو على أى وجه تصرفوا بها . فقال محمد علي .  
الحق يقال لقد وجدنا كثيرا من هذه القصاص هذه الشريف  
عاب ثم حتم الاثنان على المستوفى وقال قوالى مع هذه الجواهر

ملك يا عبد الله واحرم من طيبا كل الحرم ثم ادعب انسابها  
الى حلاله السلطان فسي أن يشفع لك لديه أسلها لشريف  
وبعد المعاهدة ألبسه محمد علي حلة من السعور ثم أسكنه  
بيولاقى بيت ابنه اسماعيل باشا ومنه أنزل في قبة أقيمت به الى  
ديارط حتى اذا كان يوم ٢٠ محرم الموافق ١٩ نوفمبر أخذ عيادته  
منته الى الآسقة ولم يتجاوز مدة ثلاث بمصر ثلاثة أيام وكلف  
بعض القتر بحراسته وراقته في دخله كل من عاون دلاوة وحكمتهم  
سره وفي ٢٦ ديسمبر وصل الى القصور وكان محمد علي قد انقضى  
من السلطان القصر عنه إلا ان رجال اللابن كانوا انصهم برون  
وجوب مملكة بالصرامة فطافوا به وزميه شوارع الآسقة  
ثلاثة أيام ثم أهدمهم في ميدان مسجد آيا صوفيا ودمسوا على  
صدورهم كتابة الجرمة للنسوبة فيهم ومما جاء في هذه الكتابة  
« هذا ما حكم به على الشيخ عبد الله بن سعود الذي أسره ابراهيم  
باشا بن سعود الى مصر الحالى وقد شاعركه في حياته القربان  
سرى وعبد القزنى سدان وقد وجب ان يشامساء القوة  
وكان عبد الله بن سعود قد أظهر منذ زمن طويل شتى الرعاسة  
والعيبان اذا كان يذهب ويحضر الانصار في المدينة للثورة وم  
سلالة أولئك الذين نصرروا النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته

من مكة كما عذب واحقر الهاجرى سلالة القرين هاجروا منه  
 عليه الصلاة والسلام ومذهب واحقر الهاجرى وم أولئك  
 الاتقياء والصلحاء الذين آثروا الاقامة في مكة والدينة هجرتك  
 مجودهم من الحرمين للشرعيين . وكان يرى أن من أجل اتصال  
 قتل المؤمنين والمؤمنين وقد سبل الحج وأعطى على الحاج  
 بغيره بمناخ الربان وقد التقى بمسود الصبان وحسن  
 الملاهي والفتاوى وطلى وعبرم القرين أمدوا جميعاً بين هذه  
 الجندوان فارسية مصادرة لقوانين الشريعة المطالعة تعرض  
 القائل على الصبان وخباياه للاسلام والفتوة ، وظل المتفرجون  
 يقرأون هذه الجلة على صدور الجنت الثلاث بعد أن قطعت  
 رؤوسها ثلاثة أيام متتابعة وشامع بين الناس في الآستانة يرونه  
 أن هذه الرؤوس ألفت وصحت في حاون الحكومة وحلت  
 الجنت الثلاثة ملصقا بالشعب ولنا نظن أن القسورة والبراء  
 وثبت عليها كما وثب أهل الآستانة بفرح وسرور ينان على  
 طبيعة الوحشية للفتنة في محوسم

يرى مما تقدم أن ابراهيم قد فتح الباب بفتوة القانية  
 لطامسه العظيمة ، ما وصلت الى المدينة الاممونات التي أرساها  
 والى مصر كان لم يبق للاعمال الحربية مجال - فشر عجل بشا

فأخذها شيء من غلزي إذا هو عند الـ مصر كما جاء منها فرأى  
 أن يهجم بحيشه للزلف من ألقى داخل وفارس وعربان الشريف  
 واجمع على بلدة ( أبو حريق ) عاصمة ( تلمسه ) فاستولى عليها  
 وبعث إلى القاهرة الأمير أحمد بن الشريف حمود وخلفه في الحكم  
 على هذه البلاد ولم يتم عهد الأمير في مصر طويلا حتى أصيب  
 بالجدري ونوف به فلما نال حبل الموتى بشا هذا القود لوسل بأمر من  
 السلطان التولى بالشيرة مكة وفيها بقي حتى بعد أشهر فالتفت  
 ولقد الخطأ الصواب حينما ركننا القساري يستعمر بأن  
 سقوط المجرية كان لا بد أن يذلول سقوط بلاد نجد كلها فأن  
 أعظم ( الأريك ) كان لا يزال حلفا استقلاله ولكنه لزم على  
 نصحيته تحت تأثير النفوذ الذي فتح السلطان بها أبواب  
 ( الملو ) بعد مقاومة عنيفة باسم إبراهيم . ولم يكن إبراهيم طشا  
 من يستسلمون إلى ما أصابوه من القود في الحرب فانه لم يقف  
 عند حد الرقائع القليلة بل وسع نطاق جهوماته الحربية فدخل  
 المجرية وسكن منازلها من قدام صاكره وأزل القرى الأخرى  
 بالبادين العانة وحصد القلة التي أحضرها من يد سعد من  
 بعد انه لأمانة الرمي والمرحى . أما هو فقد جعل مسكرا  
 العام في طرف السكان الذي كان يسكنه وجمع الوهابيين

و خص نفسه بالأطباء المسيحية ودلو الصناعة المسجدة  
 التي كانت للأمبر القوي وترك لعاثته كل ما كان يملكه غير  
 ذلك . واد صار للتسلط للطنق التصرف في شئون الأمة  
 السعيدة فقد استفاد مما تحوله أهل حقوق الفتح إذ طالب بالصرامة  
 المصوى فتبين أحمد الخليلي وصالح بن رشيد الدين نيط بهما  
 الملاح الفترحات الصلح إليه أيام محاسنه قرس لانهما كانا من  
 القمم والتجريح بحيث ساطبوا بلهجة المنصف . ولقد أسف فيما بعد  
 لأنه أطاع حواء فأطاع الصرد الذي أصاب أحد الرحطين من  
 حراره قشدة التي حوّل بها فاجرى طه ردقاسوياً واختاره لتعليم  
 ممالكه وانطلق بعد ذلك بفرض العارم على الانقياء والسرقة  
 من أهل البدعية . وعطّل بعض ارادته الأسمال الزراعية التي  
 استأنفها الاهلون لاختياره ابلها الرسيبة الوحيدة للخروج من  
 سينهم القشيد وأمر هدم قصور عبد الله والساجد وتمير ما  
 بقي من الأسول والقلاع هذه المصار وأعطى الرائي له من  
 الميزان ١٠٠ هرج من الحديد وأسلحة كثيرة عثر عليها في منازل  
 عبد الله وعازله وحشى أهالي الاقاليم النجدية أن يحمل سهم ماعل  
 البدعية من التشكيل والحرب دارسوا الوحد الى ابراهيم في  
 الياس تقرر الصلح فكان أول ما اشترطه عليهم تقديم بدعية

من التؤن والأعدية لأن الجيش كان يتحصن الكثير منها ولم يكن  
في الجبهة التي يسكن بها شيء مدغرا فضلا عن أن الثريان  
للثابتين نظرا الطريق على قاعة مؤلفة من ١٠٠ رجل تحمل  
الأوز والتمر فلما لم يجدوا الساكن ما يحتاجون به تشفقوا بمناح  
الأشجار واشتد القحط حتى نذر على الحياة وجودها على غلهم  
وأخذت الطيور تنفق نباحا من الجوع وأكلت الحافة والجنود إلى  
أهل الحشائش التي كانوا يدوسونها بأقدامهم ولم يبق طريق إلا أن  
بعد ذلك سوى تداء واحد وهو : الخبز . . . الخبز . . . ومفهوم  
أن هذا المصباح إذا انبث من صدر جسدني استلأ بالأس كان  
دليلا دائما على قرب وفزع الثورة والتمرد

رغم رؤساء الجند المصدى لتسكين الثمرين ولكنهم  
أخذوا به المصالح عنه ، غير أنه لم يكن حاجة إلى مثل هذه  
الظاهرة الزلائية ليق ثابت الجأش أمام الزوبعة فقد حدث أن  
١٦ إلى ١٥٠ متبرد تجمعوا بالقرب من المعسكر فقام ظنا  
أبصر بهم أربعين عز عليه أن يكلمهم بحيث يقول على أن يسير  
حالا في حراره لتأديهم ومقاومة لمردم . وهنا بدل أولئك  
الرؤساء عليهم ليدخلوا على المدبول عن نوبته ولكنه مل إلى  
ماترته نفسه من التهور والخيالة فاستل سبله وسار بوجه بعض

الإشفاقية حتى بلغ إلى سطح واسع متصل بمسجد قريب من مكان التجمهر . وفي الآن نفسه ظهرت غلبة من القراصات بالجانب المقابل للمسجد من طريق مسيل الباقن فلما فرحى التجهرون بهذه المأثرة واقع الاختلاف بينهم والتعدد وأمر إبراهيم القريشان بالطلاق ناز البتة على طيهم فصرخوا يمشون القرا . ولحكهم في هذه الامتلاء لتركبوا الكثير من البرام القاصحة كالاحتضاس على المراكب بالنهب وعلى النساء المرافة في الطرقات بإسليم مصراعاتهن وجواهرهن وساد الاختلال ثلاث ساعات امید للكون عبقها بعد أن قتل ثلاثون نفسا وجرح خمسون وعند غروب الشمس أعدم اثنان من رؤساء البلد وضرب قهرم بالعصى أو كذبوا بالاختلال ليرحوا والسجون وفي الأيام التالية وصلت قافلة القرون والأفندية وأرسل جيش من المشاة إلى عتيقة وقصد إبراهيم إلى العارص في طلب الأفندية والقون فناد منها بالنسي . الوافر واشتغل بتفجير وسائل القتل ليتى بها وقوع المجاعة بين البلد مرة أخرى ثم أجلى مدعيه عن المدينة ونوحه في أمب من المشاة والقراصات إلى حراسة وعهد إلى مهرد راه محمد امسى بزمام الحكم على نجد قبل مباحته لها فقام محمد افندي بلهجة الوكولة فيه طيف للشرطة إلى

وسمت لمائدة العائسة الرعوية بأقصى ما ينظر بالليل من الشدة  
والقسوة على هذا الحاكم الذي تجرد قلبه من عواطف الرحمة  
والشفقة أمر قطع التحيل والاشجار جميعا في دائرة يمد محيطها  
عن الرعوية وأرضه كي يكون مزلت وصرف المصلحة تدبير الجور وما  
لم يستطع حذمه منها أضرم فيه النور فخرج السحرة جميعا على  
وجوههم للفرار من النار والقياس ما يرى بأوون ليه والهدم عن  
منظر الزروع والثمار تحصد عايد الفناء . وبعد أن قام محمد اخذ  
عهده الجائر تحركهم معه من الجبل فأدرك إبراهيم باشا في  
الشفراء حيث كان ينتظر ليرجعيل عنها حردة الجبل التي خرجت  
مع القوافل السابقة . ووصل الباشا بعد ذلك الى درامة وفيها كان  
يلعب صبية المؤامرة سوداء ياتها أن أربة من المالك الذين  
شقوا عليه عصا الطاعة وتركوا السكر منشردين كان عند حكم  
عليهم بالاعدام كما حكم على غيرهم بالضرب بالدمى وكانوا يرون  
بعد أن أخذت الأمراس والمراكب سوادم الاعظم ان الاملح لم  
يأخذوا . سيدهم لينتصروا بحريتهم ففردوا بينهم قتل الباشا ليلا  
وتجرحه مما سمع من المال والفرار بعد ان هفاد . وكان بين  
الكارمين رجل اسمه علي صار حيا بعد خاخذوا له فلعب الى  
إبراهيم وأطلقه على سر المؤامرة والفتنة منها فاستدعى إبراهيم في



الحال يوسف جميع المعابة ثم أسر من كلوا حده بالانصراف فلما  
 انطلق به أخذ يحد وفيه نظره وحال عيه حتى اذا سبطها ومك  
 عنانها نظمه له بالمطف وقال له بلهجة التؤدة والسكران : « بني  
 فانتكم وسبعكم جميعا مات وأعضاء المعابة التي فانتك على جريتك  
 لستم الا كفرة بتمنى ولقد كان في بني ان أودع رذلتك وأعلى  
 قدرك ولكنك تريد اني : طاول يوسف تجربة نفسه من هذه  
 الشهمة وبالغ في ابتلاها حتى قبلنا من امراره على التصليب  
 ولقد كذب ووضع يده على مقبض سلاحه فلم يكن من الملوك  
 الا ان أخرج طبعته وألقها على مولاه والصرف علولا لفراره  
 وكانت الرحاسة قد مرت بين ربة ابراهيم وكنته ايض  
 فمرول نمره كينها الامير وبعض ضباطه ودكض الحراس في أثر  
 القتال الذي عثر في طريقه أثناء فراره بعددقة غلغلا ولكن مسلحا  
 من قبل سيف وخنجر وطنجشون فلما ايض بانه غير مفلت من  
 ايدي مطارديه حول على بيع حياته بالليل لمن فاستد الى شجرة  
 وأخذ يدافع من قسه بنبط وغل . ولقد أطلق عليه رسام  
 كبير ولم يجب برسامة واحدة ولكن الاخرة أصابته في  
 مقتل فصرخته وكان وهو طريح على الارض بل وهو يستم  
 الروح لا يزال يضرب بسيفه يثة وبسرة ، غير ان عاقبة غايه

أخرى أجهزت عليه فقطعت رأسه وألقي بها بين يدي إبراهيم  
وفي اليوم نفسه سرب عن أحد الكائمرين وحرق خسة غيرهم  
بها بعد بالأعدام ومنه هذا الوقت منع المهابيك من الخسفة في  
عيمة البشاش واستبص عنهم بعض السأكرا لتظلمين

كانت الرضائل الواردة من محمد علي باشا إلى إبراهيم باشا  
تأمره بمقاومة نجد والتمردة إلى الحرمين لكي يحصل إبراهيم على  
الإنعذية اللازمة له في هذه القضية الطويلة طائف بالصحراء أيما  
في اله من موصاه وكان حرب كبير من عتيقة بزحمة ابن  
مكلف قد انتصم بحبل شمر في موضع منه عزير الزمام تقالوم  
التيزيون هجرة المصريين مقاومة عتيقة جدا وكان هؤلاء على  
وشك الانهزام لولا أن أنذر الباشا حينئذهم باندحام اليمن الانتداء  
به في بساقته وثباته إذ أء طلوح بنفسه دعم كل صعوبة وسط  
المرين وزح به إلى ملعبة عتيقة بمسرجات الحبل والتمن المصريين  
أمرهم ولكنهم كانوا مابرحوا بمقاتلون أثناء السحاجم تلو كين من  
ووالهم الماشيقو الخيام وعلى أثر ذلك باعد الأهلون بتقديم مطالب  
الجيش ورأى إبراهيم أنه أصبح في مركز حرج لأء اتقا قتل  
كان قتل عتورن قتل عتور في جميع الأقاليم بقال صررحا السأكرا  
المصريين لتفرغهم في جهات متتالية . وقد أمعن الباشا نظره في

ذلك المركز فارتأى أن غير الرسائل للخروج منه التبت حتى  
النهاية قصد لاعدائه وما دنا منهم أعد قتاله حتى تفر حتمه  
وأصيب جواده بجرح بالغ فلم يقل هذا الحادث من عزيمته وبلغ  
من أمره أنه كان في محبة الأعداء يسف الجرحي من المساكر  
بالملاح

ولطالما خرج لنزول الثرى ان فكان يود من كل غزوة بالتناهم  
الكثيرة ووردت عليه من والده نصوص الأوامر السلطانية  
القاسية بتدمير الدرعية وجعل عالي أسوارها وحصونها ساقطاً  
واحراق بيوتها وإرسال أفراد أسرة عبد الله وأكابر الرعايين  
ودعائهم من سكان تلك المدينة إلى القاهرة وأن يحظر هو  
والجنود القاهرة البحر الأحمر عائداً إلى القيدار المصرية

فلو أرسل إبراهيم قهراً وسعداً وحسنًا وخلفاء إخوة عبد الله  
وأربعمائة من الأعيان إلى بلخ تحت حراسة الجنود وكانت  
السفن تنتظر في البحر وصولهم لتتقدم إلى السويس، أما سعد  
ونصر ومحمد أبيه عبد الله وممر وعبد الرحمن عماد فقد وجهوا  
مع لهم من الدعية إلى المدينة ليرسلوا منها إلى القاهرة وقد  
وصلوا إليها فقرر لهم محمد علي بلشاً للزيارات لمعاتهم بسفهاء عظيم  
ليكون عليهم كل السقوط من عرش الأسوة وسوخ عليهم بعض

ماشروه من أسواقهم وكان سفر حوذا ابراهيم مصحوا بهن  
للصاحب لأن طباوين من الجبلات التي هدرت بسب الحرب  
كانوا قد اتفقوا مع العدو على التخلص وإلحاق الأذى بالناس  
وكانت الجبال التي تحت تصرفهم قليلة العدد لم يكن في التوسع جمع  
ما يكفي منها بالنظر لفرق الأعداء وتشتتهم في الصحراء خفاف  
الطليح الهامس، دح أن العرب الناجم عن الضرر والحاجة فكان  
قد تشق في الناس وأصيب به جملة من السككلبية ولم يستثن من  
العدوى به القائد العام الذي ما كاد يبال لشدة حتى جمع في  
الدرعية شيوخ بريضة واشتقراء والرس وعيرة وأمرهم بتدمير  
المحصون والمنقل والأسوار في أقرب ما يمكن من الوقت منقذوا  
الحالف منهم أو التخلط بالأعداء، ثم وحه بغرفة من للشاة في  
طريق المعرفة ومنها للدفع عبر الصالحة للاستعمال وقد كبرت  
خطا لسهولة الحمل والنقل واخترق ابراهيم الأقاليم في زريبة  
هجان ليتأكد من تدمير الأسوار القائمة بتدمير المحصون  
والأسوار ثم استأخض سيرة إلى المدينة التي كانت الجور قد سبقته  
إليها وهناك بالمرزارة الضريح النبوي الشريف

وفي صفر سنة ١٤١٩ ووردت الأخبار إلى ابراهيم بأنها  
ربعة الكابن (ساديه) الضابط بالجيش البريطاني في مقاومت

و به كندرد دخولوه الذبیه صفته مسیحیاً قد ونب عربیاً بعد  
 لم علی قدصد الباشا الیه فی هذه النقطة مع ان حكمة المسد  
 الاسكندرية ساعداً تكرر العدوان من سكان سواحل (الهند)  
 علی السفن فاحترق فی الخليج الفارسی وأنها ما عمت بأحبار حلة  
 مصر المحسنة فی نجد حتى قردت ارسال سطول حری  
 لفرعون حابة التجارة البحرية ونحوی حمة الوهابیین نحویلا  
 یلأم مصلحة الحلة المصرية . ثم قال ان عرافة واحدة وضع  
 سفن لنقل عد ازلت ثلاثة آلاف حندی هندي الى حوی  
 القطیف حیث أصابهم الدوسطاراً بسبب دوافع الماء وأن  
 قائم جم عد ملو طأت تعداء بحررة العرب ان دولة الوهابیین  
 ند دالت وان المدیة عامتهم قد أصبحت أترا بد عین فاحترق  
 قلبك دهشة شديدة إلا انه وذا ان یبلغ لی ابراهیم باشا ما كان  
 مرسوماً لثوثة الاسكندرية أن تقوم ٥ من الأعمال للفرقة  
 له فذكر الأمير له هذه التحفة التي لم یبق لها حل بعد عرض  
 علیه المستر سادلیه خططا أخرى مؤدعا صردنه ان نجد  
 لاحتلال النقط التي یجلی بها فأرسل الباشا الى والده لیرایه  
 نهذ الانقراض وسانه رأیه فقدم الصايط الاسكندری الى  
 ابراهیم هدایا جليلة فی مقابل مقدسه الباشا الیه من المؤلف

والمرطبات وأطهره. نَحَرَهُ من جيل الرعاية وجاء الرد من محمد على إلى السُتْر سادليه مباشرة برضى ذلك الاقتراح واحدهاء جوادين كَرِيعين إليه في الآن نفسه فاحتدوا للضابط من قبولها لأن حكومته لم تنطه ترغيبها خطيا بقبول مثل هذه الهدية ثم أبحر بسفينة إلى (عنا) حيث كان ينتظره أمير الاسطول الانكليزي الذي لم يلبث أن أخذ سمته إلى يوميا

وفي أوائل الحج زار ابراهيم الصريح النبوي مودعا ثم سار إلى مكة فغابن وصول اليها وصول المحلين للمصري ولشأنه فأخذ ابراهيم مكة من الحجاج كواحد منهم اذ قام بفروس الحج ومناسكه وصعد في جبل عرفات وصلى لليلة الآلاف رأس من التمر ولاء بفروا اذا هو أقوى القنتر وورع في عودته من عرفات إلى مكة العسكرية الصدقات الكبيرة واجتمع على أثر ذلك بمجنوده الذين قرد سارم إلى نهر ينبع العودة إلى مصر بعد أن ترك الحاميات العسكرية في الدبة ومكة وحذو فخذلة ووجه إلى القصير الشاء واللغنية والأمنة والهدات وتقدم القوسان في الصحراء الشدة بين القصير والنيل ومعهم ثلاثان من أسكركم الجياد النهدية وأبحر ابراهيم من ينبع في إحدى السفن وبصحبته سلعداره تخفق فزاده جيبا ثراوت له سولسل

مصر وما كادت تطأها أقدام حتى بحث فامسداً إلى والده  
ليخبره بهودته وفي ١٦ صفر سنة ١٠٣٥ لله الموافق ٩ ديسمبر ١٨١٩  
وصل إلى الجيزة حيث اجتمع بأسرته بعد أن قضى ثلاث سنوات  
في قتال الرومانيين قتالاً عادته بأكابر الجهاد والتميز

وهنا جال القصر بأن اقتتل بين الأميرين المصري والتبدي  
كلان من أهل مظاهر الشجاعة والبطولة فلهما سائما إلى البلدين  
قوات كبيرة من الجند كان التفوق المصري فيها لا حدين ولكن  
اراهيم كان متوقفاً للزاي العسكرية فمرض بها ذلك التفتن وكان  
عبد الله بن سعود إذا اتجرى بالقتال هملما مقدما وإنما كان يقصه  
صدق النظر والخبرة في تدابير الحرية والصلاح في الشؤون  
السياسية - وهذان العيان إذا اجتماع في أمير يده زمام أمور  
أمة ألحق بها القدر القادح وكان عبد الله بن سعود شغرا جرحي  
النارم القوية والقدر الباقية على أمته شديد الحرص على  
الآن لا يكلفه به أحد حتى التلخيص لصلته فكان من هذا  
الوجه تفيض أياه ولما كثر الهمزوره لشحه وسمه فهم يملون  
بقتضى التل التامى الشائع بمصر وهو «عريب الله عريب الله»  
وبذكر في هذا السند أنه لما ولي محمد علي الحكم بمصر بدلا من  
خورشيد باشا لقي اعتاد التسويف في دفع للرذائل فبعد قليل له

على مذكرة الشيخ محمد بن عمر التومسي في كتاب رحله الى  
دارفور ، فقد غلت نفسك يدك حينما جلوت الجند بفوكك  
لهم : الى ادمع لى شيئا . فان الواجب على ولى الأمر ان  
يكون - من اليد حكيم البذل . ألا تدرى أن كلمة ( لا ) قد  
تقلب كيان كل شيء وتبدل حالها بحال غيرها .

وما لا يشكر ان الجيش التجدي لم يكن تنقعه السمات  
الكثيفة بالموز فانه كان مطيعا بقدر ما كان بأسلا وقترعا بالقليل  
بقدر تحمسه في العمل وعدم كلاله من مزاولته وانما كان ينقعه  
فانه قد يدير على السير الى مرعى القتل من أساليب الحرب  
حيث تكثر في معاصر الامور حاصر الثمن لا يرد اللورد  
ولا يصبر ضحا إلا وهو عالم بما فيها من الفائدة المصطنعة البنية  
والظاهر ان المرأة التي أظهرها المصريون منذ البداية قد يهتبه  
بالتقنية الرشيد والصواب وضائف حيرته ما دانه من الوسائل  
والمدات التي يتوخا على ذلك فلها أضيفت فتحة في المستقبل  
وتركت لياس سرا الى نؤاذاه كل الواجب عليه ان يتخذ  
مركزه في حدود بلاده لقتال القصور الثير وأب يؤثر  
لثوت دقاها من هذه الحدود على أن يسمح له بتجاوزها والايصال  
في الداخل على نيرة من الاعين وحسبان له من طبيعة الارض





مسیر فیروز پنهان ال کور علی با شاخه‌های شادمانه در عین



وما ينحطها من الحرون والأعطر والخال الشاهق والحياء للترامية  
الاطراف إلى أحد مدى مونا ووردا على النجاح وكان فرساً  
لازماً عليه بعد أن حرطت منه هذه القنطرة ، أن يبدل عنه لمح  
وصول القوايل بالدد التوال إلى الجيوش النهر وأن ينقطع عليه  
سط الرجعة ضرارهم من القنطرة يدرها تدريجاً حسناً على مهاجرة  
المؤخرات وسلوخها ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا كله بل  
ترك القوس كلها خلفت من يديه فلم يستطع معها شيئاً.

ولقد كان في مكنته أيساء ، وقد خسر هذه القوس ، أن  
يستدرك بعض ملقاته في معركة القوس أو أمام أسوار القوسية  
وهي ثم عرصة كانت أوفى نصرب المصريين المصرية للقامية  
من اليوم التي قنيت فيه دوائرهم عن آخرها بتلك الجسوة التي  
ألقها الرياح السواقي عليها فامسحوا ولا غرطوش معهم ولا يروود  
ولا دسيلة للخلاص من هأرتهم ، إن تلك الساعة لم تكن فقط  
ساعة الخلاص بل ساعة القضاء عليهم ، ساعة المصرية الشديدة  
بجراح اليد.

لم يتنم عبد الله عرصة ما من هذه القوس التي انطاحت له  
المصادقات والظروف فقتل قتلاً ساعداً على وقوعه بل حيه  
أن التملكات التي رود محمد على وشاها ابنه كانت مبقية على الصواب

والحكمة وبعد النظر وإن سرودا كان في العهد الأخير من حكمه قد فقد كثيرا من الصفات الخاصة التي يمتاز بها الأمراء القاعدون على السير بين وجهتهم بالعدل فإنه أثار أذية هوشانيات منهم في يدهاء الأهواء الخائرة وأطاع الشهوات القلبية التي التحاسد والتحاقد والانتقام بين جرح الشايعين من أهل الشعب الوعايي بل بين أعضاء أسرته أنفسهم . وفضلا من كل ما تقدم فإنه كان قليل الاهتمام على أساليب التصرف في مصالح القبائل الخاصة له وحياتها عرفت منه القبائل الشمالية التي اشتهدوا بالقروسية وكان باستطاعتهم مؤازرته بمعونتهم وتمزيقهم كما فرت قبائل الجنوب وهم أكثر القبائل تمردا للسلطات الآتية من الخارج فضلا عما ألومه بينهم من الجفاء والشحناء والتفهم والى مصر فرمة الاختلاف المستعج بين أعضاء الأسرة الوعاية الفاسدة والاضمان للفرقة لوجدة القبائل والجشع القسطنط على قوسهم والدمع لهم في التناوب على حب لا كسب من طريق السلب والتهب والسلب للذكراء ليدبر شؤن الحرب وغلايا رسمه من القسطنط حتى يخلص له زمام الحكم والتصرف في حرية الحرب ومستقبلها وكانت نتيجة ذلك كله أن أذهن الوعاييون وهم الذين ضربت يدايتهم الأمثال لتفضي التداوير المصرية للهدية

### على الزوينة والنظر البعيد

وكان نهاراً لطيفاً به موفراً في جوارس الوهـاء يجتمع من اعتقاد  
 القربة واللحمة في أسوارها فاستكناه إليها وعضدوا بها ولم يبقوا  
 من حياتهم المديني إلا وأنا أو صوم على الزوينة فكسح الأسوار  
 وتحييت الخوس ونمت أن ذلك الاعتقاد لم يكن إلا صراخ من  
 صروب القروى وكان المصوّر في يديهم بالمصريين لأنهم  
 « يصرون الأحجار » وكان المصرون يحنونهم على شهورهم  
 بقولهم « المدينة المصورة مدينة ما عودة » ولكن هل جيل  
 لو تلك الناس ما حثاه البحر قبل وصوله إلى تلك الأسوار وأنه  
 بعد أن عبر البحر جثا أمهاتوسات عديدة من الرمل لا نهاية  
 لأفئتها وصحراء حرداء وحبالاً شائعة وأنه كان إذا سرح  
 الطرف حوله لا يرى إلا التراء والمعمولة والسكون الشامل فلا  
 شجر ولا حث ولا عيشة صحراء ترواح إلى بها البهي وإنما  
 كانت الشمس المخرقة يضاغب سميرها « ينشع من طرفة  
 السكينة في السهول الفيحة التي لا غطاء لها من شجر أو سحاب  
 والرياح التي يشر من تهب على وجهها أسنة من ثور تقسم  
 ناره فتعرق تلك الصحراء كراكب سبعة تخرق نار الجحيم  
 لا دماء له في الزلعة ولا وفي الرسو على ساحل الماء

تنبث نظرات الناظر في تلك الصحراء المزداء فلا يراها  
قط عائق عن المنوره الى منتهى الأفق ولا ترى أمها ومن خلفها  
وحوايلها إلا مياه متهدية والربما بحرقة وصغورا كالقشم المتقد.  
وليس في مثل هذا المكان بحس الانتظار وثبات نظر الساء  
مطارها المودرة التي يملها في الهند المصب العظيم والخيرات  
الوفيرة فإن العظيم جزيرة العرب لا يستطيع الحياة فيه سوى  
صنفين من الكائنات الصغر والبدوى . على ان هذا الجوارح لا  
يزج بعمه الى اطراف تلك الأصقاع إلا اذا دأب داع من دم  
بشرى سمكه هذا البدوى . تلك هي الصورة الحقيقية لتلك  
الاصقاع العزلة على ما حفظته ذاكرة لذي وأوها رأى العين  
بل هي تلك البلاد التي مباحها الأنعمون بأسمهم لأنهم « بلاد  
العرب السميدة » . وقبل الانتظار التي سرنا فيها بالتماري غطوة  
والعدة يوجد خليط من الأهالي م من كثرة السدد بحيث لا  
يجوز لنا أن نتكلم وجودهم ، يريد هم الجراد الذي عد في الأزمان  
السابقة من الضربات الشر التي صرب بها آل فرعون . هم إن  
صعيد مصر يفرود عليه من هذه الكائنات كل سنة ما لا يتبع تحت  
حصار ولا عد ، وهي تقصد منه الى سنار والثروة وإنما يجوز لنا  
القول بأن البلاد التجديف هي ، ولا غر ، موطن تلك الحشرة

القنطرة التي من أسفل أسوارها في تخطلاتها الكثيرة بهذه البلاد  
إتيانها على كل غصراء وعصراء فيها ولا سيما لورائق النخل  
وفي سنة ١٨١٣ كان المصريون قد انقضوا طلبية من حيثهم  
إلى الطريق الذي سبيلك وكلموها بحجر الآبار واستنبط  
لقيام الشكوى منها حاجات المسافر فلما شهد الوهايون ذلك  
أرسلوا في أثرها بعض عيالهم لئلا من القيام بالهمة الموكولة  
ليها وكان متعذرا على الجيوش استعان تلك القطبية وكفى الأذى  
عليها فلما لم ينفع سعود في سبيل سد بالأحجار جميع الآبار  
للرجولة بين القوية ومكة والديبة وهي آثار يقال أن الذين  
حفرها جبل قدس من الجبابرة إلا الحديث العهد بها فقد حفره  
الوهابيون بما لم من الشهرة بالباطنية أي تحديد إيمان الليالي على  
الأرض بمجرد النظر إلى سطحها والبحث في النباتات الناتجة فيها  
لحظة المجهود لم تكن في شيء من حسن التدقيق ولا الصلابة  
إلا أن التامة الملاحظة استندت إلى أنهم لما سدد تلك الآبار  
للثأفة وقالت إنه لم يكن له من قصد سوى الانتقام بدليل تجاوزه  
مقتضيات الحرب في القسوة والصرامة حتى حمل الصحراء على  
انصافها آتلة بمنح القتل فكانه لم يجد وسيلة لفتح الفتنة أجمع  
من أمر لها في ذلك الأبرياء ولم يكن لدى إبراهيم إلا التيسير من

الحشد مع ترمي اطراف البلاد التي يروم اغصانها لشوكته فلو  
 أنه ترك في كل نقطة قطعها سليمة من جيشه البشيل لانهم  
 الأمر به الى أن لا يبقى معه سوى شرفة قصد رجالها على  
 الاصابع . وهذا ما حدا به الى تدمير الحصون والمواقع السليمة  
 حتى لا يعطى الى ترك ساية كبيرة فيها وحتى لا تعد من خلفه  
 كل الرحمة ففقد الخطط التي وسعها لتكتمل له الصالح في  
 القتال . فالطوار التي تقاب فيها وهي مخوفة بالمعاصم والشدائد  
 لم يكن ليخرج منها سلبا لو أنه أظهر شيئا من ايس التريخنة  
 والفرود في المرفة . ولا جرم كان الراكز المروجة يقتضى  
 الخروج منها الاداة القوية والزم المسمى والرأى الشديد وهذا  
 من حديد تستطيع في مثل البلاد الجديدة مدني القبايل للتعصبة  
 وميانة النظام في جيش تحتك فيه الماسر المتتفة المتصادة

ولننظر الآن في شيء من اسواق الخضم فنقول ان  
 عبد الوهاب وانتم أدلس القديس الوهابي جعل علوة مدعيه  
 « وزأو الموت » جميع تحت هذا العنوان القصير الواسع التي  
 تبجح له التمدى بالقتل على كل مخلوق لا يرتضي الوهابية مدعيها  
 له . وكان عبد الوهاب يرى ان القرآن أمر بقتل الكفار حتى  
 يؤمنوا أو يذهبوا المربة وكان في بعض القبائل لا يستطيع تعذيب



شروط الروح أمام قسده ولا مطالة فتاة يقول الروح سلم  
 يكون معه بدم المركبة (١) وكان يقول « ان الله قدنا القيب  
 لتأيد وحدانيته ضد الكفار واتنا وقد اعتقدنا بالله المتناذر على  
 كل ذي « ودر الشكرية القديسة الله اكبر الله اكبر سائل على  
 القصر في غروب اعدائنا يوم القتال فأنا تقدم الى الامام فيقع  
 القلم تحت سطوتنا « . كان يقول ذلك مستعرا ، ولصحتك اذا  
 ذكرته باستعارة القلوب عليه قال « مهما تكن لوتك فان الله  
 وحده هو الولي القدير وفيه يصر كل رجائنا إما اذا انصنا  
 فأنا ندفع من عقيدتنا وهي دين الله الواحد الاحد فالأحسن  
 لنا ان نموت في سبيل هذا الدين من ان نمشي خلع سياجه «  
 وكان اذا حشد الزهادي طعنة ثم أشرف على الموت ووضع  
 نظره أثناء ذلك على الظاهر الذي أوردته هذا المورد قطب وجهه  
 ثم أسلم الروح الى بلوتها . واذا أتيح له ان يكلم صاحبها لا يلين  
 لو يستغل عصب الله ومقته وقد سئل أحد شيوخ الزهاديين  
 لم لا يثيرون اذا استوليتهم على يد من أعليه من مسلمين ومسيحيين  
 ويهود بل يقتلون الجميع على حد سواء فقال « انك اذا أردت  
 ان تطحن حبة وأنت فيها بعض حبات من الخس والقول أفلا

(١) في بعض النسخ

تقرى الشكل في الطاعون حتى لا تكلف نفسك بناء تفتية المظلة  
 مما يختلط بها من الطيور القريبة وهو يؤيد هذا القول الذي نرم على  
 فطرته وحشية وتلك أكثرات بالحياة الانسانية انه لم تذكر حلقه وسعدة  
 أثناء السنوات الأربع التي انقضت في الحرب بين نجد ومصر نزل  
 على أن نبدأ أشعث بصواء . أقصد هذا يستغرب ان يجعل  
 قطع الرأس الأخرى بالدار عشيرة لمن عملوا الى النار والحديد  
 في التحصيل ببرم . إنه من عادة العرب التي يؤرجح لرها  
 القشيع للمذهب ان يطول أمد عرسها فلا تغد إلا بعد زمن ،  
 وان يسمى اللحوم عليهم منهم بالظلمين الفنون المذنين  
 وأن يسمى القتل فيها بالشهداء . وهي أسماء مبرقة بالزواج  
 خداعة فتاة لن تحبهم أنفسهم بالشايعة . ولقد حاول أشباح  
 الملعب القويان القهوس من حزنهم فبورا القتل في سنة ١٨٢١  
 و ١٨٢٥ و ١٨٢٧ و ١٨٢٨ و ١٨٢٩ ولستكم لم ير صرا و قدوسهم  
 في سنة من هذه السنين إلا وحيل لهم أنهم يسعون اصطفاق  
 أجنحة وقر مناهير فأرسلوا انظرهم فإذا بالطيور الجالسة كثير من  
 المياكل التي حلقها الشمس والمظلم التي اوجعت بطول الزمان  
 ما بقى فيها من غذاء وإذا بأشباح الخواصم الذين كانوا خلال  
 الحرب الانسية تتحرك أمطهم وإذا بهم يشعرون بالأرض وقد

زول من تحت أقدامهم ولا يفلحون أن يعيشوا إلى ما كانوا عليه من الاستيلاء والسكران

وتعد الآن إلى الكلام على نتائج سنة ١٩١٩ نقول إن إبراهيم باشا بكبحه جناح الوهابيين وتمه مرشهم قد أعاد ميته العلاقات التجارية إلى سابق عهدها وعلمس القوتين الثمانية والقرنسية من القلق الذي استحوذ عليهما ووقى الإسلام خطر السقوط في هوة الخلل والفساد . فلا جرم إذا أحب بفتح حاته شعوب آسيا وأوروبا وانجبت إليه انظار العالم السياسي وتأيدت شوكة العرش المصري في الخارج كما تأيدت في الداخل . ولقد أتمت الدولة العلية على محمد علي وإبراهيم ابنه تأسيس مراتب القباشرية في المملكة الثمانية ، وضربت صبغة الأول في سياسة شؤون الدولة ومن القوانين لها الامتثال بين الشعوب كما سارت الركبان بذكرى نمرغ الثاني في القسود العسكرية والسياسة القانية في القتال ، حتى عجم من ذلك ان العرب شبهوا إبراهيم باشا بانظام النظام وأوردوا سيرته في القصص والروايات ورفروء حقوق نظمهم الحديث الذي لا يكتمون عن الترنم بذكره ألا وهو ( جيسوة بن عيان النعسي ) الذي يحترون بأنه مات راجع خط امام عدو وأنه شق في يوم واحد سبعمائة ثلاثين من أعدائه

ولو لم يكن هنرة عبد ربي لشهر الفاتح ابراهيم باشا بهذا البطل  
الشهير في التاريخ

كانت قد تمت أشهر طويلة ولم يصل الى محمد علي ما من ابنه  
عن نتائج حروبه في مجد. وأصيب في أكتوبر سنة ١٨١٨ برمد  
صديدي تشتد بسببه لظهوره فأومر الى الشايخ الصلواتي والحمد  
له أن يركل بالقرص ساهي ابنه وتلاوة البحارى هكذا يوم في  
مسجد الأهر قفا في إلا أيام حتى تبدل كره بالفرح وحرره  
بالفرح الشديد فقد ألهه هناك ألف والي بنوع ومحمد امدى كاتم  
اسرار ابراهيم خير الاستيلاء على القوية فأطلقت للسلطان في  
يوم ١٨ أكتوبر إيدانا بهذه الثغرى وأقيمت الأفراح والزيارات  
سبعة أيام ذهب محمد علي مدعا الى الاسكندرية لاستقبال فيها  
بالتم مظاهر الاحتفال وتنافس الافرنج في إقامة مجالس الزينات على  
مثال لم يسبق له في البلاد نظير اجلالا واعطانا القدر الأب  
وقدبرا واجباها بالحق الابن ولما حكن من نظرت لقلوبها  
ثالث مبتلها ان تكون الى الرحة أميل منها الى الشدة قدفا في  
الهيئة التي بحث بها السيد عمر مسكرم للنفي في طعنا بالادب له  
بالامانة الخج واستدعاء لهذا الغرض من مثناه وحكمهم  
مضى محمد بك ابو نبوت والي باقا المعزول بأمر للابن والحق في

أكرمه إلى حد أن أرسله من ملك خلاص سنة وتلاثين كيلا شربا  
 أي ١٥٠٠ مرة ذلك ثم صالط على الصدر الأعظم وحصل له على الأذن  
 بالعودة إلى وطنه وإستاد إحدى القوافل فذهب بحكومة للدولة إليه  
 وفي أثناء إقامة محمد علي بالإسكندرية ولقته بشري الشرح  
 لها صدوه فقد جاءه واتر إلياس من القياش ووداه أبيض وقطبان  
 من الجرح وعيادة وحداء من الحبل وشال مسقطي تصم به  
 وتسلطت هذه على صدوه وجعل فرق البسة متبدل تفل  
 سطر بخطوط حرله وخضره عبطت أهدابه على كتفيه فصار  
 نظر الزائر على هذا اللباس الغريب سره حس منظره وتوهم  
 لقبه بين لباسه ولباس الوهابيين . ولكن سره القبي كان يفس  
 هذا اللباس : هو . الإلزام ركاب إبراهيم باشا السيرة عسير الفرنسي  
 الأصل ، جاء يشري وصول الأسرى الذين أخذوا في الملوكة  
 المخططة وكان يحمل رسائل برسم محمد علي باشا من قائد إبراهيم  
 وكان هذا قد أوصاه بأن يمثل بين يدي والده بلباس الوهابيين  
 لينوب عنه في إختياره فأأمره الليبي العبري من مصر والحمد  
 وأراد محمد علي أن يشكر لابن جلدته المخدم الخلية التي قام بها  
 فأهداه من القمص والأرد والقطن ما يعمل منه حسين الب وبق  
 وأهداه بغير ذلك ثوبين جيلين من الثياب الضيقة وشالين

كشعيرين لينفد من أحدهما محامته ومن الآخر حزامه  
 وولد محمد علي في القاهرة في ٢٥ مارس ١٨١٩ مصحوبا  
 بقاضي الباب العالي الذي كان قد وصل من الآستانة لينفد إليه  
 من طرف بجالة السلطان تذكرا قديما لانتصاراته الجليلة في  
 بلاد العرب وهو ساحة وخنجران وورشتان من اللؤلؤ وسجودان  
 من اقمس انواع السمور واحد منهما برسمه الآخر برسم ابراهيم  
 وكان علي يد هذا القاضي مرسوم سلطان يترقية عباس بك سعيد  
 محمد علي واحد آغا بن طاهر باشا الى رتبة باشاوية ولدت للدين  
 كلى هذا مع التصريح له بالانعام برتبة القلجية على من يريد فاسم  
 بها في الحال على حسن آغا الأزدنجبلى وشريف بك طاهر المالكية  
 وخليل آغا وعلى بك

وفي ٢٥ صفر ١٢٣٣ الموافق ١١ ديسمبر ١٨١٩ وصل ابراهيم  
 من بلاد العرب فاستقبله في مصر شهرا أكيلو رجال الحاشية وطلبوا  
 لواء الجيوش بمجنودهم والآنحوات والاميان فقدم بحف بذوات  
 مصر وتقدمه الأذئاب الثلاثة الرمور بها لرتبته وإحدى عشر  
 جوادا مطهية ومنظفة بأعطية مزدكسة بأسلاك الذهب وكان  
 دخوله القاهرة من باب القنطرة مثل سائر ائى حصد الى القلعة  
 الصلاحية وكانت الحوائط والشرفات والمطبخ والنوافذ مزينة

باجل قزيات والأطراف يسبحون أمواج في الطريق فكان كلما  
ترامى لفرج احتاط نصفيتهم وعتاقهم له بتوى البنادق والمدافع  
وبالجلة قد شهد سكران العاصفة العسرة جميعاً هذا الاحتفال  
الطلي الإرحلا واحد الحسنة الاضمار في مطلق وجوده بين الجوع  
الكعبة بل الحسنة القلوب علم نحمد ، ذلك هو محمد علي باشا  
حفا ان والى مصر عرف بالحكمة والعزيمة ولكن لم يأمن من  
نفسه القديمة على الاحتياط برمائه أمام هذا النظر السار فأراد  
بنبيه ابن لا يؤثره أحد على انه يتولى من الحشاش ومظاهر  
الحفاوة التي كان ابراهيم حديراً بها خلفاً اكتمى بأن يتخذ له في  
مسجد السلطان قنوزى مقبداً بسيطاً شهد فيه الاحتفال الباهر  
كما شهد نيره من مطلق الناس فلما أوشكت ان يمر امامه مسط  
يديه لله شاكر حامدا متبائنا ثم وضعا على صدره حتى لا يتغير  
من طفرات قلبه الطامع بالسرد . ثم نظر الناس حولهم لم ي  
مرود ابراهيم أمامه فلم تقع انظارهم على والى مصر وانما وضعت  
على الوقت الذي غمره هذا النظر في بحر حضم من السعادة  
والسرور فاستغلت دموع الفرح من عينيه وفي اليوم التالي  
تولدت الوعد على ابراهيم بهشوه بالنظر وقدموا اليه  
الهدايا الجلية من الكسندير والاشياء المنقوشة بالذهب والفضة

والاحجار الكريمة والآل، والثغالي وقد أحصيت قيمة  
ماقدم اليه في ذلك اليوم قدامها تجاوزت ستة آلاف صكك  
الى ٢٥٠٠٠٠ فرنك واستمرت الأعياد سبعة أيام لياليا كانت  
للتولوع وليادين العلة ماها مزنة بالأوار الزاهية والاصباح  
للكلاكلة وأحد الناس يطولون شرارح العاهرة وتزودوا أسواقها  
ويجمعون الى جولاق حيث كانت تروى أملها مزينة الامعان  
للورقة والأدهار للوقتة وشهدى على الذين بين طاقات الداهع  
للمصوعة على الصميين وبلغت أنباء هذا الاحتمال الى الآسنة  
القية على يد مبعوث حاس أرسلته الحكومة المصرية فما وصل  
هذا التبعوث سار بين جماعات من الأعيان قد استظفوا على عطش  
الطريق وقد ألبس القاء تمام حنة من أعلى الخلع وأعلاما لينة  
وتحصد السلطان ووزرؤه وتبطل بلشا وقابجي باشاوكرا لا تاعلى  
وتجر أقالى وجميع العماء والقواد ومساعد للمساكر وحسبوا  
الموظفين في الية السلطانية والحكومة الثمانية والتحصين  
السود والبيض الى مسجد السلطان يوم في مركب جميل وجمعة  
جيلة وهناك حمد الله تعالى واتى عليه فطالب الذين دعوا  
مقام ابراهيم وأعاد الى سلطة الخليفة المرمين الشريفين وعاد  
السلطان الى قصره بقلبي في قاعة القرش فتوارد العظماء الاسلام







عليه ونهشته وظلّت المصلاّت مفاصة في الأستانة سبعة أيام  
كانت مدافع السراي للتلعاتيه والمخونمة والمدنة تطلق في  
خلالها صياحا وظهرا ومساء وكان السلطان ودعاياه يخربون  
صباح كل يوم ليركبوا الفتيات أو الخيل للترعة . وبينما حشد  
اسم ابراهيم ترده مداه أركان المملكة العثمانية ومسحب الشبانين  
بشجاعة ويحصلون عمل ابتلاء الله بمدة من عنته حتى لا تنلث  
نفسه بالكبرياء والملف ويلطه الله أن الرؤوس منها ارتفعت  
عزة وعجدا فلما من الانحطاض يوما وإن الناس منها علت  
مراتبهم فقام غير معصومين من فتكات الموت

كان ابراهيم قد انتفى من المدينة جاريه فارسية فرزقت منه  
بسلام ، فبعد أن سقطت الدرعية بأربعين يوما وصلت إليه الرسالة  
والوفاق فغضبوا ونحومل على جن يحف به . . . فارس ليكنأه على  
أهماله الجلية قبلانها . وكانت عربة الباشا قد أخذت الطريق  
نفسه يمر عا أربعة بجان للعودة فلما التقى بانه وروجه أعنفها  
في مركبة فأراده الله حد ما وصلوا إلى المدينة أن تموت الزوجة  
على أثر وضعها فلما آسر توى موقتها . فبعد إلى كبرياء الفتاة  
بنهان بكه ابه الأكبر أثناء السفر إلى السويس واتفق عقب  
الوصول إلى هذا الخبر أن الأمير الصغير كان غائبا في حبر جاريته

السودانية إذا أصيب في ركبه بصرية شديدة سقط من يد امرأة  
يخذه، كانت تقصد باعتمادها الطائفة السوداء فتوق على الأثر  
بجاء هذا الصاب بعد مصابه الأول بفقد زوجته وابنه الأسير  
صفتنا على تلك الحالة من جرائه حزن شديد بينما كان هو يملأ قلب  
والله يودته سرورا وفرحا

على أنه مامن والد لو والله لو زوجة إلا ولد ناله مكرهه  
كما قال إبراهيم بفقد عزيز عليه فبكى الوالد والوالدة والعم  
والزوجة زوجها وصاحته، والتوجه على قتيبتها يعني قزاقها،  
يلبسى بالجل، يا صبيبي الخ سيحلت القوي والاعتحاب ذلك  
لأنه مامن أحد أصعب بفقد عزيز عليه إلا ولد ضاع منه الأصل  
في رؤيته لا سيما إذا أثار للمزود نائرة الوجد في نفسه بصرتهم  
يولد بجل قرحم عرسك الله خيرا، أما الذين لم تدفن جثثهم في  
رمال صحراء نجد فقد نزلت بمودتهم خير واشبهت أئمة، نعم لهم  
عالموا من الصاعب والفتور من الأهوال التي، الكثير، ولكن  
في مودتهم مكلفين بأكاليل النظم بل تحذف عنهم عب، ما تكيفوا  
طابقت مودتهم إلى مصر شهر صفر من السنة، وهو أشهر  
الذي يورد فيه من مكة الحاصل القصر، ولا يدعون الاحتفال بك  
إلى أن الحاج المائدين استأثروا وحدهم بتوفير الجمهور ونظرة

لم يمس الاخلال الذي ينظر به من يقومون بتأنيده المصحح  
وفروجه ، غفلة أولئك الأبطال الذين ما بقوا أربهم من كبح  
جناح الوعاني وقع شيمته وتمطيل مقعبيه إلا بعد مائة البداة  
من حر مله بك وسير في القفار وأوعر الحلال على مسافة لا تحمل  
عن ، مرطرا ترابا بعد هودتهم بطوفون القتل وروح والاسواق  
في سكون ووجرم ووعا لم القمص منهم وهم حلوس على القهورات  
فلذا شهدت مجرزا هوديسا قد صمدت الى الاحتكاك بأحد  
فان ذلك إلا التبرك به أو الشفاعة من مرض أصابها اعتقاد انبال  
التي يستحق الحريم القرمين طدير به ان يكون من الاولية  
والصالحين . هذا الاعتقاد هو بلا شك باطل وخرافة ولكن  
ألم نر صاكرنا الأبطال قد عاودوا من امرغية القرمية الى ومانهم  
والمرق يتصعب من جباهم والصدور محقة بالمخارج الداية  
والشور ممزقا الرصاص والاعلام كاشفوك البالية موزنا قبحيل  
والعظيم والتوفير والتكريم ؟



# الهب التاج

الرفقة البيا

من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٩٢٣

قد الخط اللزالي والتوفيق المستمر فاعم جزيرة العرب  
وأمره التاج بلطامع قطع الى اللزدي من التورذ والتوصفة  
بصرفه التعميد مشروعات جديدة . وكان حصد البلاء من  
فتوحاته السابقة لم يطمع منه ولم يخل عزيمته عهد الى توسيع  
الجمال للاستثمار إذ عهد الى حسن بك التيمارجي مدير العليم  
البحيرة براسة دعة طلبة عسكرية التفتح واحدة سيوه واليهت  
فيها من هيكلي شيد في الأومن القديعة إجلالا لأنه الآخرة

ألفت البعة من ألقى رجل ورسمة مدافع وثلاثة أوردوين  
وجم . للوسيو (دووين) تحصل فرنسا لجرال و (البان) الطالب  
بالبحرية الفرنسية و (ويش) الطيب والرسم المعمودسي . وله  
كان هؤلاء الثلاثة خبير معوان على تحقيق الترض الصاعف من  
تلك البعة إذ رسموا للتأخر الترية في تلك الجهة ووضعوا لها

لرسوم الهندسية وساعتها الساعة من الطرانة بالبحيرة وصلت  
الى ارضون بعد مسيرة ١٤ يوما وقد تخلف أولئك الأوروبيون بها  
ومنا لمشاهدة الآثار القديمة وسار حسن بك الشهابي في النظر  
الاكبر من جنده حتى وصل الى بيوت ٥٠ وكان قد اتصل بأهلها  
غير البينة فأمرهم بما خرجوا بالياء واضطروا ثالثة مؤلفة من  
مائة بلوى كانت آتية من ضاحية بنى غارى لأعمال تجارية الى  
الوقوف في صفوفهم فلبسوا من القواعد ونحسوا بالاستحكامات  
وأمرهم المداثق وأشجروا لثقل ظاهرا ايسالة وعنف مدة ثلاث  
ساعات لم يكتفوا بها من اطلاق النار من ستة آلاف بندقية  
فما شهد للمصريين ذلك عمدوا الى الدافع فأطلقوها على الدافعين  
فقتلت عدجة من مداتها امرأة وأولادها فدمروا جميعا ووقعوا  
القتل بعد أن بلغت خسائرهم اربعين رجلا مقابل خمسة عشر  
من المصريين وفرض حسن بك الشهابي على أهل البندقية فدية  
عشرة آلاف ريال وفلوسهم وإن يقدموا اليه أنقى عمل من البيع  
سنويا ولكن الموسو دزوغني رأى الفدية فاصوحة لا يتصلها  
أولئك القراء فترسطق تخفيضها لتخفصت وحاية الظلم وألوانه  
الافرنج الراقتون البينة دخول الزدة فاعترس أهلها فالتفت لهم  
لا ينجون إطلاع الأجانب على ينابيع مياههم ومساكن طرائفهم

خيفة ان يلقى ذلك الى صياح استقلالهم الى تحية الصغارى  
الرمية فهدموا حسن بك بهجوم ثان بالمدافع اذا أصروا على  
المناخلة من يسمهم الا الأعداء وتمكن الثلاثة الأوربيون بذلك  
من مباشرة انجاسهم وتعقدوا البحيرة ذات الاسرار السجية  
للوجوه بجزيرة (العراشية) وكانوا يرجون ان يبتدوا فيها الى  
هيك (زلس أسون) أى الشرقى فالتضح لم ان هذا الهيكل  
قديم هو هيكل (أم بيغه) الواقع في بلدة سيوه

وي أول جويو عند محمد علي باشا من الاسكندرية الى  
القاهرة حيث أقام بصفة أسايح ذهب بعدها الى الاسكندرية  
وحصان شاه فارس أرسل اليه فيها عديده من الطيور النادرة  
والكشامير النفيسة السلوك والطيور العربية للكرمة فهدم بزعم  
الحكومة أثناء نياحه الى ابراهيم باشا كما عهد اليه به سابقا فأظم  
الزنان والافراح ثمانية أيام متوالية للاحتفال بختان عباس  
ابن أخيه . وحدث في هذا الاحتفال أنه جد لروميانة طفل من  
القدراء فأعطى كلا منهم سريرا وبطة وخمسة وخمسين قرشاً  
وصفيهم صفوا حول الأمير الصغير في موكبه ثم ختن لهم معه  
وكان ختان عباس في قصر ابراهيم بحضرة القاضي والشيخ وكبار  
رجال الخاشية



ولما كان أن يسأل. لم يجرؤ طوسن بلشاً والله المفضل \* هذه  
الاحتفال : الجواب ان طوسن بلشاً سكان قد توفي منذ ثلاث  
سنوات بمرض عصبي. وكان قبل وفاته قائد الجيوش العسكرية  
على فرج رشيد وكان مقر القيادة العامة ببلدة (رمال) ورأى أن  
يتمسك هناك للراحة من الشاق الذي تكبدتها في المعارك جميع  
اليه الموسيقيين والراقصات والممثلات من أجل الجوارى فهي  
دلت يوم شوهده في حبه انتفاخ واصفرار فظن وجل حليته  
انها لصانة طافرون ولصكت على صدر البحث انها من امراس  
الافراط في القهر والجماع وكان أشد هذا الافراط في ليلة تصاعها  
مع جلوة شركسية بلوعة في الجلال . فلما أيقن محمد علي بلشاً أنه  
توفي إذ كان كهيما بك يحاول أن يلقنه الخبر فتنحطه القهر بسقط  
منشياً عليه فرموه واحسوه في مكانه وحينما أفاق من غشيته  
أخذ يطالبهم تارة بالرجاء والترغيب وطورا بالتهديد والترهيب  
بعضوااته الفرير اليه فلما لم يجد منهم الا القسوت والنفور  
والخزن استرسل في الكآبة والأين ولم يجد في تسكينه من هذا  
الجرح وسأل القمرة وأحب حينما بدى تفسير الجأزة أن تشيعها  
ملشياً من بولاق الى الامام شاهي ولسكنهم معوه من ذلك بعد  
الرجاء الشديد وفي اليوم التالي وذهبت صدقات جمة على الفقراء

وكان طوسن كثير العدل والاحسان لا يحسب في بقله  
حسابا فقدموا أموره للأثورة . فخلق لهؤلاء الملوكة المحبين غير  
بلادهم ان يكونوا كالنسيم الذي يسوق السحب لتروى الأرض  
بثلثها فتخرج الحب والنبات . وبعد وفاة طوسن بنشأ حصر محمد  
على أماله ومحبته في ابراهيم . وكان في سنة ١٨١٢ قد ناط به  
بجاية المصريين في التصيد فاستطاع بما جيل عليه من العدل  
التوفيق بين مقتضى المهمة الموكولة اليه ومصلحة الأهلين . وعين  
حاكما للبرجة القسلي في سني ١٨١٣ و ١٨١٤ و ١٨١٥ ثم واليا مزلتا  
لمصر في سنة ١٨٢٠ فتدكن محبته وسداد رأيه من وضع  
حد لاستبداد السيد والنشائج الذين كانوا يسرون بين الناس بالنظم  
فضاء نظامهم وعلمانهم ودافع عن حقوق الفلاحين بما أوجب  
شكرهم له ورحمهم بإياه فكسبهم والده الذي خلصهم من ريفه البكوات  
المراكبة وكشفهم

وكانت للملك الذين نهوا بمحبتهم بعد طردهم من إزم  
لا يزالون في حركة ونشاط بأجلهم ذلك انوا انضوا لثبوتهم  
واستبدادهم فيه ملوك القبايل وشيوخها وقتلوا الكثير منهم .  
والقد دبت في نفوسهم حرائل الكبرياء والجبروت لما اغتصروا  
انفسهم به في ذلك الاقليم من السلطة الظاهرة والحكم الوثني

فقدتهم عنهم بالفرار الى مصر ولكن ابي محمد على ان  
 يقتصر حتى يصلوا اليه من حول على القصب اليهم ليطاردتهم في  
 ملاجئهم التي آووا اليها ليقضى عليهم قضاء أبديا . وكان يرسل بهذا  
 للشروع الى غابات أخرى وهي لثلاث الفرية لاستخراج القصب  
 ولثلاث من ملاحها . فقد انقلب به ان دقته وسار وكرهه  
 والمفر تمحوى الكثير منها لم احتلم هذه القرعة لتتخلص من  
 الجنود الذين ما برح اختلال نظامهم ومخالفهم الطاعة لرؤسائهم  
 مصدر بلاء عظيم لمصر وحكومتها وتعجب الجنود من التوراديين  
 المردفين بالطاعة والصبر والقناعة والبسالة في القتال بدلا منهم .  
 ومن هذا الوقت أشهر في المصريات الجبرامية الى ما يفيد ان  
 الفرية العليا والسفلى أصبحت جردا متما لا تعرف مصر ولا العالم  
 سائر يصبح لربا تابعا لها وكانت الانواع الذين عقد محمد على  
 اليه على قتالهم معرويين بالأعدام والبسالة والقناعة في ركوب  
 الخيل ولهم مع تميزهم من الخيابة والاسطة الفرية لا يعرف عليهم  
 أحد في القرب بالسيوف ذات الحدين المصنوعة بالبلاوالامانية  
 وهي ذات مقبض من الخشب وخراب من الحديد يولأ في القطع  
 بالرمح ذات اتصال للسنة . ولقد أوغل محمد بك الممرد في ذلك  
 البلاد في ٥٠٠ فارس حتى أدرك حدود دقته فلما رأته الى انكسروا

مديرين الى شمدى واستولى القصر على حمة وعشرين منهم طامروا  
الى القلعة بواب يخاف الناس الرحمة هم والتجاوز مما سلف  
من ذنوبهم فوعدهم محمد علي بالنظر عنهم جميعاً إلا زعيمهم محمد  
بلق للنفوخ وعبد الرحمن بك وكان قد توبى القردة على المالك  
بعد وفاة محمد ابراهيم بك سنة ١٨١٩ متجاوزاً الثمانين من العمر  
وقد نفس القوت الذى كانت الجبال الكبيرة تجتمع بها  
لنقل الأحمال فى الصحراء كان ٣٠٠٠ قارب ميباً فى يونيو ١٨٢٠  
بحرودة مصر الحقيقة لجل ٣١٠٠ يتدى من الشاة عشرة مدافع  
ومدفع من طرز الماون وكثير من القنائر والأمتة واليهات  
ولقد ألق هذا الأسطول العظيم وسار أقفا طالس من بينهم  
٥٠٠ من صربان البهاجة على سفة قبل عبادة عابدين كلف حتى  
بقوا الى أسون ملقى الحية فلما كل اجتاعها فيها سارت ومبا  
ثلاثة من العلماء لقيام بعض المهام السياسية دفع الى كل سهم  
تقدموا حمة مشركياً وبذلك ونرأسها ايلغير بلشا أصغر ابناء  
محمد على بلشا حاجزاً بها السلاطين الأول والثانى واغترق دجلة  
من غير ان يجد مقاومة. وقد انتهى على سيرة يورين منها برجال  
من لينة الشابية للبروفة بكثرة مددعا وشدت بأسا فى القتال  
حتى تسلطت على الأهالى بالقهر والأذل وهتك الأمراض

ونهب الأموال . ولم يكن مع البشاش سوى بعض الحرس من  
الطليعة ومع هذا فقد أوغل في ثقت الأساقع المصونة بالاعطاف  
فأثرته بهم لتغير من الأهلين وأرادوا قطع الطريق عليه  
فدفعهم الأمير وتكل بهم وقتل منهم عددا ليس باليسير وأرسل  
رؤوس ستة من الدانج القتل وأدان ٥٠٠ من الرمان إلى محمد  
على بشاشا ليعبره بما أحرزه من النصر وأوتيه من التوفيق في  
الأيام . وبعد مسيرة ثمانية أيام كان الأهلون للبلدون لا يراون  
يرسلون التفتت رعية منهم في عشد جوعهم . فاقم المصريون  
هذه القرية للاستراحة على مختلف النيل في مزارع الدولة للقرية  
من ( كودق ) وبنت الأمير يرسل من عنده إلى التوفيق  
يدعوم إلى السلام بالقاء السلاح وتسليم النيل والاحتصار على  
زراعة الأوس ودفع ضريبة ثلثة من المال حوائق الشافية على  
مسألة الصرية ولما أبرأ التجرد من السلاح والتخل عن النيل  
فأمكن إنهم يؤثرون القتال على الرضى بهذا الاتراح . وكلف  
اسماعيل باشا شابا متروكا الحاس متعلما إلى الجهد والتفاني  
إلا تحميم لواءه بالقوة إذ أخذ عصبة مؤلفة من مائة بدوى  
للاستطلاع ولكنها ماكدت تتحرك لقتلها منها حتى أساط  
الشافية بها . وبالرغم من شدة مفلوسها فقد خسرت ٩٥ من

من رجالها و ٢ جوادا ولو لم يكن مع اساميل لشا أكثر من ٨٠٠ فارس ولا شيء من القذائع لما منته ذلك من أمر جيشه الصغير بالتقدم في سهل فسيح يستد النظر فيه الى أرملة أميل وتغير له موعدا ملائما بين الأوامر المزروعة ورمق القصر له فلم يظهر لهم سوى أثر أحماء الهالكين المساكر ليهم بدون أن ينفض له جنس توفا لمداخمتهم

وفي ٢٧ رجب ١٢٣٩ الموافق ١ يونيو ١٨٢٠ ظهر أرمون شافيا قبيل الساعة الثالثة بعد الظهر وتجهلوا لاستدراج المصريين اليهم وكلف اساميل متحصرا حوما للقتال فقتلوا صاحبكم وحضهم على القبات وحسن اللبلاء وكانت هذه أول مرة دبر فيها قتالا مع عدو هارتلى بعض كبار الجند الذين عبروا القتال من قبل ومن بينهم بعض الكشاف أن يدعو له ملاحظات عنتم لهم ما كان منه إلا أن اتخذ أمامهم وقفة المرة ولشتم وسألهم بصوت جهودي من له القيادة على هذا الجيش هو أم م فلم يسهم وقد سمعوا هذا السؤال إلا أن أمروا له بالطاعة والاقبال لأمره ، فقال : « اذا كان الأمر كذلك فقتل ملائم فزادى بهجة والرياسة وتموا بأن القور والنبلة سيكونان لنا ثم أمر بتخاذ التدابير اللازمة ورسم الخطط الواجب اتباعها فلم تنفض على

أوردك راحة حتى شويهد من ناحية الشرق كأن سحابة تتقدم  
 نحوم وتطم كلما دلت منهم وبعد غيبة اجملت هذه السلطة  
 من جيش منجم من الرجال والحيلة والفتاة لملحين بالسير  
 والرمح وكان قوادهم يمسون الزرد ويحملون الدرق المسطلي  
 لتخذ من جلد النمساح او جلد المسنة (عرس البحر) والبنادق  
 وغيرها من مختلف الاسلحة فاسطف الشاة صفا والفرسان من  
 ورائهم وبرزت قتاة من القبية على عجيبة مطومة فأصط الجيوش  
 شاة القتال بصوت كسج الحمام ولزمت الأصوات الخافتة  
 مختلطة برنين الدارت فها هي الاطرفة العين حتى تدفق  
 الحباقة على مينة المصريين بينما كانت الفرسان تحمل ينف على  
 اليسرة وهي وطيس القتال وكل بين الطرفين سجالا . وكلت  
 عابدين كاشف بقود حرفة احتياضية مؤلفة من مائتين من الفرسان  
 حمل على الأعداء ثلاث حملات متتابعة غير مألوفة الشدة  
 استطاع بها احدثات ثرة في صفوف فرسان العدو فوافاهم باصيل  
 بشا بلسه وضم جهده اليه ونمرش هو وعابدين بك في مقدمة  
 رجالها لصد صدمات الأعداء وعززها في كباتي مراتها فلم تقص  
 على القتال ثلاث ساعات حتى كسكت شمل العدو . وكان فرسان  
 الشاية يلقون الألف عداظم يفقد منهم سوى خمسين فارسا

وإذا كان للصرون لم يشكوا من إيمان السبع في بيتهم فما  
ذلك إلا لأن الليل كان قد أوعى مدله فاستروا به فتجاة من  
الوقت . وحلت مشاة العدو للنظر الأكبر من عبء الخدمة  
وكانت مؤلفة من خليط الفلاحين الذين اتخذهم المارون سياحا لم  
لأن لم يكن معهم سلاح في الغالب سوى ما أتاه بعض الشائح  
في عيبتهم من أن فرسان لا يقتل صحيح الإيمان لم يرسوا  
لنوم لوابل الرصاص بثقة عميلة ناشئة من هذا الاستعداد . وقد  
اختلوا منهم حبالا باعتقاد أن أعداءهم يسهلون بأنفسهم ويمدون  
لبيم أيديهم وبلغ الاعتقاد بينهم أنهم بما دبروه من السر  
وحلوله من القلعات قد اختفوا عن أعين النظر فلم يجد أحد  
يرام مع رؤيتهم له . لهذا لم تنكس تنهس للفرقة حتى تقدم فريق  
منهم في المسكر المصري نحو حبة الساميل بلشا فلما أيقن  
الحراس أنهم من الأعداء قبضوا عليهم وهم يحاولون دخولها  
وكانوا قد ظنوا في بادئ الأمر أنهم من الجلاية لمدله  
للبلشا فاستروا من حفيظة مقاسمهم ونياتهم فأجابوا سراخه بأنهم  
يرجعون القبط على الأمير وشده وثاقه وأخذ من غيبته  
والنهاب به مكثوا إلى أخيه إبراهيم فامر الوعايف . وبلغ من  
نظرهم في الخرافات الباطلة أنهم لم يشكروا خط فلما لم يأت



البحر ولا الطلسم بالترس المنصود وهو الاختفاء من الأنظار  
 لنيل الأذى. ولقد أصاب بعضهم الرصاص وأضرعوا على الموت  
 لشدة ما شعروا به من الألم فكانوا يهرأون بالموت ويقولون  
 به أن يلاقيهم مهاجمة فداة حرائقهم وربما كان سبب  
 صلال عقرهم أنهم قبل القبول في ساحة الرمي بل بعد نزولهم  
 فيها كانوا يكرهون الشرب للمروءة عند دمهم (أم بلبل)  
 وهو نوع من البنية شديدة الأسكلو. فكانوا كلما شربوا منه انقلبوا  
 في العصة يهرحسين لحياتهم حياء وأخذوا يقولون في وجوه  
 المصريين الزمان أو ينجونهم جمعية الاسلام قائمين «السلام عليكم»  
 وكانوا يملكون ذلك على سبيل التكم والسفرة ولكنهم ضلوا  
 فمن سلوكهم عاليا جدا لأن عددهم كان مهيأ بدأت تمر كـ ٢٥٠٠  
 فقتل منهم ٨٠٠ مقابل ٣٠ قتيلا و ٤٠ جرحا من المصريين

وفي مساء ذلك اليوم قتل اديا على مسكروا إلى ضفة النهر  
 ومع ما يقوله من اليهود منع الجنود من ارتكاب القتل التي كانت  
 في بلاد الشرق وقتل خير مخلصهم في الانتصار لم يجمع في صدم من  
 هناك الامراض وقتل النفس ونهب الاموال وإعراق البيوت  
 ولما أن تقول إن (كورني) عامسة للتأنيبة أمرت ببيعهم من  
 آخرها ظم بين منها حبر على حبر وما من أذن أمسك بها جندي

إلا وعطفاً بخبره حتى طغ ما أرسله إسماعيل من الآدمي إلى  
والده في ذكبة واحدة سبعمائة وعشرين أذاً كانت الشهادة النافذة  
بما أحرزه من العود والنجاح في خروج البلاد. ونعمل قطع الآدمي  
أذاً كان القضاء إلا أن إسماعيل باشا استل من معاملته هذه القسوة  
ودخج مرتكبها وأمرم بالأمسك عن معاملة القضاء بالنسبة  
والعسامة. وبين أمه ناه على أمره ستمائة أسيرة كان للتظفر  
استرقاكن لها ملن بين يديه أخذ مضمين يكي ويولول وأسلم  
البعض الآخر أمره إلى الله فأتلا. «سأأعلمونا الآن وعظمتون  
رقنا ولكن يد الله هي التي ستعرب زوجات القناينة». وما  
كان مكتوباً في الأزل لابد من عقابه. على أنهن قد ظهرت  
طين علامات الدهشة حيناً آخرين بأنهن لن يعاملن بالقسوة  
ولا بالقتل كما فعل بل سيطلقن سراحهن ويرسلن إلى حريرة  
(شرب) مزودات بما يلزمهن من حاجيات الحياة. وأطلق  
إسماعيل أيضاً سراح جماعة من أهل دقة أتركهم القناينة معهم  
في القتال رغم أنهم وأحدهم إلى بلادهم. وي «عزم الزلق»  
نوفهم يوم مشرين أسيراً امام إسماعيل لسألم كم كان عديم  
في هجومهم يوم أمس ثم بقصر أحدهم في اللبالة جواباً على هذا  
السؤال لو عثروا. «كنا حصة الأب وكان الله معنا» فقال لهم

الأمير . وخرجوا إلى رحابكم وشارفكم ومروا لم يبق خيل  
من المراكب استطعت حاربة الكثير منكم وانكم اذا صاحتم  
عند جنودكم إلى عشرة أمثالها في بداية هجومكم فإنه لا يكون  
من حطكم غير مالفينوه أس من القتل والقتل والقتل  
بالنبله عى ، لذا كانوا يجهلون ما هي قوة جيشي ، ان أربة أمثال  
من رأوم في الأسس . هذا قيا هذا الأتي مشر مدصا التي لو  
أطقت عليهم مرة واحدة لأقتلهم من تخوم ثم اغبروهم أيضا  
بأنى اذا أطقت بلنودى الثمان ليقنوا ويستيقوا منهم ما راوا  
فليس في قدرى ان أحول بينهم وماية صدونه فتعزى منازلكم  
وتقطع رقاب سائكم وأقتلكم . صليحكم لذا لن تنصروا إلى  
رحابكم بالخصور لتقدم فروض الطاعة حتى اكفى مؤنة الأسف  
على إهمراق دمائكم من غير جدوى ولقد أمرت خلقى بكونى  
بأن يسلم كلا سكم عبرين فانطلقوا الآف من حصرتى  
أمرأوا غير مفيدى .

وسلت صدرة هذا الخطاب إلى الأسرى الذين صلبهم بعض  
الحراس إلى خارج المسكر فأخذوا سجنهم إلى رحابهم بدون ان  
يظلم أنى

تلك الخلال القارة والصفات الانسية التي استلوا بها



سقطت بينهم فكسرت شوكتهم وتطعت همهم ففتحوا أبواب  
 القصر فظامروا على معارضها ولم يبق بعدان القتال فيه احد  
 ولم يشاهد القساء الاثني كى يثرون فصيحتهن الخاس و نفوس  
 المداويين أو دل نحن بالفرار منهم ونزل بالاعلميت من الحص  
 والعماب ما أنعوه اسماعيل الاسرى القسرين في خطابه لهم يوم  
 أخرجهم من قلعة (دالير) أسرف بالثار فاتهم القنايونها  
 وأحرقوا ألقا من الأعراب ذكورا وناثا وأسروا جندي طفلة  
 واسترقها فحبته والدنيا وغارته عليها فلما وجد الجندي ان لامناس  
 له من القتل مما طعن بها بجنجره ولم يشفق عليها وحدث أن امرأة  
 أمت ابن سعد حبستها لحندى فطعنها مسكين ومضى المريان على  
 خلفه في السادسة عشرة حيلة الطفلة وشيقة القوم إستروا حوزتها  
 وحط من الجبل تتدلى من خيوط مهلاة في وسطها بصدفة واحدة  
 ومرت البكورة والى قدمها منفل طويل يدل حسن صناعته وما  
 فيه من الزخرفة على أنها من بنات الأعيان فلما جرى بها الى  
 اسماعيل باشا وكانت قد بدت منه حركة دهشة والعماب عسده  
 ما وقع طره عليها سألها عن حقيقة أمرها فأجابته بان اسمها  
 صفيه وان والدها من الأسراء فسألها عن اسمها فأجابته : فلق  
 زبير ثم أجمعت القوم على حبسها فلفظ اسماعيل بها وبعد أن

ألبسها رداء جميلا وأعد لها عذما من لحايب القمية وسفدورا  
 لا بأس به من اللصوعات والجلوع لم تبا القمات بهذه المديفة  
 النفيسة اذ كان كل منها السؤل عن والدها والتهاب اليه من غير  
 حيل ولا زفة فهذا الامر جاشها ثم أمر لها بنانة تركبتها وكلف  
 بعض ضياعه بأيسرها سائلة الى أيها وكان قد اتصل بأبيها خبر  
 سبيلها المنهض في جمع من رجائه لاستنقاذها أو ليقى حشفه وحش  
 السير . ومما عر في الطريق إذ التفت حشفة به فرمت بنفسها على  
 صدره المضطرب . وقد خيل له بلدى . ذى هذه أنه يرى حلما  
 لا حقيقة محسوسة فأعده بمن النظر كأنه عشى أن الله لم يدمها  
 اليه ثم لم يلبث أن احمرت عيناه وبسطتا وتقلبا في حبا حبيبا  
 كأنه رأى رؤيا أزعجت واستطرب من أجلها ضجيره وعشق يسدها  
 فزاده فتنطبت جهته وأخذ يمحلق في ابنة بيبه حقة الخائق  
 الصائغ لما دابه من أمرها بسبب ملوآه عليها من الحلل والحلل  
 فبسط سكوت طرول بدت في غلاله على وجه أبنت الأم النفس  
 قل لها بصوت منهج : « ألا ترى بكرى لك دبر أعلا  
 لأن نبيش بين أهلها » فصاحت صغية « واللهى ان ابنتك  
 مابرحت طافرة القبل وما ابن محمد على يائسا إلا يائسا شريف  
 النفس بيل للعبد »

فأعد العجب والاعجاب من لزيد كل ما حذر وانطلق  
 لسانه بالشكر لعدوه على ما عامل به من الكرم وشرف  
 النفس ثم أمر رجاله أن يقتدوا به فيها عواماً وقصد من  
 نوره نحو الأمير المصري قبل ركنيه وألقى سلاحه بين يديه  
 واقتدى الملك من الملك زير لخدم هو طاعته أيضاً أما الملك  
 شلوش وهو الرئيس الأعلى للقبيلة فقد اتخذه ابنه إلى إسماعيل  
 ليخدم له هدية جوائز كرتين ويكتسب منه عدة صعدة أيام.  
 وكان الرسول في الخامسة عشرة أصيب بجرح وهو غافل مع أبيه  
 فقتله إسماعيل بلشاً بالمعاودة والأكرام وأؤكد له أنه لم يأت  
 بحركة عداء ضد الشافعية حتى يستمدوا القطع ثم ألبس المسلمين  
 الذين رضوا بالطاعة كسوتهم تشريفاً بلشاً في منصبهم وفضل  
 للوك الذين أمروا على المسلمين عزلهم من مناصبهم وتخريب  
 دورهم وألقى بهم في حبيس القل والهانة . واستتب النظام  
 والأمن بعد ذلك فبدأ الأهالي بإنشيتهم وأغناصهم إلى ما كانوا  
 واستأنفوا أعمالهم ورأى أهل البلاد الطاعة أن إسماعيل بلشاً إنما  
 جاء لتخليصهم من استبداد الشافعية ومنهم  
 ونسبت البلاد التي خضعت على الطريقة النجدة في مصر إلى  
 مديريتها ومراكز يقوم على تدبير شؤونها المديرون والكتات

الذين تمردوا بعد أن يذكروا من المصريين أو الآشوريين وبقيت  
 بحثت على للتأقية في الواقعة الأخيرة مطروحة في ميدان  
 القتال تحت اسمها بلشا أنهم جعلتهم على التجميع بينها خيفة  
 عليها من الطيور الجارحة. وبالقرب من الحلال (داجر) نزل  
 من الأجرى التي حدثت بجوارها بين للتأقية  
 والمصريين الحركة التي كان من نتائجها مذكورنا الآن للقوانين  
 وعلى مسيرة ساعتين من هذا المكان أقام اسمها بلشا  
 شهرين كاملين للاستراحة من الجمل الخائفة بنهرها وانتظار  
 القوارب المملة للامداد والذخائر وإحضار القربى العاصية  
 ثم عبر النيل ثانيا في اثنين من القوارب فزحف على سائر ملوا  
 بالجهة الجنوبية الشرقية لسمراء (بيروية) حتى لا يمسوا القيل  
 في منرجاته وهذا لطول الشقة وقد حلت المدافع المشددة شكل  
 مدفع بين جبين واشتعلت النشاة لصفة اليمنى صائت يلو بضها  
 بضها وانقسمت القوارب في وادي (أوجول) تبة مضوب الماء  
 محسنة الوصول على الآلة وكان الطريق شاقا فأمثل الأدلا  
 الجنود فيه فأمر اسمها بلشا بجمع كل منهم ١٠٠ جولة مضوية لهم على  
 سوء نيتهم وتحذيرهم من الانحراف في المستقبل عن قصد  
 السيل. وقتلت الجمل تحت اسمها الخفية وكان الجنود لذا ساروا



في الليل خافوا أن يبلغهم النور فيضربوا من دوابهم ففضلوا السير على الأقدام محسكين بأزمته .

وفي أول مارس ١٨٧١ جاءت أخبار على يد قائد تعيد وجود ثلاثة آلاف من الأعداء على مسافة ١٥ فرسخا بلجيات الاملية ونلاء بعد يومين قائد ثلث كلف هذا الخبر الذي أراد اساميل به تليل يتعرف التي الهكها الصب بالأمل في وفرع سر حكمة قرية لا يحتاجون بعدها الى اجتياح العدو في مباركة متتابعة . وكان الباشا على وشك الوصول الى بربر فأرسل للتأخير في قوس أعلاها بظواهر القوة والنظمة بقل جيشه في معاني القتال . فلما شهدوا اختلاف ألوان ملابس الساسكر وتباين اشكالها وجلل تليل وحسن تطعيمها وهيئة الساسكر حليين مختلف الاسلحة ومع كل منهم حليته من التيج وأدوات التمدخين ورؤوا حلة حركات رؤساء الحشد الزركشة ملابسهم بالنصب والألاء سيوفهم في أشعة الشمس فتتهم هذه للتأخر وحلفت عقولهم بقاء الملك نصر الدين والشانغ والفقراء وأصحاب الشأن والمثانة في البلدة لتأييد اساميل ونهتة بالقوز على الشايخية ثم عاهدوه على الطاعة والأعتراف بسيادته . وأعيد للمصريين الى الراحة في تلك الليلة التي وحدوا بها فرق حليتهم من الخلف

تخلوهم ودوابهم والكفاية من اللقمة والتمر والقوة والتمتع  
لظماهم

وفي ١٢ مارس ١٨٣٦ وصل أحد أبناء نمر أمير شندى جلا  
الى اسمايل نحية الملك والحمد فبحث اسمايل اليه ديران اخدي  
ليدعوه الى الحضور بذنه لجاء نمر الى المسكر للمصرى يوم ٢٢  
مارس واكباً هودجا بحمله جلاز وأمله رجلاز يحملان  
الزمام وأمران يد كل منها بحجن أى صا طرقة ذات منبس  
مستدير من الفضة ويحب به حرس مؤلف من عشرين رجلا  
مدهلين يسوق صالها من هذا اللدن الكريم ودرى . وكان  
الملك على سداجة ثيابه مريب النظر حديد البصر وكان يمس  
ثوبين مريضين من القماش اللين النمار منها أبيض والآخر من  
الحرير الهندى وكان في قدميه حذاء حله وعلى رأسه سكة مما  
استص اللوك لبسه في تلك الجلبات وكان يحمل في يده سبعة  
كفولونيش واحبة يده تحوى طلائع وأوراقا كتب عليها  
آيات قرآنية وكان يحمل على كتفه عبادة مما اعتاد اللوك لبسه  
فلما ده هذا الرجل من اسمايل باشا في مظاهر التمدح والكبرياء  
أثنى بحسنه مرارا اشارة الاحترام والطاعة ثم جلس على سجادة  
فرغت له تجاه الأمير المصرى ولم يده ظاهراً وامناً ودفعها الى

وأمره فقال له أياها إنه كان يجب عليه المساعدة بزيارة من  
يلقى الأمر فأجابه الملك : « إلى عبد الله وخدام السطان ومحمد  
على باشا وإسحاق باشا » وبعد انتهاء عشر دقائق في الحديث  
خرج نمر عندما كان غارندو إسحاق باشا حيث دخل التبع  
وقاطع القهوة وكان قد قدم إلى إسحاق بجوابين من الحكرم  
جواد الحبشة فأعدها إسحاق في مقابلها جوازا كريما مطبعا  
وكسرة حبة وخبزة خضراء اللون صلا من الزان الطمام إلى  
كان يولقيه بها كل يوم من حاسة طمأنينة

ولما استأذن الملك في الانصراف وقفل راجعا إلى شنتي  
اجتمع عليه أهلها يصبحون سيحات الفرح وكان النساء يسرن  
على الانضمام والرجال على التليل والخير والجلال يخطرون بسببهم  
ويطرحون بأسوأهم وذهب ديوان الهندى يومئذ إلى شنتي  
ليشترى من أهلها جمالا لينة غيا هووس من الملك بأحلاق  
التيارات للتأثير ووصل عمر بعد ذلك إلى قصره فاستقبلهم فيه  
بمظاهر الأعظام والحكرم وبعد القاءه كاشف شاروش كبير  
زعماء الشانجية ديوان الهندى برغته في تسليم نفسه إليه ، وكان  
قد فراره أمام الجنود المصرية قد لجأ إلى الملك نمر ، فقصده ديوان  
الهندى إليه في حراس مدججين بالأسلحة لدخول شاروش

الخوف وخالفه انك فلما علم ديون المصدق بذلك رمى بأن  
يتقدم اليه بلا حرس ولا سلاح ، يريد بذلك جذب الرجل الى  
جانب القاشا لانه من القنوة والكلمة السموعة بين رجال نيكه  
ولكنه ما وصل الى مكانه حتى أحاط به خمسون من العريان  
فأعزك حالا أن هناك مكيدة وأنه لا محالة داهب فريسة لده  
غير ان شلوتشا دأمنه وسأله متسببا انه سيقم على ولائه  
وسأله التوعد بان يصر عنه اساميل بالقاشا وان لا يقصده بأذى  
معه بذلك ووفى بوعده لئلا استطاع الحصول من مولاه على  
الصلح منه

وانته وجرود العصريين يربو القيت قبائل عربل الكباش  
والسائية والبشارين على الطاعة لاساميل باشا ولكنهم لم يؤدوا  
البقرة التي فرضوا على انفسهم اذابها من البقال والحصى صيد  
اساميل الى عرباته بتد كيرم يهدم وأنشد ما عدهم من القواب  
والخيم وقطعان اللاشية والأغنام عسراً خففت أوزمراء طيقا  
قتلهم التي صالها وكاب نسوف تلك القبائل في اداء تلك  
الطلبات سبباً في الحصول عليها فاضاعة

لرحل الجيش بعد ذلك من بربر متبعا في سيرة ضفاف  
النيل فلما كان اليوم السادس من رحيلهم أي ٩ مايو ١٨٣٦ نزل

على مسلحة فرسخ من شدى البالغ عدد سكانها ١٥٠٠ نفس  
وتجمع أغلب سنار وتختلف أروسة من المساكن فقتلهم أهل  
إحدى القرى هذا بلغ الخبر إلى دملاتهم صاحرا صاعين  
طالبين الانتقام فطاف إسماعيل باشا لمدينة فارس فوجع العقاب  
والتأديب على هجرة القاتل أهلها فلم ترض ساحتان من الشرور في  
تأديبها حتى تحولت إلى كومة رماد وحل تموتون في المائة من  
أهلها ونزل المساكن للنار هجرة الانتقام فقتلوا البقية على تأديب  
هجرى كلها بالخراب والقتل والتهلك الأعراس فحاشد الملك  
ذلك وجاس الباشا النظر في الأمر وأن لا يسبح قبول القضية  
البلدية إلى علم فادح تهاون فيه هذه الأبراء فوسل إسماعيل  
سلطانهم على القصور ليكنج جهاج المنارة فلم يستطع بالرم من  
الجهود التي بذلها على أن الأمير لم يسه به التدبير في الحلة إلا  
الأمر يرد للمدبرين إلى أربابها الذين لم يستمعوا على أحد وفي ١٥  
مايو وصل إلى السكر رجل يدين حامل الثقة نذل سخته على  
حقيقة حاله النفسية وكان يقبع مائتان من الشايقة بالظاهر  
شارب كيرم السابق الذي كاشف ديوان القدي برغبته في تقديم  
الطاعة فقامت في حصرة الأمير المصري انحنى أمامه ولم يده  
ثم أحرب عن أنيته في أن لا يحرم من مزاولة الحروب التي شب

فيها وشاب وقال إنه يحمل ساعة الحرب قدور ما غاص مطامحه  
فصطف اسماعيل عليه وأمر رد أسلحته وتياه إليه ومنحه لقب  
بلوكياشي وعقد له القباضة على مائة وأربعين من الشافعية الذين  
نعموا بأن يكونوا منذ الآن في خدمة مصر وموافين لها  
ولا أمرتها

وفي الساعة الثالثة من ذلك اليوم أطلق للمفتح اسماعيل  
دواب القتل وأطلق ثانيا في الساعة السادسة مساء إشعارا بالرحيل  
ونادي للفرسان جهلهم خدائهم وموتهم للأثومين ونفخ في الخفير  
أمام الراسين - وفي ١١ مايو صاح سكان (والذي يشار) صبيحات  
الخزح والكرب لأن جنودكم المناوبة سلبوا ما عندهم وجلبهم  
صاحبهم اسماعيل بالضرب وأكزمهم برذائلهم وكانت نظر الجيش  
قد وازمت على الساكر لاستمهلها عند أهل الحفاية إذا تزعروا إلى  
ال مقاومة ولكنهم لم يسلأوا إلى هذه الضرورة التي أختارها منها  
الملك (ود حبيب) بإمرأه إلى العادة

وأصدر اسماعيل أمره بالشفقة في معاقبة من يخجل بأمن  
السكان أو يعلق بهم أذى ، فمما كانت ليلة ١١ مايو نصب المصريون  
غيابهم تجاه الحفاية وانتقل الأمير اسماعيل على القود وسواين  
إلى تلك بطليان منه جزيرة من الجبال والقوة فلما كان لجر يوم

٢٦ جاء ود حبيب الى المسكر ومنه القربة للظلمة . وبعد ما  
وصل الى شاطئ النيل جلس متربها على الأرض تحت ظلة من  
الجرح أمسك بالطرفا أربعة من حراسه لقيه حر الشمس  
الشرقة ولبت بانتظر السفينة التي وعد البابا بأرسالها فخذ اليه  
وكان ود حبيب كبير القامة منين الاساطين جميل الظلمة مويب  
الظهر وكان محتفيا بحذاء من الخلد يشه أحذية قدامه المصريين  
وكان شعره مصفورا وسدغرا بالزيت كشمع وكان على يده  
ثوبان من نسيج القطن أحدهما أبيض والآخر أزرق وباطن  
دراعه حجابان من الخلد وبأصابعه خاتم فضة أما سيفه الفضي  
فمككن بحبل وجبل من الباه . ليامثل بين يديه داسمبل لم يكف  
لحظة من الشكر له لارساله لتسجة اليه وقال إنها أول سفينة  
وأها تمر لي على وجه الله بأسجة يضاء . وقد وجه البابا منه  
على أسرار الفلق التي تمزق احشاء سنار ورأى ان هناك ما يبيع  
له الاستقامة بها فلو نحل بحوشه في الساعة الثالثة وربع من مساء  
يوم ٢٧ مايو ١٨٢٦ وفي صباح ٢٨ منه عبر القهر الأبيض من  
مخانة ونض جيش الخلية لمؤلف من ٥٥٠٠ مصري وعربي منهم  
٣٠٠٠ رجل وحصان ثلاثة ألهم البص منه ساحة والمص الآخر  
ركبا على القرب المقوشة أو قطع الاخشاب وكان القطع في

الفتية يستنعمهم جميعاً على الاعتناء بالقبور لطلب القتل ولكن  
تخصم أفضى إلى خسارة ثلاثين رجلاً وما هو عشرين من دولاب  
القتل غرقاً أثناء التزاحم على القبور

أمرنا فيما سبق إلى أن مملكتنا كانت تغلب على جر  
الفتية وأن الانشقاق كان مستعكماً بين جماعاتها وأمرادها  
ونذكر الآن أن أحرارها كانوا يقتلوا صولجان الحكم  
ويستحقون في سبيل تحقيق مقاصد العدل وكل من أسير  
فيهم وأعدم بأسوأ لاية ومثابة على تحقيق مآربهم الأخوان  
محمد عدلان وحسن رجب الذين وصلا أيديهما على بيت الله  
واعتقلا ولي الأمر الشرعي فلما كانت غابرة رجب ١٣٣٩ للهاتفق  
أبريل ١٩٢١ تنازلت الآن نياً انحصار اسماعيل بنشازون  
الساميان حزناً شديداً وأبقنا بهتل ساميها وكاننا إلى هذا  
الحين في شقاق مع بعضها لتكثف معالهما فلما انتهى اليها  
أن القلعة تحت السير وأنه أصبح فيها قلب ترويض أو أدنى  
اتقاع على محاربة العدو القام فتعصبا ثلاثة مدافع في ضاحية يدها  
وأغنيا مدافع غيرها في النهر الأزرق وكانا قد اشترىها من  
الواليك ثم حشدا ٨٠٠٠ مقاتل وجعلت بلدة ( مونا ) مقراً  
لعدلان فينا كان في الأيام الأخيرة نأثما بذاره إفا باتين من



رجل أخيه حسن رجب وعما ( عبد الله تكيت ) و ( اندرس  
 ودمسكندى ) دخلا عليه وتكلموا فاستبشع رجل مدلان  
 هذا القدر ووصفا مديره فالحبان التدل ثم قاتلوا أموان رجب  
 فألقوا بهم حسرة فادعة اضطرتهم الى الخروج هائما على وجه  
 نحو جبل حدود الحشة وقد وصل اليه أثناء ذلك نيا اجتياز  
 جند اسماعيل بنسا للليل الايض . وكان الملك اسيا ورسا  
 لافلا يسى ( بلدى بن طيل ) وكان ضيف الرأى فلما استقى  
 من أمامه الاخوان التماسين كان أول ما أتى به من الاموال  
 الدالة على ضيقه وغياة رأيه ان زلر لپاشا لللاء تراف له بسيادة  
 الدولة الثمانية ويان ذلك أنه قصد الى وادى مدنى لقاء اسماعيل  
 فيه وكان محتيا جوادا كرميا وحوله ٤٠٠ هجان وكان روح القناعة  
 يدين الجسم قوى الاساطين نحاسى اللون ممثلا الوجه جميل  
 الطلقة يناهز الأربعين من عمره وكان يلبس رداء فى شكل قميص  
 من الحرير المقصب سابل الى كاحل القدمين وكانت سكبته من  
 الصوف يلبوها قرنان وكان يحمل سيفاً طويلاً مرصاً ذا مقبض  
 من الفضة عليها نقش اسماعيل قدم اليه أربع أفراس كريمة ما كرمه  
 اسماعيل بتقديم القهورة اليه وأهداء حوادين مطهين وفروا سمور  
 القشرب وكسوة مصرية وشالين كشميريين وسيفا وطنجينين

ووصل الأميران إلى سائر وابل الرسول إليها برح ساعدت  
 لاسماعيل جيشه في مصاف القتال وكانت حكاكى (باني) تدير  
 خلفها منكة الرماح وأتمتع السليخ بقوة هذا الجيش عظيم  
 به من المظاهرات العسكرية التي لم تقع انظارهم لسلامة على مثلها  
 كالملاقاة المباشرة والدافع أثناء المدح من الأسوار إلى التروس  
 ولوسان السورج والأسهم الثلثة أثناء الليل . وبين اسماعيل  
 ملكه سائر شيخا لها ولكن في مدة ملكه بمرث الأرض بيده  
 وحصل مشايخ البلاد والقرى جباة له باعتبار أن الشورى حق له  
 وكان في أيام عزه وصورة يستطيع أن يحمي ثلاثين ألف مقاتل  
 فأصبح منذ هذه الساعة ولا شأن له بالأمور العامة سوى تحصيل  
 الجزية باسم الحكومة المصرية وتأديته إليها كما يحصلها رؤسا  
 ملوك بربر وشدي والحفاية والاستقرار بعد ذلك في دلو  
 لينفخ لشؤون مملكته جالسا على حصير لوط على صكرسي حثير  
 مفكرا في عمده اللبائف وتحصره الشيف مدعنا التبغ في شيله  
 غاب لاجل نفسه من المنة اذا وقع نظره على منديل أبيض  
 أو عليه من امراء القنابل تكرم بها عليه رسالة انكليزي  
 وما استتب الأمر لاسماعيل في العاصمة السلطنة حتى ازل  
 جسده بها واتقوى الحادوة لها وأمر سفائته بالعودة إلى القاهرة

وكان عبد القدر مقبلاً فحمل الشيخ يده من اليأس على الأذن  
بالاحتياط به عظامر الأية والحلال فأحبه إلى طلبة عليا كان  
يوم ٣ يونيو الموافق ثالث شهر ربيع الثاني استقرى طرقات المدينة  
مكتسباً بأحسن كسوة إذ أفرج على عصب برمة من قماش الهند  
وعلى رأسه حكة مستديرة يثنى طرفها الخاضعان بالارتفاع فوق  
الصدفين وليس في عديبه نل كما كان يلبس الأندلسيون وقد  
سبقاً على الذهب والفضة واستطاع جرادا مطبها وعمل برش  
التمام وسار إلى جانب عبد يحمل طلة كبيرة مزخمة وآخر يحمل  
كرسيا على بالقضة ليقف عليه في حالتي الركوب والقرجل وسار  
أمامه وزيران وستة من سواك الميل يحملك كل منهم بكتاب  
جراد جشي حرون قد أسرح بأسرح على بالقضة وتبع الشيخ  
أفواج من الأهلين يصيحون مبهجات الفرح واللبور وبما يسم  
ويحتم مائة فارس مدججين بالأسلحة والخنود المتباركة منكمسة  
الزجاج مستعدة إلى الكف من طرفها الأسفل وعظاما ولحد اما  
للسيلة الأجنبية التي سطت روائها عليهم

ولما وصل التوكب على هذا الترتيب إلى دار الأمير المصري  
وعلم ليدهل السرور عليه بأقامة حرب صورية فأنفصل للآلة  
الموس من التوكب وأعدوا التحية العسكرية ثم انقسموا شطرين

وحف أحدهما على الآخر ثم تقدموا إلى الأمام ممركين رماهم  
في وضع ألقى وواثين بقدم واحدة ثم جلسوا متزيين وسفروا  
أجسامهم بدوراتهم الواسعة العكسيرة ووقفوا بعد ذلك فقدموا  
خطوة واثين ثلثة مرة وطورا يسرة كأنهم يتقون طلمات العدو  
وأخذوا يصبحون صيحات مرعبة يريدون بها تحذير بعضهم  
لبعض من هذه الطلمات يناسكتات السهام تطير من أيديهم  
وتشتبك في القتال. ونام سراح بالسيف بعد ذلك بين الجنود  
فكان للمصارعين يرأسون السيوف فوق رؤوسهم وعطروفت  
بها دقات واثين على القدمين وثبا متردفا ثم يقولون بأنفسهم  
متدقين على صفوف العدو وتراحسون بعد أن يتحصروا به  
العدما عنيفا

وكان اساميل لا يكثر بالمدارك الصورية لشدة إعجابه  
بالملاوك الحقيقية فانه وضع تحت إمرة الحاج حلد فرقة مؤلفة  
من ١٠ فارس ومضيقين وناط مسلحوا به مراقبتها لأغصاع  
أهل السودان . فتمرك هذا الجيش في ١٨ يونيو عامدا (بورجو)  
بالجنوب الغربي فأمر وسافى طريقه بضع مشات من الرجال  
والنساء والأطفال ولا حظ اساميل أن الأسرى والسبيل من  
الشيوخ والأنبات والأطفال فأطلق سراحهم وما تكد يحصل

وكانهم حتى انطلق هؤلاء الساكين يهتفون لشدة الفرح والسرور ودعوا الياسا بصلاح القديرات . وفي ٢٣ يونيو غلب على آثار من كانت لهم يد في جريمة حسن دجيب فقطعت رقبته وكان هذا الرجل لا يزال يحشد الأعران والجنود بأطراف جبال الحقة وتهدد بالعودة الى سنقر فالتزم اسمايل هذه الفرصة للفرار بما وعد به أبناء محمد عدلان من الانتقام لو أنهم فأنفذ ديوان الخدي في أربعمائة من العربان انضم اليهم أبناء القبيل وهما دجيب وادريس وشاويش كبير الشاوية السابق وكان حسن دجيب قد اعتصم مع ٣٠ من أمواته بهضبة جبل في الشمال الشرقي من سنقر والحدود الشمالية للحبشة . وكان خمسون من العربان المصريين قد وصلوا الى سفح هذا الجبل قبل وصول آخرتهم فترحلوا عن جيادهم وأغلوا يتسلقون الجبل على مسعود شديد فيه ظلال الغي حسن دجيب وأمواته يخرج مركزهم بسبب هذه المياعة هزلوا على أن لا ينجوا حياتهم وحيطة فبدأوا بالقاء حبالهم شعرة فضة واعداد حجر كبيرة على الهاجرين وعلى ان العربان انقروا الى الحقة وأطلقوا عليهم في الحبال نارا شديدة من لوهيات البنادق فخرقوا بأذى فذى بدء ثم جمروا فلو لم يرحلوا على العربان فأطلق هؤلاء النار ثانيا عليهم فهزمهم شر هزيمة وقتلوا عشرين

مهم مقابل ثلاثة من المصريين الذين هموا حيل الأعداء وجلبهم  
وسلاحهم وأسروا حسن وجب والثلاثين الذين نعدا للكيدة  
التي دبرها فسلم اسمايل الى ابي القنيل معهما القتال لينصرفا  
فيه على حوالها عشاء بضعة أشهر ثم صدعاه وترك الرأي في  
زميله الى عدل اسمايل وانصافه . وكان كل ماوى الاثنان اليه  
من الاشتراك في البرعة الطمع في قليل من المال وكان هذا  
لأن ملوك البابا لها في ذمة مترجما على القتل قضيا هذه البقية  
يوم ١٢ يوليو ١٨٧١ حوالة على اللبدان لدى تقام به سوق يدره  
سنواذ أرسلوا اليه مكيفين بالأفلال وما كانت تقع انطاووها  
على الممدات للتخذه لأعدائهما حتى طلب كل منهما سيفا يشطع  
به رأس خصه وكلت ( ودمكندي ) جنابيه به لأعدائه قد  
أن اتينا ضعيفا حائقا قدسعه ( تنكيت ) زميله فصاح به : « انت  
إذا امرأة لأرجل ، فكلب الى بيت الجاش ورضى بنذرة حكم  
القضاء فيه لو انطع الاثنان على وجهيهما بحيث تقع وفاة كل  
منهما بين وتدين غرزا في الارض وحي . بعد ذلك بحسبوا  
محدثين من انقلب قدسا في شريحهما بالطارق حتى لو ابرأ من  
فقتلها ومع اغاروا في وضع رأس كما ترغ سارية السينة .  
وكان تنكيت وهو في هذا الوضع لا يزال على قيد الحياة إذ وقع

يده الى جيبه مسلحاً وحرك شعفيه ولصمكتين بنير لسط . أما  
وهمكتهدى فقد ملت قبل زميه مع أن تنفيذ الحكم فيه كان  
يسره في هذا الاحور ولم تسمع صيحة واحد من هذين الصديقين  
الذين تمزق ما بينهما كل تمزق ولت الجلتان مريضتين يومين  
على الانتظار

وكن نجاح دوران لغندى في القبة التي عهد اليه بها باعاً على  
تبريد حبة ثانية فانه خرج يوم ٢٢ أغسطس ١٨٢٨ في ٢٠٠  
عسكري متجها نحو الشمال الشرقي حيث العلم (المايزه) فلما  
الترب من النهر الايض التقى بجبهة من عربان الجالية هناك  
مركبة انجلت عن قتل زعيمهم ونحو ٣٠ رجل وكثير من الاطفال  
والاغتاجروا ٣٠ أغسطس جيء الى الباشا بأحد زعماء القبيلة وهو  
توسا بن عم ملك بربر وخصمه اللدود بتهمة تخريب الاموال  
الخاصة في طاعة مصر على البصيان وأتوا به بنكروا حزب له على  
صواب نهر الانيرة لحكم عليه بالاعدام شقاً ولما أراد للشاعلية  
شد وثاقه لأغذه الى المكان الذي نصبت للشنقة فيه وجا منهم  
أن لا يكفروا أنفسهم مؤونة هذا الاحتياط لا فلا . اذا كنت  
ذاعياً الى لاعدام انكس عد لأنت ساقى له دمت والى  
لا أستطيع لما تتدبعا ولا تأخير ٢١ ثم سار بقدم كاهنة ونفذ فيه

الاعدام من غير أن تحمل صرخته أو يصبح نصيحة ألم أو أسف  
 أسمن جنود الباشا في مقدار البلاد من سكانها بما كانوا يأخذونه  
 من الأسرى ويستخرجونه من القيد سواء ليهم في أسواق  
 النحاسين أو لتكليفهم بالخدمة في السكر للسرى فكان عمالا  
 مفرمة أن تؤثر عراف هذا القتل في الفاتحين أنفسهم . ويان  
 ذلك أن الأمراض الخبيثة كالطيات والدمسطاريا والصفراء  
 لم تلبث أن تفتت بين الجلود حتى مات منهم بها مائة ومرض  
 أثنان في شهر واحد . ولم يكن الجيش يزيد عدده على ٣٠٠٠  
 عسكري فيكون عدد الاسماء منه ٤٠٠ فقط وكان لا يوجد  
 بوله ولا طيبب إذ لا يصح اطلاق هذا الاسم على النصارى  
 والمسيحيين من اليونان والابطاليس الذين كانوا يرتفعون الجيش  
 متعطين الدم والطب وهم لا يدرون من بساطه شيئا . على أن  
 سنة من أولئك الأطباء الزعميين كانوا أول من اتى حظه  
 بذلك الأمراض الهلكة فكان موتهم بها دليلا على عبثهم وبهولهم  
 وكان إنشاء مستشفى لأبوله الرسمى ومعالجتهم تقتضى تدابير  
 ونشأت لا تتفق مع طائع الجلود وعلاجاتهم وكانت غليل والجلل  
 تنفق في كل ساعة بدائل المدينة وضواحيها لتتفنى دميها وتنفى  
 مطروحة على قرارح الطرقت ليفسد الجو بالروائح المحسرة



للتصاعده منها فتنفسى الأوبئة ووردت خطرهما وأحس الجيش  
بعد ذلك بالمرح لثقل الحاصلات والصرف الطويل للأمراض  
للخيشية ولبت على جسامهم الكسلى ولم يجهزوا لقوم سوى  
الأمكن الرطبة التى يستيقظون منها تحت مياه مطرة ليتنازحوا  
على بعض حبات من القدة لا تسمن ولا تنقى من حرم وكان  
فريق منهم قد دأبوا بعض الصناعات كتنطيرى اللانس وسج  
الاقشة وغصيف التمال وبيع القفاكة وكان في دهمهم من هذه  
الصناعات سداد من حور ولكن المشقرين أضربوا عن سبلهم  
شامعين بل ذهبوا الى توبيخه لألفاظ الجارحة لئيم في قلب  
السخرية والتهكم وتداولت الآلة لتأملت كثير من الحاصلات  
لحى تركت لحظ لحظ الرحمة وانقطعت اخبار مصر فلم ترد منها  
اقتصاد كالاستاد وساعت الحائلة العامة للجيش على وجه خيف منه  
أن يقلب المعركة ظهر الجهن وأن يورده شر اللوادر

على ان قامدا وصل في ١٩ ستمبر وعلى يده رسائل تفيد  
لورنحال ابراهيم بنشا من مصر الى السودان ليشد أرواغيه وأنه  
ابتاز دقته. وفي نيل ٢٢ أكتوبر وصل ابراهيم حقيفة في ثلاثين  
من مماليكه. وكان ابراهيم بنشا ينتظر وصول أخيه بعد أسبوع  
وفي اليوم التالى حياه باطلاق واحد وعشرين مدفعيا واستعدادات

الناس كرم بصره ما فتنه من حنة وأمل وكانوا يستعدون أن  
 سفنا سترد من شندى مشحونة بالحبوب والفلزات ولكن شندى  
 كانت أنس حالا من سائر وأكثر منها انتقارا إلى المصالحات  
 القذابة إلا أنهم اعتبروا وجود ظاهر الوعايب بين ظهرانيهم  
 كفيلا بمرورهم من هذه الأرملة فلم يجد أحد منهم يتكلم بها  
 حل بهم من الضحك والسند واستشر ابراهيم بقوم في شخصه  
 فأراد أن يشكرها لهم شكرا محسوسا ملحوسا بن ذرع عليهم  
 الكساي وفتح لهم مطبخاتهم وعرف عليهم من الزاد انغلة  
 مقادير وافرقة من القمح والأرز ليخفف عنهم وطأة الجاعة وأمر  
 نقل المرمى إلى نقطة تبعد عن سائر بيض فرائح غشا عن  
 قلوبهم من جرعا القلعة إلى بحر طاهر وعن التناهي هم عنايتهم  
 على السلم أن تحسنت صحتهم واستقامت أسودم. وكان الرؤساء  
 والمظالم الذين صحبوا ابراهيم يشاقق برحوا القنطرة ومع كل منهم  
 عشرون خادما فلم يبق الموت لأحد منهم أكثر من ثلاثة أو  
 أربعة واستمر ابراهيم إلى القيام على شؤون قومه كغير من أولئك  
 الكبار فان السيو (أسكو) طيبيه الأول ممتن للطريق بحمي  
 شديدة كأمات صيدليه وغزنادر اسماعيل باشا وأقامهم الارتود  
 وأصيب هو نفسه بالمرض على طريق المعوى وتعرضت حياته

الخطر وقتما وكان السليور (ويش) قد رافقه إلى ستار لتقل  
بعض القروض القديمة . وكان على درايته العامة بالمطب رساما  
حائضا فرأى أن الفرصة سانحة بل داعية لاظهار براسته في فن  
المنحرف فبشر هذه الطبيعة مقتضا فيها الأسلوب الملايكي الذي  
أبته مواطنه الطبيب الجنوبي (أسكو) فكان التوفيق رائعه  
لأنه بالرغم من عدم وجود أثر فكينا في صيدلته تمكن من  
معالجة ابراهيم بلسا معالجة أثنائه من الموت ولما دخل هذا  
الأمير في دور النقاهة نصح به بشرة الآف رجل على سبيل الكفاة  
ولم تستطع القلوب للشحرة في مصر بالأزواد والاعلاف  
والخاير والامنة الجديد احتياز غلالات الناجية لم لم يصل  
منها سوى ٣٠ طوبا بين ٢٤ و ٢٧ أكتوبر مع مشورتها على منة  
للليل ثم نقل على متن رجل طول المسافة التي تستطع القلوب  
ايجيازها أما بقية القلوب فخرت بين الصخور وكان من بينها  
قرب عشرين رسم ابراهيم باللسا وفيه أسوال كثيرة وأمشة قيمة  
وعرق ديس هذا القلوب وجميع رجاله فأسف الأمير جد الأسف  
عليه . حينئذ رأى ابراهيم أن سلحداره و ٢٠٠ رجل من حرسه  
قد أمروا لول نوفمبر على منة التهر في نقطة تهمد بمقدنو عرس  
من ستار اشترك مع أخيه في استنفاذ الاجرامات الحربية التي

وصح لها خطة من مقتضاها تقسيم الجيش الى مرتين احدها  
بأمره لسماعيل للزحف على شتات القبل الأزرق الى فردوس  
والاخرى بقيادة ابراهيم للزحف في الاتجاه الجنوبي حتى التيم  
الذي كان الواقع على قبل الأبيض وتقرر أن يعود لسماعيل من  
طريق الجبال الغربية ليزور فيها ماجر الحب بالجبل المروعة  
بالتياميل والامطون في هذه الجبل تلاء عادة مقدارا كبيرا من  
الأكل والمهارج الطبيعية المضافة على هذا الطريق

وتقرر أيضا ان يفتي ابراهيم لسماعيل ويسير الاخوان  
على خطين متوازيين بطول مجرى النهر فييطان الجبلات الشمالية  
وبأخذات بين تلك الجبلات وسائر من استطاع أخذ من  
السودانيين وكان ابراهيم يرى في الاستيلاء على ١٠٠٠٠ منهم أمرا  
حيث ، وتحقيقا لما رسم من تلك الخطة ترك ابراهيم لسماعيل  
وجنوده في مجموعة الراحة بالمصفاة والشرع ينقل جنوده  
في غاروب مسلحة ، وزواوي خفيفة سهلة التحمل برا اذا حالت  
الشلالات دون سيرها فيها ، وانزل هذه الطريقة في أرجاء النهر  
الأبيض وروافده ليرى اذا كان يربط بينه وبين نهر تيجر  
اتصال فيسير في مياهه الى مسافة بعيدة والا عاد من حيث أتى  
وتوقع في الحالة الثانية مروره بکردقان ليصحب منها مع للدد الذي

يرد إليه إلى دلمود قبلاذ جرونو فالتقط المرمى عن طريق  
طرابلس الغرب

ولا مشاحة في أنه لا يجمع بين هذه الفتوحات التوسعة  
والاستكشافات الطبية إلا فوعقن راجع وشجاعة موفورة  
وعزيمة ماضية تكلمح أملها للمصاب ولا تلبأ عاجع من  
المصاب . ولكن كثير ما تفتت المشروعات الخطيرة والاحلام  
الكبيرة مشلولة الحركة اذا وصلت الى ميدان التحقيق وإذا  
التدليس بل ليحد من تطرح بمصلحة كل ابرؤ تلك المشاريع  
حتى انه ليتربس بهم القتر فيلتي في طريقهم نزلقن والعتائر

بدأ ابراهيم بتنفيذ مشروعه يوم ٢٨ صفر ١٢٣٦ الموافق ٥  
ديسمبر ١٨٢١ إذ أخذ في خلعته جملة من الأدلاء والشانخ  
واللوك الثمنيين ومن يهيم بأدى الملك السابق وسار معهم نحو  
النهر الابرس في جيش مؤلف من ١٥٠ جندي فصعدوا في الليل  
الأزرق تحت قيادة اسماعيل وصحبته بعض الشانخ واللوك  
ولى مقدمتهم شاروش أمير الشايقية فلا وجبت في سطر حلية  
مؤلفة من ١٥٠٠ عسكري كان نحو النصف منهم لا يزالون  
مرضى . وفي مساء اليوم الخامس للسفر وقف اسماعيل بجيشه في  
(عديليا) فسلم أن أئمة ابراهيم يسبقه بحيرة بصح سلطات

خرج فقال له أنه أمر دجانه بأن لا يتأهبوا لمرحيل بل الصباح  
حتى لا يخسر الجيشان . وفي منتصف الساعة الثانية بعد ظهر ١١  
وصبح كان جيش إسرائيل يجهز فيا بل قرية (لوى) ارمسا كبيرة  
المزرون بها اشجار ميتة وحشائش جامعة قلدا نارا عند اشتعلت فيها  
واندلع لسان الاله الى الجو فخرج القزح في أقدام المساكرو كانت  
الريح شمالية غربية فساعدت على سرعان الحشر واتساع نطاق  
الحريق حتى قهرت من تلك الاشجار والحشائش ما كان متراكما  
منها على سطح كيلومترين مربعين . وكنت لا أسمع إلا صياح  
الآلم أو الأمر ولا توى إلا المساكرو مدبرين حذر الموت والجحالم  
عائمة على دموعها لا تطيع نداء الآخذين بزملها . بل كانت  
تجري واكفزة عقيمة أحاطها عن متونها ولا تلبث النار ان تحيط  
بها وتلقها . تلك كانت حقائق هذه القتلثة التي ظن في يافىء  
الأمر انها فعل فاعل دام الانتقام لوطته ولكن اتضح فيما بعد  
أن الحريق كان سبباً من اشتعال جذوة نار أدناها بعض المتخلفين  
من التشجيرات الجبلية حينما أراد التدخين مسرت النار منها فكان  
ذلك الحريق للقزح . ويبدو من هذا الحادث وقع في منتصف  
الساعة الأولى بعد الظهر حادث من نوعه أزيد الأيتال في القنات  
ولكنه كان كساجته في سلامة القالية ، ومن ثم سار الجيشان في

طريق من الزين نحو القربى طلب ابراهيم الله ساعته من الزمان  
 بصيد الفيلة فالتقى محابيكه باثنين منها فأحاطوا بهما من كسب ليلتهما  
 رحاس بنادتهم في جملتهما وبصيهما في مقاتلتهما ولقد اطلقوا  
 بنادتهم جميعا في وقت واحد فوثب الطيرانان فجاء لاسن الألم  
 على من شدة القدر فخرج أحدهما من العارين فوق الشلال وهم  
 وقبضا على اثنين آخرين فخرطوسيهما ونظما بهما من فوق الشجار  
 التيق والبيع التي لم تثبت أن اقتلعت من مفارصها ليرجعهما بتأثير  
 الرصاص الذي أصابهما

وقد ١٩ دسر لفظ ابياعيل مسكوكه بين صحري نجا  
 غربة ( الشكرين ) بالطرب الشبالي من عموة جبل يمسكه  
 فيها شعر الثمر مندى والدم والفضاء والاسود والقرودة الخضراء  
 ولقط الزبد وعده البهية داخلية في العالم سائر واسكنها أقرب  
 منها الى بلاد طرود على موحل فساد من طرف ملك هذه البلاد  
 يحصلون للرئيس طلب الطلعة والتمسوع ثم بين من نجب  
 عجلوه خير عبدة الاوثان . وأرسل ابياعيل الى حرب حكمة  
 الملك شلوص أمير الشايقية السابق يدعوه الى التسليم وتقديم  
 جرة من القدرة والاشية فأجابوا بأنهم لا يمكن كون من ذلك  
 ما يفيض من حاجتهم وليس من الحكمة في هذه الحالة تنازلهم

للإجاب عما تتوهم عليه حياتهم . فسير حياتنا اليهم ٣٠٠ حدى  
أسروا منهم ١٦٧ رجلا سافروا الى حجة اساميل بالنا سداً أن نؤمن  
في افعالهم اطراق من الخشب فألرح الأمير عن القساء الطامعات  
في الس منهم واحتضط بالهزيرات ولبثت الجثود ذبح ما في  
البلد من اللاشية ولا سجا الخنازير المحرم أكلها عند السبعين  
ولما دنا اساميل بمحونه في ٢٢ ديسمبر من قرية (كلجر) أرسل  
نظيت الى هذه القرية المطة على سفح الجبل فتسلت الطلبة  
للنحدر الصخري من الجبل وغطت أهل القرية ولكنهم ساروا  
الى الدفاع عن استقلالهم بلبات وبسالة وغيم سولو الجيش  
للصري عند سفح الجبل في الساعة الأولى بعد الظهر فسلق  
كل من الحاج حاد ومركشف الجبل أحدهما من الجانب  
الجبلي والآخر من الجانب الشمالي وكان رجلها لا يريد عدم  
على صبح مثاث فأغصوا ينتشرون في الأرض كلما تقدموا الى  
الامام لحصر القندو . نور أن عزوة الأرض وصعوبة الرقي فيها  
أهدتاً ترتيب الرحف فأخذ السأكراً بسبب صبرهم من حفظ  
توزن أجسامهم فوق الصخور الصلدة يترمون ناعلم ومحاولة  
في مناطقهم فلما وصلوا الى القيوت الأولى وقد أخذ منهم التمس  
والامعاء كل ما أخذ شرعوا بفنلروب البناء اللاني وفنن السير



مهم . أما الرجال فكانوا قد اعتصموا بقمة الجبل بقنن قطع  
 الاخشاب الصمغ والاحجار الكبيرة ولما تلبهوا الى ان المهاجرين  
 قد رجوا بأنفسهم في مضائق لا منفذ لها اسرعوا جميعا نحو  
 تلك المضائق وكثروا خلف الاتجار وأحجار السموان يترهبون  
 بالفرصة القس . وكان اساميل وعد الجنود بان يدفع لهم من كل  
 نفس ذكرا أو التي يحملونها مكافأة مائة ندرهما فرض اسباب  
 فلبث ينتظر النتيجة الحاسمة لتلك الحركة كي يعف على مقدار  
 القيمة ، فلما لم يصل اليه خبر من شيء رأى ان يتسلق الجبل في  
 سبعة من محليته وشرذمة من الأرتزود وكلا يرد سبب هذه  
 المرأة شرمورد ، لأنه ماضم أن رأى جماعة من السودانيين  
 قد بردوا له من كين ، وأخذوا يرتشون فيه وفي رحله سببهم  
 تقتل أحد محليته ولما أيقن البلشوا حرمه خرج الوقت أطلقوا  
 البنادق جنودا جملة من السودانيين وأسرع الذين ألقوا السلاح  
 منهم لتدفد الاحجار والاشخاش بالفرار ومن ورائهم بقية  
 الصابة بعد أن قتل منهم ثلاثة ارباع عددهم يبلغ عدد يقتل من  
 رجال الأمير ١٢ وعدد البحري ٥ فاسف على تقدم أسفا شديدا  
 خصوصا وقد كان بين القتلى كل من حرنداوه وقائضام الأرتزود  
 التي هي حديثا في منصبه

وبلغت عشرة العدر ١٥٠ قتيلًا و ١٢٥ أسيرًا أرسلوا على  
النور إلى عاصمة ستر . ولم يسع من أعدم صوت شكية ولا  
تألم بل لم ينتس أحد من الضحايا ولا له بكلمة وكانت تظهر على  
وجوههم سمات الاستسلام القسوة والقدر . وكانت شعورهم شدة  
وشعاعهم غيظة وغدودهم بلوزة وأثوبهم منبطحة كالألواح وسحقهم  
لا بأس بها وكانوا يسترون عورتهم بأوهام من جلب للامر قد  
ربطت أطرافها بلحم الذي كان كاسيا القدم هذا الطيور . وكان  
الكل منهم مؤثروا من قماش من القطن يسترا ما بين الاصقان  
ومتصف القشور . وكانت بمسامير وأجسادهم على رطل  
ملون وفي شفايف الخيل قطع من التصدير كثرية الشكل  
وآذانهم وأثوبهم قطع خشب ممتدة في ثوب تحت بها  
وفي اليوم التالي أي ٢٢ ديسمبر أوفيت المساكين في الجبلين  
المجاورين لاستقامة الأغبار واستصلاح الأحوال فوجدوا  
الأكراخ غالية من السكان وعثروا على جثث عالقة الارثوود  
وزميلة القدين فحاصه ضحية للمركبة التي سبق لنا فحصها عجلة  
بالطعنات وأعضاء التناسل مستأمة منها . وأراد إسماعيل باشا  
ليل الايتال في بلاد طروغلي الانحاء نحو بعض الجبال القريبة  
فخرج إليها ليل الساعة الخامسة من مبيحة ٢٥ ديسمبر فبعد

معى ست سادات عسكري بالقبوب من مسيل ماء في أرض  
صغيرة تلت في حضونها المشائش وكان السودايون من أهل المهمة  
قد وثرو الأديار فأحرقوا أكواخهم. وجرى اساميل عصية من  
الشاء وحل الجلال عدهين سعيرون وحاول بهذه القوة الأبطال  
في جبل (جاس) فلم يستطع للسير بين أشجار التبق وللبيع إلا  
بشكيد الشاق وتذليل الصعوبات التي صعدن من أحصا تمزق  
ملابس الجنود بأشواك المصون. وقد مرر السامر من هذا  
الطريق واحدا واحدا مع الحذر الشديد من سقوط في الأثوار  
العائرة فلما تمت الأقدام وكان يقع اساميل أحد بحالكه حادلا  
له الخارجية حينئذ كانا سائرين إذ بنطحة صخر جسيمة تخرجت  
على النحدر فأحدث في طريقها الممرك السكين وسقطت به  
في جوف الحائرة. وكان اساميل بالشاعر القصود بهذا الاختداء  
أسهل على الأعداء معرفته فثابه المتارة على ثياب بقية الجنود  
فأمر بالترجل من الخيل لاختفاء الاحبار التي يقبها السودايون  
المسترون بالأشجار فامس إلا لحظة حتى سقط عدى صكبير  
أخذ في طريقه جواردا كرتا فلما وصل اساميل الى السفح انطلق  
مدغيب فاكشبح به القم التي احتصم السودايون بها  
وفي الساعة الأولى بعد زوال ١١ وسبح الهناز للصعرون

وأيضا عصيا بشجيرات كاليردى وأوا فيه شجرة عيط جدمها  
مشرون مزا فغصب حياته فى سهل ولحق الى الخنوب وفى السنة  
هبط من أقرب دوة اليه عدد كبير من الاعداء من غير ان  
يرام احد لكاتف لورق الاشجار وحط الليل وسراد القون  
ودنوا من المعسكر حتى صاروا منه قيد نصف مرمى البندقية  
فرموا نشابهم وصاحوا صيحاتهم للزحمة فاستنصر المصريون بهذا  
التنبيه لئلا جاء اليهم من غير قصد فأخذوا يطلقون البنادق  
وألقوا ثقلان فذائف من مدافعهم فأصيب المصريون بجراح من  
الطلقات لئلا استقروا يدمم وكان الأمير مستمدا على نقطة رجالة  
ثلاثة عديم من عدد العدو بنحو خمس مرات. وكان مبداء اعتبار  
ان الجندى المدبر بهذا الاسم هو من كان على أهبة مستعدة  
للقتل وبناء على هذا البدء كان لا يرى حاجة الى وضع المراسم  
خارج المعسكر فلما ولت تلك الطلقة عدل من واه قرب  
حول الخيم حراسا عديدين يسترقون من يظلمهم صيحة  
يلتونها بعضهم الى حصن فى كل حشر ملاقى ومثل هذا الاحتياط  
كان لا بد منه وليس فيه ما يطمئن فى شجاعة الجنود بل هو واثقها  
من التناجيات والمحاولات الطرآية  
على ان العدو أخذ من كل غابة وجبل حصنا مزود المرام

ولم يتع فيه على من يرويه فلم يسع الأمير نجده هذه الحالة إلا  
 الاوتحال من هذه الاصقاع الوحشية لتفاحة لاستثنائ السيرة  
 الى الخزائن وحاول في ٢٢ ديسمبر أن يأمر بعض السودانيين  
 في جبل (الجوس) فأمر منهم في جولة به ٥٠ سودانيا وحده بهم  
 موتعين كثلا وفي ٢٩ ديسمبر قصد الى القهر متجها نحو الشرق وكان  
 هو والمساكر يتنون أنفسهم بالثور على ما صالح للثرب أو أقل  
 هذا من الله الذي يستقوه من المستضعفات الآسنة فسر على  
 تجارة حرم ١٥ مترا ومن ٩ أملاك كانت تطلع عليه الطريق  
 فرأى ان لزواج حلفتها يضطره الى فتح خندق وقد فتحه فعلا  
 وأرسل اليه الجمال فهدكت تحت أعياء ما تحمله من الاحتمال  
 وكانت للدافع لا يمكن إيراها من هذا الطريق غير الصالح ،  
 وظهر من حال المساكر فتور عنهم بحسبوت من مد يد  
 للمساعدة لا سيما وقد اشتد بهم العطش وشوا من وجود الماء  
 بعد أن رأوا جفاف ذلك السيل حتى أنهم كانوا يحاولون بطنا نزل  
 عندهم يوضع ألواحهم على الرمال الكاسية لقاح ذلك السيل  
 لا تنصاع رطوبته ولا شك في أن من يبلغ به العطش الى هذا  
 الحد لا يرسى تحويل حته الى شأن غير ماهر فيه سواند اسمايل  
 حينما رأى ذلك فزل الى ذلك القاح وأمسك زمام الجمال التي

كانت تسحب الدافع ويث في الأثمنة روح الأمل بهذا الثقل  
 وتعليهم قرب النيل من هذا المكان غربت للدغية ولاح لبعضهم  
 أن يثقب قاع المسيل بأداة منه فإهي الأملحة حتى نسط لآله منه  
 وتناوب المسأكر حيا وروود هذه العين للارتواء بجثها بعد أن  
 كلدوا بموتون مغطا

وما كان أجل وأجل مظهر السرور التي حي بها الحود  
 هذا الاستكشاف للوفى . ثم إن الجيش لما ارتحل من سار  
 وزعت القرب على مسأكره مملوءة بالماء ولكن عددا عظيما من  
 حبوب القمح كان قد تقف تحت ما يحمله من الأعداء الضحية كما أن  
 المسأكر كانوا لا يستطيعون أن يحملوا أكثر مما هو مقرر عليهم  
 حمله من الأسلحة في طرق طريقه طلب منهم اجتيازها بسرعة  
 عظيمة فلم يستطيعوا طمعا الاحتفاظ بتلك القرب حلها . ومع أنه  
 كان من الشاق جدا على الناس الناس طريق له بين أشجار القيق  
 الكثيفة والمشاكن والأشواك التي كانت تخرق الجبال وتندى  
 الأرجل والأيدي والوجوه . وبعد سير طويل وحمل الجيش إلى  
 الضفة اليمنى من النهر عند نقطة تعد عن قرية فاروقى بخمسة  
 فراسخ فاستقبل مسكها ( حسن ) قائم الجنود المصرية . وكان  
 هذا الملك شابا جيلا من قوم ( القويحي ) وكان يلبس ثلامدب

الطرف في الشتاء ويشبه تماماً سود الشمال المرسومة في مقابر متوك طية . وكان يطلق في دعوته أحجية كثيرة فيها آيات قرآنية وكان مثير من سببه من القصة الثالثة وكذا الطوائف التي تحتم بها في أصابعه طما وقع نظر الملك ووزرائه على الباشا زلوا عن دواهم المنظمة وتقدموا نحوه . يخشون الصلابة الاحترام والتنظيم . ولقد حسن اليه حدة جوازين حشنيين كرميين وصالح المانة حارس الذين كانوا يجمعون به صياحهم المتتاد في مثل هذه الظروف واسطفا صانا واحدا جاتين بركة واحدة على الارض متكسبين رماهم الى أسفل فترد القناد المصري ان يشكر لذلك هذا الاستقبال الجليل بأن غير خطة سيره بحيث لا تمر جنوده بالقرى التابعة له فتقع منهم للفساد والتمتدح ضد الاعلين . ولم ينصب اساميل عليه الا بصاحبة ( يالوا ) الواقعة على مسيرة اربع ساعات من بلدة غازوقل . ونصبت لأيام التالية جميعا في معلويزات ين اساميل والملك وشيوخ البلد فأنهت على أن يقدم أهل غازوقل ألف أوقية من الذهب اي ٥٧ كيلو جراما وألفي سوداني من كل مائة جيل وأدى الملك ربع هذه الجرامات و في ٢٧ يناير سنة ١٨٢٩ استوفى السير في الطريق جنوبا واسطر اساميل الى ترك ملطون وعيلم كثيرة وأمنية ومهيات منظمة

ثقة ما يمكن من الجبال لحل هذه الاحتمال وانقرضت مؤخرات  
الدافع الأخرى وحلت بها دواب الثقل فكان هذا الاحتياط  
دليلا على صيرة الطريق وكثرة الخزون فيه . وكان مما نص  
على المساكر في هذه الآوة المتكلم في أنهم سبتكون صفاف  
الليل مرة أخرى ولكنهم رأوا في احتمال تحقق اسمية للنور على  
ساحل القصب غير معوض لهم عن تلك المسألة

واحتضر الجيش في طريقه سبيل ماء جسيم كان جلفا في ذلك  
الوقت يسمى سبيل ( بيا ) وهو الزاج من السابل التي اعترضته  
منذ الزحف قضي في عبوره ست ساعات وكانت الجبال  
لا تستطيع التعرف على صفافه الصخرة ولا ليجناره لانه كان  
كهابة صفاف عشرة اشبار في عرض ثمانين خطوة ولم تكن مع  
الجيش بحال تدافع الحيوات والمساكر على ذلك المبور العنوف  
بالاعطار فكانت تلك الدواب السكينة تخرج على التصدع  
فتجذب منها أدلاءها وتسحق تحتها سحقا . وكان مما زاد في  
اختلال النظام وانقراض التدفوق السقوط في أيدي السودانيين  
الذليلين في القلاع المجاورة لاسيا وأنهم قصروا بلب الداء بالقبض  
على جماعة من التتاليين . وهكذا في هذه المدة عدد وانقرض  
الرجال والحيوانات . وفي اليوم التالي سلك الجيش طريقا يتعد



على طول الروابي من الجبلية الشرقية حتى في طريقه على جثة رجل  
من عربان القيسوم ترك المسكر في طلب شيء من القردة فقتله  
السودانيون شرًا لثمة وطرحوه لرضا في هذا المكان ليراه زملائه  
عند مرورهم به . وكان السودانيون يمتدون بكثرة هدم ومناعة  
موانعهم فاختاروا اليأس أثناء القتل في طروق بل بأنه إذا اجتراً على  
تدنيس قسم حياتهم باحتلاله إياها فلا مفر لهم من تكسير سائيه  
ولكنهم ما كادوا يرون لسماعيل وقد وقف فجاءهم (أكثرو) التالية  
حتى بدلوا من لهجتهم القديمة ومثروا يتنسون القوم ولكنه أنى  
أن يحجزهم إلى عتقهم بل لوسل إليهم الحياض حامد وعمر كلشع  
يحيض من المصريين أنه بطارد في مكاسم الصحرة ويصر  
مشتم واستولى على مائة أسير منهم ذهب بهم الجودالى الأفندى  
المنوطبه محل الحياض ليأخذ عليهم المكافأة للعودة وهي فرض  
أسباني من كل رأس وكان القنطر الأكبر منهم قباء في مستقبل  
التياب يحملان في رقابهم خيطاً رجيماً من الجسد نيطت به جثة  
حيوان يسى في ثمة القوم (بالكنكنة) وكان الكبيرات منهم  
قد دس وجوههم بحجر الثرة الأحمر مسحوقاً ومضافاً إليه شيء  
من النحم . وكانت شموع من مضودة متفائر عديدة غطتها  
فضائل إذا تحركت دعت من جسومهم البعوض فكانها كلة

مصلحة عليها

وأخذ الهاشا بيد المذات لثمة ثانية في الجيرة الشرقي من  
 جبل (أكلرو) الذي كان قد عاد القسودايون اليه ولحقكس هذه  
 الموضع لم تكن جبة القداء لانهم بشوا برسولين من طرفهم  
 للعبارة في الصلح فقال لهم اسبايل ماأني . . . اني أريد منكم  
 بعض البيد لآ أكثر فقدموها لي سر ما وانا لا أعتدى عليكم  
 بأذى واني أرى بلاءكم وعامليل درو عاتكم كوساءكم وأولادكم  
 تقع في بعض بحالة تزداد كل يوم سوءا وأن في مقاومكم  
 هي تخرج عليكم المصائب وتزل بكم العسكولوث مايقين منه  
 مسدري ويحزن مؤلدي فان لم يكن القراكم الذي اقترحوه  
 على غشا وخدعة فأؤا جيما فدا بعد شروق الشمس ليقوموا  
 نحوي بولس الطاعة والاحترام وأنا أعتكم بالظوعنكم جيما .  
 فلما كان اليوم التالي لم يحضر أحد يخرج اسبايل في ٨٠٠ من  
 دجالة ومدافع ثنائتهم فلم يجدوا في بلدة (أكلرو) فخرجوا فاضرم  
 النار في الجبلانة عشرة التي كانت تألف منها فأكلتها حتى جعلتها  
 كوما من الرماد

بلغ الجيش المصري الى أبسد مما كان يري اليه بالقتال  
 والسكة لم يلبح الى شيء مما كان يطمع فيه من مناجم الذهب

فانه لم يشتكف سحبا واحدا ونجاة ملائكة من هذا المكان  
 الكرم ظهور كانت تسوقها مياه السيل . وكان بعض الشايع  
 قد اخبر بلزوم القاميل اصغرت الزمالة احتواء للشدور الذهبية  
 ولكن عمليات النقل التي أجريت هناك أدت الى استكشاف  
 فوات صغيرة منه . وكثيرا ما كانت تخرج الآنية التي يشل فيها  
 الرمل ورسب بقاعها الذهب ملائكة بها أثر بالرة له . وأجريت  
 في غنام الامر تجربة فردا ما حصل انها ستكون الاخرة . وكانت  
 على ملائمة السكندر والعظم . وكان بين الاسرى المحبوس الذين  
 جاء بهم صلاح حامد من عزوة حديثة رئيس قبيلة عليه رداء يعل  
 صدم على أن حمله من أرباب الميديات والمظفر يقول القبا  
 على ملائمة ومحاسنه فكساء عمة من الصوف الامر وأظهره  
 كبحر امن رجايت ثم سأله من الجهة مدروقة ماها أصغرت من  
 غيرها فعبا مندرا إياه بأنه اذا حاول غشه وتغلبه فانه يقطع  
 رأسه بلا حمة عين الشبح عدة جرات عن انها للشهوة بكثرة  
 الذهب فبحث فيها فلم يجد بها أثر فقول الشبح لرشاد اموان  
 القبا صدمه الى تلك المهاد وهي على صفة سبل عميق إذ نزل  
 فيه نازكا جيت على الصفة وعلو بعد زم من وسط التجاوز  
 المستيرة التي في قاع السيل وفي قمته تراب صلب الى الخضرة

مشوهة من خلال شدة ذهب ثم قال إن السودانيين لا يحصلون  
في فصل الأمطار وبعد المطر الكثير والسيل التواميل على أكثر  
من هذا الذهب فحينئذ لا يبيعون إلا لاأخذ من الأثقال في  
بلاد لم يبيع أهلها دابة لجوده وآلوا على أنفسهم إضفاء ثوبهم  
ولستزاف الثوبهم بالملابس المتواضعة الطرية

ولا ريب أن هؤلاء الناس كانوا يملكون الكثير الذي تداوله  
الأسنة بأن كانت تحمل الوزن والبدن والخصائر المختلفة في سنار  
برسم الجيش المصري قد استولى السودانيون عليها وقلوا إعراسها  
لربما عدم حمة وحسن حارسا . وكان إسماعيل قد وصل إلى  
حدود شمال الحبشة فرأى من ضعف قوته بسبب الأمراض  
والحروب ، لا يبيح له الاشتباك في القتال مع أمة غريبة كالأمة  
الحبشية لما نظم سياسي وعسكري قامت منذ أجيال عديدة وكان  
ملوك (مورور) و(موزو) على كثير من القبائل عن الحبشة . وأثرون  
الأشجار التي امتلأت بها رطب أراضينا ، إنها لأقل عدا من  
رجال تلك الأمة وسلاحها ومناجياتها القليلة ، وهذا الأحصاء  
كان يستخير في نفس بطل كرامايل الشوق إلى منازلهم ولكن  
عواصم الحوادث على سنار كان قد رن في سمع حوبها البعيد إذ هنا  
فيها للصبيان واجترأ للمساء على ضبط الجريد الذي يحمل الرسائل

إليه بالأحوال وتشروا الاغتيال السيئة من حالة الجيوش المصرية حتى دسح في اعتقاد الجمهور أنها قد ثبتت عن آخرها فتصكرت في النفوس كواحد من المقدسات وأثارت الأعداء إلى الأعداء بالتأمر قتلوا غاصبة الخانيات وصاحكها بالقوى وعدوا وفرة وتهدوا حلية العاصمة السارية بحسب جام غضبهم طيبا وكفروا قد هموا بذلك من قبل ثم أحجموا عنه عند ما فهم نأ وصول ابراهيم في جيش منهم. وظل شرر الفتنة العامة فأصاب الخفاية وشتمى وكأن القنابة الالهية أرادت ان لا ينجذ أمامه بعد البلاد التي وصل إليها سوى الجبال القائمة بين القوية والحبيشة لحسم من الزحف إلى الامام ولا يقيم طريقا في هذه البلاد. ولما كان من عادة التشايقية اذا بقوا في غرولهم إلى جهة يريدون أن تكون حدا لا يتجاوزونه إلى ما يليه انهمسوا بالأحدم مالا من ملوكة ما وبركبو، هذا المثال جلا ثم يدغفوه بعد الطراف به طيبهم فقد قام للوجود من منهم في الحلة المصرية بسنة ودغفوه إشعارا يلوحهم إلى الذي الامس من رحمتهم

اتقلب ادياويل بجيشه إلى سائر أقطابه بضع مئات من السودانيين الثقيلين في الطريق فلم يجدوا أعاء ابراهيم لأنه لم يستطع معاودة بلدة (الكريين) على أربعة اناجيه وهي هيلج

الدم وكان قد أراد بلزيم من شدة الألم أن يواصل السير في طريقه  
 متجنباً نحو الجحيم القريب ولكن ترجع الفداء به مضاعفاً إليه سواء  
 تأخير المرأة الحوية في جسده إذ كانت تتروح بين ٤٥ و ٤٠  
 درجة أضعافاً مضاعفة على محنته ، فلم يسهم إلا بقرير عودته إلى  
 مصر في أقرب وقت فصنع ابراهيم لأشارتهم من محاولة عبادة  
 فرقة إلى سلعداره وطوس بك الذين وملا بعد مسيرة أربعة  
 عشر يوماً من صفة النيل الأزرق إلى النيل الأبيض ثم عادوا إلى  
 سنار ومنها فاقامة سوداني أسرى . ولم يتجاوز في رحلته بلاد  
 (الشنكة) التي يصطحب مقاتلوها ما لا يملكهم أثناء القتال . ومن عادة  
 أهلها خلق ذوو سهم والكم أثناء الشتاء في الزمان الماضي وليس  
 ملكهم عبادة بقاء عليها ريشة تمام وأبناء الأغنياء الذين لم يملخوا  
 الحلم تطلع لهم الانسان الأربع القوامع في تلك الأسفل لعدم  
 فائدتها في نظرم وتنويعها لفرجه وبحمل كل منهم جرساً صغيراً  
 معلقاً بأسفل الطن كما يجعله لتصبح مطلقاً بأحدى دراهمه وتكس  
 صاؤم الحذر كسخر نصير ويسير الرجل مجرداً من الثياب ويدعى  
 الشيخ في غاية طولها أربعة أقدام يتروح من النساء بقدر ما يمرهن  
 من الأغار ويدعى كل الجسم يوم رواجه طلعن بمنزوجة  
 بالحب كما تدعى للروس ه حسباً لينة حلواتها ونفسي كلاهما

وقته في نصف شهر الآخر ويطلق المرأة التي لا تحب، له في كل  
اطل بتوأمين ويخرج من القديسين كل من يرتاب في ارتباطه مع  
زوجته يردط المشق ليقيه في طرفة أعينها له عالم يمكن  
للماشق ابنه فأله في هذه الحالة لا يمه بأذى إدمن القرد في  
عادتهم نضال حقوق الزوجة من الآله من حوسب التشيخوخة  
عابروم إلى انانهم

على أنه أية فائدة كانت ترجى من بقاء إسماعيل باشا سيداً  
من الاسكندرية سناً فرسخ، لا شك في أنه لم يرس بالقضاء  
في تلك الاصطفاة الثانية ولا تقيع غضب والده عليه وإلا فن غيره  
يكون أحرص على النظم أو برأ بولده إلى حد القطاعة له كأطبيع  
الطمل الصغير والده أسأل والده استدعاءه سيكده على أنه لم  
تد هناك فائدة ترجى من بحث جديد عن مناجم الذهب وعلى  
تصميم صحة ما توالت عليها من الحيات المختلفة وتأثير الجو  
الزعل وريح العريد لحامل لكتابه بذلك يوم ١٨ فبراير ١٨٧٢  
ومع تظاري من دمل التبادل القهي ومد كرفشاروحة تجارب  
التي أجريت بلا جدوى لاستخراج الذهب ومما علقها بالاعتاد  
والذي يحفظ الله أن يصف تارر بخده وأنها به بأنها تحببة  
مرعية لا تترك على أساس من الحقيقة. وقد تحقق هذا القول

كان رسالة اساميل لم تلق في لندن. الأمر لم يزل قائماً للواقعة  
الانتظرة منه لأنه كان قد رشح في اعتقاده وجود القديس القديس  
يريد أن يستعين به على القيام بمشاريعه الكبار. وكان كحكيما  
الحاسين لا يحب الرجوع عن أول حساب عمله ولو كان خطأ  
لما لم يكن يتم مطالعة رسالة اساميل حتى قال : « إنني لا يزال  
في مستقبل العمر وفرة الشباب فمن الواجب علي أن يقتصر أخطائي  
الحروب وتصل الاختلافات القصوى » ولكن اصطفاه اساميل  
من حشيتة والده ألحوا عليه بما دعاه إلى التصريح له بالعودة إلى  
مصر فلما كانت غاية عزم ١٧٢٨ الموافق سنة ١٧٢٢ رحل اساميل  
سند في بضع مئات من رجاله عتقاه أهل شدي في مدينتهم  
بمظهر الاحتفاء والاحترام ولكنهم لم يظهروا مثل هذا الحاس  
في دفع التأخر عليهم من حراية الحرمان دسوا بدعها وهي أنما  
من أهل السودان ٢٠٠٠٠ قرش إسباني أي ١٠٠٠٠٠ قرش عثماني  
اساميل عليهم دفع التأخر ومرب لم يمداد خمسة أيام جاء الملك  
نمر إليه شاكيا هذا التشدد وطلب ما زاد الطول ولا حكان  
هناك لم يحمل اساميل على اسناد هذا التخطي من سداد مطالب  
الحكومة إلى تهاون الشايخ ومكادهم فلم يملك من اظهار غضبه  
وسخطه عليهم فأبدي الملك حقيقة ما يكنه قلبه من الضمان اد



نهم الأمير في خطاه فساد ان يسبح منه ملأه وعصب ولكن  
 يده الشبك يدخل به التبع فيدوت منه حركة أدت الى اصطدام  
 الشبك بحد الك عرقام ثم مصبا مزجرا يطوى في قلبه اسوأ  
 التبات وحذاء في عنقه وتدمره تلك مسد الذي كان الى هذا  
 الحين يرفض كل القراح من ديه عليه بالتزويج الى القرة وساعده  
 على تدبير مقاصده وتنفيذ مكائده . واكثره الامتنان في إعاجبه  
 الاهلين سرا . وجاء ثم كل يوم ليقل يدا يروم قطعا متظاهرا  
 بالود ومصرا القده فكان شأنه شأن سبه القدر الوحشي الذي  
 يس يد ليتحس أوفق الواضع منها المضيا وكفى اسمه  
 في الاصل ( تاثر ) بقتله الأهلون بالمر لا عرفوه فيه من غيرة  
 الوحشية وحب القتل بالأرواح وسفك الدماء

جاء ثم يدعو ليعمل الى وليمة أعدها أكراما له فأجابه الى  
 هذه القصة وترك السفينة التي كان يقيم بها في حشرون من  
 الحصاة وكان ثم قد أقام له قصر من القش ليس به سوى منفذ  
 واحد ليستقبل الأمير فيه أعيان القدة ويختلوا الطعام وجمع وراء  
 هذا القصر كثيرا من القش والفصل وسبقان القرة لطف حيدون  
 القباضا أثناء الزيارة فما استقر القباضا ورجاله في المكان حتى اجتمع  
 الرجال والنساء حوله صائحين متحمسين فالتفتهم ثم فرسة هذه

الجلبة لأشغال القش والكروخ في نحو هنرين موضعاً وعلى  
الرجال الذي معه جميع ما استطاعوا من المواد القابلة للإتهاب  
وألقوها حول الأتون فأندلع لسان اللهب فآلهم سبب للكلاب  
التي أعد لتناول الطعام وتظهر الباشا وأصحابه عدته ويديهم  
السلاح فما ترامت أشباحهم للجزيرين حتى اغرقوا برشقونهم  
بالسهام وبردونهم إلى داخل الأتون وما زالوا بهم حتى ماتوا  
مختنقين وبما كانت عامة الناس تسمي صياحاً أشبه برؤس الصواري  
كما كان نمر يسمي صياحاً مرصاً ويضحك ضحكاً تشعبي  
والانقسام

وفي الجهات الأخرى التي كان الكثيرون من أصحاب  
الباشا متفرجين بها انتهى لظهور السم على رءسهم بعد أن تموا  
بحمرة (أم بابل) وفعل الملك مسعد ملصريه في القاحية الأخرى  
من النيل حيث التفت مقلعه القصر بهم هنا - على أن منهم نجوا  
من العزوة النسيجة بالالتجاء إلى فقير يدي (وه) وفتر في حشة  
على الطيب البيوناقى الناس بأسماعيل باشا وكان الناس يكرهوه  
تقديراً وبغرائه الباشا بهم فجاءوا به إلى عز القلح له استناده جميعاً  
فتناطلها النساء ليجنواها في أكياس حدة يلقونها برءسهن  
اعتقاداً منهن أنها تلي حاليها ثم الأصابة بالأمراض ثم أمدموه

بالطريقة التي كاتب من أكبر المحرمين على اتهامها في اعدام  
السودانيين وهي المظنون . وكان أحد خدم اسماعيل قد نجح من  
القتل فصار توالي المسحور ووافى اليهود بحقيقة المجرم فتم  
هؤلاء في اليوم التالي بمحنة شائنة بين أطلال القصر الذي اقتيل  
فيه وبعد استقرت سائده ونصف جسمه وطمع صدقه بالرمح  
طلعت صكيرة وأبلغ لطيف الى محمد علي باشا ليرجى على اسمه  
وجدا شديدا

وكان لابد من معاقبة المحرمين على ما فعلوه من تلك  
الجريمة الشنيعة ، فأمر محمد علي القردار محمد بك بمعاينتهم معاقبة  
لأرحمة بها . وجدير به قبل الاسترسال في شرح الوسائل التي  
هبت لاداء هذه المهمة ان تشير الى مهمة أخرى كان القردار  
مكلفا بها وهي فتح القلم كردغان . برح القردار مصر المستورة  
هذا الفتح في ١٠٠٠ عسكري منهم ٨٠٠ من العربان والمغاربة  
جنب رحيل اسماعيل باشا عنها ستة أشهر . وكانت القيادة العليا  
لهذا الجيش معقودة لابراهيم باشا ، فأكاد يبلغ ان دقيقة حتى  
اتصل بدرك أخاه ويدرر الوسائل لاحتلال دارفور وهو  
الاحتلال الذي كان دافعا في مهمة الخاصة ، فثبتت ليد بك  
القردار القيادة على ذلك الجيش المؤلف من ٣٥ جندي منهم

عشرة مدافع ترك النيل من خلقه نجاء ( عذاب ) على بصرة  
 فراسخ من جامعة التوبة موفلا في الجثوب من الصحراء حيث  
 ظل وجنوده أسبرها كاملا بلا ماء . فلما وصل إلى قرية ( بارا )  
 احتأا بند أولر التمش إلى الماء أولر التمش إلى النيل . فلقد  
 كان العدو متربصا به للفتاح عن ( الايض ) الواقعة على مسيرة  
 ستة فراسخ من هذا الحصان . وكان فرسانه يلبسون ملابس  
 ملايس العرب في خروجهم مع المسلمين من غارات مديرة  
 لاجيون لما تحصل أطرافها السفلى حصان حديد ساجد إلى الصق  
 ورداء زرد أيضا . وكانوا متسلحين بالرمح والسهام للسنة اتصال  
 والسيوف المبرجة ذات الحدين وكانوا على حذق كامل في الضرب  
 بهذه الأسلحة . أما الطيول فكانت محمية بدروع من الصوف  
 الخفيف كما كانت رؤوسها محمية بنطاء من الخحاس تهيض منه اسلاك  
 حديد . وكان مشاتهم مرانة تقريبا وانما يحملون درلة من جلد  
 وحيد القرن كالشكل المبين في المقتمة . وكان مكانهم من الجيش  
 المؤخرة ينتظرون العدو جثاء على إحدى الأركنين ويمنانهم بهم  
 مسدد . وكانت شعورهم كثة مرسلة إلى الكنتين لتصد ضربات  
 السيف فاشتبهت القرخان في كمال حفيف دل على شدة الهأس  
 وقوة المراس .

وكان عرسان كرددان شديدي الرطابة في حملتهم ياربون  
على التقدم الى الامام ونم المدافع التي نصب القار على رؤوسهم  
واقعد بلغ من بسالتهم وشدة بأسهم أنهم استولوا على مدفع يد  
أن قتلوا القائلين عليه ولكلهم دلائل استندادهم بالمدعوم  
التي دومت شدة حركتهم الحريفة اهلوا عليه صرا بالسيوف وكان  
اورثك المتوحشون جليلهم بالاسلحة النارية يرون باسائهم على  
الجراح التي تصيبهم منها من عير أن يدركوا السر في إسمائهم  
بما سموه سد بالمرواح الغفيرة التي لا يشهدون بها إلا الأثر  
ولقد أحرزهم استعفاء هذا السر على أفعالهم القاصرة .

على ان الحرب كانت لازالي سجالا ولم ترجع كفة طريق  
على عريق حتى أطلقت طليحة كان إطلاقها سماً لرجعها في  
جانب المصريين . ويان ذلك ان شيع قبيلة الجلييات قتل سالبا  
قائد جند كرددان بطلق ناري فلاة هؤلاء بالفرار قتل المصريون  
منهم وسرحوا نحو الأتقين بسا حارة المصريين لم تصبوا  
للأشياء قليل وسقط المصريان مسلكا عبدا جدا ظهرت أفعاله براعتهم  
في القتال . وقيل ثلاث من نائهم في المعركة . وكان محمد بك  
الله نزل مع الهالك لواء بالررض حير قعوده الساكرة في المشجاعة  
والأقدام إذ كان يهاجم الأعداء في مقدمة فرسانه فلما أحرز

للقود وسقطت البلاد في قبضته دخل مدينة الأبيس وحول  
للقاقر . وكان بعض السكان اعتصم بالجبال الجنوبية العزيزة للرام  
وحاصر البعس الآخر إلى دارفور فاصطدم محمد بك للقادر  
منذ هذا الحين إلى اتباع طريقة المناوشات في قتالهم . وكان للفرس  
التي يرى إليه يدك تحصيل للناوم والفرس التي فرضها على  
الأطليين فكانت نتيجة عمله أن ترودت عليه لوقتل السيد  
والجولوي وأعمال الاقشة والسمغ والذهب

واتصل به في الاقشة جبر قتل اسماعيل فهد برمام القيادة  
والحكم إلى حليم بك وتحرك إلى سائر ليعب جام للتضرب على  
أهلها تحقياً لأمنية محمد على باشا وهدمته لروح القتيد مساعدا  
نسه أن لا يصح في هذا السيل أهل من عشرين ألف نفس .  
ولكنه لم يفي الحقيقة أكثر من هذا العدد بشرة آلاف  
نفس أما مدير البرعة ومسلحها الاستكبر فقد جمع حوله شيخ  
القارين وحلول القتال في يسط الأرض فتزحوا كل ممزق ونجا  
بنفسه هاربا إلى دارفور ولم يبق محمد بك للقادر بعد هذا  
الانكسار شيئا من لتطاط الحربية والاساليب الادارية التي  
سنها اسماعيل باشا في هذه البلاد فبقي في أكتوبر ١٨٢٠ على  
تحوكمة كزديان والقوية العليا والقوية السفلى مقلدا العرب في

العموس ومرصيا لها بأسياف القهورة الاستبدادية . وكان جيشه مؤلفا من خمسة مقاتلا استبدلوا فيها مدبيرهم من الحيرة للثقة بحسب النظام الجديد . وكان في اللفة التي قضوا بها بالسودان بحروب الانظار من كردغان الى سنار ومن سنار الى شندى فلو كان الأرض من ورائه حرايا بابا وأشلاء القنبل متفرة في كل مكان وكان لا يعطي الأمان للأهلين إلا إذا اعزم عن الشهوض للانتقام فإذا أعطاه عاد إليها جرونت سهم الى لوطاتهم وزادوا أهلهم كعادتهم

وذهب محمد بك القنبدار يوما ليزور القنبدار (ره) ويشكر له إيواء المصريين في بيته . واصكراه متواضع ودافعه عنهم يوم مدحجه اللفة بها كاد يصل الى حفة دار عبد الشيخ حتى رضى بسهم في ظهره . أولو دله ان يرد به . ولكن لا صابة لم تكن فاقه غسائف مملوكة الأهل بالشدق والصرامة فانه ما كان يقع منهم أحدي قبضة الحامية طملا كان او شبيها إلا ودميت منته . أما النساء فقد أرسلن الى القاهرة به ان سمعت أذرعهن بحسب لرق والاستعداد ولم ينج من هذا المصم أحد حتى بنات الملوك اللاتي كن في الصور آتاهن برغل في ثياب القهرة والجلال ومعين مشية الصلف والذل . وما ولحت انظار محمد علي على

هذه الخطايا البشرية المرافقة في قيود الليل واللاهية حتى أخذته  
الرائحة بين ماعدن الى مواعظهم ووزج على أسرتهن للتكررة  
بعض أكياس بين لئال، ولكن مالمية الشعب بها صكتر اذا  
صناع في مقابلته المناء ونعيم اللال في خلال الاستقلال ١

تأمر المقتدر لول نفسه ولا سماعيل أسرى روجته وكل هذا التار  
مدلا لأن هذا لا يبر كان حديرا بل تكون خاتمة غير التي فيها  
كان شيئا شجاعا جميل النطاسة تؤهبه الصمعات الجيدة والنشم  
المالية لاسرلا صنوب المجد والنشم يستغل زاهر ولم تكن  
الملة العسكرية التي تهبنا على لولها بما ذكرته من أسرار الماعلية  
من الآكلر الموحية لاسرلا ونحميده فقد كان لسماعيل في عصره  
الشباب أي في الوقت الذي يؤثر أبناء اللوك به القفرح للسلهى  
والشهوات على الاستيقاظ من نومهم مترعجين بصوت للصير  
السرى . وكان برج نفسه في السلوك المظلمة ولا يربأ بالسير  
في الطرق الممروقة بالمخاشس والادغال المشاككة التي تفرق  
اللاس والمهد ، ولا بالتهاب النار في القباب ، ولا بالزول في  
الأحواض العميقة ، ولا بأحيال الأمراض الروماتية والجرع والبطش،  
ولا باحتضام الحيوانات الضارية ولا ريب في أنه كان جم النعاعة  
والهد حتى تمكن من جوب الآفاق العميقة والغسق بلاد



نسكها شعوب متوحشة ميالة بفطرتها الى القتال ، وس فتح بلاد ساحتها ، فرسها في أشهر تعد على الأصابع والاستيلاء على اثني عشر ألفا ومملكة يمين صير لا يتجاوز عنده أرضة آلاف عسكري قد حرموا كل شيء حق المؤد الغذائية . وكان الوحيد الذي استطاع بما توافر له من تلك الزباج ان يرفع عما شرعا على مرتفعات الجبال التي لم يستطع الفرس ولا الرومانيون الوصول اليها

ولقد اشترك بعض الأوربيين في أعمال هذه الحرب وتكبدوا مشاقها فلا أحد منهم إلا وقد انطلق لسانه قائلا على اسبائيل والخرى أخلاقه الكريمة . وجدت أن أعدم وهو الايطالي ( فردنان ) الرحلة لشاعر أصيب بجروح على أثر حى شديدة نزلت ، فأحاطه بالكشأ بجميع وسائل الاسعاف التي توافرت فيه فكان طيبه الخامس يلزمه ليل نهار وطعامه من خاصة طعامه . والام المضاعفة والقراسة على خدمته وجعل تحت تصرفه المال الكبير وشاغره ما كان عنده من الخياب القليلة . وقد أدرك أنه يميل فطرته الى العالي ويتأثر بأهل شيء . فأنعم عليه بشرائف الرتب وقصص دسه ليربته ومواساته بكله الطيب وتلك السيرة ( فرديريك كالير ) من مدينة كانت بفرنسا

مصرنا لحكومته في مصر وكان ملكاً بالولاية واسع الاحلام  
على الشؤون الجنراية وكان ياتى اراهم باشا واسماعيل باشا  
بالشايين للامرين له فأحدى اراهم بمصر ذات مرة آكة زواية  
مدنية كانت تأخذ هذه السرور فلما أخطرت به جرائيت الصلاة  
وكان اسماعيل ياتر بنفسه في مدينة سنار تدرب مدنيته فكان  
بصر الطافح بملحة وحضور ذهن عدي التالـ وكثيرا ما كان  
يطلب اليه الروسي كالير يقول له : « من الواجب ان تملوا  
مثل القيام على تدبير الدمع ، تحف اذا يجوز في المراكلة  
فأذا شاء حسن الطالع أو شؤمه ان تكون الاخيرين بمدة فناء  
الجيش كله فلا أهل من ان نجد وسيلة لادقاع عن أنفسنا وما  
افترق القائد والرحالة عن نفسها إلا وقد لوطط لهاها بروابط  
للودة الوثيقة التي لا انفصام لها



## البلد العاشر

بلاد مورو

من ١٨٢٣ إلى ١٨٢٩

قام المصريون بأفريقية العليا في القرن التاسع عشر بمثل ما  
قام الآسيانيون في القرن الخامس عشر بجزر أمريكا إذ استولوا  
على أنظار متتالية الأطراف لم تغطها من عمل ردم أجنبية  
وأخضعوها لحكمهم على أن تطلع لهم جرة من السل. ولقد  
كانوا يملكون نصف القيل فاسح هذا النهر منذ ذلك اليوم لا  
يروي أرضا لا تترف بيادتهم وتسلطهم. ولقد عنت لهم ولحقب  
البلاد في أنظار الترتيب العليا والسفلى وهي البلاد التي لم تر منذ غارة  
ثبوز جيش دهباس الجيوش القوقازية الأصل فأخذت تهكي  
حررتها واستقلالها ولكن محبا عليا كان قد أعاد الدولة المصرية  
بهذا الفتح الذين إلى سابق مجدها في عهد القراطة بالسيف  
ثم المالك إلى المالك تحت حكمه وبغيرته الدالة البصيرة  
الصلحة بعل من أحوال تلك الممالك بأحوال غيرها. وكان

أشياء يجهل القراءة والكتابة فتسلها على امرأة أندلية من نساء  
حرمه وكانت أمكولة تحتد إلى آمد بيد فاقم لها السلطان  
والقمح الذي على أثر ما جد من الروابط بينه وأوراق الشؤون  
العلمية والإدارية وتجرّد من الخيالات والأوهام لينف على حقائق  
الأمور وشؤون السياسة وعمل أهل أقطه على الاستنساخ بصرى  
المدنية الحديثة وخلق المادى التي سبها نابليون بيد القرب على  
العالم القسري فكان كأنه الوكيل الذي عهد إليه ذلك القائد  
العظيم بتنفيذ وصيته

ولكن من أجل المصارح لتوفير المساواة العامة وتكثير  
الخيرات تمسك الزراعة والتجارة التي يخرجه نهوسهما على  
النظام الرى بواسطة النيل وكانت القمح والفنونا التي توزع  
على الأمانى مباحة الخصبة لم اندثرت أكلوها ودرأت مطلقها  
ولم تلتد بالآثربة وسدت بها فلم يكتف محمد على بترسيم هذا القمح  
وإصلاحها بل زاد في عددها بحفر ترع جديدة، وأتت المواصلات  
بالقنوات وأقام للعامل لشكرى السكر وصناعة ملح الجلود ووضع  
آلوس المصنل لمزولة الصنائع المختلفة ووزع ١٥٠٠ بيتان من  
القريسين ونجزم على الأقاليم المسيرة لأيقاف الناس على أسود  
الأساليب الزراعية والإطلاعهم على الأسرار المؤدية إلى مضاعفة

حاصلاتهم وغيرات الرسم وجلب الثلاثة ( جومل ) الى مصر  
لنظن ذ القننة الطرية النامة وتولى الهندس ( ليتان ) ادارة  
المنافع السومية وأنشأ للطبيب ( كلوت ) قننى سمي فيها بمد  
( كلوت بك ) مدرسة الطب والمراحة ثم انشئت مستشفيات  
عديدة بعضها ثابت وبعضها نقل الى عدهشوارها الى أطباء فرنسيين  
برأسه الدكتور ( دوساب ) والدكتور ( لايت ) وعهد الى  
( هامون ) بأدارة مدرسة الطب القبطى والى فرنسية وهى  
الآنسة ( جوت ) بأدارة مدرسة الولادة وارسلت دهره الشجيبة  
الغربية والشمالية الى العاصمة الفرنسية لتتلمذ الاطلاع على اسرار  
التقسيم فأنقذتهم برأسه الثلاثة ( جومل ) تلك البنة الثلاثة  
المروفة بالارسانية المصرية التى أخذت الوطن المصرى غائصة  
جلية بأن تزلزل في أطرافه ما حصده بفرقا من تصور العلم  
والعرفان

وكان محمد على يرى في تنظيم الجديدة اول عنصر من عناصر  
القوة وانما كانت تنزع منه مصالح جهة غامضة بالقرالى ( البفرون )  
و ( بوايه ) والسكرولوى ( جردان ) والضابط الاميراطورى  
( سيف ) السى الآن سليمان باشا القيام بتلك المهمة . وكان  
( أوكشاف جوزيف اتلم سيف ) ابن دجل مته طعن القتل

وكانت مدينة ليون في أول أبريل سنة ١٧٨٧ وكانت جده نسج  
 وحده في القوة البدنية حتى لقبوا على يد ملوكها السيد بالتركي .  
 وتوفي والده في سنة ١٧٨٧ أي في الوقت الذي كانت لابنه فيه  
 اليد اليسرى في حوز الجنود المصرية على الحدود التركية سهول  
 سوريا وكان سيف وهو في ربحان الشاب شديد ليل إلى الجندية  
 فذهب إلى ترويلون سنة ١٨٠٤ وانظم في سلك البحرية برتبة  
 أسيران ، وبعد خمس سنوات تحصلها في هذه الرتبة رقي إلى  
 رتبة صف جناب بالطاير الثاني من الدرجة البحرية . وشغل  
 حياً بأعمال الجنود الفرنسية البحرية فترك متن البحر لمن الأرض  
 وحسب أن في مدة خدمته لبحرية قد حارب أثناء البحر الأبيض  
 المتوسط والحكم خصمات الأوقيانوس فوصل إلى حزام  
 ( الاتيل ) ثم عاد إلى أوروبا وفتراته التي جرح أصابها من  
 طلبة أثناء واقعة ( الطرف الآخر ) حينما التحمت إحدى السفن  
 الانكليزية بالسفينة الفرنسية التي كان هو أحد بحريها . واتفق  
 بعد ذلك أن دعا عدو له إلى البارورة فقتله بها حتى قتله لهذا  
 السبب فيما شديداً فأراد أن يسرى هذا القم منه بالرحمة والاختزال  
 واختلاف المناظر بقتله في أول أسره إلى إيطاليا حيث عرض  
 نفسه للخدمة كجندي بسيط بالطاير السادس للخيالة ، وهو

الطاجور الذي كان يفرده الكولونيل (بجرل) وكان مطلوبا من الفرنسيين ان يتدبروا على مناورات جيش المشاة ، فتعرب عليها بأرشاد صب ضابط في الخدمة ضيق بعد قليل مطالبا عسكريا نظرا الى ما أبداه من البراعة والكفاءة فيها . ولحق نوما طليا في الدفعة (الرين) سنة ١٨٠٩ وقتل جواده من تحتة في ذلك اليوم . وأصابه صار نلوي وثلاث طينات بالسيف فالتفت له العدو مشغلا بهذه الجراح وبقي في أسره الى سنة ١٨١١ حيث ظفك عقاله فعاد وعين برتبة بلوك امين . وفي حرب الروسية التي للبدنة أخرى وقام أثناء الانسحاب من موسكو برعاية ضابط المراسلة المشاوشال (ني) وفي معركة (بيررنا) قتل جواده من تحتة ، وفي ملعة (برزد) جرح بطلنة دمع ضيق وكيل جوراشي ثم صار ضابط المراسلة للمعالي (بريه) سنة ١٨١١ فاستولى على نقطة لساكر القنوقا منضواحي (لاقرته سورأوب) على مسافة ثلاثة فراسخ من طلائع الفرنسيين . وولي الى رتبة البوزباشي قتل جواده من تحتة في معركة (مريش) . وكان على وشك ان يقتله نابليون رتبة جديدة حينما لفظت الامبراطورية نفسها الأخير . حين مضوا في لوكان حرب المشاوشال (جروش) لخضر حروب ثلاثة يوم (سان جرر) . وكان صريح للباوة حر

الفكر ثم يستطع بعد والفة ( وارلو ) ان يخفى ما يحتاج إليه من الليل الى باوليون والأسف عليه ، فكان ذلك حاكما دون قبوله في الحرم للكوني . ولما لم يذو أية جهة يولي وجهه منظره عاكف غلب رئيسه المحبوب من مياذين القتال تفرغ للرعاية في سهل ( جروتل ) واحسن للبول العسكرية كانت تنطب في نفسه على البول الاقتصادية . وإذا أصبحت أبواب العسكرية في فرنسا مغلقة في وجهه فقد هدأه على التوجه ان فارس التي كانت حكومتها آخذة باصلاح جيوشها وتنظيمها على النمط الاوربي وكانت مصر في الطريق التي يسلكها قد عاب الى فارس تقدمه بعض طائفيه الى محمد علي بلشا بالترح عليه الخدمة في الجيش المصري . فرائ له هذا الاقتراح ورضى به . فقال له الرمال : عليك ان تصح النجاح في مهنتك نصب عليك ومنها تكن نظامك فان كرمي سيمون عليها غرضا عظيما . وكانت المهمة للوكولة اليه بحفوفة بالصعوبات لا يظلم العفول بالارهم القاسية التي كانت سائدة في الشرق على ذلك العهد . فاس ذلك به احتك بتقاربات شديدة بعد ملئ في أول محل لاصلاح الجندية ، او كانت نتيجة شروعه فيه أن تارت ثائرة الجند لحامسوا الرالى بضعة أيام وقد بقل النابط سيف كل ما عند من حيق لتتطلب على تلك العاصب



ومر من حياته الخطر فسيبوا لها ما كان له من النساء ونصب  
 من الكيكة ولكنه نكس عنها شجاعته وعطرو ذهنه  
 وكان فائزاً ذات يوم بتدريب الجند فإذا برصاصة أطلقت  
 صوته ولاست رأسه فلم يسأ بها ولم يتحرك له نبض نسفا  
 فقال لساكره : انكم لأنجيله لا تصحون تسيداً لائق ولا  
 إسابة الرمي فلهذا اني بادفكم وأطلقوا منها النار . فأطلقوا  
 النار جميعاً ولكنه لم يسمع وصار منها تصفر بجوار أذنه . ومنذ  
 هذا الوقت لم الحامون وللتسرون السكوت والامتنال .  
 فأتم تدريبهم وتعليمهم ثلاث سنوات . وكان ابراهيم باشا فخر  
 مجد غير فخور بالامتنال لأنه كان يفقد الأوامر كأداة معفه .  
 وما لبثت بعد النظام الجديد أن أتت له الفرص لتطبيق ما تعلمناه  
 من الدلائل العسكرية . فان بلاد اليونان كانت في ذلك الوقت  
 قائمة على القدم وساق طالب بحريتها وتشد استقلالها للدنود  
 وكان محمود باشا الذي وأبناءه بمصر ينازع محمداً علياً سولطان  
 الحكم عليها فترك بمفك موسوه تدبيره جموع الرعايا اليونانيين  
 يتسلبون على جيشه القزاق من عشرين ألف مقاتل ويزنوا بغيره  
 ففراهم بسبب ذلك خزي عظيم لم يشأ ان يوش بده فانتصر  
 يده وكانت أودية ( تساليا ) و ( مورة ) وهضابها قد جعلت

يحدث ازمة جيوش حماية وكانت أسوار الارحيل تتقاذف  
بها ثلاثه أساطيل تركية دمرها اليونانيون تدميرا جيل أبواب  
الاحتانة القلية مفتوحة لهم على مصرعها . واشتد المرح على  
السلطان فرأى ان يستعج بالفرار ففرقه وأعدم بأسلوا عظمهم  
شركة فأرسل الى محمد علي باشا بطريرخ ١٤ جلدى الأول سنة  
١٢٣٩ الموافق ١٦ يناير سنة ١٨٢٤ فرماتا شاعانيا استهله بحمل  
الامراء به ثم اختتمه بتكليفه بالذهاب الى صوره ليعيد فيها الصلاة  
على ان تكون بعد إحد ثورتهم داخله في ولايته فلم يحسن يرماني  
على وصول هذا الرمان حتى أبلغ محمد علي الى القربان ما تفضلت  
الأنتم الشاعانية عليه من توجيه عبارات التناء والتكليف بتلك  
الهمة فاصح الأرمي يوسف برغوص أحد القوزادير فلهذه  
القيارات حتى صاح داعيا . « فليصع للول جل وعلا جميع نيجان  
الارض على رأسك . لك لا هل لك وسعير به ولك لبطل  
أفريقية و يوتارنها »

وفي ١٠ يوليو سنة ١٨٢٤ تحرك من الاسكندرية أسطول  
مؤلف من ٣٠ سفينة مصرية عربية ومائة سفينة تحلة ترمع أعلام  
الأمم الاجنبية إلا الأمة الفرنسية وكانت تقل الاوطا للثلاثة  
والاربعة والخامسة والسادسة من الثلاثة البظمة بحسب النظام

الجديدة وأربعة بلوكات من فرقة هندسة الطريق و ٢٠٠٠٠ جولة تحت إمرة حسن بك ومدايع القصار واليدان وكان الاسطول تحت إمرة إسحاق كفا الحبل الأخضر والجيش تحت قيادة إبراهيم باشا وكانت أسود سفن القفل فادحة جدا لأن أصحابها إنما كانوا يجهزونهم بها يرمون إلى الضاربة ولو أن العدو سيطر عليها كلها أو بعضها لما وجد إربابها من محكماتهم مساعدة على استخلاصها. ولهذا ذكر وافي القود للمساعدة مع الحكومة المصرية أن السبعة عشر ألف عسكري الذين تكفل إرباب تلك السفن ينقلهم إلى موره من المسافرين المشاوير للمطالين

تعد إبراهيم بهذا الاسطول إلى رودس لينضم فيها إلى فبطان باشا ويدير معه أمر الانارة على موره بعد حرق القود في البحر على اليونان وكانت هذه الخطة راجعة في نظر إبراهيم ومكتمول نجاحها لأنها أقر من تكاليف استكلاء لاسيا وأن فرقاطات البحرية الثمانية وسبعها كان لابد لها يقتصر هذا المبلغ من القود على السفن اليونانية التي لم تكن يدها سوى سفينة واحدة كبيرة تحتوي ثلاثين مدعا من الباري الصغير الذي لا يؤثر فناءه إذا انفقت تأثيرا اتصالا في السفن الكبيرة

فلما حُصِّلَ يوم ١٥ أغسطس أُحرق الأدميرال اليوناني  
(ميوليس) في قتال جريء سافس سفينته هائلة حربية من  
طراز الكورفيت تحمل ٢٤ مدفعاً وسفيتين أخريين من طراز  
القرطاجة تحمل إحداهما ٣٢ مدفعاً والأخرى ١٤ واستولى على  
عشرين سفينة ثقيلة، وبلغ الأبطان باشا على أثر هذه الموقعة إلى  
البحر (هانكوك) وأمددته فيها يوم ٢٦ أغسطس الأسطول  
المصري الذي كان الناس حيناً ومنعت انظارهم عليه يسيرون بهمال  
منظر سعة ودقة مناوولته ومرعة سيره. وحُصِّلَ أغلب هذه  
السفن حديث الصنع والقليل من قديمها دم ترمياً حسناً. وكانت  
سفن الحربية منها ذات ٢٤ مدفعاً تحمل سرعة سيرها في الساعة  
ميلين. ولم يحدث منذ هبت ناز الحرب أن جمعت قوات حربية  
بهذا القدر.

على أن الأدميرال ميوليس لم يكن يعتمد في أسطوله على  
أكثر من خمسين سفينة شراعية ومع هذا فكان لا يفتنى  
المجروح بها على قوة تقويته لفرقا عظيماً من ذلك له فيه مستجر  
سير نحو ستمائة لمدو خمس مرات (وهي ذلوق صغيرة بمختلفة  
عمر أو قاذبة اللهب) فلما وضع نظره الثمانيون طياً احترام قطع  
شديد هذه الجحوش يمحون بسعاتهم على الشواطيء، وانعد (كاتاريس)

السرية الأتقية التي في مقدمة حراسته في إحدى ثلثمائة الفرافطة  
المطلة على الأميرال فأحرلها بهيس النار وأحترقت سمن أخرى على  
هذا المثال فلم يبق إلا الاسطول المتبقي إلا القطار نحو مائة  
التيوديل تاركها إبراهيم وسط النيران يتلقى عبء اليهود التي  
يملأها اليونانيون لا حرك للفرز وحيا وأي الأعداء أن القناتيين  
قد تحفروا عنه وأنه لا يستطيع مقاومة العدو وحده أكر الانسحاب  
إلى جزيرة كريد . وكان الأميرال ميوليس ينتظره تنجها  
فقلوبه مناوشة ضيقة أدت إلى استيلائه على أهل الفرافطة من  
سنة وخمس تقاليد تعمل ألقى مكري دسرى على أن إبراهيم  
تكون من إنداك سنة في مودة ( بوتروس ) بتخليج ( كو ) صا  
إلى دوس حيث تمون بلژن والفتاخر ثم أوصل في البحر قسدا  
إلى قديا وكان الغنايط سيف ( وند بدل اسمه عند إسلامه باسم  
سليمان بك ) يرتقى إبراهيم ، قاط هذا به القهاب إلى دوس  
القيام فيها مأهلا القليلة ولكن لم تحص أيام حتى استدعاء إليه  
وجلى الامتحان في مياه ( مود ) وعلم الأميرال ( ميوليس ) بوجدها  
محاول منع بليوش المصرية تأيلا من القزول إلى البحر إلا أن  
بحرته إبراهيم الاشتباك مع المصريين في معركة ما لم تدفع لهم  
مطلوبهم وتأخرت أجورهم فانتظر أن يعود لهذا السب إلى

( نابولي دي رومانيا ) على أمل ان يرمى دجانه بفتح ملهم وحسب  
في ذلك زمنا قديماً القتيبة ابراهيم الرسو بالثو اعلى ، الذي تانية  
ولد دساً يوم ٥ دجب ١٢٤٠ ، الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٣٥ بميتا .  
( مودون )

وكان هذا النوع النجح هو وموقع ( كودون ) قد بقيا يده  
الأثرية وكان بها على نحو انهم قد تروى وافر من التزين لتعذر حصرها  
على الأعداء . وكان الأميرال لياميل الجليل الأعصر قد أصابه  
في رودس مرض فتوى وهو قائد الى الاسكندرية . وكان شيخاً  
ملها بكل شيء من حقائق العلوم إلا حقائق علم البحر فقد كان  
حاذقاً ببقا في التكلام بمئات أهل الشمال ونو كان ملداً بمن البحر  
لوفر على البحرية المصرية المشاورة القادرة التي سبق التكلام عليها  
وفي غد اليوم الذي وصل ابراهيم فيه الى مودون عهد الى  
فرواده القتلية بترتيب للمسكرات وإقامة الخازن والمستودعات  
ثم استصحب فصيلة من المشاة وأخرى من الفرسان ليستطيع  
نفسه الأماكن القريبة من ( ملقارس ) . وعاد في اليوم ذاته الى  
المسكر بجولة فطمان من الأعتام والاشية استولى عليها خلال  
ذلك الاستطلاع . و ١١ دجب الموافق ٢ مارس خرج ي مرفقة  
بمشاورة من لجنود لأمداد بلدة ( كودون ) التي كان يساقها

أهل مودة بمساوشتهم فتسكن بصيوفه ومدافعه، من كسر كل مقاومة حاولوا بها إطفاء سيرة - وفي اليوم الثالث اتصل بالقلعة وطرد المدافعين من حولها. وقد عسكر المصريون تحت أسوارها أسبوعاً مدواً في خلالها بالحاح التزم جميع الأجزاء الحربية التي وجهها إليهم الشياخ اليونانيون. وبعد أن عجز حامية هذه للموقع ودوده بما فوق حاجته من المؤن والمشتبة التي غنتها في غرواته عاد إلى مركز القيادة العامة، وما لبث في ست ساعات حتى خرج قائداً للأعمال بد' الحق (مودة) وجس نهض الأعداء في جهة من مواضعها - وفي في هذا الاستطلاع إلى ٣ شعبان للوافق ٢٠ مارس - وفي اليوم التالي أرسل الطابورين الثالث والرابع ومعهما معدات المسار بقيادة خورشيد بك وحسين بك المحاصرة فافترقوا في أم يشأ المشاة أن يتركها بيد الأعداء خلفه في الوقت الذي حول على تنفيذ مشروعاته الحربية فيه

ونرا كفى اليونانيون نتيجة هذا الموضع ولكن أودعوا عثمان آغا ويوسف آغا بالذوت بها جنهم فالحقتهم الحزينة الأولى حلة طيبهم ولم يتسكن القواد اليونانيون من الشدة بانفسهم مع بعض من رجالهم إلا نتجهم الأحوال وتكبدت المصائب. فمما يلفتون قد تحصل طريق منهم وأسر القربين الآخر وحلوت الحادية

تعمرو حركتهم فخرجت لمهاجمة الجنود المصرية ولكنها حينما  
شهدت ملحق بهم أسرعت بالعودة الى المدينة بعد أن خسرت  
حياة ثالثة من القتل والجرح والأسرى. وانضم المصريون هذه  
الفرصة فقتلوا أثر المصوريين وحرائيم في أمتعتهم حتى وصلوا  
بهم الى القنطرة الممتدة فوق خنادقهم والموسسة الى مدينتهم  
وفي ٥ شعبان الموافق ٢٥ مارس لم يحصل إبراهيم باشا من  
(مورون) ياني جيتة فاستحضر مساء أمام الاسوار التي نيط  
الدفاع عنها بالسكيت البيوتاني (نيكولاؤس). وكان قد صدق  
الأمر الى جميع الجنود الموجودة في موره بالتمركز لأمداد  
(ناتارس) فاخذ إبراهيم بعد هذه الجنود كلها تولدوت مستعينا  
على ذلك بالأودط الثلاث التي كانت تحت قيادة مصطفى آغا  
وحنان آغا وسيدان آغا وكان السكيت (ياني) من الضباط الذين  
تولدوا بجيوشهم من انحاء موره قد جاء بجيش مؤلف من  
٣٥٠٠ مقاتل فزحف الأمير المصري عليه ودفق شمله من أول  
وجهة. ودفق (ياني) نفسه في أسره مع غيره من الأسرى الكثيرين  
وحاولت الحامية مرورا لتفريق بقية نيكولاؤس الذي كان  
البرناتايروب التولدوت ثعمرة يمززون بانه ظفر الموضع ،  
ولسكن هذه السائر لم تجد قسما أسلحتها جيتا من القتل



والخذلان لا - بما وثق وضع نيكولاؤس في واحدة منها أسيرا في  
هذه العشرين . وكان كثيرا ما يستمر . لحاس هؤلاء . مع سون  
العدو ويضيقه حتى أسوار المدينة واتقى لأحدم ان اتقى أمر  
يوناني هارب فأدركه عند باب المدينة . جنبه اليه من هتاته قبل  
ان يدخل منه ورمى عنه بسيفه

وفي أول رمضان الموافق ١٩ إبريل وحدث أخبار باحتشاش  
ثمة آلاف يوناني في ثلاث قرى وجبلين والقيوب على مسيرة ١٢  
كيلومترا من المصحسك . لحار ابراهيم فورا في ٣٠ من الشتاء  
و ٤٠٠ من قبرسان فاصداً الى الجبلين . وكان يفرد القربان بنفسه  
وصعد الى مر آغا وكربك عثمان بهاجنة الجبلين من حينين  
متفاوتين واتمس بلنى الجنود على القرى الثلاث . فلما فرجت  
الجيش اليونانية في جميع مواقعها في كن واحد قتلت في مقاومتها  
وأسر وقتل الكثيرون من رجالها . وكان من الاسرى ( واسيل  
هاكلارا . وحق ) و ( نيكولاؤس ) لثاني مرة والعصايتن  
( سافجو ) . ومن القتل السكان ( اكريس ) والسكان ( دغليل )  
اليونانيات ومن المرحى ( كور - تايروليس ) أخو ( ملوكو  
يونانيس ) . ولقد نكح أسير الولا أن حله بصروجالة بيد  
من سلطان اعظم على حياته . وصرب ابراهيم بعد ذلك كل المحصول

والاستحكامات فلم يبق منها حبر على حبر ثم عاد الى محبته في  
١٩ رمضان للوافق ٢ مايو سنة ١٨٩٠

وقد اهتم في الاستيلاء على ناقلون الجديدة الاستيلاء على  
ناقلون القديجة فأتخذ الى البناء مرساه من طريق البحر وظهروا  
من الأورطة الثالثة بقيادة حسين بك . وكانت مهمة هذه الجنود  
التصديق على المدينة بتشييد المصار عليها . فلما أنس بوقايب  
ناقلون الجديدة من زملاتهم في القديجة سبلا الى التسليم وانضم  
بجمود مختلطة من البحرة فوصل هذا المدد الى الجزيرة لوالقصر  
التي عند مدخل الوددة وهي المروحة بجزيرة (سككيرا) وبها  
نصبت حجة بطريقات لما أكسها الحاسرين ومرتة أعمالهم وانفذت  
إبراهيم من غارها عامر السكولون سليلان بك (سيف) بقلعها  
بحرا الى (مودون) في طابور من الأورطة السابعة للشاة  
وان يمشي البحر منها الى تلك الجزيرة للاستيلاء عليها لحشد  
الأمير الى البراني (تسامادوس) ثم مندان الأسطول المصير التي  
وصل من (تابولي) مائتي بحري و نزل بهم في جزيرة سفكيتريا التي  
كان قد ذهب فيها قبله كل من (مفر وكر داتوس) و (ستلغروس)  
و (سالميس) و (التيوستاروس) و (انسو كريس) و ١٠٠ من  
أصولهم فلما كانت الساعة الخامسة عشرة نزل سليلان الى ساحل

البحريرة غيرة بالرم من اهل دساس المدو ثم رعب رسالة على  
 الحصون والبطاريات وأخذها. وهكذا ساء يوم اليونانيين بمصرهم بأنة  
 الحراب والبعث غرة في البحر، ولم ينج منهم إلا الذين أحسنوا  
 للسباحة فوصلوا إلى الألبان الذين اليونانية الرابعة بالفرودة وما  
 كادت هذه السفن ترى الغضب الشديد الذي حل يبريتها حتى  
 سقطت سبال الراسي لسحو بتمسها تحت صبح الطللام غنبت  
 ست منها وسقطت اثنتان في أسر الاسطول العناني وهو عائد  
 إلى مودون . وقتل في هذه المركبة البطل (تسامدوس) صد أن  
 حلول جنا الاسترناو على القتال ولم يستطع ابنه انتاعه بالانتجاع  
 إلى سفينة، وقتل فيها ايضا الضابط (تروكرس) والكتاب  
 الكونت اليموني (ستاروزا) الذي استاز بالبراعة في عالي  
 التحرير والسياسة أما (ستافروس) و (سامينيس) الذين لجأوا  
 إلى لبة كنيسة صبرة كانت منحفة مستودعا للذخائر فهدفوا لها  
 نفا حتى لا يسلهاها إلى المدومالفرن ومث على (أنايوستافوس)  
 في مفادة القتل وكانت للمركبة من مبتدأها إلى غنتها حامية  
 الزمليس بمنقوة بالتمصر القزير المصري وفيها أربع ساجان ياك  
 (الكونتوان سيف) بطلنة في خلفه

ووصل بالأدميرال (ميرليس) في ٢٢ رمضان الموافق ١١

مايو نيا موت (ناساندوس) فأقسم أن يثأره فشرأ شرعة سعة  
 ظمدا إلى بفلورين فلما صار منها على مسافة بضعة أميال علم في  
 مساء ١٢ مايو بوجود نصف الأسطول المصري واسيا أمام  
 مودون فأنجبه نحوه فلما لاحظ أنه أشباح السفن المصرية تجرد  
 من أسطولها ست حركات فصارحت حتى دلت من هذه السفن  
 وأحرقت بطلوها فرماحة وسفيتين من نوع الكورفيت وثلاث  
 سفن أخرى صغيرة ودغمت الرمح السفن المتفرقة نحو بقية  
 الأسطول فاحترقت سفينة كبيرة وفرماحة وثلاث عشرة سفينة  
 من نوع البريك انفست الواحدة بعد الأخرى وانصابت نار  
 الطريق بالمدينة فاحرقها ثم بمستودعات البارود فسقطها وانهار  
 جزء من بناء الحصون على السواحل

على أن هذا القدر لم يف بل أراد من اتهم مدينة ناظرين  
 وذلك الحصار عنها قد وصل الليل منتصف ليلة ذلك اليوم ٣٠٠٠  
 يوقن فاشتقوا على المنود المصرية. وكانت هذه متأهبة لقتالهم  
 بل وللهجوم عليهم وقد حلت ملاء عليهم حلات منبهة أدت إلى  
 الفتنك بسدد بالغ منهم وفرار الباقين تحت جنح الظلام وانضم  
 المصورون هذه الفرصة لقتالهم الأسطول فزحفوا على طلائع  
 حسن الشدى وحسين بك الذين يطمح بمجودها حرمة

البحيرة فقولوا بارحاية أقعدتهم الصواب فألقى معهم معه  
في البحيرة وعاد البعض الآخر إلى الطاية تحت النظام واثنى  
الفرسان المصريون أنهم قتلوا منهم جماعة كثيرة. أما الباقون فقد  
تواروا عن الأنظار حول ميدان القتال فقبض عليهم في الليل  
في اليوم التالي ، فكان بينهم الكاتب (حاجي غريسي) و (جورج  
مفروميخليس) بن بزيك و (ان بولويو) لومسان مظيف  
( تريوليا) واثنان من الكبار رجال الدين وأسقف مودون .

وهذا الأسقف هو الذي حرم من الثورة على دمج ملسي ناغاري  
من آخرهم بعد تسليمهم وطاقهم في سنة ١٨٢١ ولوسل منهم  
إلى جزيرة سفيكيرا الشيوخ والرعي والنساء والأطفال لم يوتروا  
بها جموعا فكان هذا ان يلقى هذا الجائر القليل الكند جزاء  
عاجت يدها ثمذيا وقتلاه ولكن ابراهيم أكفى بغيره وثروته  
وابتاعه في أسره . وفي ٢٥ ومضان الموافق ١٣ مايو استولى اليأس  
على المصريون في ناغاري القديمة وناغاري الجديدة فبعث  
الاولون في ٢٥ ومضلل الموافق ١٣ مايو والآخرون في ٢٨  
ومضان الموافق ١٦ مايو وغدا من وجرهم يتسبون من الأمل  
فأمنهم الأمير على حياتهم بالشروط الآتية

أولا قسم الحامية للواقع مع مانجه من للواقع والاسلحة

والتحارب الى القوسدان المصري الذي يهيئ لهذا القوس وذلك  
في اليوم الذي تكون السفن الاوروبية فيه على تمام الأوبة تحتل  
الخطود اليونانية

ثانيا - تأخذ الحامية مهلتها وأنتصتها وتلقى سلاحها  
ثالثا - تتوزع في سفن تجارية نسوة وانكليزية تتنقل الى  
(كالامانا)

رابعا - يرحل من رابضة السفينة (أملات) والسفينة  
المنسوبة الراسية في الليتا بأن يتفعلوا بحراسة الحامية اليونانية كل  
كالامانا دفعا لكل خطر منها

خامسا - يوجب القتال من الجانبين منذ الآن  
• وكان تسليم تاغارين أول مثال لمدينة أعدها للسلمون من  
اليونانيين منذ هذه القودة • وقد تبطلت بعد سماع تسليمها الحمم  
وهبطت حرارة الحاس وحل اليأس في القوس على الأمل  
وذاعت الأنباء بأن جيشا من الأسبوعين مؤلفا من ٨٠٠  
مقاتل يرحل على (جويسيا) وآخر من ٢٠٠٠٠ ألباني بحاصر  
(ميسولونقي) فحجر الرومليون جميعا عنه عزوتهم للذود عن  
جيانس بلادم وكان (ندوس) و (زاجيس) من الحرب الناشئ  
قد حادوا من متاعها الاغنيارى وأخذوا يدسان المسائل منذ

الحكومة ويعدلان على قلبها ذبي أهل مودة قتلى إبراهيم باشا  
منذ حضرة المريد اليهم وميهم (تيودوروس كولوكوترويس)  
واستطاع مجلس الشيوخ ان يقتضى من حقه فى الانتقام والقضى  
حرما على كيان الأمة وتوقيها لأنها فأخرج هذا القس الشقيق  
من دير كان مستقلا به فى جزيرة (هيدرا) وما أطلق سراحه حتى  
ظهر أمام (لازاروس كوندورويس) وخاطبه بقوله : « أسأت  
الى وطنى ولكن مغفلة مودة عم الدين خدعتى . لقد صككت  
كشجرة بأسفة فى طريق عام فكان السابك وأطعمهم من اللصوص  
يختصمون الراحة فى غلى كذا ثارت اللصوص ويمتقون بالخصاى  
جبايتهم للملوءة بالمروقات والظالم ولكننى سأعرف كيف  
أزalic منذ الآن خطائى . وسوف تسبح اليونان الكثير حتى  
غير ان مودة كولوكوترويس الى ميدان العمل لم تتر فى  
الروس ما كان مستظرا لها من الجاس . والفا تولد فيها بسس القنى .  
منه فانه لم يلبث أن ول . وكان أهل مودة إدارات فى كذا لهم  
أصوات غير البيشى العصى تعرفت جوعهم وانتلاف بأرض  
والملح أقتدبهم فظهر من حركاتهم أن حماسهم السابق قد حل محل  
الجزع والتمرد . فقد احتشدت عدالتهم الجديدة فوق جبال  
(كوندورونيا) على مسيرة ١٢ ساعة من مودون فزحف إبراهيم

عليها فاحتل قرية (سكرملبا) في ١٥ شوال الموافق ٢ يونيو  
ولم ينتظر وصول المدد اليه بل تقدم الى الامام في عرسا حسي  
بك ومحمد علي آغا ورشوان آغا . وكان المدد قد تحصن بالكام  
ثم بدأ الباشا أن يصير عليه بل تسبق الجبل في عرفة من القرمان  
حتى وصل إلى إحدى قمة الترفية وأمر القرائين الآخرين بالعمل  
في الآن نفسه من الجبلية للتجالية واتفق أن وصل جيش للشاة  
مددا فالتهم سبعة «واوير» من ال اراهم وحصة الى ورشوان  
آغا وحسن بك وصيق الخلق على القيونانيين من كل مكان  
وفي جميع الزوايا التي يحتلونها فاجعلوا عنها للاعتصام بأحصنة  
(سنياني) لا متقادوم فيها أنها أسع من تلك لفصد المصريون الى  
أقها برتبة واحدة وهم وابل الرصاص ووجود الأرض غلبا بقتوا  
الى القصة حاصروا المعقل والامتنعكمات وقتلوا كل من تعرض  
لهم بضارعة ما فكان منهم القاص الشهير (شعيلوس) والقبطان  
(أمازيوس ميكال) بوثمة قيرها من الضباط و «مقاتل» وجدت  
أن حريا أسمة عبد الله أنكسرت حرته بعد أن قتلها ستتم  
البيوتان فأسك عناق حدم سابع وحاول أن يطرحه أرضا  
فبسط الاسنان ما وتدهورا على متعذر الجبل حتى بلغنا الى سفحه  
من غير أن يترك أحدهما الآخر وحناك أخرج المصري مدته



وحررها عن حصه ، فقام ابراهيم بانثا على القود إلى دية  
 الجلوس ولم يترك رسالة حصه لعل في حقه بيارات المدح والثناء  
 وفي اليوم التالي سار ابراهيم في مرسته لاستطلاع مضايق  
 (كنتمورنيا) المشهورة بحزونها وأوعارها ونرى (أركانيا)  
 و (أندرونسيا) ثم عاد إلى صفال شهر (بليروس) في قصر  
 (نيزا) وكان عند أسر بضم مئات وخم عشرة آلاف رأس من  
 الماشية. وظهر على آغا ورشوان آغا وحسين بك بالمد في سهل  
 (توكس) فلهذا منه يستوحى أسيرا وثمانين حولوا وإرمائة  
 نور. وفي آخر ٢٢ شوال الموافق ٩ يونيو تقدم ابراهيم نحو الموقع  
 الخطير الذي احتله منذ مساء اليوم السابق بغزة (ميتايس)  
 القس (قلشاس) في ١٥ مقاتلات فضت مساعلات في مراك  
 عنيب ألقى إلى انسحاب ٥٠٠ مصحوري يواني في أوجرة  
 (أوروباس) وتفرق بقية الجوش في جهات شتى غير أن ٣٠  
 من الأركانيين نهبوا في مراكزهم حول القس قلشاس وظلوا  
 يحاربون صعب حتى أوشى الليل سدها ولبت زعيمهم قتلوه بعد  
 جماعة من المصريين أخذوا ٤ من حكمل جهة فأعجب ابراهيم  
 بسلاله وثباته فقال له : يا يا قلشاس سلم نفسك وألقي سلاحك  
 ولك لن أؤذئك على حياتك فأجاب القس : لا أريد منك عفوا

ولا يشك على حيال أن أنوت بلاد اليرغان كلها فلو يجب أن  
 أنوت في سبيل الفخج عنها ، ثم دافع حتى مات هو وأصحابه  
 واتصل إبراهيم في ٢٥ شوال للولفق ١٢ يونيو أن يترو  
 بك امير ( مايا ) بسل هو ستة ضباط لحشد ٥٠٠٠ يوناني  
 في كالاماتا وانه شرح برم لاورطا ، فنصد ابراهيم اليها فورا في  
 ثلاثة ملو اير من المشاة وفرقة من القربا ، فلم يمكنه ايرانيون  
 يصرون بالجلود المصرية حتى ولوا الادبار فأرسلت فصيلة من  
 الجند لاختفاء أنوهم فأدركتهم وحتت منهم ٤٠٠ ، وجلا أما  
 بترو بك فنقد سدا الى النهاية فكان هذا الشيخ تشجاع يكي بكاء  
 شديدا حينما انظر الى ترك هذا الواقع واتجه ابراهيم صوب  
 ( كيتريا ) حيث يسكن هذا الزعيم فبث فيها الخراب كما خرب  
 في الوقت نفسه في كالاماتا جهات ( جاني ) و ( أرموروس )  
 و ( مندوشوس ) و ( آجا ) وسائر القرى والمقصود الموجودة  
 بذلك الاقليم . وحدث ان لاذ أنقا يوناني بدير ( غلامبليا )  
 القائم على قمة اسدى الآكام خاستولى ابراهيم عليها في ٢٦  
 شوال المرافق ١٣ يونيو ودمى لغنائق رجال حاميتها ، وفي أول القصد  
 للرافق ١٨ يونيو برح هذه الجهة التي تنازعت بقوال اتصالات  
 المصريين فاسدا الى ( تريولسا ) عاصمة شبه جزيرة مورده

بعض الجيش بأقليم أركايا والبعض الآخر بأقليم (ليونداري) غربي الجبلشان في طرقة يما قرشي (كالاميا) و (بولانكي) وبين سليمان بك وحسين بك ووشوران أمانا بحرسون ابراهيم خانا في زحمة وسورده في الجبال تصعدوا معه فيها للاستطلاع وكانت (كولوكونروبس) و (أبزاكو) قد تحصنا عدة جبل (توكي خورا) لمقاومة الجيش المصري لشدة قسا كالليل ووقع ابراهيم على يائهما فاقبض عليهما وهرمهما ودمر استحكاماتهما وبعث ٥٠٠ من رجالها ومنهم الجيش إلى أبرأكو وانضم ابراهيم إلى شاي الساء إلى معظم جيشه وكان ابراهيم في ٦ ذوالقعدة الموافق ١٩ يونيو يستعد للحول في سهل ليونداري فلم أن الأعداء يصبون له كبا فأتخذ إليهم فسيطة للحول إليهم وتمتد ياتهم البينة ، وكان كولوكونروبس قد اتخذ له في القنطاطية مولعا متينا ولكن جنوده لم تحمرا على البقاء فيه خوفا من يدهم ابراهيم بشكل بهم فأوقفت هاربة في الحقل وأصبح الطريق بذلك مفتحا للجيش المصري فغسل هذا الجيش في مقدمته ابراهيم في ٦ ذوالقعدة الموافق ٢٢ يونيو مدينة تريبوليتا بعد أن هجرها سكانها ولشيطوا بها النار وترادى الحقل من كولوكونروبس وابته (جينوس) و الحنري (كوليروبس)

ان عاد القون من عدم سيصطر الأساكر الى القنطرة عكسها الى  
حرجهم يستحقونه على عدم اسرور نريونينها الصغها من مقاومة  
المعجوم للتتظر . وما ذكروه في رسالتهم معلوم . . . انت هذه  
الأسور لا لائدة لانها وإثا قاتنها للمدو جرية ادا سئول  
على اللدية لانداده على الدفاع عنها وتمكنه بواسطتها من البقاء  
في قلب شبه جزيرة مود . فقدموا لك الأسور المؤكدة صروها  
ولسحب النساء والاطفال والشيوخ الى مرتقات ( كورين )  
ولا يبقى الا الصالحون لخلق السلاح . فأجاب الحزب على هذه  
التمنيحة الحكيدة قائلا : دكلا لي نهدم الأسور في الواجب  
تشبيد أسوار جديدة . وهو رد لأزائد له من صدق القنطر وده  
ذلك الحوادث الساكة على عباد ماتفسه من الرأي

لمستمن ابراهيم الى هذه لانتصارات السريه بلأودر نغم ملشاق  
التي تكبدها جيشه في الواقع الاحيرة الاسيلا . على ناهول  
ذي رومانيا فترك جيشا احتياطيا قويا في ماصمة مود و تحرك  
يوم ٨ ذي القعدة الموافق ٢٥ يونيو في جيش مؤلف من ٥٠٠  
فارس والورقة مشاة برزها متفان حاديان ومدفع علوب  
فوصل في اليوم الثالث من زحفه الى سهل (أوجوس) فأحرق  
مافيه من أشجار الزيتون ثم انقض على ملواجين ناهول التي

كانت في حراسة ٠ إنسلاقي ٠ و ٣٠ من المساكين غير النظاميين  
 المشهورين باسم القبايلكار قترامى الجيتان بالمراس وتصح ابراهيم  
 حركة رجعية دام بها استعواج المدو الى طريق تريبوليتا  
 تألفت هذه الخدمة الى استيلائه على جميع موانئه وذلك ٤٥٠  
 من رجاله واستألف السير متحذلا بالثام العسكرية ومعه  
 الأمري اللديدون فلم يفرقه أحد وشكا جنوده في اثناء فلت  
 البعض منهم عطشا ولما عاد في الثالث عشر من شهر دى القعدة  
 الموافق ٣ يونيو الى عاصمة مورده اهتم تدبير الوسائل لأقامة  
 مساكركه بها اتناه تشتهه طعمه ودرس ما لم يستطع الاعمال أن  
 يحصلوه ويدرسه من الملبوب وقلة على النيل التي تحمها منهم  
 الى المازن وللتبريد على ولكي يضمن للملأ الذين قاموا بهذه  
 الاعمال الأانس على حياتهم بث الثرافم حولهم للاستطلاع  
 وكان كثير التردد على النقط الأمية منها للاستطلاع ومنه ظنا  
 كان يوم ٢٠ القعدة الموافق ٧ يوليو أوائل في المدخل بتقدير  
 بضعة مراسخ ومعه سليلان بث قائد الأوطلة السادسة وفرقة  
 فرسان حسين بك للاستحراذ على الطراحيث اللازمة لطعن  
 الملبوب المتصورة . وكان ٨٠٠٠ يوناني محتجبين في الجبال على  
 مسافة ساعة واحدة من تريبوليتا ظمأ أجبروا للمصريين

تحصنوا باستحكاماتهم وقلاعهم منقسمين الى اربع فرق استعصمت كل فرقة بأكمة عالية . فحمل ابراهيم جيوشه صفوة استطيلة متلاحمة وهم بها عليهم فأمر ابن الحرابي استولى على استحكاماتهم جميعا وغسر للصرير أودية عساكر فيمات ٢٨٢ منهم وكانت إمدادات آتية من ناحية قرية (مالا) أحدثهم مجرد ابراهيم فصيلة من المشاة وشرفعة من الفرسان مؤلفة من ٢٠ فارسا قطعت هذه الشرفعة الصغيرة على تلك الامدادات . على أن ابراهيم لم يتمكن من اصابة العرس الذي جاء من أجله ، فقصده في اليوم التالي بحيث الصير الى تلك الجهة نفسها حيث تقضى ألبما في نعيم الطواحين التي غربها اليونانيون ووضع على حراسها الأورطة الخالصة ثم عاد الى تريبوليسا وكان ١٥٠ من مشاة سليم بك مسكرين بالنقط الأمدية تحت قيادة كوكبك عثمان أغا قائد الطابور الأول فأراد في ٢٨ القصد الموافق ١٥ يوليو فرقة من الفرسان المنتظمة متعبة عليهم لخطوات سريعة فرتب هذا القائد جيشه في مربع أكثر ملاحمة من الذي كان فيه ودلوا بين القريتين مثال خرج منه ، لئلا تقوى اليونانيون في القصد ، مدسحا بانتظام تام نحو الطواحين ولحق خبر هذا الهجوم الى ابراهيم فأراد ان يضع حدا للمناوشات الحربية التي من عزمه

حارسل فصيله من القرساق ومنها جنود من الألبانيي كانوا قد  
وصلوا حديثا من قنديا فاعتصم البيوتيون بالجبال . ولكن ذلك  
الجيش المتحرك كان قد عقد ثقة على عدم الرجوع الى مسكره  
إلا إذا أعمل السلاح الذي يده . فاطلق داثبا على البحث من  
البدو محرلا جميع ما صادفه في طريقه من لساكن ولم يرجع فخلا  
الى مسكره إلا بعد أن قتل ٥١٣ يونانيا وأسر ٣٤٥ ونجم ٧٠  
جروا و ٦٩١٠ وأسا من النجم

ونصب اربعهم كعقد مصافي كريتين و ( سيبان  
أودازيا ) التي وقعت فيها هذه للمركة الواقعة النهار إذ علمت الحلة  
منها في ١٧ بوليه عما يتكفى الجيوش المصرية من المزن ثمانية أشهر  
وانتصر كل من كوتوكوز و دونيس وبقرو ملك منذ ذلك الحين على  
صيانة بطولي حتى رومانيا وما القولى وأخذ المصريون الى الرئاسة  
في مسكراتهم أما بلدة أوجوس فكانت قد زلقت من عالم  
الوجود وجرى برزخ الموت من الاستحكامات علومر منه ألب  
جندى فقط لما استطاع أحد ان يحول بينهم والوصول الى متنام  
ولما أصبحت حزيمة قنديا بعد إرسال حليفها الى مودو  
قتال اليونان للاحاة يلودون عن حياضها عند ميسس الحاجة  
ساول اليونان الانسحاب فيها فتتكر هريق منهم باللباس العمانية

فقد حو القلعة (الراودة) بدون ان يرتاب أحد فيهم وما استنفروا  
 فيها حتى ذبحوا حاميةها واقتصدوها وكرا لتخلص في البحر والبحر  
 وبالقرا في الامتداد الى حد أنهم كانوا يطلقون القنابل على السفن  
 الأوروبية التي تمر بقتل عنديا. وعلم انصار اليونان في جزيرة  
 صكريد بسقوط القلعة في ايدي أولئك القراصان عدت بهم  
 التسبابة وزحمت جرمهم على مدينة خانيا ولكن محمدا عليا  
 أرسل اليها في الحال خبة الألبانين وجميع فرسان حسن باشا فلم  
 يمض وقت حتى علوت الجزيرة الى سابق عهدا طاعة واستألا  
 وقيل هذه الحوادث بشهر أي في يوم الأحد ١٧ يونيو  
 بدأ اليونان بتخفيف مكيدة لم يجرأوا على تصد مثلها منذ بدأت  
 الثورة ذلك اب الاميرال (إمانويل توميلزاس) يظهر لجأه لمد  
 الاسكندرية بقصد إخراج القوينة المصرية. وكان مع ١٣  
 سفينة شراعية وقرقاطة نسي (الاعلاس) ومع عليها الرابة  
 النسلوية وتزل كل من (كانلريس) و (توكريس) و (توكريس)  
 في حراقتهم مستعرجين بالظلام لحملوا بها على السفينة المصرية  
 (تكران) التي كانت تحرس الياء القديمة فاشتبكت حراقة  
 نائم بها وأضلت فيها التلوفجا البحرية بفصل الاسفانات التي  
 وصلت اليهم وتزل محمد علي باشا في يمينه الخامس لانقاذ التدابير



أضيق المظهر ميتا كانت إحدى الأورط من قادم الألهة القتال في  
 رأس هجين كانت اللغة مصعرة لتعصين قلاع كاتاطي و طعة  
 وسط لثغر المعروفة باسم ( كاتارلي ) وكانت في دار الصناسة  
 معنى على وشك ان يتم بناءها لاشرايح لها ولا ماء ولا جود فقا  
 هي الا لينة حتى جهزت بالسلاح والرجال والعتائر لان هيئة محمد  
 على على لا يزالت الخاس في النفوس فاطلع بحر يوم ١٨ يونيو  
 حتى حركات أوج منس حربية من طراز الكورفيت وثلاث  
 سفن من طراز البيرك مرفقة في البحر بالرغم من عدم مؤاتاة  
 الريح للتجابه لها ولكن السفن العدو كان قد وصل الى عرض البحر  
 بتمس القروا .

وفي مساء ١٨ يونيو كان الاسطول يتقدم في الليل ينتظر  
 هوب الرياح المؤاتية لمطارحتها وفي صباح ١٩ منه اصعد الرال  
 تعليماته الاخيرة الى صرور محرم بك بالقضاء أثر اليونانيين بحية  
 دودس والتعرض لهم لاستمدادهم الى هكتان ولكن الاسطول  
 المصري ظل يحترق البحر في كل اتجاه مدة احد عشر يوما بدون  
 أن يثر بالفارين الذين كانت نية حركتهم نشاطهم أن دمر  
 سفينة تجارية عتيقة وحسروا . فلما تلاها من اكبر سفنهم  
 حيا .

وكان ايرنيم يترك في شبه جزيرة موره مواقع مودون  
وكودون وطارين ونريولينسا وفرنس غير أنه لم يتسلط بعد  
على البلاد الداخلية لأن اليونانيين كانوا ينسحبون على الموانئ كلما  
لاحت لهم مصائل الأمير المصري وإنما كانوا يزعمون مسكراة  
بمحاسنهم الحربية ويريدون اثتر شوائفه التي توليه بالشجاعة  
والزاد. فرأى ايرنيم أنه يجب عليه لكبح جماحهم الاغنياء على  
القتال بشرافهم وجموح كثيفة لاجل حرب المناوشات. ولهذا  
طلب مولاه بأمدادات جديدة فقتل بسبع مئتين من مدافع  
وذخائر كثيرة للحصار والليدان و ٨٠٠ جندي من المشاة ثم  
الأكلايان السابع والثامن الاول بقيادة حسن بك والثاني بقيادة  
حيدر بك. وحدث في الانتهاء أن ورد عليه كتاب من محمد  
رشيد باشا سر عسكر الجيوش الثمانية جاء به : « قد أقيمت  
هذا المجلس المقوت جلس التورليه فسارع بالمصور لتتكل معا  
بأولئك الصيادين سكان مدينة بيسولونتي قائم صاروا اسحرم  
من شياملين البن فقد رغبتم أناسهم جلا يتجاوز ملود لارتفاع  
أسوارهم فعمدوه تدمير اسحرم رجل عديم اسمه (كوكيس)  
ومعه رجل آخر له اسم (كستاتينوس) وصل من بطولي  
ديرومانيا فقتل جميع الحصون والاستحكامات، وهؤلاء الاكفار

يشنون كل يوم قديم أجنهم كلها سقطت مدنها وم يجرأون  
على شتى من أهل الأراج . قبل رضىك ان تتركى عكنا  
لجة بأيدى أولئك اللامعين ان لتلك بلاد القيرتان كلها جرف  
على أحد اسوار ميسلونتي فملم اليها من غير تأخير ،

ولم تكن ميسلونتي في الواقع لير ذات بل فانه كان محققا ان  
يؤثر مبعوها باعتبار كونها عاصمة القيرتان للقرية تأثيرا عظيما  
معيده البريرة كلها ذلك لان هذا النهر واقع قرب القسعة  
التيالة طليح ( ليات ) وكانت تصل منه الى أهل ( سولي )  
مهمات القنال الضرورية وتسهل بواسطة الجزد القيرانية وسائل  
الاتصال بالبحر للشايحة القيرانيي في أوروبا . وكانت تحميه  
من جهة البحر قمة حلق وتكون القناع من الرواسب الطينية  
التي ينزل على النفى السير عليها عالم تحسكن روائس أو سفنا  
مفرطة ، ومن جهة القير انخفاض الأرض تنهبها المستنقعات  
على مسافة كيلومترين فضلا عن حصون منتظمة تحتوي في مسافة  
طولها ١٠٠ متر ثمانين مدينا . وكانت بطاريات وجهة الحصون  
التي تلالها تسمى بأسماء المشاهير من الأبطال مثل ( نظيرم تل )  
و ( فرنكيي ) و ( كوسيردكو ) و ( مونتسير ) و ( اليريس  
دوراني ) و ( ابرون ) و ( اسكندر بك ) و ( ريجاس ) و ( ماركو

يوثراريس) و (كريا كولولس) و (نورس) و جيريم و حول  
 الارتفعات العالية عندلوا مقرين الى أربعة أمتار والهابطة على انحاء  
 رأسى عندق طين القلاع عرته مشرة أمتار وخرق تلك المرتفعات  
 حاجز مني سدك متر وخلف الخندق الأول عندق أنقى منه  
 انشاعاً أما جهة للبحر فكانت السمن على اختلاف اجهادها مضطرة  
 للأسباب المتقدمة الى التوجوف بها على بعد مترين من البحر بالقرب  
 من جزيرة صغيرة محصنة تسمى (فاسيلادى) وحصانات حادية  
 ميسولونقى مؤلفة من ١٠ دوائر وعلى قيادة (توتى يوتراريس)  
 أغنى ملوك و (استووناريس) و (ماكريس) و (نوجاس)  
 و (نوكاتوس) وكان المدينة عز سياسية على يطة به لتطرق  
 للسائل الدبابة الخاصة بالقيم لتتولى وكان من أعضائه  
 (جان بابا ديماستورولوس) و (جورج كاناريس) و (ديمتريوس  
 تشيليس) وكان الطبيب السويسرى (ماير) يحرر جريحه عنونها  
 والحملات الطبية ، يجرىها الخواطر ويستمر النفوس للدماع  
 عن قضية الحرب للقدسة

وحصانات الجهة الموكولة لعمد رشيد باشا معروف  
 بكونها على نسبة الى وطنه كرتاغية بالانامول الاستبداد على  
 مديته ميسولونقى ، وقد سبق له ان اسطر الى ربح الحصان فى

٣ يناير سنة ١٨٢١ هـ والاميرال عمر مريوس عن تلك الليلة  
بكتابة ألفت هذا القرار فلما أقبل فصل الحرب من تلك  
الليلة نقل مهور دات جديدة لأعادة الحضر فكان فيه اشأم طالما  
منه في المرة الأولى - وبناته - اندر أهل يسولونني بالتسليم  
فأجابوه قولهم : ان محتاج مدينتهم معق بطوعات مدتهم  
فتهددوم بسوء ثقافة اذا هم أسروا على منادهم فأجابوا مكاتين  
- القتال والموت ، فاشتبهت المريقان في قتال سمع فيه صدى للدافع  
والناطق وصليل لسبب وأقيمت للقد وفات من كل جرح بين  
احجار و قتال وكرات بدوية من الصب المعروف بالمراتب  
وجات سروح الا - ولز والبلدين المتقية بحيث القتلى وأشلاتهم  
ولم تحقق الراية النهائية مع كل هذا على المدينة اذ كان العثمانيون  
كلها رموها انزلها اليونانيون في خلال

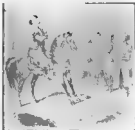
وقد أمي السلطان هذا التردد وحيل مجرة فأقصد الفايص  
بأشأ وعلى يده كتاب الى رشيد باشا يخبره كلتيه اثنين وهما  
- إما يسولونني ولما وأسلت - فلم يبق اراد هذا الحكم الحلازم  
مجال التردد إذ بلور وعيد باشا قد مجلس حربى يوم ١٥ ديسمبر  
سنة ١٨٢٥ تقرر فيه الهجوم الأخير ولكن الاراك ما كانوا  
يشرمون في تنفيذ هذا القرار حتى وصح اليونانيون التلويق أقدام

شوها من قبل به طين الارض فالتفت الأرض تحت القدم  
 الثمانية أحميد واسعة واتحدت بتأثير الانفجار ففانك أشتلاء  
 للوني من الحطة على رؤوس زملائهم فاستولى قهر عبيهم بما استطاع  
 وشيد باننا الى وجه الحجوم وتراجع مسلحيا الى حيثه وعلى  
 أثر هذا الانسحاب أسر بأجمة أكبة عالية تقوق في طوعا حصن  
 بوترارس وكان المساكن للسحرون في قتل الأثرية يذهبون  
 قريبا من الأسوار ودا تم تكون الأكبة وهم ما يملأ المصورون  
 من اليهود لبع المساكن من إيمانها حوت بالملع في أمكنة  
 منها تحكم فيها على أربع من نظارات الدينة وعلى شوارعها  
 ومسالكها غير أن للهندس كوكينس مساعد الضابط (جورج  
 فليمنس) على ما لم تحت الأكبة بأن حمر له ثقا تحتها في  
 يومين ففعلها السيف الذي عزاه وشيد في كتابه الى ابراهيم  
 الى سحر ساحر ومن كافر وأغص السيف الى تسلي القوم من  
 النجائين فومع سبب هذا الحادثة التباك عظيم اعظم اليهودانيين  
 فومعته للفروج من الدينة ففقدوا كثيرا من الاعلام بعد أن  
 صدوا امدادهم الى موافقهم الأولى وقتلوا منهم عددا عظيما  
 وأقام النجائون استحکامات أخرى فدمرها اليهودانيون  
 الذين مكنتهم هذا القوم من ترميم أسوارهم وتوطيد استحکاماتهم

ونزيرها بالسلاح ونبطت حمة الشناير لما تحفظوه من منظمهم  
ونحس حالهم وانتشرت الامراض الزبانية بينهم لانبات الروائح  
السكرية من دم القتلى ولحمر جيش (كرايسكا كريس) لحسم  
وسلبه كل ما كانت تحب له لهم القوا من الأوزار والأحلاف  
والخنازير وقطعه لخطوط المواصلات بينهم وبين لندن (ساقون)  
و (أرطي) واشتد عليهم الضيق حتى حدثت القحط العام معه  
رفع النظام والرحيل من هذا المقام ثم ارتأى ارجنطيا الى ابراهيم  
باشا ويستجده في كناه اليه . وكان هذا الأمير قد بقي من  
السلطان الشناري كتابا يحيط به يستند اليه منسب وزلوة موده  
وكتابا آخر يدعو فيه الى الرجوع على ميسولونى اذا استبعد  
رشيد باشا فترك ابراهيم حاليات سنيرة في تالارين ومودون  
وكودون وپراس وأخرى مؤلفة من ألفي جندي في تريبوليتا  
بقيادة سليمان بك ثم احتل حلب ليانات قزل يتر (كربر نيرس)  
في أولفر ديسمبر سنة ١٨٢٥ بجيش مؤلف من ١٠٠٠٠ من  
الفرسان و ٥٠٠ فارس . وكانت قد وصلت الى رشيد باشا في  
الحين معه امدودن من آسيا غير جيشه المؤلف من ١٥٠٠٠  
جندي نظامي . وكانت الدولتان المصرية والتركية تعززان  
الحركة البرية وتنسلان الى پراس أدولف القتال فالتقتا

بالأمير الـميراليس أمام جزيرة (فاسيلادى) بعد هذا الأمير الـ  
 اتقى بشره سمينة شرابية من نوع البريك تحت إمرة (كريزيس)  
 وأخذها حرافات كـناريس وبيبينوس فاشتبهت سفينة مصرنة  
 من طراز الكورويت بالسفائن المرافقة لليونانية هلكت  
 بين فيها من البحرية واستطاع الأمير الـميراليس أن يحصل إلى  
 مدينة سسوفونى ما يكتفيها من ذخائر الحرب شهرين كاملين.  
 وفصل رشيد باشا وأبراهيم باشا مسكرهما أحدهما عن  
 الآخر لما وقع بين الجنود من الاختلاف واتصل بالسلطان عبر  
 خصامهما مع وزيرى من عندهما لم يهملوا قدم لهذا بالانصيعة  
 إليهما . ومالب أبراهيم أهل ميسولونى بالتسليم فأجابوا ساها  
 لماور الجيش المصرى بالمعروف فى مصاف القتال وسب نحر  
 مدافعه فودا على المدينة وظل يواصل إطلاقه ليل نهار وكانت  
 البلى تسقط بعضها نحر حصن على القذوقات المدمرة وعبرها  
 النساء والاطفال لا الذين شتى أبيت لأبراهيم . ولزم الرجال  
 موتهم على الاسوار وكانوا يصيحون . لا يزال عندنا الطبيب  
 وانظر طوش ويستمكن بهما من مقاومة الباشا المصرى حتى  
 النهاية . وفى مساء ٨ فبراير انقضت . . . . . مصرى نحرى على  
 الاسوار فخرج اليونانيون والسيون مسلولة بأيديهم وسدوا





في بلاد القوقاز العسكرية وجيشه في القوقاز  
ولكنها لم يصب فرج عسكري على ساحل في آسيا التي وهي  
بإطلاق النار من جديد



اليابانيين ثم تطاهروا بالانسحاب فاستعرجوا المصريين للاحتفالهم  
واقترعوا أن يرحلوا واصلوا بهم إلى أرض ملهمة فاصحرت الأكتاف  
واثقلت الأرض على هذه عظيم منهم ، وبذلك خسارة إبراهيم  
في هذه الحركة ١٠٠ جندي وحدثت معركة أخرى بعدها بلغت  
خسارته فيها ٣٠٠ جندي . ومن ثم استصوب المدول عن هذا  
الأسلوب الهجومى الصار وأخذ يجرى الأرض يسر أغوارها  
مع مهندسه السكري السيور (دوميني) الإيطالي فأيقن أن  
حيز الوسائل لأزام ميسر لوتى فالتسليم للجياصة تقدر سد الممالك  
الموصلة إليها من حين البر والبحر . وكانت اللواقع المعروفة باسماء  
( انانوكوس ) و ( فاسيلدى ) و ( دولاس ) و ( كيمسونا ) قد سقطت  
الأحوال فيها بحيث تكفل الاتصال بالمدينة من جهة البحر  
وتسهل وصول المؤن والقنائر إليها وكان القواد المشايون الذين  
تولوا مصرها قد اعملوا احتلال هذه النقط البحرية فلما أحرك  
إبراهيم بات أهمية قطع تلك القصة التي تلوحت بها اللجنة الحية  
البيروتية وجمدية جيب لا يصلح المؤن إليهم تفرغ في الحال لإنشاء  
١٠٠ سفينة بتاع فرطاس وجوانب من القطن وخشب الفلين  
وما تم منها حتى أزل بها أودع من الآلاف الساج  
والثامن فحدثت هناك حاية مدافع الأسطول حتى وصلت

لى مرمى الطنجة من (اتولييكوس) التي كانت بموقعها فوق  
صخرة منزلة تسمى الطريق للوصول الى المدينة وتناكس بتلواها  
اذا أطلقت من الجانين، كل عهد يرام به القوسول فيها وكان  
هناك مايجمل على الاعتقاد بأن الاحالي وعددهم ٢٠٠٠ نفس  
وعساكر القبايكاز غير المنتظمين الذين أرسل منهم ٢٠٠ لتجدة  
المصورين سيقاومون مقاومة عنيفة ولكن المصريين ألقوا  
بأعصم في لثاء فوصلوا الى أسوار المدينة في الساعة الخامسة من  
يوم ١٠ مارس ١٨٢٦ ونسفوها بالسلام على وجه من السرعة  
والجراحة لم يخطر للاعداء يال فلم يأخفوا هدهم النطاع لقتل  
القنايط اليوناني (ليكانوس) ولم يصب لهاجون بحسابة ذلك  
بال . وحسبان الواجب بحسب مراتب الحرب قطع دغلب رجال  
الحامية ولصكهم سألوا اولعيم فلما ان بمنوا عنهم فأجابهم الى  
سؤالهم على أن يمشحوا الى (الوطى) حرلا من السلاح وحصل  
مثل هذا الحامية (دولاس) وياب ذلك ان لسان الارض  
المعروف باسم (فاسيلادى) والتمتد في بحيرة عميقة قرب ساحل  
البحر كانت يد مدخل الخليج وكان القنصر الحصين الذي ينزل  
فيه القناطد (الستار بالالوكا) يحصى بمسولونى كحسب خلوجى  
خالفق ان سقطت قلعة من عجزن البارود به قاتلجبر ودمرا الاغنيار

تصا من الاسوار صرا اليونان لهذا الحائط هلع جملهم يصيحون  
 بالتسليم فلهذا في ١٤ مارس سنة ١٨٢٦ ولم توفى اسود القنانية  
 والعسيرة لثل هذا النجاح يوم ٥ ابريل امام جزيرة (كلوسوا)  
 او (موناسرى) لأن ٧٠ جنديا كانوا قد تحصنوا بالسكنينة  
 بعد أن نصبوا فيها حصة مدافع وكان الضابط (صكتسوس  
 ترافلاس) يرب التواطى فزل في سفينة مع بعض القبايلكار  
 للانضمام اليهم لير أن غلة من الماء في المياه الجاورة كانت تحول  
 هونت رسو الزولوق والسفن الكبيرة ذات القناع للرمح  
 فتكبد أولئك الرجال الماء الشديد في اجتياز هذه المسافة حوصا  
 اذ كان الماء يصل الى مناطقهم وعرف ترافلاس وشيد باشاوهو  
 بتقديم في هذه الناحية فركض نحووا والمختطف بيد خنجره الرصع  
 بالجوهر وأطلق عليه بالأخرى طبعته وألقى وشيد باشا  
 بصره من حوله ليعنى الأمانة فرغمه لغوانه وما كان يلق حتى  
 أصيب في حرافته بيلو ناري آخر فتراجع الى القواء مع جنده  
 أما ابراهيم باشا فأمر بالحق على القوم ولكن جهوده في هذا  
 السبيل كانت تقضيها ناز البنادق اليونانية على انه لم يرج مكانه  
 إلا بعد قتال دام ثلاث عشرة ساعة حصر في خلالها عدد كبير  
 من رجاله كان بين القتل منهم حين ذلك لشع ضباطه وكان قد

## أميب برصامة في حياته

وطلب كنسوس نزاعاً لاس لدى عودته الى ميسولونني  
كسرة غير مكافئة له على هذا القومز اليانح لان للديمة كان لا يوجد  
بها ما يسد ومن رجل و حد حتى أن ميوليس حاول حبس اليانح  
منفذ بين سفن الأسطول القيقى المصرى لئلا يسلكه بزوارقه  
المشحونة بالزئ و لينفذ الأقالى من مائة الجوع فأنة وجد القميرة  
منقطة بالسفن ذلت القاع القرمطاح وشهد الجور القميرة وقد  
نصبت عليها الذليخ وظل ثلاثة أيام متتامة في قتال معها ليرضاها  
على ترك منفذ له فلم يبلغ مراده. ولما أيقن فشله عاد الى (هيدروم)  
وليس الحداد اعتقاداً منه بان ميسولونني سائطة لا بحالة في يد  
المصريين وبقي في حداد الى أن تمت. وهنا ينبغي ان نذكر  
أن جهود الأيوبي ميوليس جادت بعد الأول والناسب. وكان  
الواجب انظر في استنقاذ ميسولونني من جهة البحر لا من جهة  
البحر بأثرة القيسى (أنيكيا) و (الغاديا). على ان ابراهيم لم تقته  
هذه الحيلة الوحيدة التي كان في قدرة البركان ان يستمدوا عليها في  
رفع الحصار عن ميسولونني لحشد الكفاية من الجنود لث القسرا  
في كل مكان دها ذلك القارى. وبدون أن ينظر الى سحب  
جنوده من حوالى هذه المدينة

أما ميسلون في فقد ضرب الجوع على أهلها يمرته يسا  
كانت الأذول ممتراكة في معسكرات المصريين فالضفة من حاجتهم  
وطيح من اشتداد الجوع بهم أنهم لجأوا إلى أكل لحوم خيلهم  
والحشائش للحرية ومات المصفاه منهم على فروع الطرقات  
وسقط الجنود منشيا عليهم في مراكزهم العسكرية وتأثر ابراهيم  
بكشا بهذا الضحك ووشى لحاكم مصر من صبيهم الغلاص في مقابل  
تسليم سلاحهم ومبناهم فلم يقبلوا وكان الكولون (ظففيه)  
الفرنسي الذي جاء إلى اليونان فيمن دخلوا اليها من اعداء أوروبا  
لتحرير أهلها موجودا بأثينة حيث ألف عرفة من النساء على  
النسق الحديث فطلب الانضمام بمرسته إلى كرايسكا كيس ووجوده  
قتلوا على دفع الطمار فأجيب على هذا الاقتراح بما يأتي :  
« إن ميسلون في على شفا حاوية الخراب وليس في الدنيا قوة  
إنسانية تقيها شر هذه العاصفة » فاضم الرؤساء المسكرون  
والملكيون لتشاؤم فقر رأهم على محاولة الخروج العام من المدينة  
في الوقت الذي بهجم كرايسكا كيس فيه ذلك الليل وكتبوا إلى  
هذا الضابط عاقر عليه الرأي وعينوا له يوم ٢٧ أبريل لتجهيز هذا  
الجهوم ثم اتفقوا معه على إخذه وهم يومئذ إلى مؤخرة الجيوش  
المصرية والتمانية بالملاق الباقى مرة واحدة إطلاقا شديدا على

أنهم ليل الاثر لعل على هذا التقدير ما أتينا سنشأروا الأسقف والنساء  
فاجاب الأسقف :

« رأى نبي عن كثران وهما الموت وبأيدى السلاح ،  
ثم جنوا النساء في سلك واحد وسألوهن « واثق ماذا تفصلن  
للموت أم الاستغفار » فأجبن بصوت واحد « الموت ! الموت ! »  
وتزامن لعل المدينة جميعاً حول الأسقف لينتقوا منه الأسر لرو  
الدينة الأخيرة قتال لم « لخرق ! اخترا جيداً قل قولى .  
أن سر القربان لكم هو دمه أعدائكم » لم أغلوا بوردون الجرحى  
والرضى وما كان الأسقف يباركهم ويبرمجهم وأقسم لهم أنه باق  
ليوت معهم كما يكونون . وبشر حد تلك اصحاء الموجودين بأنهم  
ثلاثة آلاف رجل صالح الدفاع والقتال وستة آلاف طفل وشيخ  
وسراة وسرى ولكن النسوة أبين إلا أن يشاطرن آباءهم  
والخواتم ولزواجهم المنظر القبيح عظموزن سمحات القتال وتم  
ترتيب كل شيء في القروب فما مضت ساعة بعده حتى سمع صوى  
إطلاق البنادق تشعة من قم جبل ( أولست ) المحيط بسهل  
ميسورسى وسمع المصورون صوى فقاتوا بصوت واحد : تلك  
هى الإشارة للتقى عليها . لقد وصل كرايسكا كيمس فخر حلف ،  
وأغلوا يكررون هذا القول بشعور من عز الأمل والفرح .



وكان هذا الأمل صالحاً فإن كرايسكا كريس لم يكن الذي أطلق  
جنوده تلك القنارات لتنفق عليها لأنه كان سرخاً فلم يقدر على  
ترك فراشه لتعزيز الحركة التي مرم المحصورون على القيام بها  
والخليفة أن إبراهيم باشا وردت إليه التقارير عما صحت عليه  
هزيمة المحصورين فجعل على قم ذلك الجبل فرقة من جيشه لتحول  
من جهة دون تقدم للعد المتظر وصوله لتعزيز الحامية المحصورة  
ومن جهة أخرى تصعد هذه الحامية إذ خرجت من مبسولون في  
وأطلق المسكر المصرون لأطلقت النارية في تلك الساعة  
تنفيذاً لأمر إبراهيم باشا فصاح المحصورون دوى للطلقات بجلا  
بالجلاء من المدينة وجعلوا الأسوار حتمهم ثم انبطحوا على الأرض  
ولبثوا ينتظرون هجوم الجنرال كرايسكا كريس على الثمانية  
والصريح وانقضت ساعة بعد ذلك في سكوت وقلق ولزنياب  
طلبوا الانتظار قام ترودم وصاحوا بهم : « ايها الأخوة ! ان  
الامام والملك السوحيين » ثم مروا على حفدهوا أكثر من أحد  
عشر ألفاً منهم ( ستور تاريس ) قائد الحامية وتلام جيش آخر  
شاهرا السيد في قتل منهم ثلاثون ثم الأهالي غير القتلىين وما  
شرح هؤلاء في ماردة المدينة حتى صاح بهم صائح : « أن ارجعوا  
ان الخلف والزموا بطريقتكم » فملأوا مسرعين وقد ساد بينهم

الخلل والترح المصريون بهم مفتعين الخوم مستوفى القتال من  
التفادات ومن خلف الأسور وظل محمدا لربع ساعات . وجمع  
( كرسنوس كيبالس ) جما غفيرا من الجنود والنساء والأطفال  
والهجرة فانسحب بهم إلى بناء فسيح فيه مقدار عظيم من ذخائر  
الحرب . وكان قد حشد نفسه على أن يتقد من ذل الاسترقاق  
والعار نفسه وأبذل جفنه وانتظر حتى إذا أتمل الأعداء في حشد  
عظيم صاح « لوجنا يا لله » ووضع الكثرى البارود فاشتفت الأرض  
وابتلست الدار ومن فيها وسهم ألفان من السكاكر للمصريين  
واقطعت مع هذا البارود ألقام كثيرة كانت غريبة تحت الأرض  
فقدت في الجوارحهم الذي وأشلاءهم وأخذ يوسف لستف  
( روجون ) ببط ١٤٠٠ من الأهل آثروا إلى برج استترم خلفه  
فما أتم وعظه سمعه فأتوا جميعا وكان يصلي صلاة الاحتضار ولجأ  
صابط يوناني بكنيسة ( سان سيرجون ) وآخر بطاحون ولجأ  
يداعان ثلاثة أيام فانتهى الأمر بالثاني إلى الانحصار ومن ثم  
أصبحت مدينة ميونخ تقي أهل مدائن اليونان الحديثة أطفالا  
فدوسة ينبت من خلالها الجنان . وهي الآن مهلوة من عشش  
وأكواخ بأوى إليها بعض الصباوين ويسكنها قوم مابرح  
مستورة على وجعهم آيات الحزن والوحوم ولم يبق فيها من آثار

الماضي حتى الآن سوى الفرقة التي مات فيها الشاعر بيرون الذي  
لو عاش سمحت قبة لاهرح على مدينة ميديولوسي حلة الجهد  
والخيار كما كساه ابراهيم نوب المون والدمار

وفي ٢٤ ابريل ١٨٢٦ كان لا يزال على قيد الحياة في ذلك  
القبور المسيح ١٢٠٠ من يهودا قيد الرق والاستعباد. ومن نجا  
منهم ولم يهرب ليسر لاذوا بدير (سان سيمون) الذي يحكمه جبل  
(الواسات) باستناد ابن اسرئيلهم من ساكر كرايسكا كوس سينقونهم  
بالفرح فتقام فيه ملاس هؤلاء جماعات الانبياء الذين  
ومنهم ابراهيم في هذا الجبل فارح فتشكواهم فتكاد يملو وصل  
(دمريوس) من صباط كرايسكا كوس أثناء ذلك ضوة من الجند  
مساعدة النافين على التراجع وكان عددهم ٢١٠٠ قتلوا يومئذ  
عائدين في الجبال والأتول لا ينجون على شيء ثم وصلوا الى قرية  
(هرنكستا) فلم يجدوا بها ما يرحون به بعض كبرهم فواصلوا  
السير في أسوأ حال حتى وصلوا الى سالونه ومات منهم في الطريق  
٦٠٠ نفس جرما وتعبا وتعرقا بالنفوس بعد ذلك شرقي مقاطعة  
(زوليا) حيث تقام كوستا بوزارس كما يتلقى الأخ اخوته

وفي السابع من مايو كشتوا الى حزبهم السياسي الرئيسي  
مبايئي. وأياحكام اليونان لا تعقدوا للتجاعة ولا تضجيرا التفة

هنا فأنا لا زال مدينى الوطن بخدمات بالغة شريفة وسليط  
الانقسام لغير ملوحكم بوتر ليس ولهم الانكسار الكرم القى  
وقف علينا أعاليه الشريعة وماله وحياه . إن مدينة ميسولونقى  
لا حياة لها إلا فى اطلاقها ولكن ذكر لها سبغى حافة بخوامرنا  
على عمر الایام ولا يزال لدم القى يجرى فى عروقنا بتلى ساحتنا  
نحن مازلنا أولئك الوطنيين القى دافسوا عن حقوق الوطن  
الثقة وعن فساد الحرية فوق جبال ( سول ) لتناغة القى  
ولسوا ميسولونقى القى أصبحت أثرا شد بين ٥

وكان سقوط ميسولونقى عنوان انها الحركات الثورية القى  
تواتر ظهورها بين يوناني إتحوليا واليونان الشرقية وأكرمانيا  
وإيجوس مولد أفرغ على مدائن اليونان جينا ثوب الحزن  
والكآبة وانقرط بسبه عند الجماعات (السيفسومند ٢٤ إبريل  
انقد مؤخر فى ( ايدور ) عقرر الدول من شكل أسل فى  
الاستقلال وأن توسط سفیر الكلا القى لحكومة السامية  
فى كلف القتال مقابل دفع اليونان جزية سنوية لها . وكان مؤكدا  
ان لا يرضى (إسلافى) تصحبة كرامة الوطن قبل ان يمدى وأيه  
ويسمع صوته خلف قال : « ان السكارة القى نزلت بميسولونقى  
عد أزمجتكم على ما يظهر فى حين أن الواجب عليكم الاعتقاد الآن

كما استخدم ليل الحرب على حمة الشعب وعيرته وحماه. إن في صدر  
 قل ما صورة من ميسونوني بل شجعا مائلا منها إذا كان نقص  
 وسائل الدفاع قد أتى بكم في الحيرة إلى هذا الحد فليست أفهم  
 لما إذا لا تستجدون بكم الأمة وسخاها بليس والبطريركاني  
 يوتاني واحد على ما اعتقد بضع أصابعه في أذنيه إذا حدثه تحدث  
 في أمر الوطن . تلك كانت قمة ذلك الوطني للتيور في أمته  
 ولم تحسكن بأقل منها قمة (جيتادوس) الكتاب عجا بخص  
 بدينة نابولي. ولكن قد شاع أن للصرين يحصلون حمة جديدة  
 عليها حيث قل على اللاد في ميدانها العمومي . ٥٠ مشر اليونان  
 أن العدو مابرج يتهديكم فأبذوا وراء ظهوركم غصونا بحكمكم  
 وعجلوا بتأليف طرفكم من المشاة وإنشاء عرفة للفرسان لا تخفى  
 أهيئها وحسن أثرها في الساعد على سرعة الانتشار والانقضات  
 في سهول (ارموس) (ميسينا) وإنه لمن الغرور من الحكومة علينا  
 أن نضحي بأممك من ملل ونشب للفلاس من هذه الأرومة  
 وليست كما نعلمون إلا استاذنا بعدما وليكني القدم قليل ما أمك  
 وهو ما كنا فرناك نعدونه في هذا الكيس معقدا أن الاغنياء  
 سيقدمون أكثر مما قدمت . فليست همة الرجل في قواه  
 وفيها أكلة الحاضر في قراهموا عاية متنافسين في دفع ما استطاعوا

دعه لأعراج الرطل من مرقه الطرج بارد الضباط والنساكر  
أنفسهم من سيرفهم للفتنة ليحلوا في خدمة وطنهم سيروفا  
أعصى منها عدا وان تكن أنسط شكلا . فلما شهد جيتادوس  
هذا الأفعال صاح في الماضرين قائلا : « منير أيرانيش أبناء  
وطن الأجزاء إلى لمحب بوئينكم الطاهرة واخلصكم الكاتب  
ولكن غيروني أين نجد خليل التي نحن بحاجة إليها » . فأجاب  
جماعة من الماضرين : « نأخذها من سلطات أعيان مرده » فقال  
« وإذا رفضوا لهذا فعل ؟ » فأجابوا : « نأخذها قوة واتخذوا »  
فقال : « أيها الأحرار الأصقاء ! الجمع كلتنا وجهنا لاستنقاذ  
اليونان ، ولكنني أوسل إليكم أن لا تفسدوا أيديكم في هذه  
أمرانكم » . وما هي إلا ساعة حتى جرى بخمسين حراة عرييا  
إلى لليدای السوسي حيث كان الاحتجاج ومثل منور كرهاتوس  
بجولده . وثالثت الفرق للطوبة وألف أهل ( صكودوس )  
و ( سيفالويا ) من أنفسهم فرقة بقيادة ( كوكو مورفورولوس )  
وألف ( يتاس ) السلايكلي فسيبة من القديونين وعين  
كرانسكا كيسي قائدا عاما لبلاد الرومل

على أن دسفه للمدو ، وقد شعس من غلاته في المحكوم ، كان  
لا يقتضي هذه الاحتياطات كلها . فأن حصلوا يسولوننى كلف

الآلاف عشرين للبحر مغالط والمصريين ستة آلاف والهندية هذه الطسرة لم يجد ابراهيم باشا مدبدا الى موزمبيق في القديون ما عدا قبا يتعلق بمركز (ماتيا) بود كان يريد احتلاله طوما أو كرها طما رأى ان اليونانيين منتفرون في أودية (أوردو تلس) وسواحل (ميروس) حيث كان كلابان من المشاة المصريين يتلزمها القمو الارض شيئا شيئا رأى أن لا يزوج بمجنوده بعد أن قصص عليها بذلك القدر الساحس في مأرق لا فائدة من ورائه - وكاد في وقت ما يقع أسيرا فرأى مد هذا وذلك ان يوعل في موره على أمل الوصول الى تريبوليسا

وبعد ذلك بقليل أي في نوفمبر ١٨٧٦ عاد ابراهيم الى موزمبيق حيث نذا السقشيات وعلمها صحيا وقسم حوته شطرين لقتاء فصل الشتاء حبس الآلاف الحامس والسابع والثامن في موزمبيق والآلاف الثالث والاربع والسابع في كورون وشكا الحساكر اليه في أحرى هذه السنة ثمة امون وشادها وكانت المستودعات والمخازن حالية منها حتى استنيس عن الزمنه والسمن بالوت الرديء ومن اظهر التمتع بالفتح عبر المطحون لشمير ليرمانيس طواحينهم وكان من المنتظر ان يصل الأسطول المصري الذي قائم مياه بتراس مع الاسطول التركي حتى خلال ديسمبر السالف

الذكر وحف إبراهيم على نرجس ليتساخا وصل الى قرية (بنزا) ترك  
 بها سواد جيشه ثم واصل السير الى بلدة (أيتنا) في قرين من  
 فرسانه فحرق في بعض القرى عصابات من اليونانيين أسر منها  
 نضع مئات ونظم ١١٠٠ رأس من البقر والغنم وكصد من هناك  
 الى القلعة فوثقوا بأكواد وهدل من حليتها بأخرى وعمى أواملى  
 سنة ١٨٣٧ أن اليونانيين يتهدون بتراس فيبرد ثلاث أودح  
 من كل ألاى وأخذها منه مشتطا السراجل القريبة من موره  
 وما من جبل من الجبال للتمد هناك آوى القاترون اليه إلا وقد  
 ترك للصربون فيه أثرا من آثارهم وذهب إبراهيم بعد ذلك  
 الى (يود قلعه سى) وكان أهلها قد جهزوا بالصياد طقوا جميعا  
 حنهم إلا الشيوخ والأطفال والنساء وانضم ٢٠٠ يونانى فرسة  
 فهاب إبراهيم من بلدة كورون فلاحقها عليها صابوا من صميم  
 هذا بالقتل لأن الحامية كانت على نحر دائم للقطع منها  
 وفي الوقت الذى أسندت جمعية (أيدور) رئاسة بلاد اليونان  
 فيه الى كوت (جلى كالدوستيريا) المولود بجزيرة كورفو وكان  
 في أيام مؤتمر فيينا ووزرا الخارجية الروسية المحدثين (كوشران)  
 قيادة القوى البحرية والجبال (شروش) قيادة القوات البحرية  
 وكان في هذا التقليد ما يمس بالطبع كرامة الامبراطور ميوديس



والمصاحفين كرايسكا كريس وكوفوكوزويس ولتباعهم في  
الكثافة والساعة والدميل لاسيا وان الاكثاء من ابناء جنسهم  
قول مناصبهم كانوا اكثر من أن يحصيه العدد . ثم لم يحسن  
العودة كوشران خلوا من البسالة والذكاء . فقد تقلد بأمر صحتنا  
الجنوية في حكومة جمهورية شبلي المدينة مثل الشعب الذي  
أسند في اليونان اليه . ولحسن الروايات لم تتطابق على ان  
الاساطيل التي قول نياوتها بهرت الانظار بمسيزات ضالها أما  
البحرلى شورش وكان نديم ملك جزيرة صقلية وتابعه الخالص  
فانه لم يرقط بن صفوف الجنود اليونانية بل ظل حاكما كواحد  
من الامراء بلعدي النفس السلطة وكان الماكر بهزأوت  
وتنهكون عليه بتسميته ، كلما وردت سيرته على لسانهم بالبحرلى  
بحريوت . وعلى كل حال فان القائدين البريطانيين لم يوقفا الى  
شيء . من القودز والتجاس في الفصل الاون وهو المطير من رواية  
اشتراكهما في العمل . فلما في ٦ يونيو ١٨٧٧ اجتمعا لبحث في  
القيام بهجوم عام على الاراك فتمكنت نتيجة هذه الحركة لتشكيل  
بالسولين والكريديين والورد لين والرومانيين الذين اشتركوا  
في القتل وضرب أعناقهم جميعا وفر القائدان الانجليز على شيء  
ولم يصفيا الى (توماس بوتكر لوس) وهو أصبح متهما وقد خضب

بدمه ، و الى من تدعيان واحراكما يدبحون ذبائحاً وما حكاكدا  
يلتان الى الساحل حتى استقلا وورقيهما فكان سلوكهما هذا  
دليلا على عدم كعادتهما للقيام عا عهد اليهما وما اشبهما وغد  
ترك اليونانيون بمثلت بهم عد الفتك القديع رشيد بلشا الذي نمل  
بحجرة للسد عظام الدليل على عبيته برب رغب الزعماء وكثير  
الرؤساء من الاسرى وعي اليونان من الاجانب الذين تراءىوا  
من امتناع النظم للدفنح من الحرية لليونانية

وبناء على ملبكهما الشائ حبطت آمال اليونانيين لهما  
وما كادا يزلان في دورتهما الصمير تلتى بولح كسبا في ضلفتها  
حتى اشرب أمام نثر ( سوتوشيا ) فاست القننوي فيها وثبت  
النفوس من فائدة مساعدتهما وحدث بعد فشل هذا الاسطول  
من سقطت الية في قبضة الارك فذهب اللورد كوشران الى  
خليج بئراس ليولرى عن الانظار عار منه وكان وثقت في  
القر فاطة لاهلاس لتي نلصها الأمر يكبون مساعدة ليونانيين  
ترافقه سفينة بخارية هونف هما تجاه سواحل مود وجالت  
الاخبار الى ابراهيم قرب دنوهماس السواحل فاستدعى راني  
السفيتين الرئيسين بالبناء وأصل إسطمعا من الاستاء والثانية  
من تونس وقال لهما إذ كننا جاكين فكلما هذه البناء ولا

تبرحها فأن في مدافعي الكناية لحايتكما إما إذا كنتم بطريق  
 بسطين فليكنها هذه القرعة التي ترونها أدوا منها قتال  
 رجلها ولكن اعلسا اني لن كف عن متابعتكما بالظهر فإذا  
 تراجعنا الى الخلف بمقدار قامة واحدة فأنتي لاشك فأتكنكما رميا  
 بالرماس . غرقت السفيتان وأسلتا أثرتهما بالريح فلما وقع  
 نظر اللورد الجبان عليهما اطلق الدافع مرارا ثم دار دورة لا تمدا  
 بالقرار وظل مدبرا حتى وصل الى ما يولي فيها لام يسليح مشرين  
 سفينة من طرز التبرك وقصد بها الى الاسكندرية نية تسخير  
 الاسطول الذي كان وال مصر منها تجهيزه فلما دان من الساحل  
 رفع الراية السماوية . وكان محمد علي باشا صد حارل اليونانيون  
 الطوة على النفر الاسكندري بالتمسك بالراية السماوية شعار السهم  
 غصص سفينة برافية البحر على التوالم غيا رأى راجها فلك  
 الاسطول مقبلا عليه أدرك الحية فاطلق مدفعا وكان هذا  
 الاطلاق إشارة متفدا عليها للأشعار بالخطر . وتمار على السونة  
 للصرة للراية اللورد الى النفر بجمعت على الساحل ميتا أدركتها  
 مرافقت العدو وأحرقها

على ان محمد عليا باشا لم تبض له فرصة لمب هذا  
 حادثة بل أمر بالمرج لوج وعشرين مدينة من السفن المصرية

للاستحاط بالسنن للهاجرة ومقاتلتهم فرأى القورده كوشرا ان يمتحب  
القتال ما استطاع وعاد بأقصى سرعة الى جبرية وودس فقبه  
الاسطول المصري اليها وفي مياهها انضم الي القرقاطين المصريين  
القتيل كلفتنا من ابراهيم باشا قبل ذلك بمطاردة القورده النمس  
غير أن سفته استطاعت العودة الى مياه هيدرا واسجزيا وودوس  
وظلت في هذه المراتى الثلاث بلا عمل ولا حركة

ولاذ كان البحرية البرايون في الجزر الكبرى من الأوغيل  
لم يقوموا بعمل في دفاع من الوطن فقد انضموا الى سفن القرقاطين  
الذين أساءوا الى التجارة بين أوروبا والشرق تسديهم عليها بالسلب  
والتهب بها رأيت ذلك الدول الثلاث الكبرى فرنسا وبريطانيا  
النظمى وروسيا تداعلت في الأمر لأجل أن هذه التبعيات هذه  
حد وسوى اليونان من الرسوف في هيدرا القل واليهودية واورست  
لجدا القرم في ٦ يولييه سنة ١٨٢٧ بماهدة لندن التي لم تلبث  
أن أعطت نصبا الى ابراهيم باشا فقتل دليس موسى الجزم بقتله  
مطلقا مالم ترد الى رسالة من سمو والى مصر وعثمان من بسلامة  
السلطان قاتلها رئيساى القدان بأمرها أذنت والى مند اليوم بلغت  
اليها رسولا لاخبارها بما حدث وما على إلا انتظار السبل بأمرها.  
ومهما يكن انظر القى أنا مهتد به فأتى لن أجد من خطي قيد

شجرة ، أما الميراثان المهابون فقد وهض وساطحة الدول الأجنبية  
 في غضون مائة اليوتان الثابتة اليه وكان جوابه على رسالة ابراهيم  
 دعوتة الى استئناف القتال بالنصي الشدة. واتصل بمحمد علي قرا  
 الباب العالي في ذلك الشأن فقال الخاجه فرانس من صراط بحريته  
 « إن ولدي ابراهيم سيدأب على القتال بشدة حتى التمايه - إلى  
 عارف بطبعه » وفي أغسطس انضم الأسطولان المصري والتماني  
 ودخلوا موانئ موره . وكان محمد علي قد أرسل القتين وتسعين  
 سفينة وأربعة آلاف عسكري من المشاة الذين يتألف منهم  
 الأتالي المائت تحت قيادة احمد بك أما الأسطول فكان مؤلفا  
 من سبعين كيرتين فيهما ٨٤ مدفعا و ١٢ فرقاطة كبيرة كان في  
 بعضها ٢٤ مدفعا و ٣٧ سفينة من طرد الكورفيت والبوليت  
 والطرقات و ١٩ سفينة ثقيلة وكان ضباط الأسطول الأوربيين يدبرون  
 الأعمال الخاصة هذا البلد من الأسكنفرة ومنه مبلغ جسيم من المال  
 لفتح مرنبات الجند وروا في مياه قديا تم قصد الى غازين هوصل  
 اليها في اواخر أغسطس و ٢١ سبتمبر سنة ١٨٣٧ اتصل  
 الأسطول الفرنسي بقيادة الاميرال ( دورني ) امام حيفا للفر  
 بالأسطول الانجليزي الذي بأمره الاميرال ( كرونتون ) و ١٢  
 أكتوبر واتى هذين الأسطولين الأسطول الروسي وكانت

من الأسطولين الثاني والعصرى ملقبة مراسيها حول الجبل  
على خط مقوس يشبه الهلال تمزقه بطايرت الساحل فلما  
كان ٢٠ أكتوبر تقدمت سفن الطراد على خطين متوازيين  
والصف الأيمن بالنسبة لاتجاه سير السفن كان مؤلفا من سفن  
الأسطولين الأنجليزى والفرنسى والصف الأيسر للألمان  
من سفن الأسطول الروسى

وفي الساعة الثانية بعد الظهر اجتازت سفن الأسطول  
الأنجليزى الرمال والمحمود التي بدخل المياه ووقفت مسكون  
في اتجاه مؤاز السفن المتأخرة وفي الساعة الثانية وخمس وعشرين  
دقيقة وقفت السفن الروسية في وسط السفن المصرية والسفن  
الروسية أمام سفن العدو التي تحت لرمح حماية لجافلم يفترض  
الاساطيل الثلاثة يفترض في سيرها بل تركها المتأخرون والمصريون  
تقوم عناودها يسكون كالنوكات تقوم بها امام امدقاه أو  
مقلقه . ولم يظهر من جانب الاساطيل الأوربية ولا من جانب  
الأسطولين الشرقيين ما يدل على أن أحد الفريقين يود البدء  
بالقتال ، بيد ان هذا ليس معناه انها لم يكونا على استعداد له .  
وحدث ان زورقا بريطانيا دنا من حراسة عثمانية لهامرها  
بالاجتماع فلم يسمح للأسيه ان الذي ليط به اتصال هذا البلاغ

قول ، محاول جديد ان يصدف الحرافقة فأصيب برصاصة أردته  
 في مكانه فلما رأته الفرقاطة الانكليزية التي أرسلت الزورق فذلك  
 أطلق صاكرها باندهم فشدت عشيبة أحد البحار لمسرتها فأطلقت  
 سفينة عنانية قنبلة أسامت السفينة ( سبيرن ) الراسمة لراية  
 الاميرال دودني . فأجابت هذه الفرقاطة بدار مدافعها الحامية  
 وحسبان من رأى اميرال الاسطول المصري محرم بلك عدم  
 الاشتراك في الحركة إلا انه لما شهد الحوادث المقدسة لم يسه  
 إلا التبرر مع جميع ظروف الأحوال ، فأمر اسطوله بتصويب  
 مداده وإلقاء قذائمه . وكانت البسالة من الجانبين في أقصى  
 غضبها إلا ان الاساطيل الادوية فازت بالنصر بعد قتال صيف  
 استمر أربع ساعات وتلفت الفرقاطة الفرنسية ( أرميد )  
 الصدمات السيفة من خمس غرارات للأعداء بدون أن يفقد  
 رجالها صوابهم . وجانت حرافقة شرقية السفينة ( سبيون ) أربع  
 مرار واشعلت النار فيها فتمكن رجالها من احتواها بدون أن  
 ينقطعوا لحظة عن أداء واجباتهم الحربية . ولما بدأت سحب  
 الضخان الكثيفة تنهدد بتأثير الريح شوهد علم والي مصر فامس  
 سفينة مرت أمامه إلا وأعلنت بحوء علام الاحترام بالأيال  
 ولقد دمر الاسطول المصري التركي بعض منه بالانوار والبض

بالجروح على الساحل والبيض بالترق وعطري سطح الماء في الخليج  
بالقنطرة والانتفاض للتكمرة . وبنت غسائر الفرنسيين ١٤ قتيلا  
و ١٤٩ بهرجا وغسائر الانكليز مثل هذا القدر تماما من القتلى  
والجرحى وغسائر الروسين أقل من ذلك فيها . أما غسائر  
السلمين فقد بنت الى ٦٠٠٠ قتيلا و ٣٠ سفن كبيرة من ضمن القتال  
و ١٩ قرقاعة و ٢٦ سفينة شرابية من طرز الكورفيت و ١٢  
سفينة من طرز القبرلك و ٥ حراقات ، ولم تقع سفينة واحدة من  
هذه السفن على اختلاف انواعها وأحجامها في يد السحجين فان  
السفن التي لم ترق بآثار مدافع العدو أحرقتها بحررتها بأيديهم  
أو سمعوها نسفا . وكانت الريلات الثمانية والعشرة في السلاتين  
خساسة بأعلى ساراتها . وكان الضباط الفرنسيون الذين في خمسة  
الاسطول الفرنسي قد تقلوا قبل المرحكة بناء على أمر الأسير  
دورني الى سفينة مساوية ذهت بهم الى عرض البحر

ولما ان تحول في هذا المقام إلى انحصارنا في قنطرة كان غرضا  
لا أساره من حسن السياسة والنظر المادي لأنه أقصى بال دولة  
عثمانية الى التوجه في برتن الروس بعد أن جردت من أم  
الوسائل فيها فنود عن حكام في البحر الأسود وبحر الادخيل  
وبحر سوريا . ولقد أسست بريطانيا العظمى أسفا شديدا لتوجه



هذا الحادث رويته بالكندر . ووصف أحد كبار رجال  
حكومتنا الانتقام الذي أرتقه الأساطيل الأوربية الثلاثة بالمصريين  
والعثمانيين بأنه كان نهوما وطنيا الطورعت لغرسنا وانحطرتا اعتباطا  
لمصلحة الدولة الروسية . فاننا في واقعة مغربين إنما جاربنا حلفاءنا  
الطليبيين وهو ما جعل محمد عليا حينما وصل إليه خبر العسكرية  
يقول : « ما كان يدور مخفي أن نطلق المدافع القرسوية نرها  
على اسطوطها » ولا خلاف في أنه إذا كان القرض الذي رمت  
أوروبا إليه بتأليبها على تركيا تأديب هذه الدولة واعطاه درس لما  
لقد كان هذا الدرس قاسيا للمدرجة القسوى . على أن الأميرالية  
الثلاثة للأساطيل القرسية والانجليزية والروسية كانوا أول من  
اعتبروا بأن العمل الذي أمرتهم حكوماتهم بأدائه إنما كان ضرا  
من غروب البيت وسوء التصرف في القوة اللبية على التفريق  
العدي . ولقد بث ابراهيم باشا اليهم شكواه من هذا البيت  
فكان جوابهم له أن نشوب المعركة كانت نتيجة سوء تقادم  
بسيط وإن حالة الحرب لم تكن موجودة بين الفريقين وإن  
الأوربيين ما رخوا الأصناف الأسماء للعثمانيين والمصريين  
وكان ابراهيم باشا غالبا أنشاء المعركة يخضع إلى دهبوته  
البلاد له خلية من شبه جزيرة سوده وكلوا بخشون عاب بتار

الاسطول المصري بالتحصيل بالأسارى اليونانيين والافرنج  
الذين ساقهم نحس الطالع الى المزمع في بحرته بالاماكن المحيطة  
التي استولى عليها في تلك البلاد . ولكن شيئا من هذا الطرف  
لم يصفى إذ أنه أعلن في جيشه ان من يبتدى على أحدم بأذى  
يكون جزاءه الأعدام . وبعد أربع وعشرين ساعة من وقوع  
كلوتة بالقرب وصل الى هذا النهر وشرح على الفور في العمل بهمة  
لا تصرف الكمال لاحاذ مايسطيع اتقائه من سفن الاسطول  
وترسيه في الاحواض بقدر الاستطاعة . فاقا أول جمادى الثاني  
للفاتح ٦٠ دسبر حتى أنهم تميزوا احدى سفن القتال الكبيرة  
وست فرطحات وعشر سفن من طرز الصكورية وخمس  
وثلاثين سبعة قتاله وأعدوا لقتل خمسة آلاف عسكري بين  
مريض وجريح وستة آلاف برهلى أسروا في قنوزات الالوية  
وسافرت تلك السفن الى مصر . وفي أوائل شعبان ١٢١٣ الموافق  
أواخر فبراير ١٨٧٨ حشد ابراهيم آلاياه بالطرف الجنوبي الذي  
تميط به مدائن كورون ومودون ونفاريون وسما الى مسكرات  
شاد لحايتها حصونا فوق الآكام والرواق وكفل لهذه الحصون  
سلامة خطوط الاتصال . وكان سليمان بك (السكرتير سيف)  
لا يزال في ريوليقتا على رأس حاميتها فدمر حصونها وقلاعها

ومخرج بحيث سها ليدرك القائد المصام التي أصبح محصورا مع  
هذه القوات كلها في مكان لا يتجاوز ستة بيعة فراح مريضة.  
وكان حصره من جهة ساحيل الدول الثلاث ومن الاخرى بأفهام  
الآخرين التي تسوا من كل حدب. وقد يئس من وصول المدد  
اليه من مصر لانه سقى النفل فيها فباش سدة حصره لا يجد  
لنفسه وجهته من الأزواد إلا عسافه له المصادفات. وكان قد  
بنى الاراضي الصالحة للزروع، برى بنك الى توفير مولود القيش  
في مكان المصير نفسه، وكان هذا الاحتياط في المروجة القصوى  
من الحكمة ان كان في استطاعته للبيت طويلا في مكانه بسدة  
أوان المصدا للاحتياط بموانه وانما كيف كان يتيسر له انظار  
للووم القبل ليلستفيد يئلا ماكرست بداء.

أصبح ابراهيم بشا مهددا بالوت حوطا فلم ترمزع هذه  
السكرنة المتبددة من ثباته وثقتة بنفسه. وقد اتحدى عساكره  
في معانته البالية وصفاته المصودة فانهم مع تجردهم مما يكفى  
لسد الرمن كلوا متسكين بطاعته. ولم يجد بابا للخلاص من هذا  
الفتك الشديد الا بالمودة الى القطر المصري، غير أنه لم يكن  
ميسورا له طرح هذا الوطر إلا بأذن من والده أو من السلطان  
فانتظر حتى يحى اليه من أحدهما الأمر بنقته لجاء الامر من

والله بالعودة وكان قد أمضى في الاسكندرية الاتفاق الآتي  
بتاريخ ٢٤ محرم ١٢٤٤ الموافق ٦ أغسطس ١٨٣٤ مع الدول  
الثلاث ممثلة في شخص الاميرال كترنجن وعاي .

أولا - يتعهد والى مصر برد الأسرى الذين أسروا بمصر  
والله للقافرين وأرسلوا الى القياصر المصرية ومد باستقبال نفوذ  
بالإحتاق مع تسلسل الدول التحالفية لاستئناف اليونانيين الذين  
يعملوا قبل تلك الحركة ورد حريتهم اليهم

ثانيا - يشهد الاميرال كترنجن بأن يبيد الى حكومة مصر  
جميع الأسرى المصريين وسبعين من الكرويت أسرى في مياه  
شرم مدون

ثالثا - تخلى الجيوش المصرية بلاد موره في الحرب وقت  
ورسل والى مصر الى القافرين السفن اللازمة لتقلهم الى مصر  
الاسكندرية

رابعا وخامسا - سمن لتقل تقدم بحراستها في فعلها وإلها  
سفن حربية فرنسية وانجليز

سادسا - لا يردم جرتان منها تكن حاك أو ميت ذكر  
كان أو التي على متاعرة الخطر المصري والعودة الى اليونان عالم  
بحرب مراحلة من رغبته في ذلك

سأبها - يهود لا إبراهيم وشأن يترك في صورة ١٢٠٠ جدي  
 يقتضهم من اليهودي الاحتياطية المصرية كي تتألف منهم ومن  
 الساكر الألبانيين الموجودين فيها حاسيات مودون وناظرين  
 وكودون وباراس وكلسل توديز . أما التخط الأخرى التي يحتلها  
 المصريون من بلاد اليونان فيستبدون بأغلاتها  
 وكانت فرنسا قد أعدت حملة عسكرية لاستغلال شبه  
 جزيرة مودون أيدي المصريين وسير بها إليها مستغلين إبراهيم  
 الجلاء . عما علم ترغيبه أوامر مريجة بهذا الصدد من الاسكتندرية  
 أو الأسكندرية . وكانت مؤلفة من ١٠ ٠٠ عسكري من المشاة  
 و ١٥٠٠ فارس . ورحلت هذه الجبهة نحو تونون يوم ١٧ أغسطس  
 ١٨٦٨ فوصلت إلى ساحل ( يوتايدى ) مساء ١٩ وتزلت إليها صباح  
 ٢٠ وكان قائمها العام المنتسب جنرال ( المركيز ميزون ) ولواحقها  
 الجنرال ( ثيودور من سبانيان ) والجنرال ( شنيدر ) والجنرال  
 ( هيجوريه ) كل منهم يقود إحدى الفرق الثلاث الممثلة وكان  
 المارشال ( دوزي ) رئيساً لأركان الحرب والكونترول ( تونزل )  
 وكيله والكونترول الفينكونت ( لاهيت ) مديراً للطوبجية  
 والانتسنت كولونل ( أودون ) رئيساً لفرقة الهندسة والقيم العسكري  
 ( فولان ) لشؤون الادلوية . بمجرد أن وصلت أنظار اليونانيين

من أهل السواحل على العلم الفرنسي جثوا على دحكهم تحية له  
واحتراما وشكرا لله على منونته وعارضت ساعة من زوال هذا  
الجيش حتى توافد الأهليون بهلون متقدمين من الاستعداد اليين  
وللتبام والسب

ثم شرع القائد العام الفرنسي في المناقصات مع القائد المصري  
اليام الذي قال إنه وقد وصل إليه نص الاتفاق للبرم بين والده  
والاميرال كندر حتى لا يسمه إلا تنقيده بطرف الواحد وبعد  
مناقصات عديدة بين القائدين المتطيين برهن اراهم بلها فيها  
على لغة القناصة والقبيرة الشديدة والأربعة العلية والحاشيات  
والعلم الواسع بأسرار السياسة الأروبية تقرر أن يكون الزمه  
بالجلاء من المراتح السعيدة يوم ٩ سبتمبر . وقد بدى به فلاق  
هذا اليوم بحيث لم تشرق شمس يوم ١٦ منه حتى بلغ عدد الذين  
نزوا من المساكم للمصريين بإسلامهم أو امتنعهم ومجانهم في إحدى  
سفن القتال الكبيرة وسبع وعشرين قتاله ٢٥٠ عسكري .  
سلوت بهم هذه السفن إلى الاسكندرية بمحرسة المرحلة  
الفرنسية سيرين وسيلتين الإنجليزيين من سفن الحرب . وتولى  
هذه الأعمال متعوي البولي الثلاث وخبرت السيلانيون انياب  
بين البقاء في اليونان والذهاب إلى مصر مع سائتين آخرين

اشتهروا بذلك بفضل مرافقتهم موثرات اللبشة معهم في الرغاء  
والجمع على البقاء في وطنهم حيث يدفن مرارة الجيلة وصائبين  
مشاق القسك وضيق اللبش فلم يمارسهم أحد منها آثرته ومنع  
من السفر الى مصر الأطفال الذين دون الرابعة عشرة . أما  
الذين تجاوزوا هذه السن فقد عبروا بين البحر والقاء

وما روح نواذ جيش الحلة الفرنسية في مودع بطهروب  
الأدب والاحترام والمحبة نحو ابراهيم باشا فلم يقابل هذه  
الرعاية وهذا اللطف بشيء من صراحتة القناعة ولا بما عرف  
عنه من طلاقة الفيا . وأيقن الجيرال ميرون ببل الأسير الى  
شهود المرص المسكري فأمر بأجراء مرس عظيم إكراما له حتى  
الساعة التاسعة من صباح اول أكتوبر ١٨٧٨ ووصل ابراهيم الى مكان  
المرض في زورق لا يصحبه فيه سوى ترجمانه الخاص . وكان  
ساحل تاكوس الذي نزل فيه يبعد عن ذلك المكان مسافة طويلة  
احتشد فيها كثير من البرنانيين الذين تقاطروا للفرح والاستطلاع .  
فلتفرق القائد المصري جوهم لحشيدة بلا حرس حوله ومن  
غير خوف ثم برد وسط الجيوش الفرنسية واجلا فقدم الجيرال  
ميرون اليه جوادا كرمنا وجوادا آخر الى الطواجه ( آبد )  
كأنهم أسراة . ترجمانه . وكان ابراهيم يلبس بطة رفيعة القيمة على

صاحبة سطرها وكان يهبط من وسط طروشه الأحمر  
أزرق وليس صدرة (سلطة) لدية اللون مشعولة بالمرور  
وحراما من المرور يضبط حول النهر سروالا واسما من لون  
الصدرة ويحمل ثوبا لشف جميل مقوس، أما للترجم فأرض  
الأصل أقام ياريس زنا علولا وكان متصفا بصفة أوشه حمة  
ومتقفا برده واسع لا يودى اللون ينطى ثوبا شرفي الطراز  
يضبطه على الحسم حرام حررى فلما شهد ابراهيم باننا الجيش  
الفرنسي دخلت عاوناه أعرب عن ارتياحه من هيئة للشاة  
ودقة حركاتهم وقال قولهم إنه بصفته قائد للفرسان يود أن يكون  
قائد مشاة كهؤلاء ودون إعجاب به عند ملوحي نظره على شكل  
الجند الفرنسية وقد انتشرت في بسط الأرض أعلامه الفرفقة  
الثالثة من الفرسان الطفاف ولم يسه إلا أن دناس قائدها  
الكولونيل (دى هودواس) فاستدح له هذه الفرفقة لما لاحظته  
على حركاتها من الخفة والسرعة والرشاقة وأعرب له عن رغبته  
في اقتناء نموذج من كسوة حركاته فلم يكن من الكولونيل  
إلا أن يقدم إليه كسوته الخاصة \* وفي اليوم التالي كان ابراهيم  
باننا يتناول طعام العشاء بالمسكر العام الفرنسي مدحوا من القائمه  
العام ميزون فخرج سبعة من جنه ورجا من هذا القائمه أن يقدمه



الى الكولونيل (دى فردوس) ثم قال له سداى سعة اليد  
 وأرجو منك ان تحمد لحظة فان ذلك يكسبه في نظر الكولونيل  
 قيمة لم تكن له من قبل . وهي جملة كبيرة للقرى لطيفة التي  
 من دخل كانوا حتى أسس لها برمونه المحسنة وحب منك  
 السماء وتندرت قيمة السيف فيها بعد فذاها تتجاوز عشرة آلاف  
 فرنك . وفي تلك الولاية والولاية التي بقيت بعد إكرايا القناد  
 المصري تمام الظاهر هذا في حديثه من آيات الحكمة في التكسير  
 والتفصيح في التعبير والمصاغة في الاحتياط والتقدير ما أدهش  
 ساميه . فقد روى لنا احد الذين حضروا هذه الاحتفالات الجملة  
 القوائد من الضباط الفرنسيين ان ابراهيم باشا كثير ما اطم  
 بعزله وتمويهه على الأسلوب الشرقي كل من صاوله في الحديث  
 وفي ولاية الهند التي أحدث له على أثر العزم للسكوتى شرب  
 في سر الدولة الفرنسية ثم سأل ضباط اركان الحرب الفرنسيين  
 كيف يتفق دهاهم الى اسبانيا بل خمس سنوات لاستيلاء عليها  
 مع مجيئهم الآن الى اليونان لتحرير سكانها من العبودية  
 وفي ٢٩ ربيع الأول ١٢٤١ كان المصريون قد انموا تروطم  
 في السفن تحت قيادة الباشا الفرحيل من الفيلاد اليونانية وكانت  
 الجيوش الفرنسية تشككو استمرار عطول الامطار والبرد

القائوس والتمناه، معسكرين في الغلاء، فسيرت إلى المدائن التي لم يحل  
 فيها الصليبيون . وفي ٦ أكتوبر دخل الجندال هوجويه مدينة  
 ناكلوس من تفرقة في الاسوار كما دخل الجندال ميزون مدينة  
 مودون من بايف حكسرا ، الباطلانتواستولى الباترال يسودس  
 سبيلاتي على مدينة كورون في ٨ أكتوبر واحتل الجندال شيدو  
 مدينة براس في ١١ مه . وقتل الالف ومائتا جندي مصري  
 الذين كانوا بالقلاع إلى الاسكندرية كما قتل الاتراك إلى لؤمير  
 ومن ثم أصبح حلاص اليونان من دقة الاستياد أمرا عتفا صا  
 الجيش الفرنسي إلى فرنسا تلوكا مرة الملاحظة والمرجة تحت  
 قيادة الجنرال شيدو ولوكاية البلاد من الثارات المنسة والقتى  
 الماخية وفي حول ملونيه رئيسا لأركان الحرب . ووصل إبراهيم  
 باشا بجيشه إلى مصر في ٣٠ ربيع الأول ١٢٤١ الموافق ١٠ أكتوبر  
 ١٨٢٨ فخر محمد علي سرورا لاحد له بمؤته إياه وما لمع نظر الأبن  
 على والده وهو في وسط عظماء رجال الدولة الذين اجتمعوا إليه  
 لاستقباله حتى انفتح نحوه . ونيل أطراف الصفة التي كان جالسا  
 عليها . وذهب بعض الكتاب والمؤرخين إلى اعتبار علة محمد علي  
 للأمة اليونانية بوجه أمة كرمه ذمت مائت عييد جبرية لا تستمر  
 له بقاوا به لم ينظر إلى نصيبها التي هي نصبة الاستقلال القدس

بين اللطيف والاعجاب والاحترام - ولكن أكل في استطاعته  
منه باعتبار كونه تاما للدولة قليلة مخالفة أولمعا والمروج من  
طاعتها ؛ وهل قصر كما يزعمون تصفا منهم وحسودا في واجبات  
الرحمة فهو الغضلة ؛ اتخذ حكام الاراك هوض اليونان المطالبة  
بخررها من قيد العبد ذرعة للتشفي ونعت الاحقاد الكنية  
ألم يفرخوا الغرائب القادحة في سرور على السجين وأسرروا  
والى عكا تدوير كنية جبل الكرمل ووالى قبرص بسجن  
كل من يدين بالمسيحية على الذهب اليوناني ؛ ألم يذل المسيحيون  
في بزمير وجرد الاوغيل والآسلة الطيبة تسبا من عذاب  
الاضطهاد ألوانا ؟

أما والى مصر فقد ظل طول الوقت تشرأ على اليونان  
لولا دحمته ورعايته وعدله إذ أبى اليونانيين الذين في خدمة  
حكومته بوجالتهم ولم يصادقهم في متاجرم . ولم من عاقبة  
شرورها الحوادث التي ثلوت هرامتها باليونان ولا سبأ بشبه جريرة  
مودة فلم نجد حررا حرزا ولا مأوى كرمنا لها غير منقلب الليل  
حيث كانت التجارات والمعاملات في فلك المهد معاذ من كل  
قيد ومنطق والحرية الشخصية بحيث كان يستطيع كل أجنبي أن  
يموس خلالها بغير جواز دسني ويتنى من الأسلمة بحجة المهد

ما يريد من غير أن يترسسه أو يزجه أحد ، ولقد ذكر شيكا من  
تجار بلاد اليونان فقد أكرمت مئة عمدة على بلنا مشوي البعض  
منهم كالساعر (توكلسا) واستخدمت الحكومة في وفاتها  
الكثيرين من مهاجري اليونان فكانوا يتقاضون مرتأهم من  
خزينة الحكومة كالو غنقن للصريين سواء . وما كان أكثر عدو  
لدين وظفروا منهم في المستشفيات كمرتبين وكثية وأطباء  
وهناك دليل واضح على ما كان اليونانيون يحملونه مصر من حسن  
الشامة والرفق ولا كرام هو عدم أكثرات الاسرى الذين جيء  
بهم الى مصر بانودة الى أوطانهم بعد ابرام مهادنة الصليح . ومن  
الأمثلة الجديدة بالذكر في هذا المقام تأييداً لتسليح عمدة على بلنا  
أنه لما تدخلت أدوبا التحفلة في الحرب بين الصريين واليونان  
وأرسلت أساطيلها المتعدة الى ناظرين سنة ١٨٢٧ أنكر القنصل  
البرطاني في القاهرة مواعيد ما يترصون له من التطريد بل قد توترت  
العلاقات بين الفريقين ، اذا تخفروا في البلاد المصرية فقد ندد محمد  
على حبرا عما يلقي من الهم على عوامن المصريين وأكد القنصل  
فرنسا وقنصل الامم الاخرى بأن رديهم سيحدثون في التطر  
للمصري ما وعدوه ولا يزلفون يهدونه من الرعاية والحماية  
ولم هذه الهم الجائرة والثغوث القليلة . ثم قطع على

عنه بهذا أن يحاط على راسهم وأمنهم ولما جاد الساسكر  
 المصريون من اليونان وبعضهم مصاب بالبراح والبهيمى الآخر  
 مستور الأعضاء ظهرت فى الاسكندرية حركة عدائية ضد  
 المسيحيين وسمح الألبانيون يرمزون بلفظ الانتقام وشوهدت  
 علامات الخوف والاستياء مرسومة على وجوه الأهلين وهم  
 يطلبون ابدان الأعداء الذين ذهبوا الى القتال موتى أو أحياء  
 فجمع عند على جميع المصريين الذين يجربونهم بعد كارتة طاقون  
 فى خيام نصت بسيف البحر حتى لا يتمكنوا من مشهدة  
 مناظر الحزن والحداد من داخل القديسة وأدغم الأهلين على  
 العودة الى منازلهم وملازمتها ومن عصى منهم هذا الأمر عومل  
 بالشدة والنف وأكسروا الأرثوذكس ورجال المدينة على ملازمة  
 ثكناتهم ووزع فى الأحياء الأفرىكية سب ما كان يحكىها  
 حادة من الجنود لحفظ الأمن والنظام واتخذ بالجملة كل الوسائل  
 التى من شأنها دمع ذلك الطور الدلم لاسيما وقد حدث فى مساء  
 اليوم نفسه أى ٢٨ أكتوبر ١٨٦٧ أن حسف القصر بوعرف  
 القصر بأوله العامة حادة على أسوأ الوجوه ويخفوه نذير السوء  
 وكان من الحسل أن يأولوا فى مثل هذه الظروف بما يلقى نزاعات  
 النضب والانتقام فى خوسهم

وما لا يحتمل الجدل أنه لو خلصت القرون لحسد على  
لا دخلها في نطاق الإصلاحات الطبية التي رام بها أنباخي الشرق  
من شره، ولكن السواد الأعظم كان يجهل وقتئذ مقاصد محمد  
على بل كبيراً ما كانت الصحف بما تلقفه من الأخبار تحمل  
الرأي العام في كل بلد على متابعة اليونان والرومان لمساها وقتل  
محمد علياً وإبراهيم في صورة نجرين كالسرن انساباً على حين مرة  
في البلاد اليونانية فأعدا يمزقان احتشامها ويعدون القرائث الجليل  
الذي تركه لحول الاصر القديمة مثل (ليوبداس) و(برمكليس)  
و(ليكورج) . والآتي وقد سمعت وانقضت غمرة الخبيث مع  
الفرس وزلت براحت الاحتلال فقد أصبح سبلاً علينا تقدير تلك  
الشتائم قدرها والاعتراف جبراً بأنها لم تكن في شيء من الحق  
والصواب

وكان محمد علي قد أمر إبراهيم بما وفاء به من التطلعات  
الاولية عمارة اليونانيين الذين أمنتهم الامراس الروسية من  
نصد السيل بالقيز والعروف طابع إبراهيم هذه التطلعات ولم يحد  
عنها قيد أنملة فلم يسفك خضرة دم خروج ميدان القتال . أما أملاك  
التغريب والقتل والنهب التي أسندت اليه فقد كان ذلك طراً الأولى  
منها من حمل أهل مودنة أنفسهم لاسم كانوا يترلون على أملاك

الاراك المسلمين الواسعة الاكتشاف الكبيرة البدة في هذا  
 ليل بالانقلاب والاضواء ظهرت تحت الاحقاد واقتشفت بالانتقام.  
 ولذا كان ابراهيم قد أرسل الى مصر الاسرى للسفر اليه من  
 أهل موره. وم الذين سموا فيها بعد الى تامل الهول الآروية  
 بهذا الخطر فافلك إلا لأن كل وسيلة لوتابيهن من نصف الجود  
 فيها هذا تلك لم تكن في متناول مقدوره

ويجب أن لا ينسب من المخاطر أن حرب موره كانت حجة  
 الأمل للهالة على سالة ابراهيم وجرأته وشجته بين الإنسان  
 فقد حدث في مباد جزيرة ساموس أن يوصل الرمي بالبار بينه  
 وإحدى السفن اليونانية لأن هذه السفينة صرحت له متفوقاتها  
 بما لم يكن معه أقل ريب في أنه قد عرف منها. جلس في مكان  
 الرمان وليث بلا حراك كأن على رأسه الطير وكان ينظر طلقات  
 الرصاص باسم الثمر وهي تصيب ما حوالا قدميه. وحدث يوما  
 أنه كان يرحف في جبال (ميانا) فأخفا به تجاه أنه حصونه وهو  
 كولوكوزو ليس بأمر حوده بالامساك عن إطلاق النار عليه  
 أو إطلاق أي شيء به ثم قال له «سلم نفسك أيها القائد» ولم  
 يكن بينهما سوى مهلة مضيئة جالت اليوناني على ابراهيم ميارا  
 نوريا أصابت رصاصته رجلا من أرساعه مع أنه أمر عسكريا

فذكرنا بالاحتلال من كل حركة عدوانية . وفي مدة حصول  
 ميوسلوتس طلبت سفينة تحمل العلم البريغاتي الاذن لها بالرسا  
 وورق الى المدينة ليقل الرعايا الانكليز فيها فاجاب ابراهيم  
 « أعلم ان ليس بوله هذه الاسلحة سوى الاعداء . لذا أرفض  
 الاذن للزورق بالمرور » . وبعد أياح لوروق مرئى ما نحن به على  
 الزورق الانكليزي . على أن الادويين الذين أريد استنقاذهم أجروا  
 إلا البقاء مع المصورين الى النهاية ولم يوتروا أنفسهم بالنجاة  
 عليهم . وحدث أن مابطين يوثاين وقبا برحوا المدينة المصورة  
 مجهزين بأسلحتهم فلما وصلوا الى الميناء توسلوا الى ابراهيم  
 أن يأذن لهم بالمرور فالتفت إليهم يستمدون قرب سقوط المدينة  
 فأجابهم : « مردوا بسلامكم الى مراكنكم إذ لا أستطيع قبول  
 منكم . عودوا لتخبروا آبائكم ووطنكم بأنى أحترمكم الذين يحبون  
 ديارهم حتى النهاية وأن عساكرى منى تخدموا الهجوم على اسلحتكم  
 سيسكون عن إطلاق بنادقهم وأنى سأكمل بهم عائلت هذه  
 الاسلحة وحراجهم فاعية في المولد »

ودعا سليمان بك (الكولونيل سيف) السيو (الولانت)  
 تومسان السفينة للتمراعية الحربية (كوبراسيه) ليطلع على أحوال  
 الأسرى في اليوم الذين تفتتحها وقال له : « إن لتفتقد القى





تاليفهم باء القاء القوسى ١٠ وى سى ان اى هذا السبعه  
 اى ان ذلك كسبه و طر الكروى قيه ان كى ان من قى



سيجى الآن تحت نظرك إنما هو بأمر سمو ابراهيم باشا وهو  
 بأمرنا به كذا وصل عريق من الاسرى . فقلت ان تحكم الآن إذا  
 صكبان ما تشتره الصنف من الطامس والثالب في حقه مطابقة  
 للصواب والحق . وبعد عنبة شهد الصابط لفرنسى الاسرى  
 بوزع على كل منهم غطاء وفرش من الصوف وقبض وبلس من  
 القماش بلا فرق بينهم وبين الجنود المصريين . وكان أحدهم من  
 الاخصائين في سرعة اللاشية وقد نبض عليه متلبسا بها فقاوم  
 وجرح أثناء مقاومته ثم يشأ ابراهيم باشا استجوابه قبل تضديد  
 جرحه إذ أمر طبيبى انطاس بأن يترك علاجه ولما استولى  
 للمصريون على مصر ( توريخ ) عرس ثلاثة آلاف من سكان  
 العظيم ( جوبترى ) الطاعة على القائد وكان الجوع قد مضى بناه  
 فقام الباشا باليسر والمشاقة ووافاهم بما خفف به وقع مصابهم  
 وكافرا ينجشون ان يسى آتاه وطعمهم للهم بعد ارتحال المصريين  
 فشر بالرسالهم الى مودون حيث أكرم مشراوم وزودهم بما يفيض من  
 حاجتهم من الغذاء واللباس بينما كانت هلاون جنود مصر في تلك  
 الآوة غالبة منهما ومنى بالرخصي منهم غاية فاتحة . وخرج ابراهيم  
 باشا يوما للاستطلاع والتزود بمجهات بتراس خبر نهر ( النيل )  
 ونجم بساكره وسط سهل فسيح من سبيل ( إيليد ) فيينا كان

في غيته بعد الظهور بشمس الراحة اذا بصيحات تشر بالأيأس  
والحزن وصلت الى سمعه وكان الصوت يرتفع شيئا فشيئا بما يدل  
على ان صاحبه يدنو من المدينة فانتظر صبيحة فاذا بالمرأة خلتها  
العبرة مفبة عليه فلما رآته ألقت نفسها على قدميه فرفضها وأجلسها  
وطيب خاطرهما وسألها عن مرادها فقالت له إنها قد مدت إليها  
الهرب سديها وعزاه شيخوختها إذ أسره صابط مصري فاصبح  
ملك بيته فسالها اذا كانت تستطيع للتداه بال، فبكت مضموم  
عزيرة ثم قالت إنها لا تفعل شيئا . فتقدمها مبلغ المدينة لتتدى به  
ابنها ثم استدى الصابط والتلام فلاحته على المرأة علام الفرح  
ولعنزت اعترافا للسروو ولكن ما كلفن عظم دعشتها حينما رأت  
ولدها وهذه كيدما ينكر نسبته اليها ويخفي بفضه على أقدام  
سيده . ولقد ساء ابراهيم مسلك التلام نحو والدته وعقوله يلها  
فهم بطرده من المعسكر ثم عدل من ذلك لشعاعها بما يطلب اليها  
ان تحتفظ بمباح المدينة لتتفقه في شؤونها فاحصا اليها ان نحو  
صورته من صبيحة عليها وان لا تورط به الآن سبها

## الباب الحادي عشر

### سوريا

من سنة ١٨٢٩ إلى سنة ١٨٤١

كانت حرب موزع نوسا مفيدا لمحمد علي باشا و ابراهيم باشا  
نظرا الى الاطوال التي قتلت فيها وكان اهل ش من الجبل بأسرها  
عانت هذه الحرب الأميرين المصريين بتفوق للتدابير المصرية  
اذا كانت سليمة على الثورة والتدقيق قبائرا على القصور تسبق  
فرسان الجيش على الطراز الحديث بحيث يشمل على الخيالة الخفيفة  
والخيالة الرماحة والخيالة المدرعة والخيالة المدرعون . و ان قبل  
سنة ١٨٢٩ عهد الى السيوف ( دى سريرى ) « و بها عهد : سريرى  
بك » بالمشاة محاربة بحرية بدلا من التي حطمت على واحة بالقرب من  
تولى تعليم بحريتها فرنسي آخر هو السيوف ( يسون ) « فيها عهد  
يسون بك » . واستمرت التنسيقات الأولية والاجتماعية  
هامة على قدم وساق مراكبت في المائل الآلات البخارية المستوردة  
من إنجلترا واهتمت الحسم الى تجديد ما يلى أو تعدد في الحلة الأخيرة

ويؤثر في الآن نفسه إصلاح يرى إلى إتمام ميزانية الحكومة  
 فألقى تطبيقه إلى تسيير كبير في القروع الادارية المتخلفة  
 وقامت مصر إلى مديرية تموين اكر وخطط وسألت فرنسا من  
 الحكومة المصرية بلسان البارون (تيلور) ان تحصلها ببعض  
 السنين للذين تحيلان مدخل هيكل الأقصر جراء مساوئها لها  
 على مباشرة الاملاحات العامة وموافاتها ولما يحتاج اليه من  
 الاموال وكان ذلك في آخر الح سنة ١٨٢٩ فأجابها الى سؤالها  
 وشرح حالها في بلاد سلفية عامة لتقل الأثر الجليل برحت بعد  
 إتمامها ثم تولوني في ربيع سنة ١٨٣١ وأقلت إلى صعيد مصر  
 ١٤ عامًا فرنسا تكبدوا مشاق الانتفاذ والتحصنوا الاخطار حيا  
 في بلادهم وحرصا على مصالحها حفظك الأثر الجليل للائل آمنا  
 قد وثق عرى اللودة وحرصا ومصر . وحينما خاطب الملك شلوي  
 العائر سمو محمد علي باشا بشأنه اقترح عليه اشترائه مصر في فتح  
 بلاد الجزائر يرى بذلك الى إجلال قدره والتمويه بدكره فقل  
 عن هذه للشائكة للصوبت وموانع شرحها له الشرح الوافي  
 فاصطرت فرنسا الى القبل بمفردها بالرغم من تهديدات بريطانيا  
 القسطنطينية وتكثيرها لها من ثلها  
 واتفق أن شبت في بلاد المغرب ثورة جديدة ظم بأطاعتها

القول المصرى ووصل قاضي باشا من طرف السلطان وعلى يده  
مرسوم قهنته لمحمد على باشا بهذا الظفر الذى وإستناد بمسألة  
مسكة الى ابراهيم باشا ، ومعهم أن هذه الزينة فى العصب الأول  
من رتب الباشوية فى السلطة الثمانية وكان قنرس من توجيهها  
الى ابراهيم باشا دون والده إقطاع الأطماع فى نفسه وإلقاء بطور  
الشفاق بين أعضاء الأسرة للالكة فى مصر ولكن منهج الحكمة  
واقبصر القى سلكه ابراهيم باشا فى هذا الطرف المظن واحترامه  
الطبرى لشخص والده هناك سئل عندما خدعة الباشا التى لم يبرح  
فهمها قط على ذلكاته حصوماً وأن الدولة القلية كانت قد ظهرت  
من قبل مظير السنون على والده بما هو من مكتسب له ففقد وعنده  
مرتين بناسبة حتى الوهاية ومورده بأسناد باشوية سوريا إليه  
حزاه الخدم التى قام بها لها ختم تف بلوعدت بل اكتفت بالتنازل  
له من حزمة تده بلو هي حرية سطر م إدلوتها الخلق المال الكثر  
وليس من للتظن ان تأتى جسيادة ما إذ كلان إرادها لا إحصاور  
أربعة ملايين من القروش فى حين ان مصارحها كانت تروى على  
أحد عشر مليوناً منها

وسكت محمد على بنصرى الفرمسة الملائمة لوضع يده على  
ذلك الظفر حتى عيأها له وإلى سكا على غير انتظار

ويبان ذلك ان هذا القوي واسمه عبدالله خيل له في شعبان  
 ١٢٣٧ الموافق مايو ١٨٢٧ ان يوسع نطاق سلطته ضم دمشق  
 الى البلاد الداخلة في ولايته فلما علم القولاة الجاويون بمراسي هذا  
 التسلط تأهبوا قتاله إيقاظا له صرد آفته . وكان قد قطع من  
 الطريق المؤدي الى دمشق نصفها لمعاد أخرجه الى عكا ليدفع  
 عنها ضد حصرين ضرب عليها بطاقتها باعا . ولم يستطع أمدائه  
 ان ياتوا من أسوارها فقتلهم فكان منهمكم عليهم وبقايل حائل  
 مقدوف منها بقلعة بسيطة من شتمته أو بارسال بعض السوارفج  
 والاسهم لتأريه تشق الفضاء ومع استطاعته اطاعة أمدقاومه  
 المعاصرين له كان لا يخفيه من وجودهم سوى أمر واحد وهو  
 حصر الاسطول الشباني له من جهة البحر فان هذا الحصر ،  
 لو وقع يقطع خطوط مواصلاته البحرية وبحرمة القرد والكتون  
 عند الحاجة فلما خشي هذه للفة وود لو يبال ضرر القلب القابل  
 الذي حقق عليه حقا شديدا توسط محمد علي باشا له في الامر  
 فقال بأمواله في مقابل دفع غرامة قدرها ٦٠٠٠٠ كيس قام محمد علي  
 باشا بدفع جزء منها لرماله وحيثما حل أهل السداد لم يبد  
 من عبدالله باشا لائحة ميل الى الوفاء بل سوت وانتقل من  
 القسوف الى التطروح في تكران الجبل والظهور في منظر الهداه



او منح مصلحه له صاغت نهريب المخطوبات في مصر من طريق  
مصره السويس وجمع ستة آلاف من خلاص القصبه يحصل هذه  
فلما طلب محمد علي باشا رده هؤلاء للهاجرين الى اوطانهم أجاب  
بأنهم دعاء الدولة وسواء عليهم ألقوا بالشام ام بالمطر المصري  
فاستاء محمد علي من هذه الاجابة وأجابه بأنه ذاهب اليه بنفسه  
ليأخذ القشة الاكلى علاج زائدا عليهم رجل واحد (أى هو)  
أما السلطان محمد فظل غير مكثرت بمطالب محمد علي باشا  
حتى اضطره الى التصرح بهاروا بأنه سوف يحصل عليها مضاعفة  
وكانت الجيوش والخلق والذخائر والوزن والاسطول على الأهبة  
الثامة للتوجه الى الشام هذا هو يكاد الكوليرا قد تفشى في البلاد  
ولست يستأمل عليها التمسك الا مدة ٣٠ يوما من أغسطس وسبتمبر  
١٨٣١ فأهلك منهم في هذه المدة ١٥٠٠٠٠ نسما من بينهم ٢٨ أوروبا  
وأصيب من الثمانين البارية البركسية والسودانية الثلاثى كى  
في حرم محمد علي باشا ثلاثون من جيما به ولما انتهى القراء  
واندثرت آثاره من البلاد اجتازت الحملة المصرية حدود سوريا  
مؤلفة من ستة آلاف من المشاة وأربعة من الفرسان وأربعين  
مدفع ميدان وأكثر منها للمصار وساند ابراهيم باشا قائد الحملة  
ولو كان حربه يجرأ من الاسكندرية وكانت تتألف من جيش

باشا حيد محمد علي باشا و ابراهيم باشا ابن أخيه وسليمان بك  
(السكرتير في سيف) وسليم بك واحمد بك للتبكي

وقد اتع ابراهيم باشا في سيره الخطة التي اتبعها تاهيون  
بونا برته قبل اثنين وثلاثين عاما حينما زحف بجيشه على سوريا  
لد استولى في طريقه على غزة ولفا وجينا والقدس ونابلس ووفي  
٢١ جمادى الثاني الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٣١ نصب خيلده امام  
حصون عكا التي عبر القنصل الاول الفرنسي عن تهر هاو وصلت  
من مصر مائة مؤلفة من خمس سفن كبيرة وقرقات مديفة  
فماوت جيش الخي على القيام بأعمال الحصار وقطعت عن المدينة  
المحصورة ما كان يرد اليها من الامدادات وفي ٢٩ الحجة ١٢٥٧  
الموافق ٢٧ مايو ١٨٣٢ ابح بعد حصار ستة اشهر طلوت المدينة  
اتتاجا مقاومة عنيفة وأطلقت المدافع المصرية في خلالها ٥٠٠٠٠  
قذيفة كروية واسطوانية و ١٥٠٠٠٠ قذيفة كروية امفر حيا  
من السابقة سقطت تلك المدينة الثنية بأيدي المصريين في  
شاع نيا هذا الاستيلاء في بلاد الشرق حتى اعزى أهل  
وحكوماته الدهش ولشدت تحمس ابراهيم صاحب القلا وسأذهب  
في فتوحاتي الى حيث تنهي البلاد التي يتكلم أهلها بالعربية  
ولرسل باشا عكا اسيرا الى محمد علي فرفاهه بمقابلة القاب المخلوب

أو الملك المملوك بل مقابلة الوزير لوزير مثله

وخلق السلطان مئة هذا القور فأصدر مائة آدمي فيه كلا  
من محمد علي باشا وأبراهيم باشا بالفروق والنصيان اعتماد على فتوي  
تجيز اعدامهما غير أنب وسائل هذا الأعدام كانت قد بقيت  
في سراي الآستانة كما بقيت في قصر القاتي صككان وحلت ذرائع  
القتل والروية بهما محل الترحس والمسبة وصار أضراب كبير  
سنة ١٨٣٧ لا يجيدون في طريقهم امثال سليمان الحلبي . ثم لأن  
السلطان محمود كان من ذوي القتل الراسخ والرأي العائب رأى  
أن القتل لا يجدي فلما حيث يلحق تحكيم القيد والدمع  
فسير إلى آسيا الصغرى حيث شاذلها من ٦٠٠٠٠ جندي وورس بيده  
خطة الاجراءات الحربية وألصق قائده العام كسوة للقيادة العليا  
وعلى المعاطب التصريف للبيئة للركشة بأسلاك القصور أعمدة  
سيفا مرصدا بالمرجو لادين عريين مطهين وفقد رنة للثيرة  
ولكن من هذا القائد العام الذي فاز بقتل هذه الزلفي من الحصرة  
السلطانية واقترب نجه بالسعد إلى هذا الحد هو مريد الانكشافية  
في ذلك الذي صككان و أول عهده بالاعمال حالا للاقتال ثم  
جاسوسا ثم رئيس قلعة ثم مبيجا ثم جلاداً ثم باشا فباشا القاشوات  
جميعا . ثم كان هذا القائد سيفا مغنيا في دس مصر ولكنه الآن

سيف لا يخرج من قرابه . وكان الفريق محمد باشا مدوني حبيب  
باشا قائد الطليعة في ذلك الجيش وقد حدث أن سمع دوى للدلع  
غامر أعوانه بحمله إلى غيبة معها بالقرب من نهر حصن لينتفع  
فيها بالراحة مضطجعا على القرائش المؤثيرة سيرا الأذنين لملارات  
المدح من الثملفين ناظرا إلى انقضاء الدخان للتصاعد من  
ترجيته في بحر غيخته وقد جامد ذات يوم وهو في مثل هذا الحال  
صاحب من القرمسلى أنفق راحته وأروع سطره بأبلاقه خبر  
استيلاء المصريين على جميع السواحل أي على جبل لبنان ودمشق  
وأهم لم يبق بينهم وبين المسكر سوى مسيرة ساعتين . وكان  
محمد باشا على وصول هذا القبا العزيز إليه بهيبة يستفزهم  
حنوده بمثل قوله ١٠٠ هانحن أولاء دمعون إلى مصر ١٠٠ وكان  
السواد الأعظم من سامية على وشك أن يذهبوا إلى الحقيقة إليها  
وإنما مكبلين بالسلاسل والأغلال . كان جيوش مصر وصلت  
إلى الشام قبل أن تصل الجيوش الثمانية إليها وحلوت يسالة  
لا نظير لها ولم يسبق لأهل الشرق إلى هذا العهد أن تهاجموا  
محبب الأساليب الحديثة فلم يكن يترتب أن تفوق مصر بهمة  
الأساليب على الأتراك وإن تفوق عليهم فوزا ميثا وإن تظاودم  
إلى حدود الصحراء . على أنهم لم يكونوا من لم شعهم بالقرب من

سمح الجبال الحاكمة على (السكنديرون) واستنصروا بها طردهم  
 ابراهيم منها الى سهل نهر الدانوس الكثيرة للسفنقات وكان  
 قد استولى في طريقه على (حلب) ثم على مضيق (بلان) فوجه  
 اليه اعدائ انطاكية لوجود تقدم عروس الهاني والرت حامية  
 اللاذقية له بالطاعة ولم تصار من القاتل المتشرة في مسيح الارمن  
 حتى سر القرام في حقوق الظفر والقلع عليهم . واقتدى بهم  
 بعض مركز آمنة فأصبح ابراهيم باشا صاحب السكينة الناجدة  
 والامر للطاع في ميدان القتال الذي تناول بلاد الشام من اتصالها  
 الى اتصالها . وأخذ الاتراك يد ان تولام القرم والياس في  
 هزغتهم الى جبال طوروس وحراب عباس باشا في أعينهم جاد  
 منهم عدد عظيم والذين لم يغبوا بما كانوا مصابين من الامراض  
 اسير الأكراد وفلاحو الاناضول طهم يسوقهم وأصل للشير  
 حسين باشا الطريق الى ما وكان قد صدر اليه القرامات في عبر  
 ولته بتوليته باشوية مصر والحشة وحكومتهم عاد الى القصور  
 كعيف البصر على أثر دمه مديدي شديد أصيب به فعاد الى  
 مدينة بروسة ليواري خلف اسوارها آلام القار وغاري القتل  
 والانتكاسار فانتخب للسلطان خذاه وميله في حرب سرور ألا  
 وهو وشهد باشا بر عسكري الروماني الذي طرد من (أدنة)

مصطفى باشا والي استغرددة الحاضر بالسعي والاشتغال على  
السلطان والخدمة. ولما ظهر أنه كانت تلك له مبعثة للمسكرات  
والشمائل السياسية ولكنه لم يكن في الحقيقة أهلاً لشيء  
إلا أن يكون دهم مصلحة أو قائد عبيد. وكان السلطان مودعاً له  
من التوفيق في تركية أوروبا فمره بمحمد أعظم عدد من الألبانيين  
والهوسونين ومن يحضر إلى الآستان في الولايات الستين  
التياء والقمرسات المحافظين على الولايات التي تحت إدارته ثم  
يتم إليه رسالة بخط يده كالمادة يسلمه بفتحها مقاييد الصدورة  
المطوية وخطة شريفاً آخر يسند إليه ولايات مصر وجده وعديا  
والصعيد وحلب ونيقية والقدس للشرق وعطفاً شريفاً ثالثاً  
كالمادة يبعث إليه بالقيادة العامة. ولا تسجل فسبق الحوادث  
بالكلام عليها في غير أولها وإنما تقول إن الاحتفالات الشاهقة  
أقيمت لمراد الخليفة وقدمت إليهم الهدايا الثمينة الغالية ولم  
يقصر السلطان في وداع عساكره يوم تحركهم إلى ميدان القتال  
على الأعراب عن أمانته لم يل ذهب نفسه إلى مسكر القائد  
النام في سكندار فقال له علي مسبح من الجنود: «أنته الدولة  
فإن شكركم لك ولعازلك، إذا علمت، لا يكون له حد»  
وكان إبراهيم قد استمال إليه شعوب سوريا ومرجهم

بمسأكره وحصل منهم على القادير الواقعة من اللذان ونصفي في  
الراحة بينهم شهرين كاملين ثم جاء اليه في هذه الأثناء من أبيه  
الأمر بالأقبال في آسيا الصغرى فاكسح بين (خفته خان)  
(أو توتانلاي) طول الأعداء التي كانت تصد دونه الطريق  
وتحل في أرمكي لخدمة منهم ونعم حسانا له وترجع في دست  
التفوذ والتحكم على السحر الثمالي طردوس في بهرة الملكية  
المنائية نفسها. والتحت طلائمه بالثباتين في مسركين كانت  
الصور النظامي جهالها ثم كثر الحوشان بالقرب من (عربا) وكان  
الأثر في ثلاثة أمثال المصريين عددا غير أنهم لمساو التاورات  
المنائية وبسالة ابراهيم باشا وسليمان بك ولوا الأديار تاركين على  
ساحة القتال اثنين وثلاثين مدينا وثلاثة آلاف تيل وعشرة  
آلاف أسير. ووقع الصدر الأعظم وهو مدفع في ليدان  
بماحت الحراس في قبضة العربان الماعدين المصريين وجرى به  
الى ابراهيم باشا فقتله بالحفاوة والاحلال. واد كان يعتقد أنه  
لن يعيش اذا انهزم جيشه في واقعة فقد ستودع كخياله مفاتيح  
الباب العالي والسر عسكري المنائية ثم هم وثما أوعسكت الحركة  
ان تنتهي بالقتال بنفسه فحاض المسحة متحسنا ليودا على أداء  
الهمة التي وكلت اليه فجاءه حصن المسأكر الذين خضعوا تحت

لوائه في أوروبا وعند غروبهم بالدموع وانسلت نظريهم  
بالطون وقالوا له : « رشيد باشا إننا نرى أنك نصل دائما  
متأخرا فقد فني الامر » فأجابهم : « كلا بل لشجونا ولا  
تأسروا إنه ما دامت في القرون نظرة دم ملاعل لبأس » وقد  
قلبت هذه الاساية الى شيخ في نونيا فقال : « لما كتبت الاشادات  
للقيمان من سر خواصها الطيبة لم يقل له عت منها قط ان في خلية  
الشفاء من الموت وكان محمد رشيد باشا في هذه المركبة قبل  
ولكن دولتنا كانت الحنة الحامدة الخالصة »

ولم تكن ست ساعات على المركبة حتى أيد المباش القماني  
برم كما أيد الجوش السابق فتكون الدولة قد فلتت جهش  
في المل من سنة أشهر وكان انهزم لجود ونشنت في الآفاق بحيث  
يتعد أن تقع العاصمة في آسيا الصغرى برمتها على عشرة جنود  
مجنسين معا . ولم يلبث ابراهيم باشا أن تولدت اليه من سواحل  
البحرن الابيض والاسود الرمود تفر له بالطاعة والاعلاص  
بالتيالة عن الشرب لقي أوطنها وتعجب بحسن نظام الجنود  
للمصرية ونظري بسلاتها وشجاعتها وكانت كل الامم فيها بين  
المندوبين سفود تترقب أمرا أو لشارة من القائد المصري الظاهر  
نهامت على تقديم الطاعة اليه وأقام ابراهيم باشا بولاية كوتلعية



شبرا كالملاك والاهالي يقدمون اليه أنباء الثون الوفرة ويدفع  
انماها بكرم كما كان يدفع عوصا من المال من سكنى المساكين  
المصريين منازل الأهلين وقد رواق حمايته العملية على مسيحي  
تلك الولاية

وفي ٢٩ شعبان الموافق ٢٠ يناير دُفِعَ على مدينة كوتاهية  
فاحتلها جنود ولم يكن فيها والآستانة أكثر من خدج ورسا  
الى مسيرة حصة أيام فبين الواضع لجيشه في (مستبدا) بالقرب  
من الخلق للعضية الى سهول (ايديا) طرعت فرائض أهل  
بروصه وأزهر والآستانة، والعكس الدول الأوروبية هبت  
للتدخل وفي مقدمتها مصر بالسكوف بتولا فامدى محمد  
على باشا تجاه هذه الحالة حكمة بروحة الاعتدال والروية وسين  
العرش الثنائي بذلك من عادية للتتلب فأصدر السلطان بإخراج  
١٩ الحجة ١٢٤٨ الموافق ٢ مايو ١٨٣٣ خطا شرعا بتثبيت محمد  
علي في ولاية كرد ومهر واسار ولاية جند مع لقب شيخ  
الحرم للسكنى الى ابراهيم باشا والتنازل عن ولاية الشام للأول  
وعن الترام مركز آخنة للثاني وعلى هذه القواعد أبرمت معاهدة  
الصلح التي سميت بمعاهدة كوتاهية وهي السكبان الذي دهم  
ابراهيم باشا عنده عن مواصلة الزحف يوم ٢١ ذوال الحجة ١٢٤٨

للدوافع ١٤ مايو ١٨٨٣

ولكني بين ماعية للأجرامات الحربية التي قام بها إبراهيم  
 باشا فكسني بإيراد حصة من سطرا من رأى إبداء فيها عظيم  
 من صفاء فوالها برنة الموشالية قل : « بنت حنة سنة ١٨٨٣ »  
 تشرف إبراهيم وتعل شأه وغني أن اللعين بالتشؤون العسكرية  
 والخبيرين بها يستلوهن من أن تلك الحلة لا يهين عليها اعتقاد  
 ولا يتناولها بخرم وبن قيادتها فيت على أسلوب حكيم وقاعدة  
 مستقرة وحمة عالية حينما قصت الظروف بغير دعها وأنه لو  
 اسكن توجيه لوم ما إلى إبراهيم باشا لأنه في الملوكة الثلاث التي  
 لشبهت يده وبين الأتراك استخدم منذ القتال معونه الثانية  
 وجيشه الاحتياطية فانه غير ملوم فيها اتبع من هذه النظرة  
 لعله برادة الجيوش المصارفة له واعتقاده القدر هم . ولم يولد  
 إبراهيم باشا على خطرة القتال والطم بأساليه ولكنه كان موقفا  
 فيه بالمراد في الطرابة ووجود دهنس لأحسان الحرب معه  
 معروف بالسكندرية العالية والمروية الثالثة بفسير الجيوش ألا  
 وهو سليمان باشا الذي حكان لا يزال في ذلك العهد سليمان لك  
 (سبعه) . ولنا أردنا أن نقف الآن على فكرة محمد علي باشا وصدق  
 ظره في التشؤون غير الحربية فكم من النظر في القطعتين الآتيتين

التي كتبها هذا الرال التي أزمته السياسة الأجنبية التي  
عن حقه لاكتسب في الانتماءات للهيئة التي فازت جيوش  
بها، كتب

« إلى حضرة القضاة المحترمين لفرنسا وإنجلترا بالنظر  
المصري ، بما أنني ذو شوكه واعتداز يجب أني أن الشريعة  
الطيرة والفتاوى للشريعة التي أرسلها إلى هذه بلاد العرب  
والإسكندر كافة ترمي بمواصلة العمل لفترة حكومتى وأننى  
بما أستطيع من جهد وأندفع به من وسيلة بحيث إن قد سبقت  
الطاقة بالبلاد التي وعدت بها فقد حولت على استقامتها إلى أن  
يكون هذا الزعم . وعلى أقل من أن أترك سدى سيرة استقامتها إذا  
كنت قد استقلت طول حياتي بهمة ووضعت أمي في كل منها  
ولست أحب أن أتمرض للرم بأفغال معالجها اكتفاد بما  
أحصل عليه من الراحة لنفسى . كلاً بل أني أحب نفسي سعيداً  
إذا مت غلصاً في أداء واجبي فإن في ذلك كل الجهدى ولذا كان  
هذا هو عمودى الذى أحس به فأتى لرجو من إنجلترا وفرنسا  
أن تبذل حبال خطة مطابقة للعمل والانصاف ومواقفه  
لمصلحتها ذاتها »

« إلى حبيب القيس أميرال البارون ووسان السفير لدى

الباب العالي سدى السيفير في رسالتك رقم ٢٢ فبراير اعترضتم  
بأنه لا نحن في الطالبة يلاذ غير عكا والقدس القسرب ونايس  
وطراس القسام وان الواجب على بناء على ذلك للبائرة بسحب  
جيوشى واندرتم بسوء العالمة في حالة الاستماع عن هذا الفصل  
وأما ان يوردكم شعورا الى ما تقدم محلا بالكتيبات التي وردت له  
أننى لما بخت مصرًا على مزاجى فلسوف لفصل الى السواحل  
دوتنه متحدة من لفس الانجليزية والفرنسية ولكن الى أى  
حق بجناب السيفير نستعملون في نجرى على هذا الشكل : إن  
أمنى بأسرها متضمة الى في مطالبي وكلمة منى تكفى لا تلو  
الأهلين في الزوملى والاتامول الى أن في لغوى ، إذا شئت ،  
أحدثت حدث في للبلكة الثمانية بموافقة ومداومة كلشيب الثمانى  
نفسه ، ولقد استولت على الطارئة واتصرت في كل البادوبومع  
هذا فقد اكتفيت يلاذ الشام الى بسطى من الخلق عليها  
فرد جيوشى فيها وانماز الرأى الصام بها الى : فذا كنت له  
مننت جيوشى عن الوصف لم يكن ذلك الا نحن السماء والنس  
بها فيها لا فائدة من نرجى ولينسخ أمانى مجال الزمن للاصلاح  
على قبول الدول الأوروبية وأما بها وها أنهم الآن زومون من  
لقاء ما أبدته من المعروف والمهامة وحسن التبة ونجدها تكبد

أمنى من الضحايا وهي قتي يرجع القصل إليها في التصاريق انتصاراً  
جديراً بحسب الذكر على مر الأيام الجلاء عن البلاد التي احتلتها  
وسحب جيوش إلى مقاطعة حبيزة الملقم عليها من باب القوسم  
كدم الولاية - أفلا يد هذا حكما منكم على الملوك القيسية التي  
لا جسر مع هذا على فرسا والتمهرا أن لا تفتا على  
بالعدل ولن تنترقا بحقوقى لا - باللو ط شرهما صدمها والمصر  
عليها فإذا خابت آمل وحيطت مساهى فلتت يطبع إلا القدرة  
الألمية من ترا الملوك على القار ومعلما لفضية أمنى ومجسطا  
بخدمه بلادي عن ألقط النفس الأخير . تلك هي التبة التي عليها  
عزلت وفي التاريخ أمثال كثيرة لهذا الاخلاص - الاسكتندرية  
في ٨ مارس سنة ١٩١٤ - الامضاء محمد علي والى مصر .

ولم تكن تعاقبة كرتابه في الخليفة إلا وعا من الحدة  
لأن والى مصر رجع بمقتضاهما شيئا كثيرا احب اليه الطموح  
الى الريد - وحسب السطائف حسارة بطية لم يسمه تلقاسا الا  
التمل بالسمي لاستردادها - وما أحزنه وأثار الحزازات في قلبه  
الاسلوب الذي جرت عليه تلك المساواة فان حزنه يسببه كان  
أشد منه بسبب ضياع املاكه للتاسعة الأطراف من يده  
وما ضايف أسفه وأجج في نفسه نكر الحقد انزعاج محمد علي

مبولجان الذيار السورية بتلك الصورة الخفية . اذا حول على الصبر  
والثبات حتى تنجح له الفرصة الملائمة لتفت حقيقته وحزنا انتخاذه  
وكأن محمد علي واسع الحيلة جسورا في تدمير بياته فأفس في  
نفسه من قوة البطش ما يستطيع معه ان يحمل المبولجان مطلقا  
من كل قيد . ثم انتهى نظره حوله فرأى من الرجال والاعوان من  
يصحح الاعباد عليهم في الشدائد والثقة بهم في استبقاء تلك  
الولايات بنسبة أسرته ومن ثم طبع الى تقرير استقلال مصر  
وحصر حق الولاية في ذريته . وجهد هذين الطمعين فلم يكن  
صعبا ان يوفد السلطان اليه سوتاعلمبا وهو مبارم الخدي  
ليفاوضه في شؤون النيل التامة بة محنة وقد حوت بين الاثنين  
مفاوضات عديدة طرحت اشياء على بساط البحث جمة التراتبات  
كان محتاجا ان حضى للردوب الشاهاني والى مصر على المنذور  
الى الآستانة لمفاوضة السلطان في مطالبه فتشكر له هذه الدعوة  
ولا ان من أحب الاشياء اليه ان تتم له الخطوة بتم امره  
رداء الحضرة الشاهانية ، غير أن اب واجاته بصفته والى مصر  
والشام واندبا وبلاد العرب نصطرها الى البقاء لمباشرة شؤون  
هذه الولايات .

بلى ان علمه للمفاوضة لم تكن القبح الوحيد الذي نصب

لأنه فتح محمد على باشا فن الباب العالي من ناحية جديدة فاجتازك  
وعرر إنشاء الاحتكار والالتزام بجميع أنحاء السلطنة مائة هذين  
القرنين لأنظر محمد على وإبراهيم مولود الاعلام وكانت القصر  
في ذلك العهد متواترة في جبال سوريا وكثيرا ما كانت تهد منها  
الى السواحل إما لتحصيل الضرائب وإما لتجديد أو لتجديد من  
السلاح وإما لأسباب غير هذه تلك وكان إبراهيم باشا هناك يحكم  
سوريا بالنيابة عن والده وجمع القوي على مستحقها ولكن  
هو صف تلك الفترة لم يكن معها الاقطار السورية كلها بل  
خفاف البعور فقد حدث أن أنزل أخوان الباب العالي للوكلاء  
يدس الدسائس والاضطراب انقطعت الفترة في حوران شرقي جبل  
لبنان فكلفت اخذها مصر عشرة آلاف عسكري وانتهى الامر  
بالباب العالي ان يحول على الحرب . فلما جاء فصل الربيع من سنة  
١٢٣٤ هـ أمر بالهيئة في (سيواس) فراقها ابراهيم باشا بواسطة  
فصائل من الحشد حمل (الزفة) على سفنة القراة مركز احتشادها  
هو في السلطان محمود إرسال السدد والاع في تحصين الحدود بل  
وأمر الولاية يستحيون من ولايتهم حتى بلغ ما حشد ٦٠٠٠٠  
مقاتل على اختلاف الاجناس والسنائد  
ولكن ابن كان والى مصر في هذه الآونة ولدا حكامان

يصنع وكان يجهز في بلاد سنار وزود مساجم الذهب الواقعة بين  
المدجنتين النائرتين المادية عشرة من خطوط البحر من فصصات  
السلطنة بينه والقاهرة ٦٠٠ فرسخ بينا كان الباب العالي يحشد  
للاستظام في سفك الجيش جميع طبقات الجندين . وكان ابراهيم  
باشا واقفا في الحقيقة موقف الحارس المراقب لحشد في حلب  
النظر الاكبر من قراه وورع النضر الأحمر على (عيتاب)  
ومضائق (كوكك بونار) فيها بين كرمانيا والنام ثم على حماء  
ورم أسوار مكابجمل في حمص الأسير شير زعيم القردور  
والوارة مع سكان جبل لبنان . وكانت تصل اليه التقارير من  
الاسكندرية محلة على الجبال بعد ان نظاهر قائد الجيش الثاني  
بأدرب بعض المصاة من بكنوات كردستان حمل مركزه في  
مطية بالقرب من القرات وكان ذلك في أفريل سنة ١٨٤١  
أن طه لثون وانتشار الحلي الشيوعية أكرهه على تبديدها كره  
فيها لا يتل سطحه عن . ١٨ فرسخا مربعا من الأرض وجعل في  
ضواحي دبلو بكر وأودفه ومطية ١٥٠٠٠٠ مقاتل . ذلك لتأكد  
هو حائط باشا الذي حلف رشيد باشا على القيادة العامة على آر  
وقاه بالحق المحبة وكان حائط باشا يقف معه بلانتم لسلطه فبدأ  
اماله الغربية بالاتقاضي على القوافل والجنود فها كان



يوم ١٧ مايو ١٨٥٩ عبر سهر القرات وعسكر في ٧٢ منه أمام  
 نصيبين وبث حواشيه في سوريا للاستعداد بالثوارين واليهوديين  
 وفي ٢٤ مايو استولى على قرى ولاية صيناب فوصلت  
 مستولية انطع للعلات القودية واليد بالمدوازي بقاء على العناوين  
 اما ابراهيم باشا فقد نجح لدخول في القتال بالرغم من شدة  
 شوقه اليه حتى يوالى واهه بخفيقة الحلى وما نسلم محمد على  
 باشا الرسائل التي وصلت اليه من في هذا القصد حتى يات  
 برسائلها الى لتصل القبول القسطنطيني الرابع . ذلت هؤلاء . نظر  
 براهيم باشا الى مطالعة « انطع باشا بتبيل حطه العدوالية مكتب  
 اليه بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٢٥٥ الموافق ٨ يونيو ١٨٥٩ كتابها  
 نوره فيما يلي محتواه : « اذا كنتم يا صاحب السعادة قد تقيمتم  
 الأمر بأعلان الحرب فبائدة الاسترسال في مثل التماس  
 وتحويلك للفتن ، اذا كنتم تريدون القتال فمفوا الى ميدانه بصراحة  
 والتقدم ، ودعائي ان لا يهزمتكم في هذه الحالة انكم ستقتلون  
 أبطالا لا يعرف الخوف طريقا الى لغوهم . اما التماسك التي  
 تفضون في تدبيرها فأما ليست بما يطلق اسمها وما طريقا .  
 ولقد اضرب حلفا باشا بوصول حلف الكتاب اليه بانه  
 بما اشتعل عليه وأخرج دمه في قلب من الانماط الرشيقه لوك

توفي فيه حيد الأتبان بصرى جزم أو قول فاطم وهي حنة  
ينطبق عليها التل الأيطلى الصائل : « القول المصدق لا يحتاج  
الى اللفظ الرشيق كما ان اللفظ الرشيق لا يقتم اذا ان يكون  
صادقا »

وكان السلطان قد أصدر في هذه الأثناء فتوى بحرب  
إعدام محمد علي باشا فلما انتهى الخبر بذلك الى حيد أوغز الى  
إبراهيم بن زحاف من فوره على القدو وان لا تأخذ في القضاء  
عليه وحده . حدثت مفاوضات عقب عيد الاسمي كان للتوقيع  
فيها معاصيا للمصريين . وفي ٢١ يونيو ١٨٣٩ التزم الجيشان  
بالقرب من قصبين مكثر للمصريين الأتراك بالرغم من المقاومة  
الجسيمة التي أبدتها المرس لتشاهق . وقد دعي الى إلقاء السلاح .  
والتسليم فأجاب : « ان حرس السلطان لا يتخلى سلاحه الا امل  
الموت » وقد اشتد سرور ابراهيم باشا بهذا الفوز فلم يترك ان ضم  
الى صفوه رفيقه في القصر سليمان باشا ( سيف ) وبهذه المناسبة  
كتب ما يأتي : « صكنا جنديين تقاتل التهمة بالقوز ، وكان  
سليمان باشا يحض الصباط اليه للمركبة بقوله : « ايها السادة  
الصباط اني اعين لكم زمان للكني ومثله فداي ساعة لوزال  
تحت حيد حائط باشا لتعاطي ما شرب القهوة ان شاء الله »

ولقد تحققت هذه البهجة بأجر لها مطلق يقرب ١٠ في المائة نسبة  
 سندسب الى الآستانة أو بجيثوت م الى القنطرة ، ولقد  
 أعدت المداين لزحف على الآستانة بالا ان والى مصر أني إلا  
 ان يظهر في هذه المرة ايضا ما أظهره قبل من الكرم والتسامح.  
 فقد حدث ان للارشاق سولت وليس جلس ووراءه فرما طلب  
 من محمد علي باشا بواسطه الكاشي ( كاليه ) إغاثه الحرب فتمت  
 الى ابراهيم باشا بأمره أن لا يقطى حدود آسيا الصغرى خوف  
 الجيش المصري أمام ( عينتاب ) كما وقع اخيرا أمام ( كوتاهيا )  
 محفوقا بالنصر القوي والقصد التاسع . وكان السلطان محمود صيف  
 البقية على أثر إصابته بحة الصدر ومكثه على الشهوات فأتى في  
 وبعان الشباب أي في الوقت اللاتم لينسى أهد الآبدن كالومة  
 نصيين وحياة دونته التي انحازت الى جانب المصريين . أما  
 حافظ باشا الذي خلفه ابراهيم باشا على أمره فقد حوكم لدى موته  
 الى الآستانة بتهمة التسرع في الهجوم قبل ان يصل اليه الأمر  
 الرسمى به ولكن المرء عسكر أرى حكاما يحط يد للرحوم  
 السلطان محمود يؤخذ منه ملاحظة أنه كان في كنفه السرية يخالف  
 ما كان يظهر به من البرول لحط السلم وأنه كان يتخذه بذلك  
 المعركة الأوروبية ووراء الدولة أتمهم

وبينا كان محمد علي يفتنى في مصر حرسا وطنيا وطرم  
بالصميم العسكري جميع ممال مصادره القديمة أبرست للمساعدة  
الصارمة معلومة ١٥ يوليو ١٨٤٤ التي دوت الشام كلها بقتضائها  
الى الدولة العلية لانسب سوى أن أرضا من الدول القوية  
اجتمعت في دكن من لوكان مدينة لوندو للاعاقق معا على تجريد  
ولي الأمر في مصر وحاكم وادي النيل من لحد فتوحاته حكاية  
ورضه عند قاعدة مرش طالبا هزمه بيده كايهز الفلام القبة  
القوية. ولقد رفضت فرنسا المصودق في هذا المؤتمر الذي لم  
يكن له من باعث سوى ان يجتروا كانت لا توافق على اتساع  
نطاق الدولة المصرية. أما محمد علي فقد عاوم في ذلك متمسكا  
بمحقوقه للمصومة وكانت فرنسا حليته الأمانة نسل البنين من  
فهمه حتى لا يجسر أحد على أن يمس حرم داتها بسوء. وكانت  
انجلترا والمسلمة صيقتا النطاق على السواحل السورية بسفنها  
الحرية ومدافعها واستولوا على بيروت وللاذقية وطرابلس  
وميدا وسور وحكا سدا ان ضربا حصونها بالدافع وبشت  
دول التحالف الى مياه الاسكندرية القومودور (نايه) للمحاولة  
مع والى مصر فرضى محمد علي بالحوار فيها فكانت النتيجة أن  
عقدت اتفاقية تضمن له لولاية على مصر وتمتعه حتى الورثة

الذي لم يكن معمولاً به في ولايات الدولة كلها وفي ١٢ يناير سنة ١٨٤١ صدر خط شرع بالصادقة على هذا لامتياز المنوح في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٤١ مع اذلال بعض قيود لم يقبلها محمد علي باشا ورفضها بكل الرغص فرنسا والمول اللوحة على المساعدة الاولى فصدر في أول يونيو سنة ١٨٤٠ فرمان بثبت محمد علي في ملكية مصر مملكة تنتقل إلى ذرية من الذكور وتنطبق على الدولة انطباقها على الدولة المصرية نفسها

ولم يكن محمد علي يطمح إلى أكثر من ذلك ظهرت فرنسا بمواقفها على هذا السبل ولكن تقيم الدليل على هذا الرضى انطلقت في سلك الاتفاق الأوروبي بقتضى معاهدة ١٣ يوليو سنة ١٨٤١ التي وإن لم تحسب مائة مباشرة بالسألة للمصرى، بما لها كانت تملك مرام تركيا وحقوقها على الحديد، كانت تدل على تولق انظر لمرشأن المسألة في البلاد الشرقية . اما الباب العالي فقد أولد ان يقدم دليلا عن مراجعته في الصلح مع محمد علي باشا فأُسند إليه رتبة الصدارة العظمى الشرقية ومن ثم ما بجوشه إلى القطر المصري وقد آن الوقت لإبراز التنازير التي كانت بعد هذه الحرب التي قال فيها أحد الشعراء أنها اذهبت العرب وأخافهم

→ **الخطار من علة القلم** →

[illegible][illegible]

[illegible]

www.pearsoned.com

بعد حادثة اغتيال أحمد هادي الخياط المبررة في سوريا بحسب مرفوع عليا وهادي المندوب  
عالم القسوس بوليفيا بلانكا وصح حادثة حصار القري المسيحية في تلك الفترة بحدود من  
الطريق - وكثفت بعد الحزب استعفي ٩ و ٢٦ اعيد الخواص ٢٦ مايو اكتوبر الصيغة  
من الجهاد والتمرد المبرور في الايام في غلق المصروف وقرر عليهم اتيقن التبريد الا ان  
بالا احسن في التبريد احد امرامه مع الايام الاولى من الايام التبريد احد

























[illegible]

کتاب من علیہ یک والی یاران و مصطفیٰ خدا آمد .  
 صاحب السمو اعلیٰ علیہ سدرن جانکاهی بقائما فی قسوس ال الانعام فی  
 عهد سمو والی عمر و کذا لانک من الجملہ بأفکاء بحر ساعد عهد الاسرة العسکریة  
 و جملة واقف طیر سرور ان ایسی عالیہ و لوسہ صاحب جیہا طبعہ و رسول سوکرم ال  
 یلوا فی قصہ علی التقد من القلہ القلہ واقف بعد برلی عزاکم علی صفایا عقین  
 الجلیل الشاهر من کرم العس و طر القلہ - واقف ملاک علی وجہا قصہ طایرہ آفا  
 من اولکرم طایر م سنج ال ضم الی ال ال سوکرم بقایا طبع و لیب لیکم  
 فی الاحد و الانعام فایک ال ال لای القلیہ لیسیم کوا بد لیسوا طبعام احاطت  
 یسج لراک الشکره آفا فی الیوم کت ایماہ فی کما سطرہ طایرہ العسر .  
 فی کت الیوم سوس اولک المرات و سیم محمد یک و انوہ صیغی یک بن کرہ  
 یک و سلج احد یک و کتہ حاج یک و سیمین یک بن عبد فرحین و کذا بالقرول و کذا  
 بن سیم ایماہ القلہ الجلی فی طیر طیرہ العسر و الانعام

قراره القریٰ بجاری مایم یک دست فداور ای فداور لیا و نه آرمایا سر القادہ ایام  
از او فداور

٢٩ حتى الأول من سنة ١٩٨٨ الموافق ١٦ أكتوبر ١٩٨٧ عند خروج القس  
والطبا (جوز بورني) بسبب حالة الغلاء وبمناخ حار بعد ما تم عمني (لقد وبتبر  
ملا إلى الأمام القس في الكون وكان القس الذي تقرر عليه الخروج مع سبب  
جدار حار عند سبب (تمت كمرور) بعد خمسة كل ١٠٠ إلى ٦٠٠ من صاكر  
لقد تمكنت من رؤا في حارة صابر الأمل ولا طبع ولا تفسر حار وكان القس قد



هزاد العسكري في أيلول وسبتمبر وأحد الفلاح العام صبراً (عشرين أو لستاد من طلاء  
القبيل) وبعد هزاد في أيلول أكل على الأبح له وسبب بطرح بالامانة الحرب .  
في أن القوم كانوا في أبحا حد من التجهيز للمدينة من واثق الفلاح من حين  
حد على وأحب شخصيات أيلول الفلاح وأحد بالأمم حتى حد . وكان أحد يك  
أحد (أحد) في حد ماكر القوم من واثق الفلاح في كل مكان من  
لأنه ماكر بأر الفلاح في وقت القوم الفلاح من الأحمال من حين  
فروا أيا في أن بعضهم من عليهم فلاح الفلاح في زمن أيا حد أيلول الفلاح  
مصر في أمان الفلاح وأحد في حد الفلاح الفلاح من الفلاح في شرح  
في حد

٥٩، وصحيفة ١٧٧٤، رقم ٢١، صفحة ١٤٢٢

[illegible]

















ایراشیم فی سواد عرب الجبل علی صی بابا موس



## الجلب الثاني عشر

### الشرق والغرب

من سنة ١٨٤٩ الى سنة ١٨٤٢

لم تصع اوجاع الاسلام التي تحملت الحروب المصرية باعلا  
من المدة بين الحالتين المصريتين على الشام أدخلت اصلاحات  
ناقة وتدابير مهمة كانت البلاد في أشد الحاجة اليها وكانت  
الناية بالصحة العامة في مقدمة ما احتجج به خاطر مؤسس  
الأسرة العلوية وانصرفت اليه جهود من وجوه الإصلاح، حتى  
جعل الدتأملين أنه قصدوا الى تريض ماخضرت مصر بالأمس  
في حروب لا تنفي على الأخص والأموال فن ذلك انه أدخل  
التظيم بالجندى وهو من أجل مستكشعات العلم واحدا فائدة  
لأنه خير وفيه من هذا الداء وقد طأ الأمرين في حمل الجمهور  
على قبوله لحبه واعتقاده أنه حيلة تدفع اليهاها انصبه الشريعة  
يعزوها اليه وسد يته وأتت الكتابا للمعززين والمنفطين  
من غير العسكريين، وأقام بالإسكندرية على مثل دثر البحرة

وفوى البساتين ( اوتيل ديرقاليد ) ملياً وطياً لأبراء البحرة  
 السكرين . وأقام بالاصحكنوية الحبر الصبي على النفس  
 الواردة من البلاد المورومة ( الاراروت ) وألف المجلس الصحي  
 القيام على الشؤون الصحية في القطر كله وجعل من الاروس  
 ايادى حاجت ذلت لشجار باسقة فقد كل هناك مسيح من الارض  
 ترو مساحته على الستة عشر مليوناً ذراعاً لا أثر فيه للطلوة  
 قمر الأشجار فيه مصفا جوه وسدت الحاجات للاعشاب  
 ولم تكن هناك بهذا ألى منها بالزراعة والتجارة وقد كان أول  
 ما طبعت فيه آتاه من المنافع العامة غزن ماء النيل بإنشاء  
 القناطر عليه وحفر القرمه بين البحرين الاحمر والابيض المتوسط  
 ومد السكة الحديدية بين السويس والقيل وحق القاهرة بشوارع  
 عظيم بين القلعة والادوية وإنشاء مصرف إستدات قبحها  
 الدكية مائة ألف كيس . أما لادة التي تلت الحرب الثانية بين  
 مصر وتركيا فقد كانت مظهر السكس قهود الصناعة والزراعة  
 وتنظيم الاخوان على نسق الساطة والاختصار والجهاد تسم لمنسة  
 القناطر والجسور وفرقة من الاطباء الوطنيين لتنظيم المصالح  
 الصحية على وجه صار التلاج منه يعطى بالجان للطبقات الفقيرة  
 وما برحت اليهود منصرفة في الوقت الذي نخط فيه هذه

الأسطر لالبحار مشروع جليل جبريل القمع لا ينتظر ان يكلف  
عزينة لالشا أهل من حبيب الف كيس سنويا ألا وهو المشروع  
الذي يرسي ان إعادة بناء القرى الرغية على أصول وشروط  
تنوافر معها أسباب الماء والصحة في البيئة .

وقد نبطت بالاستقلال جهة صالحة من الإصلاحات النافعة  
فلقد جاء الى مرزا بكري ابنه محمد علي بانما قبضت  
في نوميس الرقي ودرس قواعد الاندلسان الرقوية والاسمان  
فترجمت به المصنفات التي دام الاطلاع على ماتحتويه من أسرار  
المرقان . ودروهي أثناء ذلك في جانبها بالمشورة شمسنا القوي  
السكرام من واسع الحاشية والؤاسة وعرض على مشهد متجيش  
مؤلف من ٠٠ مجلد في سياسة لالبحار ومساعدتها ٤٠٠٠٠  
مرفأدى هذا الجنس حركته على مايرام وشهد وطنينا الشجير  
معظم الجنود المصرية ومدبرها مدقة هذه الحركات وسرعتها التي  
تقل اسرارها الى ضباب التبل . ومن الجمع عليه أنه منذ نابليون  
حتى الآن لم تشهد ساعة ( شاميلارس ) التي حرق فيها ذلك  
للرمس حقة ابداع من التي شهدها ابراهيم . وكان من شهدوا  
هذا الاحتفال العظيم ثمانية اسراء وست أميرات . وابست القطيعة  
في ذلك اليوم أبهى حلقا وبدت الشمس ناصعة في كبد السماء

كأنها نهي بطل نصيين للظاهر المدعو فيها، فسكن يوم ٢٦ مايو  
أجل يوم من أجل شهر في أجل فصل من فصول سنة ١٨٤٦  
وكان إبراهيم باشا عادى القادة يقي عيته في القوس  
بصدده الرحب وأعضائه الشدة وصبيه الرماديين للتصحيح  
بما يكن صموده ووجهه المستطيل الذي يشام منه خلق الجند  
على أنه في ساعات مرحة ونسطة كان يرسم على شفتيه وى عيبه  
مبتغاهم فزاده من براعت السرور حتى كان يجنبل فاضله أن كل  
شيء فيه يضحك وإن ينابيع الانتهاج من فزاده تضج . وقد  
وصفه واصف قبا بلى مشير إلى مبرله لندطرة وما تآثره نفسه  
من التملأ من الصفات حيث قال : لم ير القرب جديا يضارع  
إبراهيم في السالة والعسكرم على لم ير بطلا خلق للعصر مثله  
يميل شطره إلى الحرب ملذا نزل في حومة الوقي حرف كيف  
يأثر القتال ولو انفتحت أبواب العالم لوصول إلى مثله . وهو  
من سلافة أولئك الأبطال الذين لا يهتمون في ساحة الحرب  
إلا إذا جندتهم النون فله تكن الاسكندر الأكبر وحسب  
حاز . وشجاعة إبراهيم شجاعة دفاقة صامدة كانت إذا ما حقه  
بحر العدو وواجهته به لا تنكسر لها شكبة ولا يكبح جماح  
وكانت تحلى للانظار وتعرض بالجماعات وتستفز الجماعات والشيخ



وتحصد الرؤوس ولا يرمى بالنصر للفرور . وكانت الكليل النار  
لا تصيب بها ملقذ يقترن الفوز به من الآخر ان والحرب غلبة  
أرسل الى قائد فراد الجيش الشكلى قبل الواقعة الأخيرة بأجمع  
الرسالة الآتية التي يحيل قلوبها انها نصيف عيسوف حكيم . قل  
والقد وطأت قدميك حدودنا وحتت فسادا في القرى الناحية لنا  
ولم ترع لها حرمة وأطلقت نارك على نقطنا الانسانية : أمكان  
هذا بأمر جلالة السلطان : إذا صح هذا فقد رعب على ان  
أوراق والذى بمخيفة الواقع أم أنت تعمل كوالى الخيم لودعهم  
حيث : انى أمالك شعليل هناك التي لم يكن لها من ناحيتنا  
مسرح فقد احترما حدود حكومتكما حسا قط في مجيذا ولا  
تقصنا ههنا . لذا أحب ان أعتقد أيها القائد انك لم تقصد  
لرباى وان كل ماوقع سوء تعام نجم عن ظروف وأحوال نجس  
الاسلام في أخرج المواقف . ولم يكن الوقت ملائما أنيتسوه  
من الأفعال التي لا يبعد ان تقع بصاحب الشوكة مولانا السلطان  
ومحب السمو والذى في سبيل المدينة التي أغدا يد أنوامها  
فيها اذا طلت الحرب مضطربة : هما : ان الحرب التي تصيب  
الشعوب وتهدد الامم بلاعائد . حتى عبا عوفوقنا في طريق  
التقدم والفلاح . ولا وسيلة الى تحقيق المقاصد التي حققها السلف

سوى الانحاء في ظلال السلام والاجتهاد ،

ويكلم ابراهيم بلشتا لغات التركية والعربية والفارسية بدرجة واحدة من السهولة والتفصاحه وعم إلما تاما بتولمخ أم الشرق  
 وله قتل كتاب ( ترمخ نابوليون ابراطور فرنسا ) الى التركية  
 في مجموعة أسباعا دليلى اسرار حكلى أوروبا ) لى ( كنز أسرار  
 حكم أوروبا ) وله نظرة لثا أنسدا الى الجندى المصرى سحره  
 بها حتى ليكنى ان يذكر اسمألمه لقره وقد تلب عبرة وحلسا  
 وبسالة وإقدانا وما بلغ السادسة عشرة من عمره حتى قلده  
 والده ولاية بعض البلاد فكانت مباشرته للاحكام والادارة في  
 مقبل المرباعية على تسمية لظيرة البنية على التعاريف في نفسه  
 وهو شديد العناية بالزراعة وشماره فيها كلمة مأثورة عن مراد  
 بك الزعيم المشهوروى : : اذا طلبت في مصر الشعب طابش وجه  
 الاوضه وتتل هذه البدايه الحكيمة والنظاط القوية تستطل  
 ابتلايدالى رسميا والده مصونة خصوصا إذا لوحط احترامه  
 وحه التظيم له ولقد أبدت الحوادث متلا غزاه بهاتين  
 الساطفتين فان ابراهيم بلشامع امرأه لمراتب المشوثة والوزيرة  
 والاملة على مسكة ومع كونه والده ثلاثة أبناء يتنازل عن ذاتيه  
 في مجلس والده ويمسكل أثر خطورة مكانته ولهم يد كلى أهل

عليه . ولا يأخذ مكانه من المجلس إلا إذا أمره بوجوب بدخول على  
مرأى منه عالم يباح له التفتيش

أما محمد علي باشا فإنه يقابل هذا التوقير بتوقير مثله ولا  
يتخذ سمو مركزه غرضاً للنقص من كرامة التوقير وإن كان نظام  
الانقلاب وتوزيعها في الدولة الثمانية يحصلان لا إبراهيم باشا باعتباره  
كونه أمير الحرمين الشريفين على رأس مشيخة الدولة جميعاً  
وعرضان على هؤلاء إذا أقبل عليهم الوقوف إجلالاً له وإكثاراً  
لأن محمداً علياً باشا كان إذا أقبل عليه ولده انتظر وانحازوا لخطبها  
لزمته وإن يكن مكان أبوته منه وكونه صاحب الدولة على مصر  
يجهزان له البيت في مكانه . وقد أذن له بالسير منه في الحفلات  
العامة والمناسبات الرسمية على صعب واحد مستقل . هذا ما نقله  
البنّا البارزون عاشر ملك البلاد المصري الأميرى والقرودون  
عليه بومته يؤخذ أن أطرح الناس لولم مصر إنما هو إبراهيم  
باشا حاكم ملكه وقوام عرشه وفروعه البهي ورأسه الممكر

وقد امتدت فرنسا في استقبال إبراهيم باشا والخدمة به  
على الانقلاب والاسباب التي سردها الآن ودرجته الأكيدة  
في أن تقرر خطراته عند تلك الظروف رجل من أبناء فرنسا  
وسيد ألبا لبقيم بين ظهرانيها بصفة أشهر ذلك الآن للضال الذي

عاب من وطنه نحو ثلاثين عاما تايها ارتحل هذا الاب من  
بلادنا وهو برنة الملائم او البورقاني هذا اليها قائد كبير وأميرا  
عظيما قبل في قدرتنا بعد هذا ان نقابل بوجه صوب قطرر وهو  
ذلك الذي ادا سلك في مصدر طريقا وجب على السابلة الاحتشاد له  
فيه ثم الارواه في عطفيه حتى يتم له المرور في سلام وأمان

لقد أقم (سيف) حنة ائني الاسلام أداة جديدة على  
شجاعته وعزيمته وانسانيته في بلاد اليونان ثم في حصص وبلان  
وترويا وتعبدين . وما من حجة قصد اليها لمصلحة وذل مصدر إلا  
وحقق فيها معنى الجلة الآتية هي كثير ما كانت ترد على نفسه  
« أحرقت في سباني ثلاثة رجال وجمعت سي لم لمون كل حب  
والذي ونايليون ومحمد علي . ولقد مات الاول والثاني وبني سي  
الهيوي منحصر اليوم في محمد علي » وليس بنزيب بعد هذا  
اذا قل محمد علي باشا انما بط من صباط جيشه : « لقد خرج  
سليمان من صلبه وهو ولد من لولائي وهو لن يرح مصر الا اذا  
برحها محمد علي نفسه »

وقد جمع محمد علي باشا الى عاصمة الليل والمب هبة النفل  
وذلكاه هو سرعان مايميز بين الصديق الجليل والصديق الخائن  
وقد خص بالمحبى الزاهر والمراصة المتعددة والظافر السرم

والرأى المات والعكر الثابت اذا رمى شعاع بصره أصاب  
 مكنون سرك وحى ضميرك . ومن أحب الأمور إليه فله  
 بعض الفراخ من وقته في الحديث مع الآدويين لولاه باستطلاع  
 آرائهم ولعله عاذع . هم من شهرته . اذا نظرت إليه وانما  
 رأيت كالأنف في اجتماعها واستقامتها بالرغم من بلوغه الى  
 الثامنة والسبعين من عمره . وهو في أسرته يميل الى سلطة  
 العيش وشططه . وينبط سطه على جميع أبنائه الذين تدكهم فيها  
 بلى ماعدا امة ولدت في مستهل القرن التاسع عشر وهي الآن أيم  
 للرحوم محمد بك القدر دار وامة أخرى ولدت عام ١٨٢٤ وهام  
 إبراهيم باشا قائد فراد القوي للبرية ولد سنة ١٢٨١ . سعيد باشا  
 نوسدان الاسطول ولد سنة ١٨١٢ - حسين بك ولد سنة ١٨٢٥  
 - حليم بك ولد سنة ١٨٢٦ - علي بك ولد سنة ١٨٢٩ - اسكندر  
 بك ولد سنة ١٨٣١ - محمد علي بك ولد سنة ١٨٣٣  
 ويتلوم انصافه وم . عباس باشا بن طروس باشا ولد  
 سنة ١٨١٤ - احمد بك بن ابراهيم باشا ولد سنة ١٨٢٥  
 - اسماعيل بك اخو السابق ولد سنة ١٨٢٨ - مصطفى بك اخو  
 السابقين ولد سنة ١٨٣٢  
 وعادة محمد علي باشا ان لا ينام ليلا أكثر من خمس ساعات

وأن يستيقظ جراً فيلحق النصارى في محل متواصل وله خبرة  
تامة بالأمميات مع أنه لم يدرسها في المكتبة ورجل عنه  
ومناظرته في أعجب حرائث الفلك ونواريهم وهو لدا سار يفت  
على خطراته أكثر الشية العسكرية ولذا طلب الرياضة في حجرة  
سار فيها مرحة جامعا يديه خلف ظهره كما كان يفعل نابليون  
وهو كتابليون مشغول بالسباحة في الميمنة والقباس حريص  
على أبواب العاشرة وكتابليون صار من لائىء صكك شىء  
وكتابليون نهض من يئته فأيد بالسيف مركزه وكتابليون  
شده سيرته على بحر الأيام بالأنظمة الخلية والانتار الخلقنة  
ولقد لبث برأيته عبدا طويلا بين نفسه بأن يسيد  
الى مصر عسكرا قديما وعرضا السابق السابق وينقلها بقل  
الشرق رأسا على عقب وبلاستواء تحت سماء مرصا على عرض  
ثابت لو كثيرا ما كان يقول « في الشرق وحده يرجى بحرا  
الجهد والقياس البعيد » ولكن الجمهورية الفرنسية أيدت له  
عكس ماقتناه وذهب اليه كما التفت له الامير المطورة الفرنسية  
اصنافا صنف ماأيدته الجمهورية . على أنه كان لا يكف مع هذا  
من ماله : « الولايات المتحدة التي يتكلم أهلها بالحرية في حاجة الى  
انقلاب عظيم وهي تنتظر رجلا يقضى لها هذه الحاجة ، والى

محمد علي باشا هو هذا الرجل، وقد كان جان جاك يقول: «هل  
أنت واحد من أهل ماني بما استطعته؟» ونحن نقول هل هناك  
سوى محمد علي باشا من يستطيع أن يقول — هل لعل أحد العصر  
ما فعله بهدا الله والتبيل ؟ »

زار إبراهيم باشا أثناء رحلته بفرنسا دياره من مشائخها  
الوطنية دار الضرب الباريسية عسريت بمقصود مدالية فأذا بها  
تحت سورة محمد علي باشا وقد حكمت فتحها بالفرنسية (محمد علي  
محمد مصطفى بن بونست ١٨١٥ هـ كان الدوق إبراهيم باشا من مشائخها  
في رحلة علي مناصف الليل فتولى من الليلة العشرة بالحماره والاكرام  
قلما كان ماير سنة ١٨١٩ ثم هذا الدوق إبراهيم باشا ومن كثرة  
معه أتمام طوته فرنسا ملازمة الظل فتشبع وانفجرت عليهم تصفد ساحة  
الناورات في (سانتور) فحضر إبراهيم باشا لالساحة في الركبة  
الملوكية وصيته الدوق (دي بيور) والفرنس (دي حراخيل) واندم  
إليه جواد ليتطيه أثناء التصفد فانطاد سائق البراد فأذا به الجواد  
السكرام الذي دكه يوم ربح واحدة نصيبين وكان محمد علي باشا  
قد أهداه في سنة ١٨١١ إلى ملك فرنسا مع نسخة جواد غيره ولما  
عرض إبراهيم باشا في ذلك اليوم قوى القاعات (الاتحاد)  
وعدد ٢٥٠ متقنين سلاحهم جعل منظر هذه الحفلة من

كانوا منهم ضمن الحلة الفرنسية بمصر في مكان على حدة . وما من حفلة فنية أو موسيقية أو وليمة أو احتفال اقامه الوزراء او رجال الحكومة إلا ووجه كرسى الشرف فيه نحو الشرق ليجلس عليه ابراهيم النظار . وكان يروجرام الادوار الموسيقية والقتالية يذكر السبع بالانعام الشرقية

وكان ابراهيم قد اقام سنة أساميع في (توسكانا) قبل ان يقصد الى فرنسا فاستقبلها المرشدون حاكم هذه الجهة بمظاهر التظيم والتحصن . ودعته الملكة فكتوريا في هذه الاثناء بخطاب دسسى الى زيارة بريطانيا العظمى فلم يسعه إلا بإجابة دعوتها فوكلت هذه الدولة قد اثمرت بجنوده في العودة للشرعية على عرش مصر . فلما برح باريس الى الجزر البريطانية تبرع بالى عشر ألف ليرة لك تقراء هذه المدينة . ومرت في سفره بعد زيارة هذه الجزر ببلاد البرتغال فلهذا ملكها وملكته واسام البرج والسيف من دويجة الصليب الاكبر وكان قد ولد في فرنسا واسام اللجيون دونور من الدرجة الاولى . ومن البرتغال أبحر الى وادى النيل

وكان والى مصر في هذه الاثناء قد قصد الى الآستانة ونزل بها ولما وصل الى رودس أمدى السلطان عبد الحميد الى أجود ثمار حديقة السراى السلطانية وعند ما وصل الى دار الخلاله



وتوجه الى قصر السلطان تلقاء السلطان واقفا عند مدخل البهو وصاحفه عاليا. وكان جلوس السلطان على العرش بعد ان اُذِجت المداوة بين مصر وتركيا في كلفن السلطان محمود فكان استقباله أقدم صدور الدولة بمثل تلك الرعاية من انعم غططه وأحكمها وأجدها بالاستحسان والشكر. وقد قدم بجلالته اليه جلة طلبة من قميس الهدايا فتقدم محمد علي اليه أعلى منها وأعلى. وحسبب الى من الآتياء بتاريخ ١٠ أغسطس ١٨٤٦: ويرج صاحب السمو محمد علي باشا بعد عقد صفاف البسفور. وقد كانت مدة اقامته مصغر غير واحسان ونيوفاغزيرا الأهل البدة فقد كان يرد اليه في اليوم من مائتين الى ثلاثمائة الفلاس فلم يجيب وجاء أحد من اصحابها وبلغ ما أتفته مئة الفلاس بين هدايا ومصدقات ٥٠ مليون فرس. ولشدة حرصه على الآثار القديمة أتى إلى أن يغي منزل آياه في (قوله) كما هو وقد مر بهذه المدينة أنشأ جاموسة وزالقيور حالته ثم عاد الى مقر حكومته

ومن ثواب الاتفاق أن السلطان عبد الحميد قام بجولات كثيرة في بلاده رعى بها الى المقاصد التطيرية والانحراض الدالة على حب الحرية والتسامح ودعا فيها الامة الى الرئاس والاتحاد وولف بنفسه على حاباتها. وكان شأنه في جولاته شأن محمد علي باشا

وابراهيم بلشاه من حيث ان هؤلاء الثلاثة لقوا من مظاهر الاجلال والتكريم ماقتض في صدورهم بحروف لا تحصى ذكرى جلال الاستقبال الذي علم به الرعايا لاعتقادهم في اولياء امورهم البيل الى ادخال الاملاجات النافعة وازالة آثار الفساد من بينهم وسابقة السوء منهم وسكافة الحسن

ولما فتح لنا الاحراب عن أمنية تكفل بها هذه الصفحات لطلبنا للاجتماع المصري المطال المشبه الصرح على البهيرة للفرقة بالتصريح وجوها للاصلاح في نظام الضرائب والتجديد تتماشى مع مبدأ التسامح وعلى قاعدة الانسان والترتيب ونعنيها مع ما تقدم : استثنائات احوال التاريخ ووضع مكلفات التجميع على الاستكشافات الصناعية وزيادة عدد المدارس السككية في المدن والمدارس الابتدائية في القرى وتزويد الكتب الابتدائية في السلم والتاريخ وعلمها وانشاء مجموعات مختلفة وتفتح دور الكتب الجميع وتشر مجموعة دورية باللغتين التركية والعربية ومجموعة اخرى باللغة الفرنسية يكون الغرض منها التقريب للتفكير بين مواطنينا في القطر الفرنسي وبينهم في مصر وتوريد الوثائق من المصريين لتتأ وتوثق روابط الألفة بينهم وبيننا وانشاء مرصد ومدونة خاصة بختون الرسم والنقش ومتحف القدم التحف والمطبوع

التغية ومجلس (ديوان) وطني ينتظر في الشكاوى ومن القوانين  
المدنية ومن قانون اساسي وتأليف مجلس محققين وإلقاء القضاة  
وابطال الخصيان في الحرم

عرف الشعب المصري بالمدونة في تجارته والقوة بسلاسه  
والقناعة في عاداته وشرابه ولباسه والطاعة لرؤسائه ثم بالصبر  
النفسي الى النتائج الكبيرة فلا غرابة اذا استطاع هذه الصفات  
الجليلة أن يبدد الصحراء بما يشتر العجائب والمجربات . وان له  
من إرادته القوية لأداة صلبة صاعدة ومن الزمن لمينا أمينا .

سماعته أشهر صوتا فصيحاً يقول : « ان آخر عادي وضع  
حجرا في أساس الحرم قام بعمل جليل لم تند عليه حتى الآن  
هو انى الدهر وأنه اذا كان الخبير الذى وضعه لا يحمل اسمه فإنه  
يرفع الى السموات على شئنا أجل واسمى بالآلا وهو الخلود لمصره  
عليه من النور على رجال الماضى وليفضى على رجال المستقبل فان  
الشجرة التى نرسوا غراسها لن تفسى ، تلك الشجرة التى قال حسين  
خروجه إن تمورها تنحصر فى كفتين يمدب للآذن ساعدها :  
السلام فى المساعدة . »

بسم الله